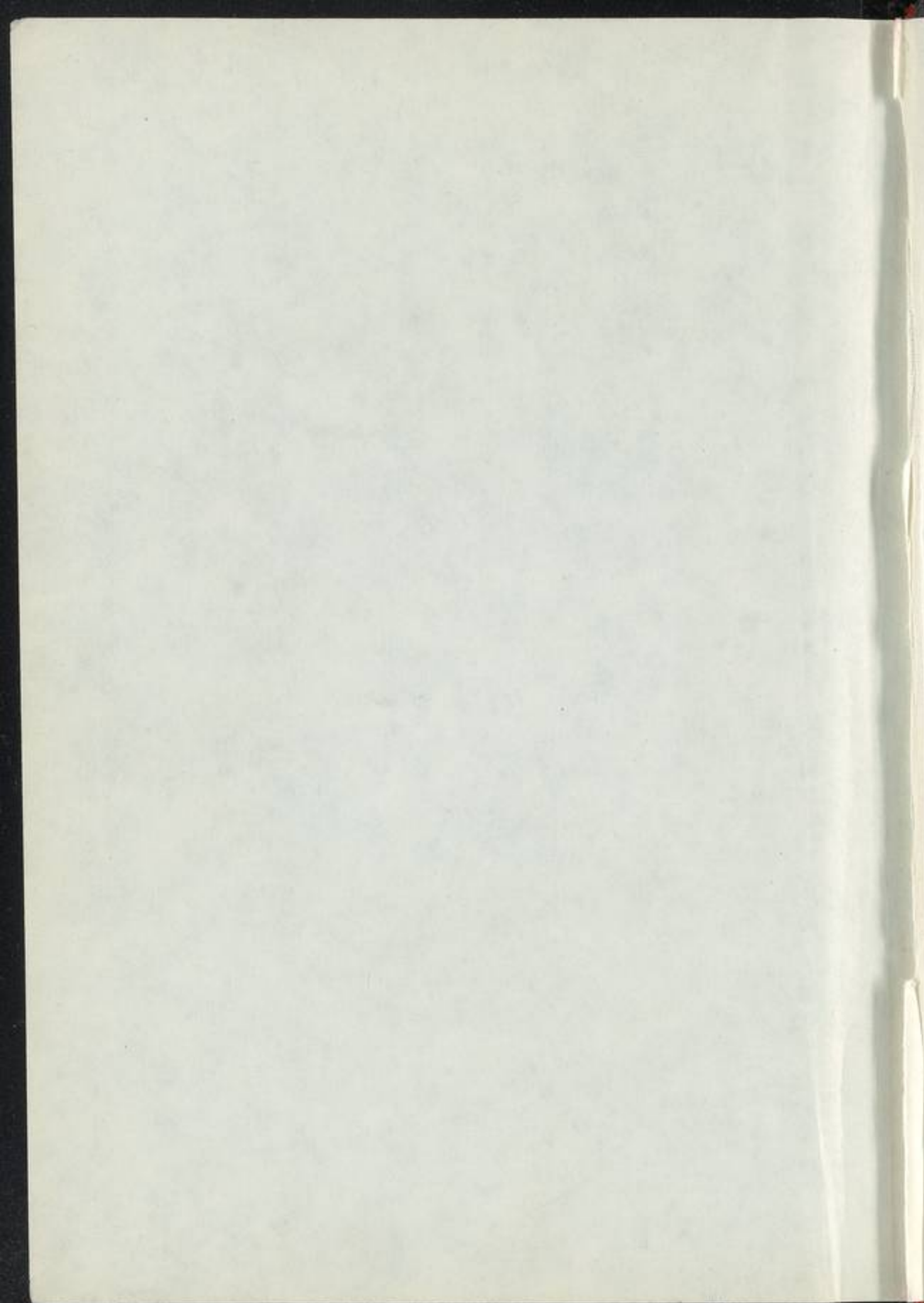


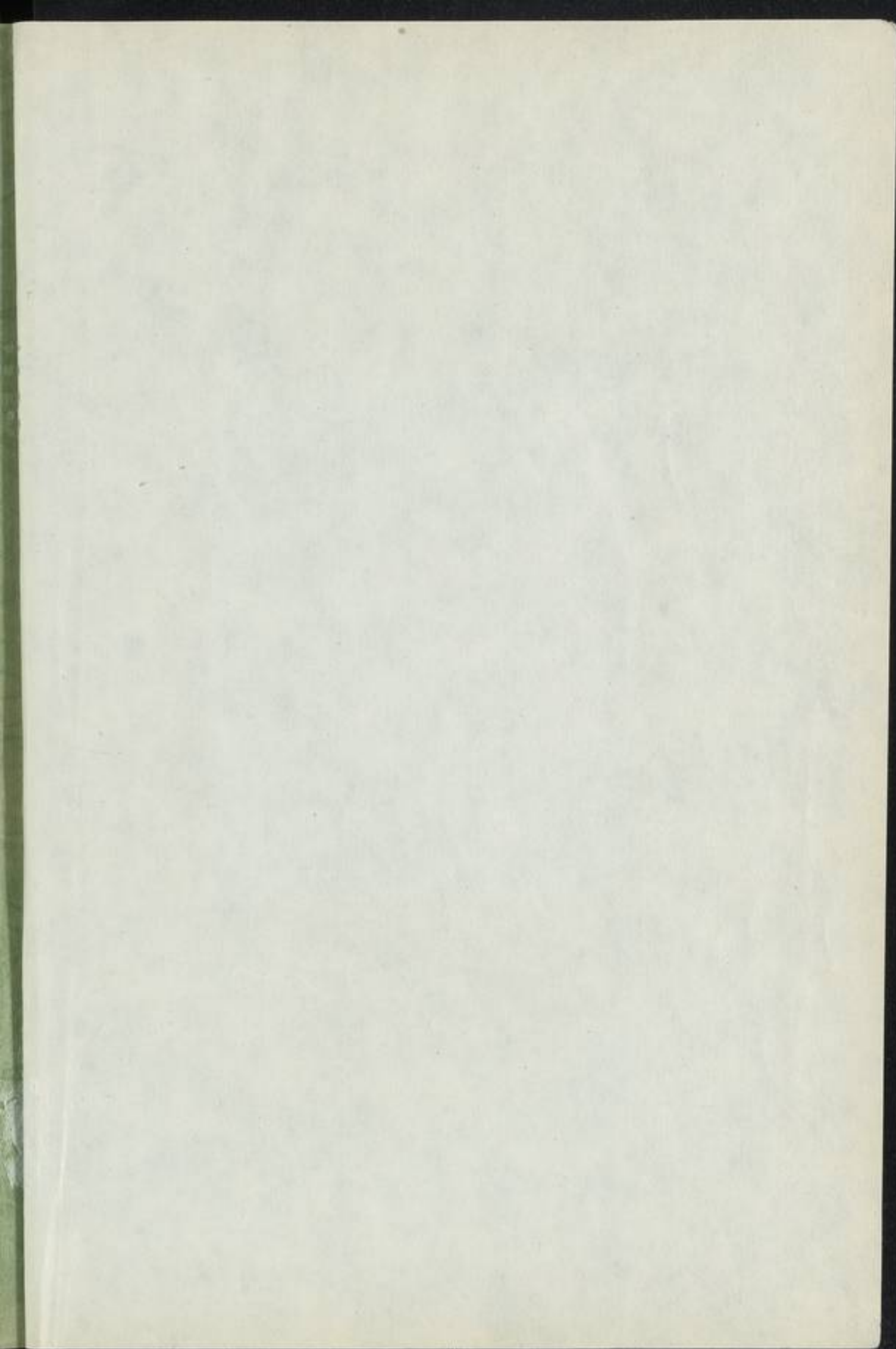


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY





سيرة

أحمد بن طولون

تأليف

أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي

حققها وعلق عليها

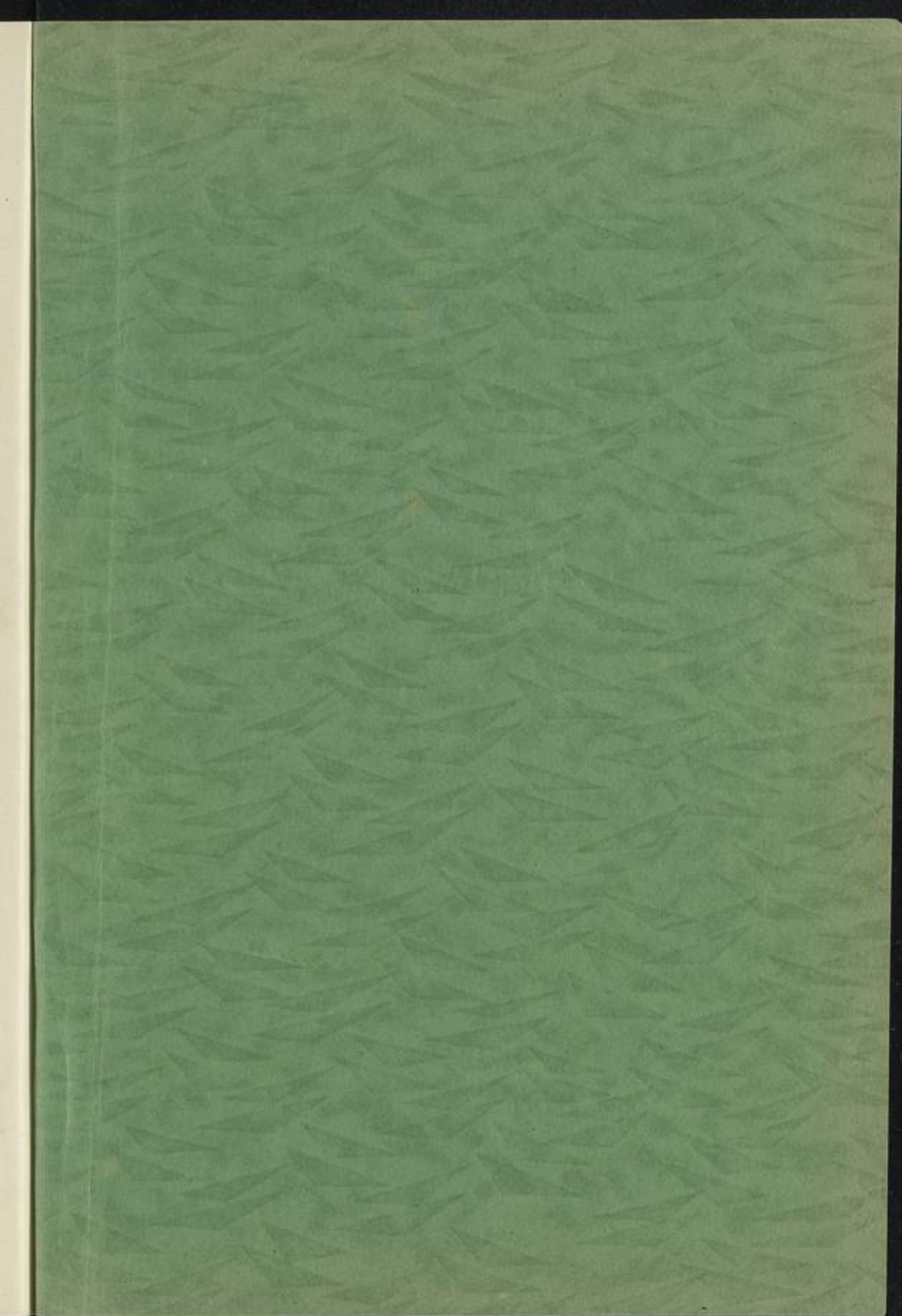
محمد كرد علي

عُبت بنشرها

المكتبة العربية في دمشق
لأصحابها عميد الإخوان

مطبعة الترقى بدمشق

١٠٠٠ / ١٣٥٨ / ٢ / ١



سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

سيرة

أحمد بن حنبل

تأليف

أبي محمد عبد الله بن محمد المدائني البلوي

حققها وعلق عليها

محمد كرد علي

عنت بنشرها

المكتبة العربية في دمشق
لاصحابها عبيد اخوان

DT
95.5
.B34

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل الكتاب

المؤلف وتأليفه

اكتفى من ترجوا لمؤلف سيرة ابن طولون بذكر اسمه وأسماء أجداده واسم قبيلته ، وأشاروا إلى ما غلب عليه من أصناف العلم وإلى بعض تأليفه ، وإلى مذهبه وما طعن عليه فيه . نظر أكثرهم إليه من ناحية دينه خاصة ، وأغفلوا نواحي مفيدة من دنياه ، كفعل معظم كتّاب السير لا يحفلون بالبحث بأولية الرجل ودراسته ومشيخته وبيئته ، وما إلى ذلك من العوامل التي لها الأثر الأول في سر نشأته ، وحصائل قريحته .

وغاية ما عرفنا من نسب البلوي وعلمه ومذهبه أنه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المديني البلوي ، من قبيلة بلي كعلي ورضي ، وهي فرع من قضاة ينتهي نسبها إلى حطان . وكانت بلي بالشام فنأدى رجل منها : بال قضاة فبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكتب إلى عامل الشام أن يسير ثلث قضاة إلى مصر ففرقت بلي بأرضها . ومنازل بلي اليوم في أرجاء الوجه من بلاد الحجاز ، وقد كان لهم يد بيضاء في فتوح مصر والشام ، وجاء

منهم على الدهر الصحابة والتابعون والعلماء والفصحاء ومنهم عبد الله هذا ، والأرجح أنه كان من بلي الحجاز ، بدليل اقتران لفظ المدني باسم بيته ، نزل أجداده وادي النيل فنشأ مصرياً يتناغى بحب مصر .
عرّفه ابن النديم في الفهرست بأنه من ألف الكتب للإسماعيلية ، فعرفنا أنه من أعلام الإسماعيلية أي السبعية ، ووصفه بأنه كان واعظاً فقيهاً عالماً ، وأن له من الكتب كتاب الأبواب (وفي رواية كتاب الأنوار) وكتاب المعرفة وكتاب الدين وفرائضه ، وهذا كل ما ذكره له من التأليف . وما زاد الطوسي في فهرسته على عبارة ابن النديم شيئاً ؛ وتقص منها لفظ « عالم » . وفي نقيح المقال « ولولا تضعيف النجاشي لاندرج في الحسان ، لعدم الشبهة في كونه إمامياً ، وكون ما في الفهرست مدحاً معتدّاً به له ، ولكن كلام النجاشي أسقطه بالكتابة » . والنجاشي هو صاحب كتاب الرجال عند الإمامية وهو ثقتهم وعمدتهم . ولم ينص الطوسي على تعديل البلوي ولا على جرحه . وغلا الغضائري فقال فيه انه كذاب وضاع للحديث لا يلتفت الى حديثه ولا يُعبأ به .

ولعل السبب في حمل بعض الإمامية على البلوي ، وعدّه في الضعفاء واتهامه بالكذب والوضع ، ناشئ من إيراد أحاديث لتأييد الدعوة الإسماعيلية فوصموه بما وصموه ، على العادة في تطاعن الفرق في الإسلام والنصرانية . والإمامية والإسماعيلية يختلفون في الإمامة ، فيوافق

الإسماعيلية الإمامية في سوق الإمامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى جعفر الصادق ، ثم يعدلون بها عن موسى الكاظم الذي هو الإمام عند الإمامية ، إلى إسماعيل أكبر أولاد جعفر الصادق .
وعرض ابن حجر في لسان الميزان لذكر البلوي ونقل عن الدارقطني أنه يضع الحديث ، وأنه روى عنه أبو عوانة في صحيحه في الاستسقاء خبراً موضوعاً . قال وهو صاحب رحلة الشافعي طولها وثمناً ، وغالب ما أورده فيها مختلق . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال بمثل ذلك وروى عبارة الدارقطني فيه .
وغاية ما أحصي للمؤلف في كتابه هذا ، وهو مما تجلى به مذهبه الديني أيضاً ، أنه لم يترض في المقدمة عن الصحابة على عادة أهل السنة والجماعة ، واكتفى بالترضي عن آل البيت الطاهرين ، وكان إذا ذكر عمر بن الخطاب ترحم عليه ، وإذا عرض لآل الرسول صلى وسلم عليهم أجمعين . وصيغة صلاته وسلامه على النبي الصيغة التي ألف استعمالها أهل السنة . وأكثروا رواه من هذا القبيل منقول عن غيره ، لم يعدل فيه شيئاً . وقد غمز الخوارج مرة لما أشار إلى صدق أحد رجالهم . وفي الجملة ما خالف أهل السنة في شيء مما قال وروى . فكان من هذا النظر إسماعيلياً لا يبعد كثيراً عن هدي الجماعة . ومسافة الخلف بين فرق الشيعة والسنة لم تكن في عصره منفرجة انفراجها في العصور الأخيرة .

ليس لدينا نص يُعتمد عليه في السبب الذي حمل البلوي على وضع هذا التأليف . وقد قال في مقدمته انه طُلب منه أن يكتب في سيرة آل طولون كتاباً « يكون أكبر شرحاً وأكمل وصفاً » من كتاب أحمد بن يوسف المعروف بابن الداية ، وأن الطالب قال له في كتاب ابن الداية في السيرة الطولونية : « ما هكذا أرّخ الناس الأخبار ، ولا عليه نظم العلماء الآثار » . وليس قوله هذا فيما نرى السبب المهم في وضع كتابه .

قد يرد على الخاطر أن المؤلف شاهد تبديلاً في حال مصر بعد ابن طولون ، فحدثته نفسه أن يضع تأليفاً يخلد فيه مآثره ، ليجعل من سيرته مهمازاً مان يأتي بعده من الولاة والأمرء ، وليتفظنوا لسعة فضل ذاك الآخذ بمخنق الممالك ، والدرّاة بترويض الناس على الطاعة . وربما يخطر على البال من جملة التعليقات أن ابن طولون كان يعطف على الإسماعيلية ، أو يستظهر بهم للانتفاع بقوتهم شأن كثير من رجال السياسة يحاولون استخدام كل قوة ، ويوهمون من يخالفونهم أنهم منهم ، إلا أنهم يكتبون إيمانهم ويتقون لحكمة لا يذكرونها . فعطف البلوي على ابن طولون لعطف هذا على أهل مذهبه ، في زمن قتل فيه الحلاج شر قتلة في بغداد ، وهو صنوه وقربه في مذهبه ، وفي عصر كانت جمعيات الإسماعيلية منتشرة في هذه الأقطار ، يتحفز دعائها لإنشاء دولة إسماعيلية ، وكان

قيام بني عبيد الفاطميين في إفريقية ثم في مصر آخر تلك الجهود .
لم تعرف السنة التي وضع فيها البلوي كتابه في آل طولون ،
والثابت أنه ألفه بعد موت أحمد بن طولون (٢٧٠ هـ) وبعد انقراض
الدولة الطولونية (٢٩٢) وبعد سنة ٣١٢ وفيها وافى مصر الوزير علي
ابن عيسى بن الجراح ، وقد جرى له ذكر في هذا الكتاب كما
ذكر فيه الخليفة المقتدر ، والمقتدر قُتل سنة عشرين وثلاثمائة .
واستنتجنا من رواية المؤلف عن أناس رووا عن ابن الداية أن
البلوي ألف كتابه في الثلث الثاني من القرن الرابع في أرجح
الظن ، لأن ابن الداية هلك ، على أقرب الروايات الى الصحة ،
بعد نيف وثلاثين وثلاثمائة ، فالكتاب ألف إذاً بعد أكثر من
ستين سنة مضت على وفاة ابن طولون .

إن ابن الداية روى عن سعيد الفرغاني وابن عبد كان ونسيم
الخادم وطاهر الكبير الخادم وأبي جعفر المروزي وموسى بن طولون
ونعت أم ولد أحمد بن طولون وشعيب بن صالح وبراقة الحاسب
وهارون بن ملول وأحمد بن أبي أوفى وأحمد بن أعين وأحمد بن
محمد الواسطي وأحمد بن خاقان وأحمد بن دعيم وإبراهيم بن كامل
وأحمد بن القاسم وعلي بن مهاجر والفارسي والحسن بن واقع ويعقوب
ابن صالح ومحمد بن عبيد الله الحراساني وعن عمه إسحق بن إبراهيم
وغيرهم وكلهم من قواد ابن طولون ومن غلمانته أي من رجاله .

وابن الداية أيضاً كتب لآل طولون وعدّ من غلمانهم ، وكانت له بهم خلطة وأنسة ، وكان لأصالة بيته ، ونبل محتده ، نفتح له أبواب القصور ، فيطلع على سرّ القوم وجهرهم ، وعلى عجرهم ويجرهم . فتاريخ ابن الداية بهذا الاعتبار ، لو ظفر الباحثون بالأصل السليم منه ، أمتع من تاريخ البلوي ، لأنه كتب عن عيان ومشاهدة ، ونقل عن ثقات عارفين ، وتأليفه نسج يده ، وزبدة تحقيقه . ووضع تاريخ البلوي في عهد خلافيه من المؤثرات السياسية في الجملة ، بتغير الزمان وانقراض الدولة ، وانتفاء ما يخشى على المؤرخ فيه من مصانعة من يعاصره أقرب الى السداد والسلامة . وكتابة البلوي سيرة ابن طولون بهذا التطويل المفيد أدنى الى الإحاطة بحال مترجمه ، والدولة الطولونية منقطعة ، وصلة الكاتب بها معدومة ، ومذهب المؤرخ غير مذهب من أرّخ له . وللمذاهب تأثير غير قليل في معظم ما كتب من التواريخ في تلك الأيام . أكثر البلوي الاعتذار عن ابن طولون في كل ما صدر عنه من شدة ، وما استطاع في بعض الأخبار النابية عن حد العقل أن يذيلها برأيه فسارع في روايتها ، لئلا يسأله سائل عن رأيه فيها ، كقصة الجماعة الذين ذكروا ابن طولون في دعوة لهم بما يسوءه ، فألقاهم كلهم في اليمّ ، في الليلة التي أخذ فيها رقعتين بما قالوه فيه ، واستولى على نعمتهم ، ونقض الدار التي اجتمعوا فيها

من أساسها ، وما طلع النهار إلا وهي رجة مكنوسة مرشوشة !
وكقصه ابن عمار أتى به من سجنه فنصح له أنفع نصيحة في
بقاء سلطانه ، فرده الى السجن وقال إنه نصحه في دنياه وغشه في
دينه ، وأنه يخاف دهائه وعقله اذا هو أطلق سبيله ، فمات من
غمه في السجن . وما نقد البلوي ابن طولون حتى في تسرعه بإهلاك
الناس ، يقتل من يقتل بوشاية يرفعها اليه أحد أصحاب أخباره ،
فيغرق في النيل من يغضب عليهم ، أو يلقيمهم في حفرة يطمها
عليهم وهم أحياء ، يعجل أبدأ في إنفاذ عقوبته ، لا يرجئها الى
غد يومه ، لينظر إن كان ما اتهم به المتهمون ليس فيه شيء من
الأسباب المخففة فيحتمن الدماء .

✓ ولم يقل لنا البلوي رأيه في حنق ابن طولون على بكار بن
قتيبة ، قاضي مصر ومن أكبر فقهاء عصره ومحدثيه ، يوم امتنع عن
القول بخلع الموفق ، وخالف القضاة في فتواهم ، وابن طولون يحاول
أن يفتيه قاضيه بما يرضيه ويرضي سياسته . فلما توقف بكار
عن متابعة القضاة في فتواهم سجنه مدة طويلة وعامله أسوأ معاملة ،
أهانته وسلط عليه الرعاع ، ونسي أو تناسى أنه شيخ كبير وإمام
جليل ، لا ذنب له إلا أنه لم يقل بما قال به قضاة الرسميون ،
ومن هؤلاء من لا يتوقف عن إغضاب الحق لإرضاء أرباب الدولة
وما ذكر لنا المؤلف قسوة ابن طولون على طبيبيته ، وادعائه

عليهما أنهما قصّرا في علاجه ، فطاف بالأول على جمل ناسباً إليه
الحيازة ، وضربه مقارع أوردته حتفه ، وهدد الثاني تهديداً أتى
على نفسه بعد يوم . وربما يقول البلوي ، هذا صدر عنه وهو في
حالة غير متزنة ، كان مريضاً وليس على المريض حرج . فيقال له
عندئذ إن كان ابن طولون متديناً تدبناً باطنه كظاهره فسيبيله غير
هذا ، والدينيون يعتقدون أن الموت والحياة بيد الله لا بيد الطبيب ،
ولا يعقل أن يقصر طبيباه في طبه ، والذنب ذنبه لأنه أبا أن
يخضع لما أشارا عليه به من التراتيب .

طريقة البلوي في تاريخه إيراد الحوادث ، وقد يجعلها ويعلمها
أو يصرح برأيه وشعوره أحياناً ، ويروي الأخبار بأسانيدھا على
النحو الذي كان يعمد اليه الرؤاة وأرباب السير في القرون الأولى .
والبلوي بليغ يحسن الوصف ، ويؤثر السلاسة ويكتب
بلا تعمل ، وعبارته خالية من السجع في الجملة ، وفيها ازدواج ولها
رنّة . وكان إذا أراد أخذ بعض ما ورد في كتاب مطول طرح
الأسجاع أولاً ، ثم أتى على المكررات حتى يأتي تأليفه نسقاً واحداً ،
لا يبدو فرق كبير بين ما يكتبه ويكتبه غيره .

اقتبس البلوي نحو خمسين قصة من قصص ابن طولون عن ابن
الدايقذ كرها هذا في كتابيه سيرة ابن طولون والمكافأة ، وزاد من عنده
نحو أربعين قصة أخرى . وما ندري إن كانت زياداته هذه

نُقلت أيضاً في المطول من كتاب ابن الداية ، أو تَلَقَّطها البلوي من أماكن أخرى ، ويترجح من نسقها وعبارتها الطلية أنها من بضاعة ابن الداية ، ومعظم الحكايات عن ابن طولون تشهدها في رواية البلوي مفصلة مزيدة زيادات مهمة ، وينقل أول الحكاية من كلام ابن الداية باللفظ والمعنى . وضم المؤلف الى كتابه رسائل ووثائق عديدة لا أثر لها عند ابن الداية وعني بالتوسع في الحكاية فأولى سفره إمتاعاً وإبداعاً . وقد وردت في كتاب البلوي تفاصيل نشأة ابن طولون ، وأخبار حروبه في الثغور ، وأخبار ابنه العباس وغلामه لؤلؤ ، وأخبار مرضه وخلعه الموفق ، على صورة أجمع وأبرع ، ومنها ما خلا منه كتاب ابن الداية كأخبار مرضه ووفاته وجنازته ووصيته وثروته وغير ذلك .

وصدق البلوي فيما ادعاه من محاولته وضع تأليف مطول ، وحقق أمنية من طلب اليه كتاباً أوسع من كتاب ابن الداية ، وساعده على الذهاب بهذا الفضل تأخره في العصر ، وانتفاعه بكتب من تقدمه ، وزاد أنه تفوق بتدقيقه وترتيبه ، وامتاز ببسطه وشرحه .

ولعل للبلوي عذراً على سلخ أخبار ابن الداية بمعناها ومبناها ، وزيادته عليها زيادات حببتها الى من ينظر فيها ، وتبدت مهارته في التأليف حتى ليخالها قارئها أنها نسج يد واحدة . فالواقع أن تلك الحكايات كانت من البلوي على طرف الثمام ، ولم ير موجباً

لنسجها نسجاً ثانياً ، وحوك ابن الداية من أجل ما حاك بلغاء العربية .
هذا وأمثاله مما يعذر عليه ، ولكن من الصعب أن يلتمس له
عذر في نقله ما ينقل دون أن يصرح بابن الداية ، فيقول قال
ابن الداية وأخذت عن ابن الداية ، وهذا ما كان يرجى من عالم
فقيه واعظ من عياره . ولو فعل لآتى بما يزيد تاريخه وثوقاً ، ولصير
لكلامه موقفاً أحسن من نفوس العارفين ، بنسبته الفضل لصاحبه .
ومن بركة الكلام أن يعزى لقائله

وعجيب أن تجازي الطبيعة من يستحق جزاءها اذا خرج
على قانونها . فقد رأينا البلوي في القرن الرابع استحل نقل أخبار
برمتها عن ابن الداية ، سيد كتاب مصر في الدهر الغابر ، دون
أن يشير الى أبي عُذرهما ، فاقتصت الطبيعة لابن الداية منه بعد
أربعة قرون ، سلطت على البلوي المقرزي ، فعزاه في خططه
وسلخ من كلامه صفحات طويلة في سيرة ابن طولون ، وما أقامه
من أعمال العمران ، فكانت واحدة بواحدة : غزا البلوي ابن
الداية ، فسطا المقرزي على البلوي ، وسلط على من جاوز سرقة
من تقدمه ، من يسرقه بعد زمن ولا يرجمه

أصل المخطوط

أصل هذا الكتاب من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ، مسجل في قسم التاريخ تحت رقم ٢٤٢ ، وكان مدشوتاً بجمع وبلد في أوائل هذا القرن . وهو مما وقفه محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحى الدمشقي المؤرخ المشهور المتوفى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ، على خزانة المدرسة العمرية بصالحية دمشق ، وكتب عليه بخطه أنه ابتاعه بتسعة قروش

ورد اسم الكتاب في أول صفحة هكذا : « كتاب سيرة آل طولون » وجاء الكتاب في سيرة أحمد بن طولون فقط ، وكتب في آخره بخط يخالف خط ناسخه « تمت سيرة أحمد بن طولون » والغالب أن الكتاب كان في سيرة آل طولون فضاعت كراريس من آخره ، أو أن المؤلف لم يكمل كتابه كما وعد في المقدمة ، عند إشارته الى تفضيل كتابه على كتاب ابن الداية ، فقال إن هذا « لم يأت بجميع أخباره ولا أخبار أبي الجيش ابنه ، وما كان من جميل أفعاله وحسن آثاره ، ولا أخبار سائر إخوته بعده » . وكتاب البلوي لم يستوف هذه الأخبار كلها ، وكان كلامه مقصوراً على سيرة أحمد بن طولون ، وما جاء من أخبار أولاده جاء بالعرض ، ولا أمور كان لها علاقة بأبيهم لا بهم .

وقع هذا المخطوط في ٢٥٣ صفحة منصفة القطع ، وكتب على ورق غليظ بخط أهل القرن الرابع ، عارياً من النقط ومن تاريخ

النسخ ، وقد يغلط ناسخه في النحو والتصريف والإملاء ، وينقل ما لا يفهم ويكرر كلمة سبق له كتابتها فيعيد رسمها في الجملة الواحدة . وقد أصاب المخطوطة بلل طُمست به بعض الكلمات في أول الكتاب ووسطه وآخره ، وأكلت الأرضة رؤوس بعض الصفحات الأخيرة ، ولما رُفِع ما ألصق عليها من ورق رُدَّ بعض المطموس الى الصحة ، ورُجِع في تقويم بعضها الى أصول نقل عنها المؤلف أو نقل غيره عنه . ومنها ما وضعت له كلمات يقتضيها السياق ، وذلك بشيء من الظن والفرض ، وجعلت الزيادات بين قوسين في السطور المحوِّة ، فإذا كان المطموس نحو كلمتين جعل بدلها نقطتان ، وإذا كان ثلاثاً وضعت ثلاث وهكذا . أما الشعر فقد هزَّعه الناسخ كثيراً فما أمكن رده كله الى الصحة . خصوصاً ما قيل منه في حادثة خاصة محلية ، وتيسر إرجاع الشعر المعروفة دواوينه الى نصابه من الصحة .

ولم نر مندوحة من التعليق على الكتاب ، إلا أننا أقللنا منه ما أمكن بمجتزئين بما لا غنية عنه ، وصححنا الأغلاط النحوية وغيرها دون أن نشير الى كل غلطة وقعت ، وإذا كان هناك نص نقل عنه المؤلف نصلح به ما تيسر إصلاحه من نص مؤلفنا ، وقد لا نشير الى ذلك ، وحللنا بعض الألفاظ اللغوية والأعلام الجغرافية وأضفنا الى التعليقات ما ظفرنا به مفرقاً في الكتب مما نتم به ترجمة

أحمد بن طولون ، وكان مما فات المؤلف التعرض له .
وقد اغتبطنا ، وحالة مخطوط البلوي على ما ذكرنا ، أن
حسبنا ما سطت عليه الأيام من كلامه جزءاً ضئيلاً ، لا يحول
دون الانتفاع بتأليفه الذي ظل يتنقل في الحزائن ألف سنة حتى
كُتِب لابن هذا الجيل أن يخرجهُ للناس مطبوعاً ، وقد أشرف
على البلي ، فخي بذلك اسم مؤلفه وكاد ينسى لذهاب بقية تأليفه .
لا جرم أن في نشر كتاب البلوي إحياء مادة جديدة في
تاريخ مصر والشام ، ولوناً طريفاً من أدب عصره الجميل فيه حلاوة
وظلاوة ، وألفاظاً فصيحة ومعربة في شؤون الحياة كانت مألوفة
في زمن المؤلف ونحن في حاجة إليها اليوم . دع ما هناك من قصص
واقعية على مثال قصص الصوّلي والقاضي التنوخي ، تدل على كياسة
ابن طولون وسياسته ، وتفيد القارئ من حكمته وحنكته ، فيها
متعة للنفس وسلوى ، وصورة صادقة من صور ذلك المجتمع .
وقد حافظنا على متن الكتاب ، وترجمنا في الهامش لكل فصل
ولكل قصة ، وختمناه بفهرس للأعلام والبلدان ، ويجريده بأسماء
المصادر التي رجعنا إليها في التصحيح ، وقد راعينا فيه الأمانة
ما وسعتنا المراجعة .

وحاولنا العثور على نسخة ثانية من هذا التأليف لنعارض عليها
هذه النسخة الوحيدة ، وسألنا بعض أصحابنا المستعربين من

علماء المشرقيات في الشرق والغرب ، فكتب الينا صديقنا العلامة
كرنكو Krenkow يقول إنه لم يعرف في الدنيا نسخة ثانية له
ولاشيئاً من أخباره سوى ما في الكتب التي ذكرناها له . وهذا عذرنا
في إبقاء بعض ما توقعنا فيه من عبارات المؤلف بحاله من السقم
والنقص ، وعسى أن ينكشف للباحثين وجه الصواب فيما لم يظهر
لنا بعد بذل الجهد .



راموز طرة الأصل المخطوط

عن سائر الناس الذين يعلمون مقدار ما علمه الامير من الله في
 عمرة وبلغه الصلوات في وساه واحسنه والله يكرمه بعنه ما
 حوله ومريم من ذنوبه وكعله عماد القامه وقدرته \odot
 على مولف هذا الكتاب وحذر على ان يهاجدها حمله اجدر طولون
 الى الامم عتيد وهو وجماعه من خاسسه الاربع سنين اوله سنه
 احدى وستين وما تسر واحده سنه خمس وستين وما تسر ما
 كانت به السعاع بعد اليه ستر امع من تسويه وما سه على سوره
 في الله والاعمال لذلك احد من تكده علمه به من احكامهم وعرفهم
 ما ساعه التي الف وما تسر الف دينار \odot فلا وكل من ساعه
 احمد طولون رحمه الله حذوا الهدايا لها من امره من الله
 عن طول من صالح كل بلد بطله ربع في دعائه من مسجده
 بل بوع وكنو اعلى عنه وتسحب به دعاهم وكان كل
 فله واهم امه ناسه اطلده وسائر بلده من بلده
 سواهم من حص الله حل اسمه به اسعارهم وعلما ما ساع
 في بلده وسائر بلده في حال الحصه عامه وكل بلد من سائر الاطعمه وكان
 التسليه امن والار او يركبه حاره واليه من الله حل وعلامه
 زادته حل اسمه على سائر الناس من اذنه من كانه \odot فذره ان طر

أحمد بن طولون بنصور البلوي

صوّر البلوي أحمد بن طولون صورة جميلة ، وخلع عليه من الثناء
ثوباً فضفاضاً . صوّر ذكاه وقوة ملاحظته ، ورسم فراسته وسياسته ،
وعدله ورحمته ، وصدقاته ومكارمه ، معجباً بكل ما أتاه ،
عاذراً له على ما قدمت يداه ، لم ينقده في شيء مما قصّ من أخباره .
ونسب كل ما وقع له من موت عدوّ ، وتبديل في مجرى أحوال
الدولة ، أو غير ذلك من المصادفات ، الى الإقبال الذي عرف به
طالعه ، والحظ الذي « حسن قيحه وأصلح رديئه » . والبلوي
يعتقد بالإقبال كثيراً ، يقيم للطالع والنجوم والمنامات والكرامات
وزناً على ما كان أهل عصره .

والمعقول أن ليس هناك إقبال ولا بخت ، والعامل في توفيق
ابن طولون تربية صالحة ، كانت من أرقى ما عُرف في دهره ،
وذكاء نادر تفرد به دون أبناء جنسه . نشأ في أشرف عصور بغداد
جندياً مطبوعاً على أجمل صفات الجندي الشريف ، ولقّن في بيته
وهو طفل أموراً أفادته في حياته . وحفظ القرآن وجوّدده ، وفصح
بالعربية فعدياً من فصحاء رجال السياسة بلسانه وقلمه ، وأخذ عن
المحدثين قطعة صالحة من العلم ، ورزق صوتاً جميلاً وأنقن الموسيقى ،
ونظم الشعر بالتركية لغة أبيه وأمه .

وتأفف في عنفوان شبابه من الظلم الذي يأتيه الأتراك في

الشمس

عاصمة الخلافة فأثر الهجرة إلى طرسوس من مدن الثغور ، وكانت يومئذ مقيل القراء والعلماء والزهاد ، فتخرج بهم وتادب بأدابهم ، وانصرف إلى العبادة حتى كان يخشى أن لا تصادف أعمال السلطان موقعا من قلبه لانصرافه إلى أمور الدين . ولما عهد إليه منصب الولاية في مصر نيابة عن باكباك من وزراء العباسيين تجلى نبوغه بأجلى مظاهره ، وثبت غرامه بحسن التدبير والنظام ، واستبان طموحه وثقته بنفسه . ومن حسن حظها أن كانت ولايته على مصر ، ومصر من طبيعتها أن تغري من ينزلها بالتوطن فيها ، وأن تدمج فيها غيرها ولا تندمج هي في غيرها . ومن العسير على بغداد أن تحكم مصر مباشرة للبعد الباعد بينهما ، ومصر وسط رمالها يتعذر الوصول إليها من البر ومن البحر . وطبيعة القظرين متخالفة ، وبلاد الرافدين يومئذ مشغولة بفتنة عظيمة كادت تودي ببني العباس ، وهي فتنة الزنج في البصرة . ومما ساعد ابن طولون على التوفيق في حكم مصر أن كان في طباع أهلها من الانقياد لمن يعتقدون فيه الإخلاص لهم ، والحرص على إسعادهم ، ما ظهر أثره في الدول السالفة والخالفة . وفي هواء مصر وترتيبها خصائص نطلق عليها اليوم اسم « الإقليمية والقبلية » . ومصر إلى هذا تعتقد بالأمر الواقع إذا كانت حسنة راعيها أكثر من سيئاته ارتضته وتبنته ، وسأيرته في السبيل التي يُزججها فيها .

أول ما فكر فيه أحمد بن طولون لما هبط مصر أن يبعد الفوضى

عن أحكامها وترتيبها ، فوضع لها قواعد فرض عليها العمل بها ، فأفلح في ولايته ، وارتاحت رعيته . نظر إلى خصب تربتها وسهولة العيش فيها ، وإلى تدني خراجها ، بعد أن كان بوفرته مضرب الأمثال عند العرب ، فأصلح ، برأيه المسدّد ، الريّ والصرف والجسور والطرق والترع ، وأسقط ضريبة المعاونة وغيرها من الضرائب ، واكتفى بالخراج والمكوس ، فبلغت عبءة خراجها أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار ، عدا المكوس التي تجبي في المواقي والحدود ، ذلك بعد أن انحط خراجها إلى ثمانمائة ألف دينار ، وما كانت تجبي إلا بشيء من العسف .

هذا هو سر نجاح ابن طولون في حكم مصر ، لم يعرض له البلوي وأشار إليه المؤرخون . وهناك سرٌّ آخر له صلة بهذا ، وهو عنايته بتحسين حال الفلاح ، ونشر العدل بين الرعية ، لافرق بين مسلم وقبطي ورومي ويهودي

قام في نفس ابن طولون أن ينشئ في مصر دولة فأمّر بإنشاء القطائع ، وبنى قصره « الميدان » على مثال قصور الخلفاء في الجلالة ، وعمر رجاله وغلّمانه الدور والقصور ، وتبنّى كوا في النعيم . وما خلت بلاد الأقاليم أيضاً من استيفاء حظها من العمران ، فأضت عاصمة الديار المصرية في أعوام قليلة كأعظم مدينة من مدن الشام . زعموا أن ابن طولون عثر على كنوز عمرّ منها جامعه العظيم ومستشفاه

والعين والحصن ، والحقيقة أنه كانت تفتح له كل عام كنوز من أرض مصر وثروتها الطبيعية .

سرف جهوداً عظيمة لتثبيت قدمه بالديار المصرية كما يصرف في العادة كل من يفتح فتحاً جديداً ، ويحاول أن يصفو له إلى الأبد . وجرؤ على نزع يده من قيود بني العباس ، وكان من اشتغالهم بأنفسهم أن سار حراً طليقاً لا يخضع لسفاسف سلطان لا يرضيه شيء ، ولا لخليفة يُملي كل يوم إرادته عليه . وحر كته لم تحف على أهل البصر من أصحاب الدولة ، ومن يههم بقاؤها عباسية .

عرف ابن طولون من أين توء كل الكتف ، فاختر من المصريين ومن غيرهم طبقة من الوكلاء والسماسة والزبانية والمدّاحين ، وأغدق عليهم إدراراته ، فمياًوا له الطريق إلى المجد ، واستماتوا في حبه ، وأخلصوا له القصد في الخدمة . وهو بما فطر عليه من بسطة اليد كان يرضي الخليفة بما كان يرسله إليه مسانحة من المال ، ويرضي ولي العهد ، وإن كانا في الظاهر متشاكسين ، ويرضي خزانة الدولة وخزائنه الخاصة ، ويرضي أصحاب السلطان وطبقات العلماء والقراء والفقراء في بغداد ، ويرضي أهل الثغور والعواصم والحرمين ، بما كان يحمل إليهم من المؤن والمعدات والثياب والأموال ، ويرضي أهل الشام والجزيرة وبرقة بما كان يوليهم من عطفه ولطفه ، ويرضي كل من تحدّثه نفسه أن يخلفه في تقلد عمل مصر ، ويرضي قواده

وكتابه وغلمازه وجميع من يمتُّ إليه بصلة . ويعيش مع هذا هو وآله عيش الملوك ، لا عيش أبناء الأجناد من الولاة والمتصرفين ، وخلف في خزائنه من الناض ما لم يخلف مثله قبله أحد من الولاة ، خلف على ما قيل عشرة آلاف ألف دينار أو خمسة ملايين جنيه ذهبي ، عدا عشرات الألوف من العبيد والمماليك والجواري والخيول والبغال والعدد والآلات ، وعشرات من أسفاط الجواهر والحلي ، وبلغ ربيع إقطاعاته خمسين ومائتي ألف دينار في السنة ، وأقام في مصر من المصانع ما كانت حضرة بني العباس عاجزة عن محاكاته .

كان لشدة انتباهه إذا رأى منفذاً يتسرب إليه منه ضرر يسعى إلى ردمه ، وإذا شاهد خمشاً يخاف أن يستحيل جرحاً نغراً يبادر إلى معالجته لساعته بضروب من الوقاية . وكان يتفنن في أخذ الأخبار إلى ما لم تصل إلى أكثر منه أعظم الدول مهارة في الجاسوسية اليوم ، وإلى ما لم يتسام إليه رجل من عظماء التاريخ في الدول الإسلامية . ولو تساهل في هذه السبيل ما صفا له ملك مصر والشام وما إليهما هذه الحقبة . ووفق لأن يشهد مصرع أعدائه واحداً بعد واحد ، ونال من بعض من عاونوه على قيام دولته ، لما أعتقد أنهم مخالفوه في بعض الطرق ، لم تأخذه بهم شفقة ، ولا شفعت بهم لديه سابقة من خدمة ، أو يدٌ سلفت من إخلاص ، فصفا له بذلك جوُّ مصر وجوُّ بغداد .

كان ابن طولون عجباً في سيرته ، إن احتملت نفسه كل مخالف
فلا تحتمل من يناديه في رأيه ، ويعترض على عمله ولو في سره ،
بتطال إلى توحيد كلمة الناس في التغيي بحمده ، ومن خرج في
نظره عن الحدود المرسومة عوقب بالقتل . منح الناس حرياتهم في
النطاق الذي ارتآه ، فإذا اصطدم بما يريد على ، وأدرك من
طرف خفي أنهم من المعارضين ، أو ممن يفاوضون أعداءه ، أو يفاوضهم
أعداؤه على غير علم منهم ، فهناك الإفراط في تطبيق مفصل
قانونه ، لا يسمع حواراً ولا مناقشة ، ولا يسير إلا مع حظ نفسه
ينتقم لها .

وقد يهلك رجلاً لا يستحق جرمه أكثر من مؤاخذه ، أو
يكفي في تعزيره حبسه أو تشريده ، وقد يغضي عن كبير الجرم
لأنه رقة له ، أو كانت له به صلة ، أو جاءه في حالة سرور ،
كما فعل مع ابنه العباس عصى عليه فضربه مقارع يسيرة واعتقله ،
وقضى ، على أفضع صورة من التمثيل ، على من رافقوه إلى
رقة وطرابلس .

ما عرف ابن طولون الوفاء ولا الولاء : كان إذا غضب أساء
إلى أقرب الناس إليه ، ولا يزال يسي الظن بالملخص له إساءته
بالخائن ، لا يثق حتى بمن صدقوه ، وكانوا من أكبر العوامل
في إنشاء دولته ، مثل أحمد بن محمد الواسطي الذي رافقه منذ ظهوره

في واسط إلى آخر أيامه . وما كان يهدأ له بال إلا إذا اطلع على ما تنطوي عليه قلوب عماله ، ولهذا كان يُغني من يقلده أمر البريد ، وإلى البريد يومئذ تُرد مراقبة العمال وغيرهم . ويغني من نديهم موافاته بالأخبار في بلاده وخارجها .

كان يدرُّ الرواتب على عماله وقواده وغلماؤه وجنوده يقبضونها مشاهرات ، ويجزل لهم الهبات والصلوات ، ليبتعدوا عن ظلم الناس ، آمنين على رزقهم ورزق عيالهم ، ويجري على المستورين والمستورات ، ويحسن إلى الفقراء بإعطائهم وكسوتهم ، ويحمل من ترضيه سيرتهم على دوابه ، ويجري الجرايات على المساويج والمعوزين ، وجريدة صدقاته طويلة ، ومن قُدِّر له الوصول إليه ساعة رضاه يسعد . وكان يُفضِّل على الذُّسَّك والقرء والفقهاء والمحدثين والمتطيين والمهندسين يجري عليهم ما يكفيهم ، ولا يُعنى كثيراً بالمنجمين والشعراء على ما يظهر ، لبعده عن الاعتقاد بتأثيرات النجوم على أهل الأرض ، ولا تهمة كثيراً مصانعات الشعراء . وقد مدحه البحري ثم هجاه ، وتوفَّر محمد بن داود على هجوه عند كل سانحة .

ظهر أن ابن طولون كان من المحافظين المأخوذين بعبادات لهم موروثه ، يحافظ على صلواته ، ولا يخلو يوماً من التوسل والتضرع والسجود في الملا . وظهر أنه كان معتدلاً في عشرة النساء ، لا يُفرط

في التسري واقتناء الجواري ، وهمه أبداً حفظ نعمته ، وصيانة دولته . عهدناه يحب المناذمة والطرب ، ويعقد مجالس الأناجيد أحياناً ، ويتناول ما استحل تناوله من الشراب ، وكان حتى في مجالسه الخاصة ، يوثر الوقار ويصطنع التقوى ، وهو يحسن الجمع بين اللذات المحللة ، ويمتنع على ما يظهر عن المحرمات . فهو ذو شخصية خاضت كل عباب ، وطرقت كل باب .

أحسن ابن طولون الاضطلاع بأعباء الحكم ، وتمرس بالسياسة ، وقدّر التبعات التي ألقيت على عائقه ، فكان يهون عليه إمتاع نفسه لتستريح رعيته ، ويسهر عليهم ليناموا مطمئنين ، وبفضل يقظته ما نجم ناجم يجاذبه حبل السلطة إلا قضى عليه ، ولاقاومه عامل أراد خدمة بغداد على حسابه إلا قهره ، ومعظم أهل هذه الطبقة قضوا في سجنه ، أو تحت سياط جلاديه ، وجروا بأرجلهم جراً من حضرته ، على مكانتهم في أنفسهم .

حسب ابن طولون حساب كل طارئ ، وما كان يدور في خلدّه أن يفترض ابنه البكر المسمى بالعباس فرصة تغيب والده عن مصر فيجيش وهو نائبه عليها جيشاً ، ويستتبع أناساً من رجال أبيه ، ويحمل أموالاً وآلات كثيرة ، ويرحل إلى رقة يرفع لواء العصيان على أبيه فيرمضه ويؤلمه . وكان من لؤلؤ ، وهو غلامه وغذي نعمته ، أن ثار عليه في آخر عهده ، وفي أوقات حكمه

فأخذ أموال الجباية من الشام والجزيرة ، ولحق بالموفق عدو ابن طولون اللدود في دار السلام ، فباع ابن طولون حرمه وولده في سوق الرقيق .

كان ابن طولون في الظاهر ابن الملمس لمن في بغداد ، وهو في باطنه شديد الوطأة عليهم ، لا ينزل لهم عن أقل حق من حقوقه ، هو بتقيهم لا يقانهم أنهم لا يرضيهم سيره بحال ، وكيف يرضون عنه وهم يتوجسون خيفة من انبساط ظل حكمه ، ولا يفتأون يذكرون ويذكروهم الداكرون أنهم دونه علماً وعقلاً وعدلاً ، وأنه يخشى أن يكيد بعد حين لبني العباس

وكان من جملة وصاياه لقواده ولأبي الجيش ابنه وخليفته ألا يغتروا بمخاريق أهل العراق ، وألا ينسوا ما في نفوسهم عليهم ، وأن يذكروا أبداً أن من في مصر شجراً في حلوق من في بغداد ، وتقدم إليهم ألا يضعوا أيديهم في أيديهم ، وقال لهم إني أعرف ذنبي لهم . وكل هذا يدعو إلى التفكير في إخلاصه للعباسيين ، ويلقي الشك في تزيده بإظهار إخلاصه لهم ، وأن دعواه أنه لا أرب له في نشوزه على ولي العهد إلا دفع عدوانه على أخيه مسألة فيها نظر ، وهو يعلم علم اليقين بأن الموفق يعمل ليله ونهاره في دفع صائل الأعداء عن دولتهم ، وإن المعتمد لا يستجيب لغير صوت شهواته . ويلمح من يقرأ ما في القلوب أن الحرص على الاحتفاظ بمقوق المعتمد ليس

كله من أجل بيعة له في عنقه كما كان يزعم ، ولا كان انتصاره له
بعامل ديني قوي في نفسه ، بل كان هناك أمور يكنها صدره ،
ولا يعرف غيره سرها ، ربما كانت تظهر لو لم تعاجله المنية .

ولولا حرب علوي البصرة ما تيسر لابن طولون أن يحكم هذه
الأعوام الطويلة في وادي النيل ، ولولا أنه أصر إلى يارجوخ
من قواد الترك في بغداد ما صارت إليه مصر مرة ثانية نيابة عن
حميه أيضاً ، كما كانت له على عهد بابك ، ولولا أن ملأ قلوب
رجال الدولة وصدورهم بهداياه ورشاواه لتقدم بعض الأقوياء من
أصحاب السلطان فاستولى على مصر قبل أن ترسخ قدمه فيها .
وما كان بعد ولايته عن الحضرة ، ولا صعوبة الوصول إليها ،
ولا المئة ألف عنان من جيشه لتنفعه لولا أن جاء في غفلة الدهر ،
وبنو العباس محكومون فعلاً للأتراك لا يعملون إلا ما يرضيهم ،
ومن عادة العباسيين إذا استبسوا افترسوا وإذا ضعفوا استكانوا وذلوا
وأياً كان فأحمد بن طولون وحيد عصره في إدارة الملك ،
رزق صفات تعذر اجتماع مثلها فيمن عاصروه ، وحسناته على التحقيق
أوفر من سيئاته . ومهما قيل في مؤآخذته فهو إلى الاعتدال أقرب
من معظم أمراء تلك الأيام . رأيناه لما حاول الموفق أن يقصيه عن
ولاية مصر كيف يعمد إلى استدعاء الخليفة المعتمد إلى مصر ليقم
فيها الخلافة العباسية ، فلما تعذر نفوذ الخليفة إليه قام بخلع الموفق

في مدينة دمشق ، ذا كراً في وثيقة خلعه أسباباً معقولة تنم عن جرّ بزة
ودهاء ، على حين رأينا الموفق يتقوّل عليه ، ويشتمه على منابر
بلاده ، ويرميه بالمروق من الدين ، ويتهمه بإخراب ثغور المسلمين ،
وبقتال المجاهدين بأهل الفسق المحدثين ، وباستباحة الحرم وسفك
الدماء ، وكل هذا لم يحصل منه شيء ، وكانت سياسة ابن طولون
عكس ذلك ، كان يغضُّ عن مساوئ أصحاب الثغور ، يمونهم
ويقويهم ليكونوا في حرز حرّيز من مطامع الروم . وعهدَ السلطان
إلى غير واحد أن يحموا حمى الثغور فأخفقوا ، وما أمن عليها إلا لما
عهدت حمايتها إلى كفاءة ابن طولون .

وبعد فإن أنكر منكر شيئاً على ابن طولون فأكثر ما ينكر
عليه إسرافه في سفك الدماء ، قتل فيما قيل في سجنه ثمانية عشر
ألف إنسان . والمنكر اليوم يتكلم بعقلية ابن هذا القرن الناشئ على
حب الحرية ، المتشبع بحقوق الإنسانية . ولا مربية بأن الدماء كانت
رخيصة في الأزمان الماضية ، وكان ابن طولون يحاول مع هذا أن يظهر
بظهر الشفقة ، وما ندري هل كان ذلك منه عن تدين ورحمة ؟
إن معظم رجال السياسة كرجال المال قساة القلوب ، غلاظ شداد ،
لا يحنون ولا يعطفون ، وهم وإن حاولوا الظهور بما يقضي به الدين
أشد الخلق تحللاً من جوهره في باطنهم .

إن ست عشرة سنة قضاها ابن طولون في تأسيس دولته قد يقضي

الطغاة في الحكم مثلها وضعفها ، ولا يقوم لهم عمل ، ولا يتم لهم مشروع ،
أما هو فقضى في آخر العقد الخامس من عمره محققاً الآمال بإصلاحات
كثيرة ابتدعها فعدت من بنات أفكاره ، كعنايته بوضع الأضابير
والجزازات والتقاييد ، فكان حيث انقلب يصحبه كاتب يدون
كل ما يقوله وما يقال في حضرته ، فإذا كان الليل خلا بكاتبه ،
وأصلح له ما كتب ، ليحفظ ما دار من الكلام على حقيقته ويرجع
إليه عند الاقتضاء .

كان الراضون عن حكم ابن طولون ، المغتبطون بأيامه أكثر من
الناقمين ، استراح الناس إلى أحكامه ، على أنه صورة من رجل
الاستبداد يخالط سيرته تدين وتصون ، في عصر فسد بعض أوضاعه ،
وفي دولة قامت باسم الدين وهدفها الدنيا ، يسترخص الصالح والطالح
من أصحاب ولاياتها إهراق الدماء ، وهل كان ابن طولون إلا واحداً
منهم ؟ ثقف في تلك المدرسة ، وجرى على تلك الطريقة ، استحل
احتجان الأموال كما كانوا يحتجنون ، وجار على من لا تسمع أصواتهم ،
وهو إلى هذا يطعم الفقراء ، ويصطنع الرحمة ، ويجود على من ينفعه
أو يتوقع نفعه ، ويقيم الشعائر الدينية ، ولا يعمل إلا ما فيه فتننة
العامة ، بيد أنه كان ممن يأخذ ويعطي ، ويخزن وينفق ، ويعدل ويظلم ،
ويجمع بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة . يعرف ما يريد وما يُراد ،
وما يجب وما لا يجب ، وهدفه الأسمى استقلاله بالديار المصرية ، وتركها

إرثاً شرعياً لأولاده من بعده ، سعى لذلك ضروب السعي ، وما تعفف
لبلوغ غرضه عن ارتكاب كل عزيمة .

لأحمد بن طولون مشابه من الحجاج بن يوسف الثقفي ، يتشابهان
في إحسان السياسة ، والتجديد في طرق العمل ، وبقوة العزيمة وشدة
البطش . الحجاج مثال العربي الحازم في القرن الأول ، وابن طولون
مثال التركي الحازم في القرن الثالث ، جاهد الحجاج لتكوين كلمة دولته
هي العليا ، وجاهد ابن طولون فكان جهاده لنفسه ولبيته . ذلك لم يخلف
من حطام الدنيا شيئاً يُعتدُّ به ، وهذا خلف من الخزائن والكنوز
ما لم يخلف أعظم أمراء تلك العصور مثله .

محمد كرد علي

دمشق : غرة ربيع الثاني ١٣٥٨

و ٢١ ايار ١٩٣٩



الحمد لله

الحمد لله وبه أستعين ، الحمد لله خالق السموات والأرض وما بينهما ، فاتحة الكتاب
من الآيات الدالات على حكمته ، الشهادات على قدرته ، المنبهات على
وحدانيته ، حسن نظم فطرته ، « لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا »
فسبحانه من ملكك قدير ، وإله خبير . وصلى الله على محمد رسوله
الأمين ، وخيرته من العالمين ، المبشر بالجنة عباده المؤمنين ، وبالنار
أعداءه الكافرين ، وعلى من نقدهم من النبيين ، وعلى آله الطاهرين .

فهمتُ ما ذكرت ، جعلني الله فداك ، في سيرة آل طولون ، سبب التأليف
وأنت قرأت كتاب أحمد بن يوسف في ذلك ، فلم يكن موقعه منك
الغرض الذي إليه ذهبت ، ولا المعنى الذي له نحوت ، وأنت تريد
ما هو أكبر منه شرحاً ، وأكل وصفاً . وأن أحمد بن يوسف كان
يُمرُّ في شرح قصة ثم يرجع إلى ما هو قبلها ، وأنه كان يخلط
أخباره ^(١) ، ويأتي بقصة من قصصه التي تدلُّ على ذكاء عقله وفطنته ،

(١) كان الأولى أن تكون عبارته هكذا : أخبار أحمد بن طولون . أو فيأتي بقصة من قصص
أحمد بن طولون فإن الضمير في العبارتين أيهم الكلام مع بد الفاعل وسير بالفارسي في هذا
الكتاب أمثلة كثيرة من هذا القبيل بد فيها الضمير عن الفاعل الراجع إليه فكاد المعنى يصير
إلى غموض .

ولطيف حسه ، ثم يأتي بضمها ، وأنه لم يأت بجميع أخباره ، ولا أخبار أبي الجيـش ابنه ، وما كان من جميل أفعاله ، وحسن آثاره ، ولا أخبار سائر إخوته بعده

وقلت ما هكذا أرّخ الناس الأخبار ، ولا عليه نظم العلماء الأثر ، وأردت أن يكون ذلك مستقصى جميعه ، وعلى ترتيب في شرحه ، ولا يذكر آخرًا قبل أول ، ولا يقدم سالفًا على آنف ، وقد امتثلت أمرك فيما أردت ، وسلكت فيه الذي اخترت . ولم أدع من أخبار جماعتهم شيئًا مثله يؤرخ وبه يتأدب وله يستحسن إلا ذكرته ، وجعلت ذلك أبواباً [ولم أذكر في] الباب ما ليس من شكله ، ولا خلطت به ماخرج [عن أصله ، وإن] ابن آدم لا يخلو من نقص ونقصير ، ولم يعر من ذلك العلماء الواصفون لشرائط الدين ، والمبلغون سنن المرسلين ، وكيف ما إن قصر عنه مقصر لم يؤزر ، وإن بالغ فيه مجتهد لم يؤجر .

طريقة المؤلف
في تأليفه

فأول ذلك ، أعزك الله ، أن المعتصم بالله ، لما اختص الأتراك ووضع من العرب ، فجعل الأتراك أنصار دولته ، وأعلام دعوته ، وبذلك احتج عليهم العلوي البصري فقال :

واستفتحوا بالترك أمرهم لم يستفتحوا بالأوس ولا بالخزرج^(١)

ثقة العباسيين
بالأتراك

(١) كذا في الأصل ويمكن أن يستقيم معناه هكذا
واستفتحوا بالترك أمرهم ما استفتحوا بالأوس والخزرج

فكان من عَظُمَت عندهم منزلته ، وجمدت طريقته ، ألزموه خدمتهم ،
وجعلوه الذَّابَّ عن بيضتهم ، وقُلِّدَ الأعمالَ الجليلةَ الخارجةَ عن
الحضرة ^(١) ، واستخلفوا له عليها الخلفاء ، وحُمِلَ إليه مالها ، ودُعِيَ
له على منابرها .

فكانت سبيل مصر عندهم أن يُجَبَىَ بها من صحت فيه هذه
الصفة التي قدمنا ذكرها ، كما فعل هارون الرشيد بعبد الملك بن صالح ،
والمأمون بطاهر بن الحسين ، والمعتمد بأشناس ، والواثق بإيتاخ ،
والمستوكل ببغا ووصيف ، والمهتدي بيارجوخ ، وكما قدم ببغا وأتامش
وغيرهما فقلدت مصر بابكباك ، والتمس له خليفة فوجه به إليها .

وكان أحمد بن طولون قدمات أبوه في سنة أربعين ومائتين ،
ولأحمد عشرون سنة ، من جارية كانت لأبيه تعرف بقاسم ، ولدت
أحمد في سنة عشرين ومائتين ، وولدت بعده أخاه موسى وحبسية
وسمانة . وكان طولون من طغرغر ، حمله نوح بن أسد عامل بخارى
وخراسان إلى المأمون ، فيما كان موظفاً عليه من المال والرقيق والبراذين
وغير ذلك في كل سنة ، وذلك في سنة مائتين .
وسألت أبا العباس أحمد بن محمد الكوفي ^(٢) ، وكان خبيراً بأمر

(١) ينون بالحضرة حضرة بني العباس او عاصمة خلافتهم وكانت بغداد اولاً ثم سر من رأى
او سامرا (٢) رواية ابن الداية : وقلت : (أي ابن الداية) لأبي العباس بن خاقان
والسؤال هو نفس سؤال البلوي للكوفي والجواب مثله والبارة تكاد تكون واحدة .

الأتراك ، عارفاً بأحوالهم ، عن أحمد بن طولون وقلت له : إن الناس في أمره فريقان أحدهما يقول إنه أحمد بن طولون وإن يلبخاً كان زوج أمه قاسم ، والآخر يقول إنه أحمد بن طولون وإن يلبخاً ابن قاسم جارية طولون ، فأكذب ذلك وضحك منه وقال لي : يلبخ هذا تركي سبي مع طولون ، وكان خفيف الروح يغني بالتركية ، مستحلي الكلام ، فلما مات طولون أُلزمه الوفاء له القيام بأمر ولده ، والمحافظة عليه ، فكان يركب معه حتى يوصله إلى المواضع التي لم يكن أحمد يصل إليها لحدائثة سنه ، وصغره عن ذلك ، وكان كل من يراه معه يقول له : هذا ابنك ؟ فيقول : نعم ، هو ابني وابن سيدي رحمه الله . وتوفي يلبخ بعد وفاة طولون بعشر سنين ، ولم يخلف إلا طفلة ، فكان أحمد بن طولون يُجزى على أمها وعليها ما يسعها من الرزق حتى ماتتا .

وقال لي : ومما يدل على صحة ذلك أن الموفق لما لعن أحمد بن طولون أسنده إلى طولون ولم يُسندَه إلى يلبخ ، ولو كان ابن يلبخ لما زوجه يارجوخ ابنته ، لأن يلبخاً كان عندهم مغنياً ، وطولون معروف بالستر والصيانة .

أولية أحمد بن طولون
فنشأ أحمد بن طولون نشوئاً جميلاً غير نشوء أولاد العجم ، من بعد الهمة ، وحسن الدين ، والذهاب بنفسه عما كانت تُسَفُّ إليه

طبقته، وطلب الحديث وأحب العرف^(١)، وخرج إلى طرسوس مرات،
ولقي شيوخ المحدثين، وسمع منهم، وكتب العلم. وحصل له من ذلك
قطعة كبيرة

وألف بطرسوس جماعة من الزهاد، وأهل الدين والورع، فأدبوه
بآدابهم، فحسنت طريقته، وظهر فضله، فتمسكن له في قلوب الأولياء
ما ارتفع به على طبقته، وبان فضله على وجوه الأتراك، وصار محله
عندهم محلّ من يوثق به على الأموال والأسرار والفروج، ومثل هذا
عند العجم محله عظيم في نفوسهم، لو تصنع به متصنع، فكيف من
مبتدئ غير متصنع. فخطب إلى يارجوخ ابنته فزوجها، وكانت أمّ
ابنه العباس [وابنته] فاطمة

فلما كان في نفسه من محبة الخير ورغبته فيه، سأل الوزير^(٢)

(١) كذا ويحتمل أن تكون العرب

(٢) في القطعة المأخوذة من كتاب أحمد بن يوسف الكاتب في سيرة ابن طولون
أن أحمد بن طولون مع قناسته وجلالته في قوس الأتراك كان شديد الإهزام عليهم، يستصغر
عقولهم وآدابهم، ويذكر أنهم قد تسنوا من المراتب ما لا يستحقون، وأن حرمة الدين بهم
مهتوك، وفرائضه معطلة. فقال لأحمد بن محمد بن خاقاني يوماً: إلى كم يا أخي قيم على هذا
الاثم؟ لا نظماً موطئاً الا كتب علينا خطيئة والصواب أن نسأل الوزير عبيد الله بن يحيى ان
يكتب لنا بأرزاقنا إلى الثغر قيم به في ثواب قائم، وجهاد متصل. قال: فركنت إلى هذا،
ورفعنا إلى عبيد الله قصة مكتب ارزاقنا في الثغر. فلما اتينا إلى طرسوس، ورأى ما الناس
عليه من الأمر بالمعروف وبجانبة المنكر، أنست نفسه وزال استيحاظه، وتبع المحدثين، ولم
يكن يدخل إلى منزله من التشاغل بهم الا ليلاً. قال: فكنت اذا رأيت هذه الحال أبيت
من ان يصرف في شيء من اعمال السلطان.

أن يكتب له برزقه إلى الثغر^(١) ، وعرفه رغبته في المقام به ، فأجابه الوزير عبيد الله بن يحيى إلى ذلك وكتب له به ، وخرج فأقام بطر سوس مدة ، وشق على أمه مفارقتها لها ، فكانت به بأقلقه . فلما قتل الناس إلى سرّ من رأى^(٢) ، قفل معهم بسبب أمه ، وكان جملة القافلين نحواً من خمسمائة رجل ، والخليفة يومئذ المستعين بالله .

غرام الخليفة
بالطرائف الرومية

وكان قد انفق أن المستعين بالله استحسن شيئاً يعمل ببلاد الروم ، من بزبون^(٣) وكراسي حديد منقوشة بأحسن نقش ، يجري فيها الذهب ، وأشياء يضمن بها الملك أن تخرج إلى أرض العرب ، فأنفذ خادماً من خدمه يتكلم بالرومية إلى ملك الروم ، برسالة جعلها سبباً لما يريد ، وأمر الخادم أن يتلطف في ابتياع ماتمياً له مما قدمنا ذكره وقدّر عليه ، وخرج الخادم ووصل إلى ملك الروم وأدّى الرسالة ، وأنزل في دار فرشت له ، وبلغ في إكرامه كل مبلغ ، وجعل يلمس شراء كل ما يمكنه بضعف ثمنه المبيع منه ، فاشترى ما حصل له منه وقرّ بغل ، لم يمكنه أكثر منه .

(١) الثغر (بالفتح ثم السكون ورا) : كل موضع قريب من أرض العدو سمي ثغراً ومنه ثغر الشام وجمعه ثغور ومن مدن الثغور يياس ، الاسكندرونة ، المصيصة ، أذنة ، طرسوس ، ومن ثغور الجزيرة مرعش وانطاكية وبغراس ، قال البكري : واختزل الرشيد الثغور من الجزيرة وقنشرين وسماها العوامم .

(٢) سرّ من رأى ويقال لها سامرا . بلدة كانت بين بغداد وتكريت شرقي دجلة على ثلاثين فرسخاً من بغداد وهي من المدن التي أحدثها العباسيون .

(٣) ضرب من نسيج البز أو من رقيق الدياج .

فأجاب ملك الروم المستعِين عن رسالته ، وحمل إليه هدايا حسناً ،
وخلص الخادم ذلك البغل المحمل ذلك المتاع بالحيلة ، على محله من أمير
المؤمنين في حمله ما حمل معه ، وخرج حتى حصل بطرسوس^(١) ، وخرج
مع القافلين ، وفيهم أحمد بن طولون .

ومن رَسَم الغزاة أن يسيروا متفرقين مثل العقبان ، فنظرت
الأعراب شيئاً من سوادهم^(٢) في بعض المواضع فأخذوه ، ووقعت
الصيحة ، وجاء النذير إلى الطائفة التي فيها أحمد بن طولون .
فكان أول من انتدب ، وحض على القتال ، والذهب خلف
الأعراب إلى حيث قصدوا ، وسار يريدهم ، فلما رآه الباقون اتبعوه ،
فكان أول من لحق بالأعراب ، ووضع فيهم السيف ، ورمى بنفسه
عليهم ، وحذفهم بالشباب ، وكان حسن الرمي لا يُخطئ شيئاً ، فحلى
الأعراب عن جميع ما أخذوه ، ونجوا بأنفسهم على خيولهم

طهور احمد بن
طولون بالشجاعة
والنجدة

(١) طرسوس: بلدة بالتغور الشامية على ثلاثين كيلومتراً من مرسين كانت الى القرن الرابع من
الهجرة مقر الزهاد والعلماء . واستولى عليها الروم ثم الصليبيون ثم فتحها المماليك التركان أصحاب مصر
ودخلت في القرن العاشر في حوزة الدولة العثمانية وهي اليوم من كورة كيليكيا وتمد من ولاية
أذنة وفيها قبر أمير المؤمنين المأمون العباسي رضي الله عنه . وضبطها البكري في معجم ما استعجم
بضم الأ ول واسكان الثاني وقال انها معروفة من التغور الجزرية قال أبو حاتم هكذا يقول الأصمعي
وغيره . يقول طرسوس بفتح أوله وتانيه قال ولا يجوز فتح الطاء واسكان الراء
(٢) السواد : المال الكثير .

وكان فيما أخذه الأعراب البغلُ المحمَّاً ذلك المتاع الذي لم
يُوصل إليه إلا بالخيالة ، وكانت نفس الخادم قد كادت أن تخرج لذلك ،
خوفاً على قوت ما أمَّله من جائزة أمير المؤمنين ، ولما لحقه من
التعب والمخاطرة قبل أن وصل إليه ، ولما سلَّم سكن رُوعه ، ورجع
إليه عقله ، بعد أن كاد يزول .

وعظَّم أحمد بن طولون في عينه وقلبه ، وصار له كالعبد ، وكبُر في
قلوب أهل القافلة ، فلما وصلوا إلى العراق أحضر الخادم ذلك المتاع
إلى المستعين ، فاستحسنه وسرَّ به كل السرور ، فذكر له الخادم
ما عاناه في أمره قبل الوصول إليه ، وقال له : وأعظم ما جرى
يا مولاي أنه لما حصل وسلَّم إلى طرسوس ، وقفلت مع الناس ، خرج
علينا الأعراب فأخذوه ، فلولا أن الله جلَّ اسمه منَّ عليَّ بغلام من
غلمان مولاي أمير المؤمنين يُعرف بأحمد بن طولون ، فإنه أول من
انتدب وخرج إليهم ، وحصله وجميع ما أخذوه ، لقتلت نفسي
أسفاً على فواته .

فازداد به المستعين سروراً ، وأمر في الوقت لأحمد بن طولون
بألف دينار ، وقال للخادم : إمض أنت بها إليه سرّاً ، وأقرئه مني
السلام ، وقل له عني : لولاخوفي من أن يُعلم محله من قلبي فيحسد ويقتل
لبلَّغته أفضل مراتب أمثاله ، وإذا هو دخل إليَّ في المسلمِين أَرنيه .

حجة الخليفة
لأحمد بن
طولون

فأوصل إليه الخادم المال ، وعرفه الرسالة ، فحمد الله عز وجل على ذلك .
فلما كان يوم السلام ، ودخل مع الأولياء ، غمز الخادم المستعين
عليه حتى رآه ، فأشار إليه المستعين بالسلام . ولم يزل يفعل ذلك ،
كلما دخل إليه في المسلمین ، ويوجه إليه بالصلة الوافرة في كل وقت ،
دفعه بعد دفعة ، حتى حسنت حاله بذلك ، ووهب له جارية اسمها
مياس فولدت له أبا الجيش في النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين .

ولما كان من أمر المستعين ما كان من تنكح الأتراك عليه ،
واستقر الأمر بعد ذلك على أن يصير المعتز على الخلافة ، وينق
المستعين إلى واسط^(١) ، مع رجل يختار له ، يوثق بدينه وأمانته ،
وترضى به الأتراك ، ويأمنه على نفسه ، وقع اختيارهم على أحمد بن
طولون ، فسلم إليه ومضى به إلى واسط ، وأحسن عشرة المستعين
وشكر له ذلك الجميل في أمره ، فأطلق له التنزه والصيد . وكره
أحمد بن طولون أن يلحقه منه احتشام ، فالزمه أحمد بن محمد الواسطي
كاتبه ، وكان يومئذ غلاماً جريئاً ، حسن الشاهد ، حاضر النادرة ،
فأنس به المستعين غاية الأُنس ، وشكر لأحمد بن طولون ما يأتيه
في أمره ، ولم يألُ أحمد بن طولون حرصاً في خدمة المستعين وتوفية حقه .

خلع المستعين
وتدليمه لابن
طولون

(١) بلدة في العراق قائمة الى الآن اختطها الحجاج بن يوسف الثقفي في سنتين ويقال لها واسط
القصبة أو قصر كان قد بناه هو أولاً قبل أن يبني البلد

فلما تمت البيعة للمعتز ، وخلع المستعين ، أنفذ إليه أهله وولده ،
 فأقام بواسطة مدة ، واجتمع غلمان المتوكل ، وقالوا نخاف من كيد
 يلحق المعتز من المستعين ، فصاروا إلى قبيحة أمه ، فعرفوها ذلك
 وخوفوها منه ، وقوي الخوف في نفسها فاضطربت له ، فعزمت على
 قتله ، فحضر الأولياء وتشاوروا في ذلك فأشاروا به ، فكتبت قبيحة
 أم المعتز إلى أحمد بن طولون : « إذا قرأت كتابي فجتني برأس
 المستعين ، وقد قلدتك واسط » . فلما وصل الكتاب إليه اغتم غمًا
 عظيمًا ، وكتب إليها يقول : « والله لا يراني الله عز وجل أقتل خليفة
 له في رقتي بيعة وآيمان مغلظة أبدًا » .

امتناع ابن
 طولون من
 قتل المستعين

فلما ورد كتابه بذلك زاد به في قلوب الأتراك محلاً كبيراً ،
 ووسموه بحسن التوقف وجميل المذهب ، وأحسن أحمد بن طولون في
 ذلك وأجل رحمه الله . كما أمر الحجاج بن يوسف رجلاً من التابعين
 بقتل رجلٍ اتهم بما أراد قتله بسببه فامتنع وقال :

ولست بقاتلٍ رجلاً يُصلي على سلطانٍ آخر من قريش
 له سلطانة وعليّ إثمي معاذ الله من جهلٍ وطيش
 إذا طأوعته وعصيتُ ربي فما فضلي هناك على قُبيش
 وكان قُبيش هذا رجلاً خليعاً ماجناً مارداً .

ووجهوا إلى أحمد بن طولون لما امتنع من قتله بسعيد الحاجب ،
وكتبوا إليه ليسلم المستعين إليه ، وينصرف عن واسط إلى سر من رأى ،
ففعل ذلك وأحمد الناس كلهم فعل أحمد بن طولون ، وشكره عليه
الخاص والعام .

حدث أحمد بن محمد الواسطي قال : و كنت مع المستعين بالله على
الرسم ، فرأينا غيرة خيل قد أقبلت ، فأنفذ غلاماً له ير كض ليعرف
له خبرها ، فعاد وقال : هو سعيد الحاجب ، فاصفر لونه ووجم ^(١) ،
فقال لي : يا أبا عبد الله أنا استودعك الله ، هذا جزّار بني هاشم قد
جاءني ، فحرّت وجرعت ، وعدنا جميعاً .

ووافى سعيد في أثرنا ، فأوصل إلى أحمد بن طولون الكتاب ،
فأحضر قاضي واسط والشهود ، فأشهدهم على تسليمه إياه سليماً ، فتسلمه
وأخرجه من وقته إلى الصحراء ، وضرب له خيمة فأدخله إليها ، فأقام
سويعةً وخرج ، وألقى الخيمة عليه ، وركب من وقته دابته ،
وسار راجعاً .

فلما بعد أتينا الخيمة فرفعناها ، وأحمد بن طولون معي ، فإذا
بيضة المستعين مطروحة على الأرض ، وقد صرعه وأخذ رأسه ومضى .
فأقبل أحمد بن طولون يبكي وينتحب عليه ، كما تبكي الثكلي ، وأنا معه
كذلك ، لما ورد على قلبه منه ، ولم يزل قائماً على رجليه حتى غسل
وكفن وصلينا عليه وواريناه ، ورحل إلى سر من رأى

(١) وجم وجماً ووجوماً : سكت على غيظ والني . كرهه .

(١) ان صبي الخيل
رضف لهد على سدره
الجم

ووافق دخوله سرّاً من رأيي تقليد باكبك مصر ، والتامسه من يخلفه
عليها ، فقبل له أحمد بن طولون : الثقة الأمين ، الحبر ، الدين ، الخير ،
فقلده خلافته وضم إليه الجيش .

مبدأ سعادة
ابن طولون
بتوحيته مصر

ورحل إلى مصر فدخلها يوم الاربعاء لسبع بقين من شهر رمضان
سنة أربع وخمسين ومائتين ، مقلداً للقصبة دون غيرها ، من الأعمال
الخارجة عنها مثل الإسكندرية وغيرها ، ودخل معه أحمد بن محمد
الواسطي ، وكان خليطاً به جداً ، وأبو يوسف يعقوب بن إسحق ،
كان الوزير قد قرّنه به .

فحدثني شيخ من شيوخنا قال : جلست في بعض الدكاكين
الشارعة^(١) مع الناس ، لنتظر دخول أحمد بن طولون البلد وترتيبه ،
وكان معي في الدكان رجل مكفوف يعرف بأبي قبيل^(٢) صاحب
الملاحم ، فسأله رجل كان معنا عما يجده في كتبهم ، فقال : هذا رجل
نجد صفته كذا وكذا ، ويتقلد البلد هو وولده قريباً من أربعين سنة .
فما تم كلامه حتى أقبل أحمد بن طولون ، فكانت صفته كما وصف في
صورته وشماله ، لم يغادر منها شيئاً . وكانت مدة الطولونية ثماني
وثلاثين سنة .

(١) شارع المنزل صار على طريق نافذ وهي دار شارعة ومنزل شارع .

(٢) ترجم القفطي صاحب طبقات الحكماء هذا المكفوف قال : المكفوف الملاحمي
المصري ، هذا رجل كان بصر ، وكان مكفوماً ينسب الى قبيل الملاحمي يتكلم في علم الحدّثان
ويصيب في الاكثر . وذكر قصة دخول احمد بن طولون القسطنطينية وما قاله بنحو من هذه
العبارة الا انه اسندها للحسن بن واقع الكاتب .

ودخل أحمد بن طولون مصر، وكان على خراجها أحمد بن محمد بن مديبر ^{عمال مصر عند}
دخول ابن طولون وكان من دهاة الناس، وشياطين الكتاب والعمال الأجلاد، فحسبك أنه
ابتدع بمصر بدعاً صارت سنناً إلى اليوم لا تنقض. ولقد حرص أبو الحسن
علي بن عيسى بن الجراح عند دخوله مصر أن ينقض شيئاً منها فما تهيأ له،
علي صناعته ودهائه بين الوزراء الذين كان هو باركهم ^(١) فما ابتدعه بمصر:
النظرون، وكان مباحاً لجميع الناس بمصر، فصير لهم ديواناً مفرداً، وعاملاً
جلداً، يحظر على الناس أن يبيعوه أو يشتروه إلا من جهته. والمراعي،
وهي الكلا المباح المطلق التي أنبتها الله عز وجل لعباده ترعاها بهائمهم.
والمصايد، وهي ما أطعم الله جل اسمه من صيد البحر.

فلما احتشم ابن مديبر من ذكر المصايد، وشناعة القول فيها، أمر
بأن يكتب في الديوان: خراج مضارب الأوتاد، ومفارش الشباك
وغير ذلك بمصر. وله بالشامات ^(٢) أمثال هذا.

فحين دخل أحمد بن طولون أهدي إليه ابن مديبر هدايا حسنة،
قيمتها عشرة آلاف دينار. وكان ابن مديبر خرج لتلقيه عند دخوله،
ومعه شقير الخادم ^(٣) وكان صاحب البريد ^(٤) يومئذ بمصر، وهو

(١) هكذا في الاصل. (٢) الشامات: بلاد الشام.

(٣) قال اليعقوبي: وتلاحى أحمد بن طولون وأحمد بن المديبر وهو عامل الخراج بمصر وافسد
بينهما شقير الخادم المعروف بأبي صبة (في رواية ضحية)، فكان شقير يتولى البريد وضياعاً
من ضياع الاقطاع وما يستعمل للسلطان من المتاع واليه ينسب الديقي الشقيري وكتب كل
واحد منهما في صاحبه فنصر باكبك أحمد بن طولون. وكان باكبك الغالب على امر الخليفة
واعانه الحسن بن مخلد بن الجراح وابو نوح عيسى بن ابراهيم بن نوح فكسب بزل ابن المديبر
وتولية رجل من اهل مصر يقال له محمد بن هلال فتولى الخراج وقبض ابن طولون على ابن المديبر
قتلده والبسه جبة صوف ووقفه في الشمس فأقام بهذه الحال ثلاثة اشهر (٤) صاحب البريد—

الشاطبية

دهاء ابن طولون
وماعمله لظهوره
بمظهر العظمة

غلام قبيحة أم المعتز المعروف بأبي صُجبة ، فلما تلقياه وسلا عليه بش^١
بها وأحسن مخاطبتهما

ونظر بين يدي أحمد بن مدبر مئة غلام من موآدي الغور^(١) ،
قد انتخبهم ، وجعلهم عُدَّةً وجمالاً ، وكان لهم خلقٌ حسن ، وطول
أجسام ، وبأسٌ يعرفون به شديد ، وعليهم الخفّاتين^(٢) والأقبية والمناطق
الثقال العراض ، وبأيديهم مقارع تامة غلاظ ، على كل طرف من
أطرافها فضة مقمعة بها ، وكانوا يقفون في حافتي مجلس ابن مدبر إذا
جلس ، وإذا ركب كانوا بين يديه ، فكانت له بهم هيبة عظيمة في
صدور الناس إذا رأوهم .

فلما أهدى إلى أحمد بن طولون الهدية التي قدمنا ذكرها ردّها ولم
يقبلها ، فقال ابن مدبر^(٣) : إن هذه لهمة عظيمة ، ومن كانت هذه همته

— كان إليه الأخبار وقد اثار الامام ابو يوسف في رساله الخراج التي بث بها الى الرشيد الى
اختلال امور هذا الديوان في عهده قال : بلغني عن ولائك على البريد والاخبار في النواحي
تخليط كثير ومحاولة فيما يحتاج الى معرفته من امور الولاة والرعية ، وانهم ربما مالوا مع الممال واستروا
اخبارهم وسوء معاملتهم للناس وربما كتبوا في الولاة والممال بما لم يفعلوا اذا لم يرضوهم وهذا ما ينبغي
ان تتفكره وتأمر باختيار الثقات الدول من اهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والاخبار . قال :
ومتى لم يكن اصحاب البريد والاخبار في النواحي ثقات عدولاً فلا ينبغي ان يقبل لهم خبر في قاض
ولا وال فاذا لم يكن صاحب البريد عدلاً فلا يحمل استعمال خبره ولا قبوله .

(١) الغور (يضم اوله وسكون ثانيه) جبال وولاية بين هراة وغزنة وهي بلاد واسعة موحشة
هنا ما قاله ياقوت والغالب ان هؤلاء الغلمان من تلك البلاد لأن الغور (بفتح الغين) والسكنون
في الاغوار في العادة سمر البشرية .

(٢) الخفّاتين واحدها خفتان . ضرب من الثياب ومنها التفتان يضم الفاف وفتحها .

(٣) في المسكافة : ما ينبغي ان يثق السلطان بمن لم يكن لشرة آلاف دينار في عينه قدر

على طرف من اطراف مملكته . وهو اقرب الى صحة المعنى .

فغير مأمون على طرف من الأطراف ، وكان في ابن مدبر دهاء عظيم ،
ورياء كبير ، فخافه ^(١) وكره مقامه معه في البلد ، فاجتمع مع شقير
صاحب البريد ، على أن يكتب فيه إلى أمير المؤمنين بما يقدران
به إزالته .

فلما كان بعد أيام كتب أحمد بن طولون إلى ابن مدبر : « قد كنت ،
أعزك الله ، أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها ، فلم نجز تغنم ^(٢) مالك ،
كثرة الله ، فردناها توفيراً عليك ، وأحب أن تجعل العوض منها
العلمان الذين رأيتهم بين يديك ، فأنا إليهم أحوج منك . » فقال ابن
مدبر : هذه أخرى أعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل ،
كيف آمنه إذا كان يرذالأعراض والأموال ، ويستهدي الرجال ويستأثر
عليهم ، ولم يجد ابن مدبر بداً من أن يبعثهم إليه ، فتحولت هيئته
إليه ، ونقصت هيئته هو بمفارقتهم مجلسه ، وزال جاهم له بين يديه
في ركوبه ، وكتب بخبره إلى الحضرة . ونفى الخبر إلى أحمد بن طولون
فأسره في نفسه ولم يبدّه ، فأقام أحمد بن طولون أيام المعتز ، فلما مات
وجلس المهدي بالله ، كان في نفسه على بابك ما بعثه على قتله إياه ،
ورد جميع ما كان له وفي يده إلى يار جوخ التركي . وكان بين يار جوخ
وبين أحمد بن طولون أجل مما كان بينه وبين صاحبه بابك ، لما
قدمنا ذكره من تزويجه ابنته من زوجته التي كان المتوكل أزوجه

(١) أي خاف أحمد بن طولون (٢) تنه عنه غنية

إياها ، وكانت من جواربه ، وكان لها محل وجلالة خطر ، فكان
يارجوخ من أكبر عدد أحمد بن طولون

فلما حصلت مصر ليارجوخ ، في جملة ما حصل له من أمور باكبك ،
كتب إلى أحمد بن طولون يعرفه ما جرى ويقول : تسلّم من نفسك
لنفسك . وزاده جميع الأعمال الخارجة كانت عن مصر . وكتب إلى
إسحق بن دينار^(١) ، وهو متقلد الإسكندرية بتسليمها إلى أحمد بن
طولون ، وعظمت منزلته ، وورد على ابن مديبر ما زاد في قلقه وغمه ،
ودعته الضرورة والخوف منه إلى ملاطفته ، والتقرب من قلبه .

تمت ابن طولون
في اماره مصر

كان موسى أخو أحمد بن طولون رجلاً فيه خير ، فلما حصلت
الإسكندرية لأخيه ، وهي بلد ثغر ، أحب المقام بها ، فسأل يعقوب
أبا يوسف الكاتب ، الذي كان ضمه الوزير إلى أحمد بن طولون عند
رحيله إلى مصر أن يسأل أخاه في نقله إليها ، وكانت بينه وبينه
مودة ، فقال له : ابتدئ أنت بالقول ، وأنا أكفيك إذا خلوت به ،
فخطب أخاه على مضض منه ، لأنه كان لما قدما البلد أمر فيه ونهى ،

طلب موسى بن
طولون ولاية
الاسكندرية

(١) في المختصر من ابن الداية ان يارجوخ ردّ الى احمد بن طولون الأعمال الخارجة
عن معونة مصر الى يده فتسلم من اسحق بن دينار الاسكندرية ومن احمد بن عيسى
الصعيد وبرقة .

كما^(١) يفعل الأخ الشقيق [مع الشقيق] فثقل ذلك على أخيه ، حتى إنه قصد قومًا كان أخوه يعتني بهم بالأذية .

وأمسك موسى عما كان يعمله ويحمل مسأله ، فيخرج من البلد ولا يكون معه فيه لما بينته . فلما سأله ردّ عليه ردًّا ضعيفًا فأغضبه ذلك ، فقال له : تالله لقد أيست منك ومن مرتبة أئلهابك في الدنيا ، وإنما طلبت هذا البلد لأنه ثغر من الثغور ، اخترت المقام فيه والتعبد ، فوعده بتقليده إياه .

وكان أحمد بن طولون يتوقع من يارجوخ إنفاذه إليه الكتب بولاية الثغور الشامية ، وقد رشح أخاه موسى لتقليده إياه طرسوس ، فإنها أجلُّ مما طلب منه ، وأسرَّ ذلك إلى أن ترد الكتب به عليه ، وأراد أحمد بن طولون بولاية أخيه طرسوس إحياء ذكره بالثغر لأنه كان أغلب البلدان على قلبه محبةً ، وآثرها عنده .

وعزم أحمد بن طولون على الخروج إلى الإسكندرية لمشاهدتها وتسلمها ، فسأل موسى أبا يوسف الكاتب معاودة أخيه في أمرهاله ، حسب ما وعده ، فخاطبه في ذلك فوعده أيضًا . وخرج أحمد بن طولون إليها مرابطًا ، فرحًا بما حصل له منها ، لمحبتته الثغور لا غير ، وكان ذلك في سنة ست وخمسين ومائتين

(١) قال أحمد بن يوسف : قلت لأبي جعفر محمد بن موسى بن طولون ، وكان لي صديقًا وبي حفيًا ، وقد رحل إلى مصر بعد قتل أبي الجيش : لم تطل مدة أبي عمران موسى مع الأمير أبي العباس أحمد بن طولون بمصر ، وأحب أن اتف على السبب في ذلك ، وما الذي فرق بينهما ؟ قال : لما دخل والدي إلى هذا البلد امر فيه ونهى كما يفعل الشقيق مع الشقيق فثقل ذلك على أحمد بن طولون فقصد بالأذية من قدم والدي العناية به ، فأمسك عن الأمر والنهي .

اغتباط ابن طولون
بولاية مصر

فحدث الواسطي أحمد بن محمد كاتبه عنه أنه قال لما وردت عليه
الكتب برد الأعمال الخارجة إليه : الحمد لله كثيراً ، وقال : تركنا
لله عز وجل شيئاً واحداً ، عوضنا منه أشياء أعظم منه وأجود وأحمد
عاقبة . كانت نهاية ما وعدنا به على قتل المستعين بالله تقليد واسط ،
نخفنا الله عز وجل في قتله فلم نقتله ، فعوضنا جل اسمه مصر وغيرها .
فلما قرب من الإسكندرية تلقاه إسحق بن دينار ، وقد كان وقف
على ما جرى ، وتوقع صرفه عنها فخرج إليه حتى لقيه بأبعد المواضع ،
فلما رآه ترجل له ، وأعطاه بحق الرياسة عليه ، فأحشم^(١) ذلك منه
أحمد بن طولون وكان حياً ، رقيق الوجه ، فاستحيا منه أن يصرفه
عن البلد فأقره عليه .

مطالبة موسى بن
طولون بوعده أخيه
وضربه قارع
بيد أحمد

وجعل موسى يتربص من أخيه إنجاز وعده له ، فلما طال ذلك سأل
أبا يوسف أيضاً المسألة ، وقال له أبو يوسف : أيد الله الأمير ، أخوك
منتظر لو عدك ، فقال له : ويحك قد كان ما وعدت به ، وتالله إني
لآمل له ما هو أجل منه ، وقد ترى ما صنعه هذا الرجل معنا من
الجميل ، على محله أيضاً في نفسه ، ولا والله ما يحملني وجهي أصرفه عن
عمله ، فتلطف لي في أن تصرف رأي أخي عن هذا الأمر ، وقل له إن
أخاك يرشحك إلى ما هو أجل من هذه المدينة ، واحذر أن تطلع على
شيء مما ذكرته لك من أمر ابن دينار . فلما سأله موسى عن الجواب

(١) احتشم منه وعنه وحشمه واحشمه اخجله .

عرّفه أن أخاه يرشحه لما هو أجلُّ مما طلبه ، فلم يئنّه ذلك وقال :
ما أريد سوى هذه المدينة ، وهي أحب إليّ من كل ناحية جليّة ، فلما
راه أبو يوسف لا ينتهي عنها كشف له الخبر ، لما كان بينه وبينه من
المودة ، ولأنهما كانا يجتمعان على التعجب من مصادر أمور أحمد بن
طولون ومواردها ، وأن الحظّ قد عمل له ما لم يقدره ، حتى إنه قد
حسن قبيحه ، وأصلح رديئه .

فاغتاظ موسى مما حكاه له أبو يوسف ، وصار إلى أخيه وقال له :
بجئت عليّ بما لا مشقة عليك فيه ، وخاطبه بدالة الأخوة ، بكلام فيه
غلظ ، بحضرة الناس ، إلى أن قال له : ما أحسبك تخرج من الدنيا
سالماً ، لقطعك لرحمك ، وسوء نيتك ، وتفضيلك غلمانك ، ومن تختاره
بسوء رأيك على أقرب الناس منك ، فلعن الله جوارك وأراحني منه ،
فأمر به فبطح وضربه بيده مقارع يسيرة . فعاتب الناس موسى على
ما خاطب به أخاه وقالوا له : ليس أخوك اليوم هو الذي تعهده وتعرفه ،
فوقه حقّ الرياسة ، واطرح دالة الأخوة ، فلم يقبل ، وكان فيه لجاج
وكبر نفس ، فراسله في أن يكتب له جوازاً ليخرج عن البلد ، فتغنم
ذلك أحمد بن طولون منه ليريح قلبه منه ، ومن دالته عليه ، فكتب
له الجواز وأمر له بهال كثير فلم يقبله ، وخرج غضبان إلى طرسوس ،
فقبض أحمد بن طولون على أبي يوسف وقال له : أظهرت لأخي ما أمرتك
٢- ابن طولون

بستره عنه ، فأوحشت بذلك ما بيني وبينه ، وأنفذه من الإسكندرية
إلى المطبق^(١) بمصر .

توثب ابن شيخ
على فلسطين
والأردن

وكان أحمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين
والأردن فلما مات توثب ابن شيخ عليهما ، وقال : هي من عملي .
وحمل أحمد بن مدير مالا إلى السلطان من مصر ، مبلغه سبعمائة وخمسون
ألف دينار ، فقبض أيضاً عليه ابن شيخ وقال : إننا نحتاج إليه للرجال ،
ففرقه في أصحابه . وبلغه اضطراب الأمور بالحضرة فقويت شوكته ،
فجمع الجموع ، وقوي طمعه في التغلب على الشامات بأسرها ، وشيخ
الناس ، لما رأوا من قوة أمره ، أنه على أن يتغلب أيضاً على مصر ، وأنه
مجدد في ذلك .

فأنفذ المهتدي بالله حسين الخادم المعروف بعرق الموت^(٢) ومعه
الكريزي وأبونصر المروزي^(٣) الفقيهان ، ومعهما عهد على أنه إن رد
ابن شيخ المال الذي أخذه ، وحمل ما وجب عليه عما كان يتقلده ،
وانصرف عن الشامات ، سلمنا العهد إليه وانصرفا عنه ، فإن لم يفعل لم
يسلما العهد إليه ، وكاتبنا بخبره ، ليدبر أمره بما يجب

(١) المطبق كحسن : سجن تحت الأرض .

(٢) قال النعماني في المضاف والمنسوب : عرق الموت يضرب مثلاً لأشد الشدة ، وكان حسين
الخادم خدام المعتضد والمكثفي الذي كان يتولى البريد لقب بمرق الموت ، وقيل إن المكثفي لقبه بذلك .

(٣) الكريزي هو محمد بن عبيد الله الكريزي القاضي . وأبونصر هو اسماعيل بن عبدالله المروزي

المعروف بأبي نصر (ابن جرير الطبري) .

فلما وردا عليه وخاطباه في ذلك ، احتج في المال بأنه قد استهلك على الرجال ، ثم لم يجبهما إلى شيء مما يجونه . وورد الخبر بقتل المهدي وجلس المعتد فلم يدع له ابن شيخ ، ولا أخذه بيعة على أصحابه ، وأراد أن يوجههما بذلك منه ، فبلغ منها فعله ، واستعمل حسين الخادم مداراته بأن دفع إليه عهده على إرمينية حتى أقام الدعوة للمعتد وأخذ له البيعة ، وعمل ابن شيخ على أن يستخلف على إرمينية ولا ينصرف عن أعماله ، وتخلص حسين الخادم والكريزي والروزي منه بما فعلوه ، وعادوا إلى بغداد ، فعرفوا المعتد ما كان من ابن شيخ

وكتب إلى أحمد بن طولون بأمره بأن يتأهب للخروج إلى ابن شيخ وأمره أن يزيد في عدته ، وكتب إلى ابن مدثر أن يطلق له من المال ما أراد لذلك ، فتبعهما أحمد بن طولون فعرض الرجال ، وأثبت من يصلح إثباته ، واشترى العبيد روماً وسوداناً ، وجدد آتته وكل ما يحتاج إليه ، وخرج وراسل ابن شيخ بقيس بن حفص كاتب بكار بن قتيبة وبأحمد بن يحيى السراج ، وجعلها معذرة بينه وبينهم قبل إيقاع الحرب ، [وأوعز] إليهما بأن يدعوا إلى طاعة السلطان ورد ما أخذه من ماله المحمول كان من مصر ، فأجابه بجواب قبيح ، فلقياه بالجواب وقد نزل بالعباسة ^(١) فورد الخبر عليه بأن المعتد قد أنفذ أيضاً إلى ابن

مبدأ قوة ابن طولون بالاكثار من الجند

(١) قرية كانت بين بليس والصالحية في مديرية الشرقية على خمسة عشر فرسخاً من القاهرة ويقول القرزي أنها كانت متزهاً للوك مصر وبها ولد العباس بن أحمد بن طولون فسماه لذلك العباس .

شيخ بسلام من غلامانه يعرف بماجور الا فرنجي^(١). وأقام أحمد بن طولون
بوضعه إلى أن يعلم ما يكون من ماجور مع ابن شيخ. فلما قرب ماجور
من دمشق أنفذ [عيسى بن شيخ] إلى ماجور ابنه منصور ، وكان من
الشجعان الفرسان ، وبخليفته وبجماعة من فرسان عسكره ، فوافياه في
جيش كثيف وأمرهما أن يمنعاه دخوله دمشق وأن يحاربا ، فالتقى
العسكران فأول من قتل منصور بن شيخ وجماعة من وجوه أصحابه ،
وأسر خليفته ، فضرب ماجور عنقه وصلبه مع منصور ، وانهزم سائر
عسكرهم ، ولم ينج منهم إلا ذو فرس جواد عتيق .

ودخل ماجور دمشق أعزباً مظفراً . فلما اتصل الخبر بابن شيخ
وقتل ولده وخليفته وصناديد عسكره ، انخزل وقت ذلك في عضده^(٢) ،
وانكسرت نفسه ، وضاقت به الشامات ، فرحل عنها على طريق الساحل
يريد إرمينية ، وبلغ خبره ماجور فوجه بمن قبض على أعماله كلها ،
واستخلف عليها خلفاء من قبله ، ونقل أعمال الشامات كلها ، وذلك
في سنة سبع وخمسين ومائتين

وعاد أحمد بن طولون إلى مصر ، وقد استكثر من العبيد والرجال^(٣)
والآلات ، فضاقت به داره ، وكان هو والأمرء من قبله يسكنون

بناء القطائع
والقصور
والاسواق
وامتداد العمران

(١) المشهور أماجور التركي (٢) فت في عضده اذا كسر قوته وفرق عنه أعوانه .
(٣) في معظم المصادر أن جيش ابن طولون بلغ مئة ألف وفي قاموس الأعلام لشمس الدين سامي
أنه بلغ مئتي ألف وان بلاده أصبحت أشبه بدولة مستقلة .

في الدار التي تعرف إلى اليوم ببلد الإمارة التي لها بابان ، أحدهما بالحارة المعروفة بحوض أبي قديرة ، والمعروف إلى اليوم بباب الخاصة وبابها الآخر الملاصق للشرطة الفوقانية ، وكان باب الشرطة أيضاً أحد أبوابها ، وكانت كلها داراً واحدة ولها باب إلى المسجد الملاصق للشرطة ، وكان يجمع فيه الجمعة ، وفيه منبره ومقصورته إلى اليوم ، وإنما فرقت هذه الدار حجراً بعد دخول محمد بن سليمان البلد ، وبعد انحلال أمر آل طولون ، وكانت في أيام هارون بن خمارويه قد صيرت ديواناً للخراج .

فركب أحمد بن طولون إلى سفح الجبل ، فاختط فيه قصرآ ، وأمر أصحابه وغلماؤه وتبأعه أن يخطوا لأنفسهم حوله وما قرب منه ، فاختط الناس وبنوا ، حتى اتصل البناء بعمارة البلد ، وهي هذه الدور الشارعة من حد قيسارية بدر إلى سوق الدواب .

واتصل البناء والعمارة من الجانب الآخر إلى أن جاوز المدينة ، ثم قطعت القطائع ، وسميت كل قطعة باسم من يسكنها ، فكانت للنوبة قطعة مفردة تعرف بهم ، وللروم قطعة أخرى ، وللفراسين قطعة مفردة ، ولغيرهم من كل صنف من الغلمان ، وبنى القواد مواضع متعددة ، فعمرت عمارة حسنة ، تفرقت فيها السكك والأزقة ، وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران ، وسميت أسواقها ، فسمي منها سوق العيارين^(١) يجمع فيه البزازين والعطارين ،

(١) العيار الكثير المحمي ، والذهاب والله يقصد الكثيرين من المساومة في الشراء والبيع .

وسوق الفاميين^(١) [يجمع] فيه الجزارين والبقالين والشوائين ، وكان في دكاكين الفاميين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن ، وسوق الطباخين [يجمع] فيه الصيارفة والخبازين وأصحاب الحلواء ، ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوقاً حسناً عامراً نبيلاً صينياً .

فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام
وأكبر وأحسن

قصر ابن طولون

وبني قصره ووسعه وحسنه ، وبني فيه ميداناً حسناً يضرب فيه بالصوالجة^(٢) ، فسمي القصر كله الميدان من أجل الميدان . فكان كل من أراد الخروج من صغير أو كبير سُئل عن ذهابه فيقول إلى الميدان ، وعمل له أبواباً وسمي كل باب منها باسم ، فمنها باب الميدان ، ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش ، وسمي باب الصوالجة ، وباب الخاصة لا يدخل منه إلا خاصته ، و[ما] كان مما يلي المقطم سمي باب الجبل ، وباب للحرم ولا يدخل منه إلا خادم أو حرمة ، وباب سمي باسم حاجب كان يجلس عليه يقال له الدرّمون^(٣) لأنه كان رجلاً أسود

(١) القامي : بائع القوم أي الثوم والحنطة والحمص والخبز وسائر الحبوب التي تخبز .

(٢) الصولجان : المحجن ج صوالجة . (٣) في رواية الدرغوث وفي أخرى الدرّمون .

عظيم الخلق ، وقُلِّد النظر في جنایات الغلمان السودان ، والرجالة خاصة ،
فسمي باب الدرmon ، وباب آخر سمي باسم حاجب كان عليه يقال
له دعناج ، وباب عمل من خشب الساج سمي باب الساج ، وباب في
الشارع الأَظْم ، كان يخرج منه إلى الجامع الذي بناه فسمي باب
الصلاة ، وصور عليه سبعين من حبس . وهذا الباب قائم بحاله إلى
اليوم ، وهو يعرف بباب السباع أيضاً في أول سوق الدواب . وكان
الطريق الذي يعرج منه الفاصل إلى قصره طريقاً واسعاً ، ولم يكن
يكتنفه باب واحد ولا بابان ، فقطعه بجائط ، وعمل فيه ثلاثة أبواب
كأكبر ما يكون من الأبواب [وكانت] الدُروب متصلة كلها واحد
إلى جانب واحد ، يفرق بين الناس الركن الذي ينصفق إليه الدرب .
فكان إذا ركب أحمد بن طولون لعيد أو لغيره يخرج عسكريه
منه ، متكائف الخروج ، على حسن ترتيب بغير زحمة ، ويخرج هو من
الباب الأوسط منها ، لا يختلط به أحد ، فتلك السكة إلى اليوم تسمى
ثلاثة أبواب . ومن هذه الأبواب واحد قائم إلى اليوم ، ودخل البابان
الآخران بعدهما في بناء الناس لما انقضت أيامهم وخربت اتطائع .
وكانت أبواب قصره ، التي سمينا قبل هذا ، تفتح بعد عرض
الجيش أو يوم صدقة ، وسائر الأيام تفتح على ترتيب في وقت ،
وتغلق في وقت ، وكان له في قصره مجلس يشرف منه يوم العرض ،
ويوم المساكين ، فينفذ منه من يدخل إلى جنب الخارج ، فكانوا

يردون من باب الصوالة ويصدرون من باب السباع .
وبني على باب السباع مجلساً يشرف منه ليلة العيد على القطارع ، فيرى
اضطراب الغلمان في تأهبهم ، وتصرفهم في حوائجهم ، على مقدار كل
واحد منهم ، فإذا شاهد من واحد منهم يسيراً من الاختلال ، أمر له
في الوقت بما يتسع به ، ويزيد في جماله . وكان يشرف منه أيضاً على
البحر ، وعلى باب المدينة وما والاها ، وكان متزهاً حسناً .
وكان يصلي الجمعة في المسجد القديم الملاصق للشرطة ، فلما ضاق عنه
بني الجامع الجديد ، بما أفاء الله عليه من المال الذي وجدته فوق الجبل ،
في الموضع المعروف بتنور فرعون ، ومنه بنى العين المعروفة بعين أبي ابن
خليد . وتولى بناء العين والجامع رجل نصراني حاذق بالهندسة . ونحن
نأتي بجزءه إن شاء الله .

الوثايات بابن
طولون الى بنداد

واتسعت أحواله بعد فراغه من بناء الجامع ، وكثرت اضطباته
لكثرة كراعه ، وعظم صوته ، فلما بلغ ماجور خبره خافه وهابه ،
وكتب إلى الحضرة يقول : « أما بعد فإنه قد اجتمع لأحمد بن طولون
أكثر مما كان يجتمع لأحمد بن عيسى بن شيخ ، والخوف منه أكثر ،
إذ كان فيه من الفضل ما ليس في أحمد بن شيخ » وكتب أيضاً أحمد
ابن مدبر وشقير الخادم صاحب البريد بمثل ذلك ، فكتب [الخليفة]
إلى أحمد بن طولون : « أما بعد فإننا رأينا أن نرد إليك أمر دارنا
بالحضرة ، وتديير مملكتنا ، فإذا قرأت كتابنا هذا فاستخلف على

قصرك^(١) من أحببت ، والبلد لك وباسمك ، واشخص إلينا لما ندبناك إليه ، ورأيناك أهلاً له ، والسلام . »

ارساله الهدايا الى
ارباب المسكاة
في الحضرة

فلما قرأ أحمد بن طولون الكتاب علم بما فيه من الدهاء والذكاء ، والعقل وحزم الرأي ، أنها حيلة تُوقع عليه ، فأنفذ كاتبه أحمد بن محمد الواسطي إلى الحضرة ، وحمل معه مالا كثيرا إلى الوزير ، وكان يومئذ الحسن بن مخلد ، وحمل إليه مع المال كل شيء بحسن غريب ، من دق^(٢) تنيس ودمياط ، ومن الخيل والبغال وغير ذلك ما يجوز الوصف حسنا ومقدارا ، وسأله أن تشمله عنايته في أن يطلق له ولده وحرمة ، وكتب إلى يارجوخ صاحبه بما كتب به إليه ، وعرفه ما كتب به الوزير ، وسأله مسألته في أمره ، وحمل أيضا إلى يارجوخ مالا ومتاعا ، فلما وصل كتابه إلى الوزير ومآمله معه ، قال لكاتبه : « لن نزعجه عن عمله ، ولا يقبل فيه قول ساعٍ سعى فيه » وركب إليه يارجوخ فسأله فأجابه إلى إنفاذ ولده وحرمة ، وأقر ولده في عمله ، وركبا إلى

(١) لعلها مصرك .

(٢) في الأصل دق وهو الكتان وإذا قرئت ديق فان ديق على ما قال القريري في الخطط قرية من قرى دمياط تنسب إليها الثياب الممتة والعمائم الشرب الملونة والديقمي المعلم المذهب وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ، ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقعات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل . وفي كنوز الفاطميين ان الثياب الديقية نسبة الى ديق وقد كانت في العصور الوسطى بلدة من أعمال دمياط وربما كان موقعها الآن على مقربة من قرية ديبج الواقعة جنوبي السبلاوين واشتهرت ديبج بصناعة المنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب ولم يلبث اسم الألبسة الكتانية المنسوجة فيها (الديقية) أن أصبح علما على نوع من النسيج كان يسنع فيها وفي غيرها من البلاد كأسيوط .

أمير المؤمنين فأحسننا القول فيه، وصفرا ما كتب به ماجور وابن مدبر
وصاحب البريد، فأمر بتثبيت يده في عمله، فكتب إليه الوزير
وبار جوخ بذلك، وأطلق له حرّمه وولده فحملهما كاتبه إليه، ووافاه
وقد بلغ له ما يحبه .

فلما ورد كتاب الوزير بذلك عليه، سرّه غاية السرور، وتصدق
من وقته بصدقات جليمة كثيرة، وحمل إليه الوزير أيضاً هدايا حسناً،
وما لا كثيراً، وكتب إليه يشكر ما كان من تطوّله عليه، واستدعى
منه أن ينفذ إليه كتب من يكتب فيه من العمال بمصر وأهل البلد،
فلما ملك به قلب الوزير وملاً به عينه، بعثه على أن أنفذ إليه
ما استدعاه، فأنفذ إليه كتاب شقير صاحب البريد بمصر يقول له :
« إن أحمد بن طولون على التغلب على مصر والعصيان بها » ثم أنفذ إليه
كتباً من ابن مدبر بمثل ذلك .

فأحضر أحمد بن طولون شقيراً الخادم راجلاً من داره، وتقدم
بأن يتعتع^(١)، ويكدّ في عدوّه، من داره بمصر إلى الميدان، وكان
شقير الخادم مبدناً مرّفاً، وقصد أحمد بن طولون، لعلمه بذلك منه،
أن يقتله التعب، فلم يصل إليه إلا وقد كادت نفسه تخرج . فلما
مثل بين يديه أمر بأن تحضر السياط والعقaban^(٢) فأحضر وأمر بشده

اهلاك ابن طولون
لأحد أعدائه
بالحر والجر

(١) تمتعه : تئله وحرّكه بنف أو أكرهه في الأمر حتى قلق .

(٢) العقابان : خشبتان يشبع الرجل بينهما الجلد .

في العقابين وغفل عنه ، فاستغاث ساعة ، وسقطت قوته ووقع ، وتبين فيه الموت فلم يُضرب ، وأمر برده إلى داره راكباً ، فلما حصل فيها مات آخر نهار يومه .

وأنفذ أحمد بن طولون إليه العدول حتى شاهدوه عرياناً وأنه مات من غير ضرب ولا سبب غير فناء أجله . فكان علم أحمد بن طولون بأن ما عمله يبلغ به ما يُحب من أمره من غير مكروه ضرب ولا غيره حسناً .

وكان ابن هلال قد تقرب من قلب أحمد بن طولون وتعبده^(١) له ، وكان له بمصر محل ونبل ، فسأله أن يكتب إلى الحضرة يطلب له الخراج ، فلموضعه منه ولما في نفسه من ابن مدبر سارع إلى ذلك ، وأكدا القول فيه إلى يار جوخ وإلى الوزير ، فوردت عليه الكتب بتقليد ابن هلال عمل ابن مدبر ، فقويت يد أحمد بن طولون على الاستخفاف بابن مدبر ، والسعي فيه ، وقبض عليه وحبسه في داره ، بحال سيئة .

وولي المعتمد فرداً الخراج ، باضطراب أخيه في أمره ببغداد ، إلى ابن مدبر ، ووردت الكتب بذلك على أحمد بن طولون ، فأطلقه وتسلم الخراج ، ولم يمكنه الإساءة لابن هلال ، لموضعه من أحمد بن طولون ، وانحرافه عنه هو ، لما في نفسه منه ، فتأمل ابن مدبر أمره ، فإذا به يخاف من أحمد بن طولون خوفاً لا يأمنه أن يأتي عليه ، فكتب إلى

حسن حيلته في
ارضا حكومة
بذراد

(١) تعبد فلاناً اتخذه عبداً كاعتبده ، وتعبد له : تدل .

أخيه بقول: تطف لي في التخلص من أحمد بن طولون والخروج عنه، فأورد أخوه عليه الكتاب بتقليده جندى فلسطين والأردن ودمشق، وقُدد أبو تراب أحمد بن شجاع^(١) ابن أخت الوزير الخراج بمصر، وذلك في سنة ثمان وخمسين ومائتين .

فاستعمل أحمد بن مدرّمع أحمد بن طولون التطف والحيلة في الخلاص منه، ووهب له ضياعاً كان يملكها بمصر جليّة المقدار، وعقد نكاحاً بين أبي الجيش ابنه وبين ابنته فحلة^(٢)، وخرج فخرج أحمد ابن طولون معه مشيعاً له .

واستمال أحمد بن طولون معمر الجوهرى، وكان له محل جليل بمصر وبيغداد، وأخذ كتبه إلى أخيه ببغداد وإلى حدري وجباب^(٣) الجوهريين، وكانا أجل أهل سرّ من رأى، وإلى جماعة من وجوه التجار بها، بأن يدفعوا إلى خليفته بالحضرة كل ما أحب من المال، وإن احتاج إلى ضمانهم عنه في شيء يحتاج إليه من المصانعة ضمنوا وكتبوا له بذلك، ليأخذ العوض منه بمصر .

فكان خليفة أحمد بن طولون بالحضرة طيفور التركي، وكان جلدأ شهماً ثقة، فكان كلما بلغه عن واحد من القواد أنه قد طلب

حسن حيلة وكيله
في دار السلام

(١) في ابن الداية : احمد بن محمد بن اخنت . (٢) في ابن الداية : وبين طفلة من ولده .
(٣) في المجلد للبروني أن من أشهر الجوهريين في الايام الروانية والباسية ابن جباب وذكر أيضاً رجلاً اسمه عتاب الجوهرى في عهد ابن طولون وقبله اما حدري فلم نهند اليه ولم نصحح اسمه .

عمل مصر وندب لها ، لأن الموفق كان إذا تعذر عليه الرجال ، أو أكدوه^(١) ، قال : مصر خزانة السلطان وفيها أمواله فليخرج إليها أحدكم . فمن همَّ بذلك من القواد ، أخذ طيفور خليفته من التجار ما يريد من المال ، على قدر محل الرجل ، وركب إليه وقال له : أخوك أبو العباس أحمد بن طولون كتب إليّ يقرأ عليك السلام ، ويشكو شوقه إليك ، ووحشته منك ، ويقول لك : يا أخي وسيدي ، لبعد الطريق ، وخوف العوائق ، امتنعت أن أحمل إليك من هدايا مصر ، فتطوّل ببسط عذري في ذلك ، واصرف هذه الدنانير فيما تحتاج إليه ولا تخلي من مكاتبتك وأخبارك وأحوالك وحوائجك فإني أسر بذلك . ويدفع إليه المال من ثلاثة آلاف دينار إلى ألفي دينار ، إلى ألف دينار على مقدار الرجل ، فيلحق الرجل من ذلك احتشام ويمتنع من أخذه ، حتى يسأله طيفور ويخاطبه عليه بما يزيل احتشامه فيأخذه ، وقد كبر أحمد بن طولون في قلبه ، وعظم في صدره ، وملكه جميل فعله ، وإذا ذُكرت له مصر استبعد طريقها ، وثاقل عن قبول ثقلها ، وإن كان هو الخاطب لها أضرب عن ذكرها . ولا يخلو أيضاً من أن يكون بينه وبين انتجار الذين قد كاتبهم معمر في أمر أحمد بن طولون معاملة فيصيرون إليه ويطالبونه بما لهم عليه من المال ، ويقولون له : أنت قد عزمت على الخروج إلى مصر وهو بلد لا ترجى

(١) أكداه : الخ عليه في المسألة .

فيه سلامة من يخرج إليه ، لأن من قصده إنما يقصده مائة ألف
عنان . فمن سمع هذا ولو لم يكن حصل له مال ، يَجِبُ قلبه ^(١) ويقوى
امتناعه ، فكيف وقد انضاف إلى ذلك ما صار إليه ، فإذا حلف لهم
أنه لا يخرج ، قيل له : جوزيت لبس تحصل إلا على فساد ما بينك
وبين أحمد بن طولون ، وقتل أصحابك وذهاب مالك ، إن سلمت
نفسك ، فيزداد بذلك امتناعاً ، ولما فعل في أمره خوفاً واحتشاماً ،
فكانت هذه الأحوال تقوي أمره ، ويزول عنه ما يتخوفه ، لأنه
علم أن بلده مذموم مظلوم .

تكراراً دينية مسامحة

ولما دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين خرج رجل علوي لقب
نفسه ببغا الكبير وذكر أنه أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن
طباطبا ، بين برقة والإسكندرية بوضع يعرف بالدرين (?) ، ثم
صار إلى صعيد مصر ، فوجه إليه أحمد بن طولون قائداً يعرف بهم بن
الحسين ، فكانت بينهما وقعة قتل العلوي في معركتها ، فأخذ رأسه
وانهزم أصحابه وتمزقوا .

خارج على ابن
طولون بين برقة
والإسكندرية

ثم خرج بعده في سنة ست وخمسين ومائتين رجل ذكر أنه ^(٢) إبراهيم
ابن محمد بن يحيى بن عبد الله بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ،
صلوات الله عليهم أجمعين ، وكان يعرف بابن الصوفي أيضاً . وجاءت
(١) يحقق (٢) في تاريخ اليعقوبي أن الوائب رجل من الطالبين يقال له إبراهيم بن محمد
من ولد عمر بن علي ويعرف بالصوفي .

خارج آخر في
الصعيد

الأخبار أنه دخل إسنا^(١) فنهبها ، وعاث وأفسد في نواحيها^(٢) ، فوجه إليه أحمد بن طولون بقائد من قواده يعرف بابن يزداد فظفر به العلوي فقطع يده ورجله وصلبه ، فبلغ ذلك أحمد بن طولون فأنفذ إليه بهم بن الحسين ، فالتقيا بنواحي إخميم^(٣) ، فهزم العلوي ونهب سواده ، وقتل خلقاً كثيراً من رجاله وانقل أمره^(٤) . وعاد بهم بن الحسين إلى أحمد ابن طولون فعرفه بما جرى من أمرهم ، فضلع عليه خلعاً حسناً وطوقه بطوق ثقيل من ذهب صامت ، وأجازه وقاد بين يديه خيلاً حسناً ، فكان بهم إذا ركب في الأعياد يركب بذلك الطوق .
ودخل ابن الصوفي^(٥) إلى نواحي الواحات^(٦) وأقام مدة ، ثم ظهر

- (١) اسنى بالكسر ويفتح : بلد بصعيد مصر ويرسمونها بعدنا هكذا « اسنا » وهي اليوم من عمل مديرية قنا . (٢) ذكر المؤرخون أنه ظهر في سنة ٢٧٠ علوي اسمه احمد بن عبدالله بن ابراهيم بصعيد مصر قتلته ابن طولون على باب أسوان وحمل رأسه الى القمتد .
(٣) إخميم : بلد بالصعيد على شاطئ النيل وهو اليوم مركز من المراكز في مديرية جرجا قال البكري وهو الموضع الذي فيه الشيراني بصعيد مصر . (٤) فله وقله ثلثه فقتل واقتل واقتل .
(٥) قال اليعقوبي : في هذه السنة (٢٥٧) أخرج أحمد بن طولون الطالبين من مصر الى المدينة ووجه معهم من ينفذهم ، وكان خروجهم في جمادى الآخرة وتخلف رجل من ولد العباس ابن علي وأراد أن يتوجه الى المغرب فأخذه أحمد بن طولون وضربه مائة وخمسين سوطاً واطافه بالنسقاط وكتب الينا العلامة كرنكو يقول ان زمان احمد بن طولون كان عهد افراط دعاة الشيعة في أكثر أقطار الاسلام وكانت في مصر نفسها ثورات عدة وأهم من ذلك أنه كان وراء هذا كله ثورة الزنادقة المانوية على الاسلام وكانوا يسترون قصدهم بالدعاء لآل بيت النبي (عليه الصلاة والسلام) وترى أن أخا أحمد بن طولون واريده موسى بن طولون وكان بطرسوس لما غضب عليه أحمد أمر بلبس البياض وهو اعلان ميله الى الشيعة (ولاية مصر للكندي ص ١٦٢ س ٥٧)
(٦) الواحات : وأحدها واح قال ياقوت : اظنها قبطية وهي ثلاث كور في غربي مصر ثم غربي الصعيد والواح الأول مقابل النيويم ممتد الى اسوان وهي أكبر الواحات وراية كورة أخرى يقال لها واح الثاني وخلفها جبل ممتد كما ممتد الذي قبله وراية كورة أخرى يقال لها واح الثالثة وهي دون الأولى وفي الهامة ومدينة الواح الثالثة يقال لها سنترية .

ص ١٦٢

في نواحي الأشمونين^(١) ، فأنفذ إليه قائداً يعرف بابن أبي المغيث^(٢) ، فوجده قد صاعد إلى الصعيد ، لقتال رجل ظهر بالصعيد ، زعم أنه عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله يكنى أبا عبد الرحمن^(٣)

وكان السبب في خروجه أن البجة^(٤) أقبلت في يوم عيد يقدهم رجل أعور مارداً ، كلهم ركبان على النجيب ، حتى كبسوا الناس في مصلاهم ، وقتلوا فيهم ونهبوا ورجعوا من حيث جاءوا سالمين ، وكان لهم قبل ذلك مقدمات كذلك ، فخرج هذا العمري غضباً لله عز وجل وللمسلمين ، فكن لهم في طريقهم حتى أقبلوا كعادتهم فكبسهم ، وقتل رئيسهم الأعور ومن معه ، ولهذا السبب كانت الطولونية وغيرهم من الأمراء ، وإلى اليوم يوقفون من سفح الجبل مما يلي الموضع المعروف بالحبيش جيشاً كثيفاً ، مراعيًا للناس حتى ينصرفوا من عيدهم في كل عيد .

تأثر آخر في بلاد
البجة

(١) يقول ياقوت : أشمون واهل مصر يقولون الأشمونين من بلاد الصعيد مدينة قديمة أزلية وهي اليوم عامرة ومن عمل أسيوط . (٢) في رواية : الغيث بدل المغيث . (٣) ورد اسمه في يعقوبي هكذا : عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وفي خطط القرظي هكذا : أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمري .

(٤) يقول القرظي في المخطط أن أول بلد البجة من قرية تعرف بالحزبة (علاها الحزبة) معدن الزررد في صحراء قوس وبين هذا الموضع وبين قوس نحو من ثلاث مراحل وآخر بلاد البجة أول بلاد الحبيشة وهم في بطن هذه الجزيرة أعني جزيرة مصر إلى سيف البحر المالح مما يلي جزائر سواكن وباضع ودهلك وهم بادية (وقد قل اتصالاً مهماً في تاريخهم فليراجع) .

ثم دخل هذا العمري إلى بلاد البجة فقتل فيهم مقتلة عظيمة ، وضيق عليهم بلادهم ، وصار شجاً في حلوقهم ، حتى أدوا إليه الجزية استكفاً قاله ، وما أدوها لأحد قبله ، فكان لا يعرض لأحد من الناس بأذية لا ذمي ولا ملي ، وكان مسالماً للنوبة ، للعهد الذي لهم حتى بداله النوبي الأول الذي بالموضع المعروف بـ «بريس»^(١) فعطف عليه العمري ، وأجلاه عن دياره ، وحرق مدائنه ، وسبى منهم سبياً كثيراً ، حتى إنه كان الرجل من أصحابه يشتري الحاجة من البياع أو من البقال بنوبي أو بنوية ، لكثرتهم كانوا في أيدي أصحابه .

فلما التقى هو والعلوي كانت بينهما وقعة انهزم فيها العلوي ، وصار إلى ناحية أسوان^(٢) ، فعاث بها وأفسد ، وكتب يخبره إلى أحمد بن طولون فكتب إلى بهم بن الحسين يأمره بأن يصاعده في طلبه حيث قصد . فلما اتصل الخبر بالعلوي مضى هارباً إلى عيذاب^(٣) وركب البحر إلى مكة وتفرق عنه أصحابه ، فلما حصل بمكة بلغ خبره صاحب مكة فقبض عليه وحبسه عنده ، ثم حمله إلى أحمد بن طولون ،

(١) كذا ولعلها المرسية جزيرة في بلاد النوبة كبيرة كما في معجم البلدان وسميت قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد ينسب إليها بشر بن غياث المرسي العلامة المعتزلي المشهور
(٢) أ- وان بالضم : بلد صعيد مصر وعمله اليوم واسع وهو آخر ولايات مصر من الصعيد وأمدرياتها .
(٢) في معجم البلدان أنها بلدة على ضفة بحر القلزم أي الأحمر وهي مرسى المراكب التي ترقم من عدن إلى الصعيد . كانت ملتقى الحاج ودنرت في القرن العاشر وهي على البحر الأحمر جنوبي رأس أبو فاطمة على خط عرض ٢٢ درجة و ٢٠ دقيقة يقابلها من الغرب على النيل قرية أبو سنبل من مركز الدر الواقعة شمال بلدة حلفا على بعد ٦٦ كيلو متراً (من تعليقات النجوم الزاهرة)
• - ابن طولون

فلما وصل إلى مصر طيف به وشهر للناس على جمل ، واعتقله عنده مدة ،
ثم أظهر توبة ، فأطلقه وأحسن إليه ، وخرج إلى المدينة ومات فيها .
ولما وقف أحمد بن طولون على خبر العمري ، وشدة شوكته على
البيعة وغيرهم ، خاف من سوء العاقبة في أمره إن أغفله فأنفذ جيشاً
عليه قائد من قواده يعرف بشعبة بن خركام البابكي ، فلما قرب منه
خرج إليه العمري وقال لأصحابه: لا تعجلوا فإن هذا رجل أعجبي ،
وأنا أخاطبه بنفسي وأنظر ما عنده .

فخرج من عسكره ، وقال لمن قرب من عسكره شعبة : إني
أريد أخاطب الأمير قبل وقوع الحرب بيننا ، فعرف شعبة ذلك
فخرج إليه ، فلما قرب منه خرج إليه العمري بحيث يسمع بعضهم
كلام بعض ، فقال له العمري : إن الأمير أحمد بن طولون لم يبلغه
خبري على حقيقته ، وقد موّه عليه في أمري ، إني لم أخرج أبغي
فساداً ، وبدلك على ذلك أني لم أوذ مسلماً [ولا] معاهدأ ، وإنما
خرجت في طلب أعداء المسلمين حتى كفانا الله أمرهم ، فاكفف
يدك عن القتال حتى أكتب إلى الأمير ، أعزه الله ، وأكشف له
خبري ، وتكتب أنت أيضاً ، فإن قبل عذري ولم تثقل عليه وطأتي
وأمن جانبي ، كتب إليك بالكف والانصراف عني ، فانصرفت
معذوراً مشكوراً ، وإن أمرك غير ذلك امتثلت أمره غير ملوم ، فقال
له شعبة : لست أنا فيجأ^(١) لك أحمل كتابك ، ما بيني وبينك إلا

(١) الفيح : الحارس أو رسول السلطان الذي يسمي بين يديه والجمع فيوج

السيف . فقال له العمري : ما أنت بحمد الله شعبة الرجال ، بل أنت بلعبة النساء أشبه ، وما هذا الفعل السيئ والخلق القبيح إلا لمن هو كذلك .
ورجع إلى أصحابه وقال : هذا رجل جاهل أحق فدو نكم ، فعضفوا به وحملوا عليه ، فانهزم أقبح هزيمة ، وعاد [شعبة] إلى أحمد بن طولون فعرفه ما كان فقال : أخطأت وأسأت ، كنت قد أهملت ، وكتبت إلينا بخبره على صحته ، لنرى فيه رأينا ، لكنك بغيت عليه فنصر عليك وأهمل أحمد بن طولون أمره مدة ، فلما كان بعد شهر يسيرة وافى إلى أحمد بن طولون غلامان ^(١) زعما أنهما من غلمان العمري وأنهما أتياه برأسه ، فأستحضرهما الرأس فأحضراه ، فدعا بجماعة من أهل الصعيد ممن يعرف العمري فأراهم الرأس ، فعرفوه وشهدوا أنه رأس العمري لا يشكون فيه ، فقال للغلامين : كان صاحبكما مسيئاً إليكما ؟
قالا : لا ، قال : فكان يمنعكما رزقكما ؟ قالا : لا ، قال : فركب بحضرتكما إنما استحلتما به قتله ؟ قالا لا . قال : فلم قتلتماه ؟ قالا : لأننا أردنا بذلك الخطوة عند الأمير والقرب منه ، فقال : ذلك والله أبعد لكما مني ومن الله عز وجل ، وأمر بضرب عنقهما فضربت وصبحت جثتهما ، وأمر برأس العمري فغسل وكفن وطيب ودفن .

ثم ورد عليه الخبر بخروج رجل في الصعيد أيضاً يكنى أبا روح ^{خارجي في الصعيد} واسمه سكن من بوادي بحيرة الاسكندرية ذكر له أنه من بقايا

(١) في السكافة : صار إليه جماعة منهم يقاربون العشرة

أصحاب ابن الصوفي، والتفت به طائفة كبيرة، فقطع الطريق وأخاف السبيل، فوجه إليه قائداً من قواده يعرف بيلق الطرسوسي، وكان جل أصحابه طرسوسيين. وكان أبو روح هذا غلاماً عياراً قد ربي بالريف، وعرف طرقاتها والحرب فيها، فلما اجتمعوا للقتال أوقف أصحابه في أرض كثيرة الشقوق، حصيدة قح، قد بقي من تبته ما يستر شقوقه، وأهل الريف قد ألفوا المشي في هذه الأماكن، ولا عهد لأهل طرسوس بها، فلما التقوا تطارد أصحاب أبي روح لهم، وطلبتهم خيل بليق وفرسانه، فوقعت حوافر الخيل في تلك الشقوق فكسبت بفرسانها، وسقط بعضهم على بعض، فترجع أصحاب أبي روح عليهم قتل كل من سقط، وانهمزم من سلم أقبح هزيمة، فعاد بليق إلى مصر، فكان الذي لقي هو وأصحابه من غوغاء البلد وعطعتهم^(١) أعظم مما لقوه من الهزيمة وأهمل أحمد بن طولون أمره هنيهة إلى أن وافاه خبره من نواحي الفيوم، فأنفذ إليه قائداً من قواده يعرف بابن جيعويه، وأمره أن يأخذ على طريق الواحات من ناحية الصحراء، ليملك عليه فم البرية من هناك ففعل. ثم أمر شعبة بن خركام بالخروج إليه فخرج. وظن أصحاب أبي روح أن هذا كالأول فلم يهربوا منهم، وصافوه^(٢) بالابليز^(٣) الكثير الشقوق، فأقبل أصحاب شعبة ينادون: خذوا

(١) العططة: حكاية صوت الجبان إذا قالوا عيط عيط وذلك إذا غلبوا قوماً

(٢) صاف القوم القوم في القتال. صافة: وقفوا مصطفين

(٣) الابليز وطين الابليز طين. مصر وهو ما يقبه النيل بعد ذهابه عن وجه الأرض

حذر كم من الشقوق فحذروها وهم عليها ، وأخذوا عليهم نواحي طرفهم ،
فلما علموا أنهم قد فطنوا لهم ، وأن مكيدتهم قد بطلت ولّوا منهزمين ،
فلم يذهب منهم أحد إلا أخذه الذئب فقتل منهم خلق ، ومن استسلم
أسر ، وانهمز أبو روح وولّى يريد طريق الواح ، ولا ملجأ له غيره .
فلما أشرف على ابن جيغويه ، ورآه قد ملك فم البرية والطريق ، وقف
وراسله في الأمان ، فظن ابن جيغويه أن شعبة لم يلقه ، وأنه وافاه
قاصداً يطلب الأمان راغباً فيه ، فأمنه

ولما بلغ أحمد بن طولون ذلك اغتاض على ابن جيغويه غيظاً عظيماً ،
ومنعه من الرجوع إلى البلد ، وألزمه سكنى الريف شهوراً كثيرة ،
عقوبة له على إعطائه الأمان ، وكان قد تم له هلاك العدو بأخذه الطريق .
وبعث شعبة بالأسارى وفيهم رجل مخزومي ، وكان فيما زعموا
سيء المقدرة ردي الظفر ، فضربه أحمد بن طولون بالسوط ، وحمله على
جمل ، فمات في الطريق ، فمكث زماناً مطروحاً على رأس الجسر . وكان
فيهم رجل يهودي منجم ، فقال له أحمد بن طولون : أرأيت هذا في
نجومك ^(١) ؟ فقال : نعم قد رأيت ، ونصحت له فلم يقبل نصيحتي ،

(١) قال السيوطي في حسن المحاضرة : وفي أيام أحمد بن طولون تساقطت النجوم فراع ذلك
فسأل العلماء والمنجمين عن ذلك فما اجابوا بشي . فدخل عليه الجمل الشاعر وهم في الحديث فأنشد في الحال

قالوا تساقطت النجوم	م لحادثٍ فظي عسير
فأجبت عند مقالهم	بجواب محتك خبير
هذي النجوم الساقط	ت نجوم أعداء الأمير

فتناول ابن طولون بذلك ووصله .

فأمر به فقطعت يده ورجلاه وُصَلب حياً ، مقابلاً للمخزومي حتى مات

مياج اهل بركة

ثم هاج بعد أبي روح أهل بركة، ووثبوا بأمرهم محمد بن فروخ^(١) الفرغاني، وأخرجوه عن البلد، فأنفذ إليهم أحمد بن طولون أبا الأسود الغطريف ويزبك الفرغاني، وكان من حجابيه، وهو صاحب الرحبة المجاورة لدور الماذرائيين المسماة به، في جيش عظيم، وبعث إليهم أيضاً مراكب مشحونة رجالاً وسلاحاً وبمجنيق، وأتبعهم بجيش آخر عليه لؤلؤ غلامه. فلما فصل لؤلؤ أتبعه أيضاً جيشاً آخر عليه شعبة بن خركام، وأمر رئيس كل جيش منهم بالتوقف والتساند وبذل السلامة والأمان، إن قبيل، وتقديم المعذرة وترك العجلة، فإن أجابوه وإلا السيف.

ولبرقة حصن منيع، فترك الغطريف يربك على أحد أبوابه، وترك لؤلؤ أعلى باب آخر، واستعملوا الرفق كما أمروا، فأمنوا بذلك، وأطعمهم^(٢) اللين، ففتحوا الباب الذي عليه الغطريف ليلاً وأوقعوا بعسكره. فلما وقعت الصيحة تسرع الغطريف، وقائد معه يعرف بدعباش وابن لفروخ يعرف بإسرائيل، فقتلوا جميعاً في المعركة، وأصبح عسكر أبي الأسود بلا رئيس، فانضم أهله إلى عسكر لؤلؤ، فكان تسرع الغطريف تسرع باسل لزمه فرض وطمع في

(١) في رواية: فرج بدل فروخ

(٢) اطعم اهل الحصن

الظفر وعجل ، ولو تثبت وكان في أجله تأخير لم يقتل . كما روي عن هشام بن عبد الملك أنه قال لأخيه مسلمة : أذهلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ فقال : ما سلمت في ذلك من ذعر بيته على حيلة تكون معها السلامة ، وما غشيني قط فيهما ذعر سلبني رأبي . فقال له هشام :
هذه المقالة

وروي أن عمر بن الخطاب أمر الأحنف بن قيس على جيش وجه به نحو خراسان ، فلما قربوا منهم فرقوا جيشهم ثلاث فرق ، وأقبلوا تدلهم طبولهم على السبيل ، ففرغ الناس ، فأول من ركب الأحنف فخرج وهو يقول :

إِنَّ عَلَى كُلِّ رَيْسٍ حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا

وحمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحابه ضرب الطبل ولوا منهزمين ، وفعل في الفريقين كفعله في الأول ، فتكامل ركوب الناس ، وقد فرغ لهم الأحنف مما أرادوا فتبعوهم ، فكانوا بين قتلى وأسرى .

وأراد الغطريف أن يصنع هكذا ، فخاذه التمدار ، ولكل ميتة سبب . فقال أصحاب الغطريف : ما ننتظر ؟ إن لم نناهضهم وإلا عملوا كل ليلة مثل هذا .

فكتب لولؤ إلى مولاة بجملته الخبر ، وما يعمل وما فعلوه ، فكتب إليه يأمرهم بقتالهم ويقول : قد أحسنتم في توقفكم ، وأنتم الآن

تُصرون بمشيئة الله وعونه ، فباكرهم لؤلؤ طالباً لثأر صاحبه كما
قال الشاعر :

إذا ما وترنا^(١) لم ننم عن تراتنا^(٢) ولم نك أوغالا^(٣) نقيم البواكيا
ولكننا نترجي الجياد شوأزبا^(٤) فترمي بها نحو الترات المراميا
وعباً عسكريه ، ونصب منجنيقاته ، وزحف إلى الحصن ، فلما جد
بهم القتال وأخذتهم الحجارة والنشاب ، صاح بعضهم وطلب الأمان ،
وفتحوا له الباب ، ودخلوا عليهم ، وقبضوا على جماعة من رؤسائهم
فضربهم بالسوط ، وقطع أيدي جماعة منهم ، وصلب منهم طائفة ،
وكتب إلى مولاه بالفتح .

ووصل شعبة إلى لؤلؤ بعد الفتح ، فاستخلفه لؤلؤ على البلد ، ودخل
إلى الفسطاط ، وحمل معه جماعة من الأسرى ليرى مولاه فيهم رأيه ،
فلما وصل إلى الجيزة بعث إليه مولاه بالخلع وبطوقين حسنين ثقيلين ،
فلبس الخلع والطوقين ، وحمل الأسرى بين يديه ، وطاف بهم البلد ،
فسكنت رهبة أحمد بن طولون في صدور الناس ، حتى كان
يُفزع الصبيان [و] الأطفال .

ومن إقباله أن المعتمد لما أنفذ أبا أيوب على الخراج ، وكتب
إلى أحمد بن طولون في استحاثاته على حمل الأموال ، وإدرار الحمل

تقليد ابن طولون
الخراج والموتة
بمصر والتفوق

(١) وترت الرجل : قتلت جميعه فأفردته منه وطلب وتره وترته وهو طلاب الأوتار والترات
(٢) الوغل : الضعيف النذل الساقط المقصر في الأشياء . (٣) ترجي : نسوق . الشواذب : الضوامر .

إليه ، أجاز المعتمد بقول : إنه لا يستتر ما أحمله من الأموال عن
الأولياء ، ولا يخفى عن الموالي والمطالبين به ، وفيه تأخير كبير من
أرزاقهم ، ولا يتهاون أيضاً إدراج الحمل والمتابعة به والخراج إلى غيرهم .
فأنفذ المعتمد نفيساً الخادم إليه ، بتقليده الخراج مع المعونة بمصر
والثغور الشامية ، ووجه مع نفيس بصالح بن أحمد [بن حنبل] ،^(١)
وكان على قضاء الثغور ، وبمحمد بن محمد الجذوعي^(٢) ، وكان على
قضاء واسط ، على أن يحمل ماجرى الرسم بحمله من المال والطرز^(٣)
وغير ذلك .

فأخرج أحمد بن طولون شيوخ مصر ووجهها إلى العراق ،
مدح وفد مصر لابن طولون
يشكرون سيرته فيهم ، وضبطه لبلدهم ، وأنفذ معهم أصحاب أخبار
من حيث لا يعلمون بهم ، يحصون عليهم ما يكون من واحد واحد ،
ويُنهونه إليه عند عودتهم ، فعادوا ولم يعرف سيئتهم ، فشكر لهم
ذلك وأحسن برهم ، وزادت محبته لهم .

وأقر أحمد بن طولون أبا أيوب على الخراج من قبله ، وجعل
تدبيره الخراج واستقاطه المملوك
عبد الله بن دشومة أميناً عليه ، وجعل نعيماً المعروف بأبي الذؤيب
عيناً عليهما ، وقد الأملاك لسليمان بن ثابت المعروف بأبي ريشة ، وكان
عبد الله بن دشومة منهم ، واسع الخيلة ، بخيل الكف ، لم يكن يعينه

(١) ترجمته في طبقات الخنابلة لابن الفراء (٢) ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي .

(٣) الطراز بكر الطاء : الثياب الجيدة .

غير بخله وزهده في شكر الشاكرين ، ويرى بجهله وما حرمه الله عز وجل من اصطناع الجميل ، أن الثناء حيلة من حيل القاصد على المقصود ، ولا يهش إلى شيء من أعمال البر ، ففقته الناس على ذلك وكثر به الدعاء عليه ، وكان فيه مع هذا الشر سعاية .

وكان أحمد بن طولون رقيباً على نفسه يتصدق في أثر الإساءة ، إذا جرت منه إلى إنسان ، بالصدقات الجزيلة ، ويتضرع إلى الله جل اسمه في تمحيص ما جناه ، فكان بذلك يوقى ويكفى وينصر ^(١) .

ولما ورد عليه كتاب المعتمد ، بما استدعاه من ردّ الخراج بمصر إليه ، وزاده المعتمد مع ما طلب خراج الثغور الشامية ، رغب بنفسه عن أدناس معاون ومرافقها ، فرفضها وأمر بتركها ، وكتب بإسقاطها في سائر الأعمال ، ومنع المتقبلين ^(٢) من الفسخ على المزارعين ، وحظر الارتفاق ^(٣) على العمال .

وكان قبل إسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله بن دشومة في ذلك ، فقال له : إن أمّني الأمير تكلمت بما عندي . فقال له : قد أمّنتك الله عز وجل مني فقل ، فقال : أيها الأمير إن الدنيا والآخرة ضرّتان ، فالحازم من لم يخلط إحداهما مع الأخرى ، والمفرّط من خلط بينهما ،

(١) روى ابن تفردي في النجوم الزاهرة أن جميع خصال ابن طولون كانت محمودة ، إلا أنه كان حاد الخلق والمزاج . فانه لما ولي مصر والشام ظلم كثيراً وعسف ، وسفك كثيراً من الدماء . يقال انه مات في حبه ثمانية عشر ألفاً . (٢) قبل العامل العمل تقيلاً : التزمه بقصد (٣) الانتفاع والاكتساب

فيتلف أعماله ويبطل سعيه . وأفعال الأمير أيده الله أفعال الخيرة ،
وتوكله توكل الزهاد ، وليس مثله ركب خُطة لم يُحكمها ، ولو
كنا نثق بالنصر دائماً طول العمر ، لما كان شيء آثر عندنا من التضيق
على أنفسنا في العاجل بعارة الآجل ، ولكن الإنسان قصير العمر ،
كثير المصائب ، مدفوع إلى الآفات ^(١) فترك الإنسان ما قد
أمكنه وحصل في يده تضييع . ولعل الذي حماه نفسه يكون
سعادة لمن يأتي بعده ، فيفوز ذلك بما قد حرمه هو .

ويجتمع للأمر أيده الله مما قد عزم على إسقاطه من المرافق في السنة
بمصر دون غيرها مائة ألف دينار ، وإن فسخ ضياع الأمراء والمتقبلين
في هذه السنة ، لأنها سنة ظلم توجب الفسخ ، وألزمت القصة ^(٢) الاثنين
زاد مال البلد وتوفر توفراً عظيماً ينضاف إلى مال المرافق ، فضبط به
الأمير أيده الله أمر دنياه ، وهذه طريقة خدمة الدنيا ، وإحكام أمور
الرياسة والسياسة فيها ، وكل ما عدل إليه الأمير أيده الله من غير هذا
فهو مفسد لدنياه ، وهذا رأيي والأمير أيده الله أعلى عيناً وما يراه ^(٣) .
فقال له : ننظر في هذا إن شاء الله ، وشغل قلبه كلامه ، فبات في
تلك الليلة بعد أن مضى أكثر الليل يفكر في كلام ابن دشومة ،
فرأى في منامه رجلاً من إخوانه الزهاد بطرسوس ، وهو يقول له :
ليس ما أشار به عليك من استشرته في أمر الارتفاق والفسخ برأي

(١) في ابن الداية : مرعي بأغظ الآفات . (٢) قصة الملكة : حاضرته الكبرى

(٣) في ابن الداية : على رأي فيما يراه وفي القرزي : على ما عساه يراه

تحمده عاقبته فلا تقبله ، ومن ترك شيئاً لله عز وجل عوضه الله عنه ،
فأَمْضِ ما كنت عزمته عليه .

ولما أصبح ابن طولون أنفذ الكتب إلى الأعمال بذلك ، وتقدم
به في سائر الدواوين ، وأمضاه ودعا بابن دشومة فعرفه ذلك فقال له :
قد أشار عليك رجلان أحدهما في اليقظة ، والآخر ميت في النوم ،
وأنت للحَيِّ [أوجد] ، وبضمانه أوثق ، فقال : دعنا من هذا فلست
أقبل منك ، وركب في غد ذلك اليوم إلى الصيد .

عُور ابن طولون
على كثر
فلما أمعن في الصحراء ساخت في الأرض يد فرس بعض غلمانها ،
وهو رمل ، فسقط الغلام ، لنزول يد الفرس كلها في الرمل ، فوقف
عليه أحمد بن طولون وأخرجت يد الفرس ، فنظر فإذا بفتق
فتتح ، وأصاب فيه من المال ، [ما] كان مقداره ألف ألف دينار ، وهو
المطلب ^(١) الذي شاع خبره ، وكتب به إلى العراق ، وكتب أحمد
ابن طولون بخبره إلى المعتمد ، يستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر
أو غيرها مما يأمره به . فكتب إليه المعتمد يأمره بأن يصرفه في وجوه
البر ، فبنى منه البيمارستان . ثم أصاب بعده في الجبل مالاً عظيماً فبنى
منه الجامع ، وأوقف جميع ما بقي من المال في الصدقات ، فكانت
صدقاته ومعروفه لا تحصى كثرة ، بنية قوية ، وشهوة شديدة .

(١) في خطط المقرئ: الكثر بدل المطلب .

ولما انصرف أحمد بن طولون من الصحراء وحمل المال أحضر ابن مصير ابن دشومة دشومة وأراه المال وقال له : بسّ الصاحب والمستشار أنت ، هذا أول بركة مشورة الميت في النوم ، ولولا أنني أمتك لضربت عنقك . وتغير عليه أحمد بن طولون وسقط محله عنده ، ورفع إليه بعد ذلك أنه قد أبحف بالناس ، وألزمهم أشياء ضجوا منها ، فقبض عليه وأخذ ماله وحبسه فمات في حبسه .

ومن أفعاله خبره مع موسى بن بغا ، وذلك أنه زاد أمر صاحب البصرة واستفحل ، وكان ابتداء خروجه في سنة أربع وخمسين ومائتين ، أنفذ المعتمد رسولا في حمل أخيه المسمى بالموفق من مكة إليه ، وكان المهتدي قد نفاه إليها ، فلما وصل إليه عقد العهد بعده لابنه المفوض وله من بعده ، ولقبه بالموفق ، وقسم المملكة بينه وبين ابنه المفوض ، كما فعل الرشيد في أمر ابنه ، فجعل غرب المملكة لابنه المفوض ، وشرقها لأخيه الموفق . وكتب بينهما بذلك كتاباً ارتهن فيه أيمانها بالوفاء ، بما وقعت عليه الشروط على كل واحد منهما وله ، وضمن ذلك العهد الثابت في الشرط كل ما يخاف من مثله في العاقبة . والمعتمد ما يعلم [ما] في طوية الموفق ولا في سرّه ، وكان يحسد أخاه على الخلافة فلا يراه أهلاً لها ، ويطعن عليه ، وينقص من أمره جداً .

اقسام الدولة
العباسية شطرين

ضعف الخليفة
وتشاغله بذياته

ولما جعل العهد لابنه ، ولقبه المفوض ، وجعله هو بعده ، اشتد ذلك عليه ^(١) ، وقوي بغضه لابنه ، وزاد حقه على أخيه المعتمد ، واعتقد فيه ، متى ظفر بالأمر ، التشفي منه ، وبلوغ كل مكروه به ، وكان ، لعمرى ، المعتمد بالله منحلّ الأمر جدّاً ، لأنه كان رجلاً متشاغلاً بملاذ نفسه ، وطيبة عيشه بالصيد واللعب ، والتفرد مع الجوارى ، فكانت الأمور ضائعة ، والتدبير فاسداً ، وكل متقلد لعمل قد فاز بما يتقلده ، ففعل كفعلة [الرشيد] بابنيه المأمون ومحمد بن زُبيدة ، احتياطاً وإشفاقاً عليهما ، ولم يعلم أن ذلك كان منه لثقتة بابنيه على نفسه وحاله ، فقدّر ذلك في أخيه وولده ، ولم يعلم ما في ضميره له ، وأنّه يخرج عن طاعته ، ولا يشكر جميله عنده .

استطرد
في فضل المأمون
على الأئمة

وإنما وقع الخلاف بين محمد بن زُبيدة وبين المأمون لتقص محمد عن محل المأمون في نفسه وشجاعته وفضله في كل فن من سائر العلوم . ولقد عاتبت زُبيدة الرشيد على تفضيله المأمون على ابنها فقال لها : الساعة أبين لك فضل كل واحد ، فوجه إلى ابنها ، وقد مضى من الليل وقت ، يدعوه إليه ، فوافاه وعليه ثياب المنادمة مبخرّاً مطيباً فقال له : اشتقت إلى رويتك فسقاه بيده قدحاً ، ووهب له من جوهر كان بين يديه جوهرة واحدة حسنة وصرفه . ووجه إلى المأمون يدعوه فأبطأ ، ثم سمع بعد ذلك للدار ضجة عظيمة ، وجلبة هائلة ، ثم

(١) اي على الموفق .

دخل إليه وعليه صدره السلاح بجوشنه وخوذته^(١) وآلة الحرب ،
 وعرف الرشيد بأن الجيش قيام له في السلاح فقال له : ما هذا ؟ فقال :
 خفت أن يكون قد حدث حادث احتاج أمير المؤمنين إلى إنفاذي
 فيه فجيئت مستعداً فقال له : بارك الله عليك ، إنما اشتقت إليك
 انصرف مصاحباً ، ووهب له جميع الجوهر . وقال لها : كيف رأيت ؟
 فأمسكت عن المأمون .

وكان في الشرط الذي كتبه المعتمد بين الموفق وابنه أنه ما حدث
 في عمل كل واحد منهما من حدث ، كانت النفقة عليه من مال خراج
 قسمه ، واستخلف الفوض على قسمه موسى بن بقا ، فاستكتب موسى
 عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وانفرد الموفق بقسمه ، ونقدم إلى كل
 واحد منهما ألا ينظر في عمل صاحبه ، وخلد كتاب الشرط للكعبة ،
 وأفرد الموفق لمحاربة العلوي البصري ، وأخرجه إليه وقواه ، وضم
 إليه الجيوش ، فلما كبر عليهم أمر العلوي البصري ، وطالت محاربتة ،
 انقطعت مواد خراج الشرق عن أبي أحمد الموفق ، ونقاعد الناس عن
 حمل المال الذي كان يحمل ، واحتجوا في ذلك بأشياء ، منها خروج
 العلوي ومالهم منه ، وأخذ من أموالهم ، ومنها خوفهم من أن يؤخذ
 ما يحملونه في الطريق ، لكثرة أصحاب العلوي وانتشارهم في الطرق ،
 ومنهم من يتربص بالحمل لينظر كيف تكون الأمور ، وإن يصح الأمر .
 فدعت أبا أحمد الموفق الضرورة إلى أن كتب إلى أحمد بن طولون

(١) الجوشن : الصدر والدرع ، والخوذة : المقر .

عصر ابن طولون
 السامري في صيغ
 عصر الامين

ارتباك الموفق
 واضافته
 الشرط في الكعبة

في حمل ما يستعين به على أمره ، وليثبت من صدق عمله ، إلا أنه شكا في كتابه شدة حاجته إلى المال لما هو بسبيله ، وأنفذ إليه حمل المال نحريراً خادماً المتوكل ، وورد في عقب الكتاب إليه كتاب من المعتمد ، بأمره بحمل المال إليه على رسمه ، مع ماجرى الرسم بحمله مع المال في كل سنة من الطراز والرقيق والحليل والشمع والخيش وغير ذلك .

وكتب إليه [المعتمد] سرّاً أن الموفق إنما أنفذ نحريراً الخادماً إليك رسول الموفق
إلى ابن طولون
وتحذير المعتمد له
عيناً عليك ، ومستقصياً على أخبارك ، وأراه أنه قد كاتب بعض أصحابك فاحترس منه ، واحمل المال إلينا معه ، لئلا تقوى يد الموفق به ، وعجل إنفاذه من حضرتك .

ولما وافى نحرير أنزله أحمد بن طولون في دار معه في الميدان ، ومنعه من الركوب إلى موضع من المواضع ، ولم يمكنه الخروج من الدار التي أنزله فيها ، إلى أن أخرجه من البلد ، وتلطف في الكتب التي كانت معه فأخذها ، وحمل معه ألف ومائتي ألف دينار^(١) ،

(١) في العقد الفريد لابن طلحة الوزير : وكان ابن طولون من محبته للعدل وإقامته وتأيدته الحق وسلوك طريقته ، يميل إلى كل من كان ذلك من صفته ، ويقرب إليه من علم التحقيق من خليفته ، حتى أنه في بعض الأيام أراد أن يجعل ما اجتمع من المال إلى حضرة الخليفة فأحضر القاضي ومعه المدول بحيث يشهدون على القاضي ، فكتب الشهود خطوطهم ، وقد عاينوا المال ، وكان مبلغه ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار ، فلما بلغ الكتاب إلى سليم وهو بعض الشهود التفت إلى الخادم من يده وقال : أيها الأمير لست أشهد حتى يوزن المال بحضرتي ، فضاظه ذلك منه ، لتأخر الانفاذ ، ثم قال للوزاين : زنوه ، فلما فرغوا من وزنه قالوا : أشهد قال بقي لي النقد فعدا بالنقاد فنقده ، وسليم جالس معهم حتى فرغ وختمت الأكياس ، وتسلمها حاملها ، فكتب شهادته وانصرف . فقال ابن طولون : مثل هذا ينبغي أن يعتمد عليه ويبال إليه فإن من لا دين له لا أمانة له ، ومن لا أمانة فيه بدير بالآباد ، وألا يولى شيئاً من أمور المسلمين . وكانت هذه الحالة سبباً لتفريه سليم واعتماده عليه وتفويض أموره إليه .

وجمل جميع ما جرى الرسم بحمله ، وخرج بنفسه ، وأخرج معه
العدول ، حتى شيعه إلى العريش ، ووجه إلى صاحب ماجور بالعريش
فأحضره وسلمه والمال إليه ، وأشهد عليه بذلك العدول ، وعاد إلى
مصر ينظر في الكتب ، فإذا هي إلى جماعة من قواده ، يضرّتهم
عليه ، ويستميل قلوبهم إليه ، لما كان في نفسه عليه من قوة موالاته
للمعتمد ، وصحة طاعته له .

وكانت قد قويت شوكة الموفق بن ضمه إليه المعتمد من الجيوش
والعدة لمناوأة العلوي البصري^(١) . فمن كان كتابه إليه جواباً
عن كتابه كان إليه بدر الحميفي ، وهو صاحب القيسارية الوفائية التي
تعرف بقيسارية بدر ، وإليه كانت ضياع أبي أحمد بن المتوكل والطراز
والخيم وصناعتها ، وكان من وجوه غلامه و كبارهم ، فضربه بالسوط
حتى مات . ومنهم أحمد بن عيسى الصغدّي ، وكان من أجلاء أصحابه ،
فضربه أيضاً بالسوط ، وحلق رأسه ولحيته ، وطاف به البلد ، وحبسه
في المطبق ، وكان إحسانه إليه وعليه فما شكر ذلك وكفره .

ولما وصل المال كتب أبو أحمد الموفق إلى أحمد بن طولون
كتاباً يستصغر فيه المال ، ويقول : إن الحساب يوجب أضعافه ،
يهدده ويتوعده

(١) قال القاضي : ان المعتمد على الله جعل ابنه جعفرأ ولي عهده ولقبه المنوف الى الله ،
وجعل اليه المغرب ، وغلّب الموفق على الأمر وقام به أحسن قيام ، ومال الناس اليه ، وكان
مشغولاً بقتال علي بن عماد صاحب الزنج المعروف بطوي البصرة .

صولون لمراد بن أبي البركات

الاصغر بن

كتاب احمد بن
طولون الى الموفق
يهدده ويتوعده

وبسط لسانه فيه ، والتمس من أصحابه من يخرج متقلداً عمله ، فأعوزه ذلك ، لما كناقذ ذكرناه من ملاطفة أحمد بن طولون لوجوه أهل الدولة الذين يندب أحدهم لمثله . وكتب بذلك إلى أحمد بن طولون أصحاب أخباره ، فلما قرأ أحمد بن طولون كتاب الموفق قال : وأي حساب بيني وبينه ، أو حال توجب مكاتبتي بمثل هذا وغيره ؟ وأجابه جواباً نسخته ^(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصل كتاب الأمير أيده الله وفهمته ، وكان أسعده الله حقيقاً بحسن التخير له في اختياره مثلي ، وتصويره إياي عمدة التي يعتمد عليها ، وسيفه الذي يصول به ، وسنانه الذي يتقي الأعداء بجمده ، لأنني دأبت في ذلك ، وجعلته وكدي ، فاحتملت الكلف العظام ، والمؤن الثقال ، باجتلاب كل موصوف بشجاعة ، واستدعاء كل ممنوعت بغنائ وكفاية ، بالتوسعة عليهم ، وتواصل الصلوات والمعاون لهم ، صيانةً لهذه الدولة ، وذباً عنها ، وحسماً لأطماع الشائئين لها ، والمنحرفين عنها . وكان من هذه سبيله في الموالات ، ومجمله في المناصحة ، حرياً أن يُعرف له حقه ، ويوفر من الأِعظام قدره ^(٢) ،

(١) ورد هذا الكتاب في كتاب ابن الداية اطول مما جاء في نسخة الأصل هذه ، ورأينا فيه اسجاعاً وافاضة لانسكاد تؤثر في شيء . مما صدر عن ديوان ابن طولون ولذلك اعتدنا على نسخة كتابنا وأشرنا هنا الى بعض ما عساه يفيد من التطويل هناك وصلحنا نصنا على ذلك النص عند الاقتضاء الشديد .

(٢) في كتاب ابن الداية وردت هذه العبارة هكذا : ويوفى من الاعظام والاكرام نصيبه ، ويسطي من التقديم والايثار قسطه ، ولا يجمل حظ فيما يثاب به الأُولياء ، ويجازى به الصحباء ، —

ومن كل حال جليلة حظه ومنزلته ، فعوملت بضد ذلك من المطالبة
بجمل المال مرة ، والجفاء في المخاطبة أخرى ، بغير حال توجب ذلك .
ثم أكلف على الطاعة 'جعلاً' ، وألزم للمناصحة ثمناً ، وعهدي بمن
استدعى ما استدعاه الأمير من طاعته يستدعي ذلك بالبذل والإعطاء ،
والإرغاب^(١) والإرضاء والإيكرام ، لا أن يكلف ويحمل من
أطاعه مؤونة ونقلًا ، على أنني لا أعرف السبب الذي ينتج الوحشة ،
ويوقعها بيني وبين الأمير أيده الله ، ولا ثمَّ معاملة توقع مشاجرة ،
أو تحدث منافرة ، لأن العمل الذي أنا بسبيله لغيره ، والمكاتبة في أموره
إلى سواه ، [ونقليدي ليس من قبله ولا ولايته]^(٢) ، فإنه والأمير
جعفر المفوض أيدهما الله قد اقتسما الأعمال ، وصار لكل واحد منهما
قسم قد انفرد به دون صاحبه ، وأخذت عليه البيعة فيه ، أن من
نقض عهده ، أو خفر ذمته ، ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه ،
فالأمة بريئة من بيعته ، وفي حل وسعة من خلعه . والذي عاملني به
الأمير من محاولة صرفي مرة ، وإسقاط رسمي أخرى ، وما يأتيه
ويسومنيه ، ناقض لشرطه ، مفسد لعهد . وقد التمس أوليائي ،

المرزوق
المرزوق

— من أموال تحمل اليهم ، وصلات واقطاعات تخرج لهم ، مما جعل الأمير أعزه الله حظي من
مثوبته ، ونصبي من بره وتكرمه ، مما لا يزال الأمير أيده الله يقصدي به من المكروه ،
ووثابه علي وعلى علمي من انتديير ، ويلتمسه مني من حمل المال والمعاون ، حتى كافي اكلف على
الطاعة جعلاً ، وألزم للمناصحة ثمناً .

- (١) رغبه فيه وأرغبه : جعله يرغب وارغب الله قدرك وسعه واجد خطوه .
(٢) هذه الجملة وردت في الاصل وفي المرزوقي (ولا انا من قبله) .

وأكثروا عليّ الطلب ، في اسقاط اسمه ، وإزالة رسمه ^(١) ، فاترت
الابقاء وإن لم يوثره ، واستعملت الأناة إذ لم تستعمل معي ،
ورأيت الاحتمال والكظم ، أشبه بذوي المعرفة والفهم ، وأدنى إلى
الظفر والنصر ، فصبرت نفسي على أحرّ من الجمر ، وأمرّ من الصبر ،
وما لا يتسع له الصدر . والأمير أيده الله أولى من أعاني على
ما أوتره من لزوم عهده ، وأتوخاه من تأكيد عقده ، بحسن العشرة
والإنصاف ، وكشف الأذى والمضرة ، ولا يضطرنني إلى ما يعلم
الله عز وجل كرهني له ، وإلى أن أجعل ما قد أعدته لحياطة
الدولة من الجيوش المتكاثفة ، والعساكر المتضاعفة ، التي قد ضرّست
رجالها من الحروب ، وجرت عليهم محن الخطوب ، مصروفاً إلى نقضها ،
فعدنا وفي حيزنا من يرى أنه أحق بهذا الأمر وأولى من الأمير .
ولو آمنوني على أنفسهم فضلاً عن أن يرجعوا مني إلى ميل لهم ، أو قيام
بنصرتهم ، لاشتدت شوكتهم ، ولصعب على السلطان معاركتهم ،
والأمير يعلم أن بإزائه منهم واحداً قد أبرّ عليه ، وفض كل جيش
أنهض إليه ، على أنه لا ناصر له إلا لفيف البصرة ^(٢) وأوباش

(١) في ابن الداية زيادة هذه الجملة : عند مصير الحارثيين من العراق ، إلى حيث صاروا
إليه من نواحي عملي ، ومحاولتهم البيث والافساد فيه .

(٢) الغالب أن الإشارة إلى أن صاحب الزنج وإن كان جيشه من رعايا البصرة ومن مائلهم
فهو يطلب ما يرسل إليه من الجيوش ، بخلاف أحمد بن طولون وما روي من جيوش يمتد عليها .

عامتها ، فكيف بمن يجد ركنًا منيعًا ، وناصرًا مطيعًا ، ومامثل الأمير
في أصالة رأيه قصد المائة ألف عنانُ عِدَّةٍ له فجعلها عِدَّةً
عليه ^(١) بغير ما سبب أوجب ذلك . فإن يكن من الأمير إعتاب
أورجوع إلى ما هو أشبه به ^(٢) وأولى ، وإلا رجوت من الله عزوجل
كفاية أمره ، وحسم مادة شره ، وإجراءنا في الحياطة على أجمل
عاداته عندنا ، والسلام .

فلما وصل الكتاب إلى الموفق ألقاه ، وبلغ منه مبلغاً عظيماً ،
وأغاظه غيظاً شديداً ، فأحضر موسى بن بُغا ، وكان موسى هذا عول
الدولة ، وأشد أهلها بأساً وإقداماً ، فتقدم إليه في صرف أحمد بن
طولون عن مصر وتقليدها ماجوراً فامثل ذلك ، وكتب الماجور كتاب
التقليد وأنفذه إليه ، فلما وصل إليه الكتاب توقف عن إيصاله إلى
أحمد بن طولون ، لعجزه عن مناهضته .

ارسال الموفق
العالم للضرب على
أيدي ابن طولون
واستعداد هذا
وتحصنه

وخرج موسى بن بُغا عن الحضرة مقدرًا أنه يدوس عمل المفوض
الذي فيه تقض الشرط ، لما قويت به يد الموفق ، باستيلائه على الأمر ،
وطاعة الجيوش بأسرها له ، فلم يكن له مخالف غير أحمد بن طولون ،
وقصد بمشارفته الأعمال ، حمل الأموال منها ، وكتب إلى ماجور

(١) البارة في ابن الداية هكذا : فجعلها عدة عليه من غير ان يتجسم لها تقلالاً ، ويمثل
بسيها مؤونة وغرمًا .

(٢) في ابن الداية : اشبه بفضل .

وإلى أحمد بن طولون ، لما علم توقف ماجور عنه ، في حمل مال أعمالها ،
وعزم على أن يقصد مصر ، لما علمه من قصور حال ماجور عنها ،
ليتسلمها ويستخلف ماجور عليها ، ويعود إلى الحضرة ، وخرج حتى
بلغ الرقة ، واتصل ذلك بأحمد بن طولون فأقلقه ونمّه وبلغ منه ،
لا لأنه يقصر عن موسى ، لكن لتحمله هتك الدولة ، وأن
يأتي ما يكون سبيله فيه سبيل من قاوم السلطان وكسر جيشه ،
فعمل على محاربة موسى ، وتأمل البلد فعلم أنه لا يفتح إلا من جهة
نيله ، فأراد لكبر همته و [كثرة] فكره في العواقب ، أن يبني
حصناً ^(١) على الجزيرة التي بين الفسطاط والجزيرة ، ليكون معقلاً
لحرمه لكثرتهم كانوا ولدخائره ، ويستعمل بعد ذلك لحرب
من يأتيه وقد زال فكره فيما سواه مما يشغل قلبه ، وأمر ببناء

(١) قال القضاعي انه بناء سنة ثلاث وستين ومائتين ليجرز فيه حريمه وماله وانه اتخذ مائة
مركب حربية سوى ما يضاف اليها من المشاربات وغيرها وذكر اياتاً لمحمد بن داود نال بها من
احمد بن طولون وهي :

لما نوى ابنُ بنا بالرتين ملا ساقيه ذرقاً الى الكعيبين والعقب
بني الجزيرة حصناً يستجن به بالعسف والضرب والصناع في تمب
وواب الجزيرة التصوى فخذقها وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راكدة فا سوى القار للنظار والحشب
ترى عليها لاس الدال مذ بنيت بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فا بناها لغزو الروم محتباً لكن بناها غداة الزوع للهرب

فلنا ويظهر ان محمد بن داود هذا كان من الشعراء الذين توفروا على هجو ابن طولون ، فان
له مقطوعات غير هذه في هجوه ذكر بعضها الكندي صاحب تاريخ مصر وولاتها .

الحصن على الجزيرة، واتخذ مائة مر كب عربية كباراً ومائة مر كب
حرية سوى ما يضاف إليها من العلابيات والحمام والعشاريات
والسناديل وقوارب الخدمة، وعمل على سد وجه البحر الكبير و[أن]
يمنع ما يجيء إليه من مراكب طرسوس وغيرها بنقض مراكبه،
ويكون ما فيها يذب عن هذه الجزيرة، وعمل على أن ينفذ إلى
الصعيد وأسفل الأرض^(١) فيمنع من حمل الغلات إلى البلد، ليمنع
من يأتي من البر بالميرة .

فأقام موسى بن بُغا بالرقّة عشرة أشهر، فاضطرب عليه أمر
الأتراك، وطالبوا بأرزاقهم مطالبه عظيمة، استتر منها كاتبه عبيد الله
ابن سليمان، لتعذر المال عليه، وخوفه على نفسه منهم . فلما تبين
موسى بن بُغا عظيم ما جرى ويجرى دعتة الضرورة إلى الرجوع إلى
الحضرة، فرجع وأقام بها شهرين واعتلّ ومات في صفر سنة أربع
وستين ومائتين . ومات عبيد الله بن خاقان في هذه السنة .

وكان أحمد بن طولون مجدداً في بناء الحصن على الجزيرة، وقد أزم
قواده وثقاته أمره، وفرقه قطعاً، وأزم كلاً منهم قطعة يكف نفسه
بالفراغ منها، ويتعاهد هم هو بنفسه في كل يوم يشرف عليهم، ولا يعلم
أن الله عز وجل قد كفاه وأغناه عما يعانيه، وما يشك أحد أن كل
طوبه بُنيت فيه تقوم على أحمد بن طولون بدرهم صحيح .

(١) يريد أسفل الأرض ما نطلق عليه اليوم الوجه البحري وكانوا يطلقون أعلى الأرض

على ما نعرفه لهدنا باسم الصعيد .

ولما اتبعت الأخبار بموت موسى بن بغا كُف عن البناء وُثِدَقَ
بمال كثير لما وهبه الله جل اسمه له من صيانتها عما تُبَح فيه عنه
الأحدوثة ، وما رأى الناس شيئاً كان أعجب من ذلك الجد العظيم في
البناء ، ومباكرة الصناعات في السحر ، حين يخرجون من منازلهم في كل
يوم ، حتى انقطع ذلك فلم ير أحد من الصناعات أحداً يطلبه ، فكان
كأنه نار صب عليه ماء فخمِد من وقته ^(١) ، ووهب للصناعات كل
ما كان سلفاً عليهم . .

قضاء ابن طولون
على أعدائه

وقبض أحمد بن طولون من وقته على أحمد ^(٢) المدائني صاحب موسى
ابن بغا ، وكان بمصر يتقلد ضياع صاحبه بها التي أقطعه السلطان إياها ،
وكان رجلاً ترفاً غدياً نعمة ، وكان مبدئاً ^(٣) ، فمضى راجلاً إليه ،
كما مشى شقيراً صاحب البريد ، وكان يوم شديد الحر ، وكان أحمد
ابن طولون يحقد عليه خلافاً كان له كبيراً فيما كان يحاوله ، ولأنه كان
صاحب موسى بن بغا ، وكان لثقتهم بصاحبه وعظم منزلته ، يبسط
لسانه في أحمد بن طولون بأشياء تبلغه عنه ، فيغيظه عليه ويحقد له ،
فلما أحضر أحضر له السياط والعقابين فاستجاب إلى ما طالبه به من المال ،
وبادر بكتب خطه به خوفاً من مكروه يلحقه ، إلا أنه لحقه من
التعنتة والمشية ما كان أغلظ عليه من الضرب أو مثله ، فلما أخذ خطه

(١) كذا في الأصل والنار مؤنثة وتذكر (٢) في ابن الداية : جعفر

(٣) البدن كعظم : الجسم

بالمال رده إلى داره فمات في تلك الجمعة . فاحتاز أحمد بن طولون الضياع بما كان كتب به خطه ، وقبض على جميع نعمته ، وقبض على اندوفة كاتبه ، فأخذ منه خمسون ألف دينار .

ولما مات موسى بن بغا كتب الموفق إلى المعتمد يقول إن الثغور الشامية ضائعة ، وأنها تحتاج إلى من يقيم فيها ويفزوا بأهلها ، وأن أحمد بن طولون مهمل لأمرها ، وإنما يبعث إليها من لا يستقل بها ، فاستقر الأمر على أن ينفذ إليها محمد بن هارون التغلبي ، وكان يتولى الموصل ، فكتب إليه في الحضور لينفذ إلى الثغور ، فركب في دجلة ، لعله نالته منعته عن ركوب الظهر^(١) ، وهاجت ريح شديدة فآلتته إلى موضع من الشط فيه قوم من أصحاب مساور الشاري^(٢) قتلوه ، وأخذوا كل ما كان معه ، وبلغ ذلك الموفق فبقي متحيراً في أمر أحمد ابن طولون ، وما يأتيه به الإقبال ، ووقع اختياره على إنفاذ محمد بن علي بن محم^(٣) الأرمي إليها ، فأنفذه متقلداً لها ولا نطاً كية ، وحاول سيما الطويل دخول أنطاكية ، فمنعه محمد بن علي بن محم منها ومن الثغر ، فكتب إلى أهل طرسوس فألبهم ووثبهم عليه ، وخوفهم منه فقبضوا يده ، ووقعت بينه وبينهم حال غليظ ، وقتل في داره ودفن فيها . وبلغ ذلك الموفق ، فاشتد غيظه أيضاً وحنقه وتعجبه ، وقلد

(١) طريق البر (٢) الشاري : الخارجي والشراف هم الخوارج لقولهم : انا شرينا انفسنا في طاعة الله لقبوا بذلك (٣) كذا في الاصل : بغير نقط . وفي ابن الداية : يحيى

الثغور أرخوز بن يولغ بن طرخان التركي ، وأمره أن يقبض على سيما الطويل ، فلما وصل إلى الثغور تشاغل بالأكل والشرب ، وأخذ كل ما لاح له ، واستولى على كل ما كان للمرتين بلوثة^(١) ، مما كان يحمل إليهم من الميرة ، فضجوا من تأخر ذلك عنهم ، وكتبوا إلى أهل طرسوس يعرفونهم أنهم إن لم ينفذوا إليهم بما يحتاجون إليه على رسمهم ، سلموا القلعة إلى الروم ، فأعظم أهل طرسوس ذلك وخافوه ، وجمعوا لهم من البلد خمسة عشر ألف دينار ، وعملوا على حملها إليهم ، فقال لهم أرخوز : أنا أحمل إليهم المال من قبلي لنصلح بينهم ، فأجابوه إلى ذلك فكتب إليهم واعتذر من تأخير ما أخره ، فلأنه أميرهم وصاحب الثغور ، قبلوا عذره ورجوا استصلاحه ، ولما سلم المال شرهت نفسه إليه ، وقال : متى يجتمع لي مثل هذا ؟ فاستولى عليه وعرفهم أنه قد أنقذه . فلما تأخر عن القوم المال انصرفوا عن لوثة وسلموها ، فاضطرب أهل الثغور بأسرهم من ذلك غاية الاضطراب ، وضجوا في الطرقات .

(١) لوثة : قلعة قرب طرسوس وذكر صاحب الكامل في حوادث سنة ثلاث وستين ومائتين ان فيها سملت الصقالية «لوثة» الى الروم ، وكان سبب ذلك ان احمد بن طولون قد ادمن الغزو بطرسوس ، قبل أن يلي مصر ، فلما ولي مصر كان يؤثر أن يلي طرسوس ليغزو منها أميراً فكتب الى أبي أحمد الموفق يطلب ولايتها فلم يجبه الى ذلك . قال : وكانت لوثة شجراً في حلق العدو ، ولم يكن يخرج الروم في بر أو بحر الا رأوه وأندروا به .

تقليد الثغور
لابن طولون

وبلغ المعتمد ذلك فأنكره فدعت الضرورة إلى أن كتب إلى أحمد بن طولون في تدبير أمر الثغور، وضبطها كما يرى. فلم يكن للموفق بعد ذلك حيلة في منعه منها، وكتب أحمد بن طولون إلى أخيه موسى وكان مقيماً بطرسوس منذ وقعت بينهما تلك الوحشة بتقليده إياه لها فأبى ذلك، لما كان في نفسه منه. فكتب إلى إبراهيم بن عبد الوهاب، وكان أيضاً مقيماً بها، فامتنع تصاوفاً، فأنفذ إليها طخشي بن بلبرده^(١) ووصاه بحسن العشرة لهم، وجعل السيرة فيهم، واحتمل هفواتهم ففعل، وحسنت سيرته بطرسوس، فأقام بها إلى أن مات، فاغتم عليه أهل طرسوس وسائر الثغور.

ومن إقبال أحمد بن طولون أيضاً موت ماجور، وكان أحد هلاك اعداء ابن طولون من يعرب^(٢) عليه، ويسعى في أذيته فلا تمكنه. فلما بلغه موته حمد الله عز وجل على ذلك، واستخلف ابنه العباس على مصر وخرج من وقته، وأيد ابنه بكتابه أحمد بن محمد الواسطي، ووصى العباس بالافتداء برأيه، والامتنال لأمره وألا يجاوز شيئاً يرسمه، أو يشير به، وسار في شوال من سنة أربع وستين ومائتين، وقد خلا قلبه من عبيد الله ابن خاقان وموسى بن بُغا وماجور أعدائه الذين كانوا يعملون الخيل في أمره وطلب هلاكه. وجد في السير، واستكتب أبا الضحاك

(١) في رواية: بلين وفي أخرى بليزد

(٢) يعرب عليه: يرد عليه بالانكار

محبوب بن رجاء ، وقدم كتابه إلى ابن ماجور يعزبه بأبيه ، وكان صيباً إلا أن أصحاب أبيه قد أقاموه مقام أبيه في الرياسة ، وتولى الأمر وتدييره أحمد بن دعباش^(١) التركي ، وجه أصحاب ماجور والمقدم فيهم ، وكان رجلاً شهماً جلدًا عاقلاً ، سمحاً بالمال ، سخياً على الطعام ، حسن الخلق ، حازم التدبير .

استنباعه
امراء الشام

ويذكر أحمد بن طولون في كتابه إليه أن أمير المؤمنين قد قلده الشام كله ، مضافاً إلى الثغور الشامية ، وأنه في^(٢) أثر كتابه ، ويقول فيه : وينبغي أن نتقدم فيما نحتاج إليه من الميرة والعلف للعساكر وما نحتاج إليه ، فأجاب ابن ماجور أحسن جواب ، فلما قرب من الرملة تلقاه خليفة أبيه كان بها ، وهو محمد بن رافع بالميرة والعلف ، وكان قد أقام له الدعوة ، لما بلغه خبر رحيله إلى الشام ، فلما وقعت عينه عليه ترجل له ، وتقدم إليه فباس يده ، فلقبه أحمد بن طولون بجميل ، وبشبهه وساء له عن حاله ، فقال له : سلامة ما أبقى لنا الأمير أيده الله ، فعزاه بصاحبه وأظهر له غمماً به ، وشكر ذلك منه ، فأقره أحمد بن طولون على عمله ولم يصرفه ، وشخص إلى دمشق فلتقاه علي بن ماجور وأحمد بن دعباش^(٣) وجميع قواد ماجور وأصحابه ، فوفوه حق الرياسة ، وقد أعدوا له الميرة والعلف وكل ما يحتاج

(١) في الأصل : دعباس . وفي السكندري : دوعباش

(٢) في الأصل : قد (٣) في الاصل : دعباج وكذلك هو بعد سطرين .

إليه بها^(١) . واستخلف على دمشق أحمد بن دعباش وأقره عليها .
وكان أحمد بن وصيف مقيماً بدمشق على سبيل النبي ، نفاه
إليها المهتدي ، وهو وصيف الكبير التركي الذي يقول فيه الشاعر
وفي بغا أبي موسى الذي مضى لنا ذكره فيما تقدم .

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قال له كما نقول البيغا

والخليفة الذي قيل هذا فيه هو المستعين بالله ، لأنه كان يؤثرهما
جداً ويقدمهما ويفضلها ويقول برأيها

فلما دخل أحمد بن طولون دمشق انضم إليه ابن وصيف هو وجماعة
قواد ماجور . ولما صار أحمد بن طولون إلى حمص تلقاه عيسى
الكرخي ، وكان يتقلدها ، وترجّل له وعمل على أن يقره أيضاً على
عمله ، فضجّ أهل حمص منه وشكوا سوء سيرته فيهم ، فصرفه عنهم
وولاهم بين التركي .

(١) لما دخل أحمد بن طولون دمشق وقع بها حريق عند كنيسة مريم ، فركب ابن طولون
إليه ، ومعه أبو زرعة البصري وأبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطي كاتبه ، فقال ابن طولون
لأبي زرعة : ما يسمى هذا الموضع ؟ قال كنيسة مريم ، فقال أبو عبد الله : أكان لمريم كنيسة ؟
قال : ما هي من بناء مريم وإنما بنوها على اسمها . فقال ابن طولون : مالك وللاعتراض على الشيخ
ثم أمر بسبعين ألف دينار من ماله ، وأن يعطى لكل من احترق له شيء . وقبل قوله ولا يستخلف ،
فأعطوا لمن ذهب ماله . وفضل من المال أربعة عشر ألف دينار ، ثم أمر بمال عظيم أيضاً ففرق
في قراء أهل دمشق والنوطة ، وأقل ما أصاب الواحد من المستورين دينار (عن النجوم الزاهرة
لابن توري بردي) .

وكاتب سيما الطويل ، وكان بأنطاكية على جهة التغلب وعصيان
السلطان ، يدعوهُ إلى الطاعة للسلطان والسلم ، ويقول في كتابه
إليه : لست أسومك شيئاً غير إقامتك الدعوة ، وأنصرف عنك ،
ويكون البلد لك ، تدبره كما ترى ، فامتنع سيما من ذلك ، وبلغ فيه
لأسباب المنية ، وكان قد تحصن بأنطاكية ، لأن حصنها ما فتح عنوة
قط ، فسار إليه أحمد بن طولون وعاوده المكتابة ، وراجعهُ القول
الأول ، ولطف به ، وراسله برسل معهم عقل ورأي وتلطف ،
فأقام على رأيه ، وهذا الفعل منه ، على ما كان بينه وبين أحمد بن
طولون من المحبة والمصادقة والموافقة ، فلم يثنه ذلك ولا راعاه ،
فركب إليه أحمد بن طولون ليخاطبه بنفسه ، ووجه إليه : قد جئتك
لتسمع خطابي مشافهة ، فأشرف عليه سيما من برج من أبراج الحصن
فجرت بينهما مخاطبات ^(١) كثيرة ، بعضها بالتركية وبعضها بالعربية ،
ولاطفه بكل لطف وكل حيلة ، وحلف له بكل يمين ، فلم يجبه إلى
مادعاه إليه ، وكان آخر قول سيما له : امض واعمل ما شئت ،
فلأن يلعب الصبيان برأسي فأحمد ، آثر عندي وأحبُّ إلى قلبي
من أن تلعب أنت بروحي . وأخطأ سيما الطويل في هذا القول
وجهل فيه ، لأن أحمد بن طولون كان من طبعه أن من لاينه
واستسلم إليه ، رأى منه كل ما يجبه ، وبلغ منه كل ما يريد ،

مفاوضة سيما
الطويل المتغلب
على أنطاكية
وطبيعة ابن طولون

(١) في الاصل : خطوب .

ومن خاشنه أو قاومه لم يُطقه وكافأه بما يستحق ، كما قال الشاعر :
وكالسيف إن لاينتهُ لأن متهُ وحداهُ إن خاشنتهُ خَشِنانُ
وكما وصف دِعْبِلَ بن علي الخزاعي رئيساً كان في زمنه فقال :
وإذا جالستهُ صدرتهُ وتنحيت له [في] الحاشيةُ
وإذا سايرتهُ قدمتهُ وتأخرت مع المُستأنيه
وإذا لاينتهُ صادفتهُ سلس الخلقِ سليم الناحيةُ
وإذا خاشنته ألفتتهُ شرس الرأي أيباً داهيه
فاحمد الله على صحبتهُ وسلِ الرحمن منه العافيه
وكانت هذه الأفعال كلها في أحمد بن طولون ، قد تبينها الناس في
علي بن إسحق وعلي بن ماجور وغيرهما .

فانصرف أحمد بن طولون عن سبها ، لما سمع ذلك القول منه من
مقتل
سبها الطويل
وقته ، وكان عسكره فيما يلي الباب المعروف بباب فارس ،
فأقام بقية يومه ، وباكره من غد فنصب المنجنيقات ، ورمى
الحصن بالحجارة وبالنفط ، وكان سبها قد أساء العشرة لأهل
أنطاكية ، فكرهوه وبغضوه ، فلما حاصرهم أحمد بن طولون ورمى
حصنهم بما لا يأمنون منه المكروه ، وعلموا أنهم لا يقاومونه ،
بعثوا إليه فدلّوه على الموضع الذي منه المدخل إليهم ، فلما كان
في الليل دخل أحمد بن طولون وأصحابه الحصن منه ، ونصب أعلامه

عليه ، وركب سيماء الطويل فأحرق باب فارس ليشتغلهم بالنار ،
 فتمكنه النجاة بنفسه ، وسقط الباب الحديد ودخل منه إليه بقية
 أصحاب أحمد بن طولون ، وهو لا يعلم ذلك ، وطلبه أحمد بن طولون
 وأصحابه والتقوا ، فحارب بنفسه ساعة حرباً^(١) شديداً بانته
 فيه رُجلته وجزالته . وقد تقدم أحمد بن طولون إلى جميع من
 معه ألا يُقتل ، وإن أمكن قتله ، ولا يُرمى وإن أخذ أخذ
 سليماً ، فلبغض أهل أنطاكية له رمي بالطوب والحجارة من المنازل
 والمواقع فتحير ولحقه سهم فصرعه ، فقتل في المعركة ولم يُعلم به ،
 وبقي مطروحاً واستأمن أصحابه وغلماؤه ، وأحمد بن طولون يسأل
 عنه ويبحث عن خبره ، فماوقف عليه حتى اجتاز به آخر النهار
 وصيف اللاني مولى القيصيين^(٢) فعرفه ، فنزل وأخذ رأسه ،
 وأتى به إلى أحمد بن طولون ، فنصبه على رمح ، فلما رآه من كان بقي
 من أصحابه منهم من هرب ، ومنهم من استأمن .

ولما رأى أحمد بن طولون رأس سيماء قال : قد علم الله جل اسمه أنني
 كنت أحب لك غير هذا فأبيت ، فأنا بريء من دمك ، والله
 ما أمرت بقتلك ، ولقد نهيت عنه ، فأحب الله جل ذكره فيك
 ما أحب فأمضاه . وكان ذلك في المحرم سنة خمس وستين ومائتين ،

(١) في الاصل : محاربته ساعة حده خوفاً شديداً (٢) كذا والغالب ان القيصيين كان
 من اهل المرة مرة النعمان . قال اليعقوبي : ووثب بالمرّة المعروف بالقيصيين وهو يوسف بن ابراهيم
 التوخي فجمع جمعاً من توخ وصار الى مدينة قنسرين فتحصن بها .

وقبض أحمد بن طولون على جميع ما كان لسيما من مال وُعدة وكراع وغير ذلك ، وكل شيءٍ عظيم جليل خطير .

ودخل إلى طرسوس في جمع عظيم ، وعزّ منيع ، فضاق السعير بها ، وضاق بأصحابه وسواده طرقاتها ، فاضطرب أهلها وتأذوا بأصحابه فصاروا إليه ، وفيهم غلظة أهل الثغر ، ونسوا أنهم في وجه عدو عظيم قد قاوموه فقالوا : عافاك الله قد ضاق بأصحابك بلدنا ، وتعدرت بك معيشتنا ، ونقص سعرننا ، فإما أمتت في عدة يسيرة تحملها بلدنا ، وإلا رحلت عنا . وكان كلامهم له كالشعب ، فقال لهم برفق وتأن نرحل عنكم ، حفظكم الله ، وركب من وقته .

دخول ابن طولون طرسوس ورجوعه عنها لأسباب سياسية

وأطلقوا ألسنتهم في أصحابه ، فقال لهم أحمد بن طولون : احذروا أن تنابذوهم فقالوا له : قد حملوا السلاح يريدوننا . فقال لهم : انهزموا عنهم ، وأظهروا الخوف منهم ، واخرجوا عن بلدكم ، فقد ضيقناه عليهم ، فشق على أصحابه ما أمرهم به من انهزامهم عنهم ، وقالوا له : أيها الأمير تكسرنا عنهم ، وليس عدتهم كعدتنا ، ولا حالهم كحالنا ، ولا هم وغيرهم من يقاومنا ، وخاطبه وجوه قواده بمثل هذا ، وقالوا له : علينا في هذا مكسرة ، ووضع منا عندهم وعند غيرهم ، فقال : ويحكم كل ما نقولونه أنا أعلمه ، ولي فيه ما قد علمه الله جل اسمه ، وأنا أتعمل فيه وأحكم كل مكروه ومشقة مما ذكرتموه ، تقرباً إلى الله عز وجل ،

فقالوا له : فيعرفنا الأمير لنسكن إليه . فقال : إنه لم يخفَ عن متملك الروم العدة التي دخلت هذا البلد ، والعدة وما نحن عليه من القوة والنجدة ، فأحببت أن يستقر في قلبه ، وعنده وعند عساكره وجنوده ، أنا على ما نحن عليه قد ضعفنا عن أهل طرسوس ، ولم يمكننا مقاومتهم ، فأنهزمنا عنهم ، وعزهم فهو لله عز وجل ، وعزكم فهو لي والله جل اسمه أولى أن يُؤثر ، فقالوا : صدق الأمير ، الآن طابت نفوسنا ، وضرب مضاربه خارجها ، حتى فرغ مما احتاج إليه ، ومنع أن يدخل إليها أحد من أصحابه حتى رحل عنها .

وركب يوم الجمعة ، وقبل رحيله ، دخل إلى الجامع ليصلي راجلاً برداء ونعل ، ومعه ثلاثة غلمان . فصلى الجمعة وجلس في الجامع ففضى حوائج أهل البلد ، في كل ما سأله فيه وأرادوه ، وبلغ لهم كل ما أحبوه ، وتصدق بجملة من المال ، وكثر الدعاء له والضجيج بذلك في الجامع والطرقات ، وخرج إلى مضربه ، وخرج أهل البلد كلهم معه يشيعونه ويدعون له ، ورحل عنهم . فبلغ ذلك متملك الروم ، وما كان من أهل طرسوس معه ، فعظمت هيبة الثغر في قلبه .

احسانه لأهل
طرسوس واجتهاده
بعض أصحابه
النسك

حدث أبو العباس [الطرسوسي] المتولي كان لغسل أحمد بن طولون عند وفاته ، وكان رجلاً خيراً فاضلاً زاهداً ، بتقوت من المباح ، قال : كان بطرسوس رجل من خشن الصوفية خيراً فاضلاً ، قد خرج من طعمة جليلة ، ونعمة حسنة ، إلى الله عز وجل ، بتقوت من الخوص ،

وكان لا يقطع الخروج إلى الثغور راجلاً، وكان أحمد بن طولون بمقامه في ابتداء أمره بطرسوس، مواصلاً له [ومتعجباً من حسن ألفاظه] فحدث قال: لما أراد أحمد بن طولون الانصراف عن طرسوس أحضرني فجئته فسألتني عن حالي، فشكرت الله جلَّ اسمه عليها، فقال: قد سررت بنظري إليك، وأنا أريد أن تتقدمني مع العشاء إلى منزل فلان صديقنا، يريد الرجل الذي قدمت ذكره، فتجلس عنده ولا تعرفه مصيري إليه، فإن سألك عني فلا تربه في كلامك هيبه لي، وكن في جوابك له مستكيناً خاضعاً لذكرك وأقرئه مني السلام، وعرفه أنني استدعيت مجيئك لتعرف خبره، وذكرت لك شدة شوقي إليه، وقل له آخر كلامك: وأحسبه يصير إليك ليسلم عليك قبل رحيله، وودعه وأخرج، فتلقاني وتعرفني ما جرى بينكما.

وكانت قد حصلت بيني وبين أحمد بن طولون، بطول مقامه بالثغر، مودة وعشرة وصحبة على الخير، وكان يطوي أياماً ويحيي الليل بالصلاة إلى الصبح، فأحبه قلبي، وقلب كل من شاهد ذلك منه، فلم أحب مخالفته، ومضيت فعملت كما رسم لي، فقال لي بانكسار منه وكثرة حياء: يحيي متى شاء. وانصرفت عنه، فلقيت أحمد بن طولون في الطريق، وهو يريد المجيء راجلاً، وليس معه إلا غلام واحد كان خصيصاً به، فأخبرته بما جرى فردي معه إليه، فلما دخلت إليه قلت له: لقيني فردني إليك، فلما قرب منه أحمد قام

إليه وقال: هذا ما توجبه الطاعة لأولي الأمر، وتاركه يُخطئ، فبكى أحمد بن طولون، فقال له لما استقر به المجلس: يا أخي ما الذي أنكرته من ربك حتى شردت عنه، وأنت مع تباعدك عنه لا تخرج من قبضته، فأرحم نفسك من تحميلها مالا تتحمل، واعلم أن جدّه يُحصّ هزلك، وطاعته تزيل اجترامك، ولا تستكثر من الدنيا مالا يخفُّ معك حملة، ولا ينفعك إذا دعا بك ربك، وتيقن أنك مردود إليه بعملك وحده، وما سواه متخلف عنك. وأحمد بن طولون لا يزيد على البكاء الكثير شيئاً.

قال أبو العباس: فالتفت إليّ الشيخ وقال: يا أخي ما ترى الناس كيف يبطلون تحت الأقدار، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بصّره رشده، وارحمه من سخطك عليه، ثم قال له: انصرف في حفظ الله [فإني أخاف أن تُعدّيني بحب الدنيا وطاعة الأئتمار]، ولست أنساك عند ذكري إن شاء الله.

فقيل لأبي العباس: كيف حفظت هذا الكلام؟ فقال: كان الغلام الذي كان مع أحمد بن طولون هو الذي كان كاتب السرّ، الذي كان يكتب كل ما يجري من أحمد بن طولون مع من يخاطبه، وما يجري من يخاطبه له، ولا يسقط من ذلك شيئاً. فإذا خلا عرض الغلام عاينه بجملاً^(١) بما يجري يوماً يوماً وليلة ليلة، فكتب

طريقه
في ضبط المجالس
وقل الكلام

(١) الجمل: المتعمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة

الغلام جميع ذلك على الرسم ، فلما انصرفت مشياً له إلى مضربه
سأله أن يأمر الغلام أن يطلق لي نسخة فأمره بذلك فنسخته .
قال مؤلف هذا الكتاب : وكذا كان أحمد بن طولون إذا
أنفذ رسولاً في حاجة برسالة ، قال له : أعد علي ما قلت ، فإن
أعاده ولم يخرج منه حرفاً أنفذه ، وإن قصر عن ذلك استبدل به
وأمر بحبسه .

قال : وكان أحمد بن طولون قد عمل على أن يغزو قبل أن ينصرف
من الثغر ، حتى ورد عليه الخبر بخلاف ابنه العباس عليه ، وأخذ
كل ما تهيأ له من المال والكراع والسلاح ، وزهابه إلى الغرب ،
وحمله معه أحمد بن محمد الواسطي كاتب أبيه مكرهاً ، وأمين الأسود
مقيدين ، فانكفأ راجعاً إلى مصر قد حيره ما دهاه من مأمنه .
فمن دهائه وجودة رأيه وحزمه ، أنه لما عمل على المبادرة
إلى مصر ، لم يكن الرأي عنده أن يترك أطراف عمله منتشرة ،
غير مضبوطة ولا محروسة ، فتوقف ، وفي قلبه أحرث من الجهر ،
حتى بعث بأحمد بن جيعويه في جيش كثيف إلى حران^(١) وما
والاها ، وبعث بلولو غلامه في مثل ذلك إلى نواحي الرقة^(٢)

مثال من حزمه
والتطير بيته
وبين غيره .

(١) حران بفتح الحاء وتشديد الراء : بلدة بجزيرة ابن عمر ومن جملة ديار مصر .

(٢) الرقة بتشديد الراء والفتاح : بلدة على الفرات كانت عامرة جداً اتخذها بعض ملوك بني العباس
مصطفاً لهم وهي اليوم مركز قضاء سكنها بضعة ألوف . وعدها الهكري من مدن العراق وقال : وكل
ارض الى جانب واد ينسط عليها الماء أيام الدثم ينحصر عنها فتكون مكرمة للنبات فهي رقة وبذلك سميت المدينة .

والدارس^(١) ليضبط ذلك . وهو آخر عمله مما يلي الشرق .
قال مؤلف هذا الكتاب : ومثل هذا بعينه رأيناه مع مؤنس
الخدّام الذي كان يعرف بالأستاذ ، لما وجّه^(٢) به المقتدر لقتال
عبد الرحمن صاحب الغرب ، وقد حصل عبد الرحمن هذا بالفيوم ،
وملك أكثر أعمال مصر فأقام مؤنس الخدّام بالجيزة حتى استتم
ما أراد من العدة ، وسار إلى الفيوم في جيش لم يُر مثله قط .
أخذ أول عرضه الجبل والأهرام ، وأخذ آخر عرضه شط النيل ،
وأخرج في البحر مراكب حرّية والعلابيات والعشاريات والسناديل
العائلة والقوارب وكل صنف من السفن مما لا يحصى كثرة ، مملوءة

(١) هكذا في الأصل بلا قط ولا تحرف بلدة بهذا الرسم هناك

(٢) لم تكن وقعة مؤنس الخدّام مع عبد الرحمن صاحب المغرب كما جاء في الأصل بل كانت
مع جيش المهدي الفاطمي وكان سير جيشاً في سنة احدى وثلاثمائة مع ابنه أبي القاسم الى الديار
المصرية فاستولى على برقة وملك الاسكندرية والفيوم وصار في يده أكثر البلاد فسير اليها المقتدر
بالقه مؤنساً الخدّام في جيش كثيف فعاربهم وأجلام عن مصر فدادوا الى المغرب سهزمين على
على ما روى ابن الأثير في الكامل . وذكر صاحب تاريخ مصر وولاتها أن حباسة بن يوسف
سار في جيوشه من برقة فاصداً للاسكندرية في مائة الف أو زيادة عليها فدخل الاسكندرية
يوم السبت لثمان خلون من المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة وقدمت الجيوش من الشرق وخرج تكين
بجيوشه الى الجيزة فمسكر بها وسار حباسة من الاسكندرية فمسكر بمشتول فتودي بالنفير في
الفسطاط والتقى الجيشان وقتلت رجاله حباسة كلهم وانهمز جماعته ومنع أهل مصر أكتافهم ومضوا
على وجوههم هارين . ومشتول المذكورة آنفاً كانت على الأغلب قرب الجيزة وكان في الشرقية
قرينان باسم مشتول يقال للأولى مشتول الطواحين والثانية مشتول القاضي . ومشتول القاضي
ما زالت عامرة : وهي من عمل الزقازيق أما مشتول السوق فهي اليوم قرية من مركز بليس
من مديرية الشرقية في الجنوب الغربي بانشاس على مافي الخطط التوفيقية . ومشتول الطواحين
غير معروفة .

رجالاً وسلاحاً وعلوفةً وزاداً ، حتى كأن البحر كله قد فرش سفناً ،
وكانت تسير في البحر مسير الجيش في البر . فلما اتصل خبره بعبد الرحمن
ولى هارباً راجعاً من حيث جاء ، ولحق 'سرعان' مقدمة موئس
أطراف أصحاب عبد الرحمن ، فأمر وهم وقتلوا منهم خلقاً عظيماً ، فلما
اتصل بموئس خبر عبد الرحمن وهربه ، أتاح له الفكر والتيقظ أن
يكون أظهر ذلك ، لما صح عنده خلو البلد من الجيش فخالف إليه
ليملك القصبه عليهم ، وأمر تكين^(١) الخاصة ، وكان أمير مصر
يومئذ ، أن يلحق الجيزة ويضرب مضاربه بها ومصافه ، فأقبل تكين
ركضاً من الفيوم حتى ضرب مضاربه بالجيزة ، حيث كانت قبل
الرحيل . فسأمت ظنون الناس لذلك ، ولم يعلموا ما السبب فيه حتى
انكشف لهم . وهذا من التيقظ في سياسة العساكر ومن حزم الرأي
وجودة التحفظ ، وإنما استدرك موئس الرأي بعد . ولأحمد بن
طولون فضل سبق ، لأنه استقبل أمره بحسن التدبير ، وضبط
الأعمال ، قبل دخول آفة عليها وعليه فيها ، فكان هذا من إقباله .

ولما وصل ابن جيغويه إلى حرّان وجد بها محمد بن أنامش^(٢) فطرده
عنها ، وهزمه أقبح هزيمة ، فاتصل خبره بأخيه موسى بن أنامش ،
في صميم جيشه

(١) تكين : هو ابن منصور الحرزي مولى المعتض بالله ولي الشام ومصر مرات وولي مصر من
قبل المعتز غير مرة اهداهن في شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وعزل عنها سنة اثنتين وثلاثمائة على
ما في تاريخ دمشق لابن عساكر

(٢) في الكامل لابن الأثير : محمد بن أنامش وموسى بن أنامش . وفي الأصل محمد بن مامس

وكان موسى بن أتامش هذا من الفرسان المعدودين ، والشجعان المذكورين ، فأغاظه ذلك ، وخرج تعصباً لأخيه وطالبا له ولثأره ، يريد ابن جيعويه . فلما اتصل خبره بابن جيعويه سقط^(١) في يده ، وخاف أن يضعف عنه ، ووقع بين شرين ، كما قال الشاعر :

[فقال] غدرٌ وثكلٌ أنتَ بينهما فاخترَ وما فيها حظٌّ لمختار

مقارعة موسى بن أتامش وليس هو من أنداده ، ثم التكوص عنه والرجوع إلى أحمد بن طولون فيلقى منه التلف والبور . فأحزنه ذلك وحيره ، فتأمل بعض أصحابه من الأعراب المضمومين إليه يكنى أبا الأغر^(٢) ، وليس بصاحب ابن الخليج ، فقال له : أيها الأمير مالي أراك مقطباً مغموماً ساهماً مفكراً منذ أيام فما الخبر ؟ فقال له : لخبر موسى بن أتامش فقال له : فما هذا وزن ابن أتامش ولا مقداره أن يبلغ منك مبلغه هذا المبلغ العظيم ؟ والله إنه لطياش قلق ، ولو شاء الأمير أن أمضي فآتي به إليه أسيراً الفعلت ، فبقي ابن جيعويه متعجباً من قوله ، وقد أغاظه منه ذلك ، فليغظه قال له : نعم قد شئت أن تأتيني به أسيراً ، ولك السبق الوافر ، فقال له : فضم إلي عشرة^(٣) رجال اختارهم ، قال : أفعل . فاختر عشرة كما أحب ، وأمرهم ابن جيعويه بالسمع والطاعة له .

وخرج فكن أربعة منهم بموضع ، وثلاثة في موضع آخر ، وجعل

(١) دم وتحسر (٢) في الكامل : فاضم إلي عشرين رجلاً اختارهم

بينه وبين الثلاثة علامة وشعاراً ، وسار في الثلاثة الباقية معه في زي الأعراب ، حتى خالطوا عسكر موسى بن أتمش ليلاً ، فقصد مضربه ، فلما قرب منه تعائر بأري^(١) فيه خيل مربوطة قريبة من المضرب ، فخلع الأري^(٢) فنفرت الخيل ، وصيح بها فمرت نافرة تعدو بين المضارب ، وصاح هو ومن معه : الأعراب الأعراب ، وأصحاب موسى متفرقون ، منهم من قد مضى يلتمس علماً لدوابه ، وآخرون في حوائجهم ، ومن في الخيم ، فمنهم من يشرب ، ومنهم من يضرب بطنبوره ويغني لنفسه ، ومنهم من قد سكر ونام . قد آمنوا أنهم لا يقدم عليهم أعراب ولا غيرهم . فأول من خرج لما سمع الصوت موسى بن أتمش وحده ، ثقة منه بنفسه وشجاعته وإقدامه ، وقد كان كذلك ، وما كان يعييه غير عجلة الإقدام ، وهي التي تنسب إلى الطيش . فلما رآه أبو الأغر مرةً منهزماً بين يديه ، فقصدته موسى وأقبل أبو الأغر يطعمه في نفسه ويريه أنه قد خافه وهابه ، وهو بين يديه يتطارد ، ولج موسى في طلبه حتى قرب من موضع الكمناء فناداهم بالعلامة بينهم ، فخرجوا إليه من هاهنا ومن هاهنا ، فعطف هو ومن اجتمع معه على موسى بن أتمش فأخذوه أسيراً ، وأقبلوا به يقودونه قوداً إلى ابن جينغويه ، فورد عليه وعلى الناس من ذلك ما تعجبوا منه وتحيروا له وقالوا : ليس هذا بتدبير الأعرابي ولا برجلة^(٣) ابن جينغويه ، ولكنه

(١) في الأصل : بدوى ولعله بأري اي بأخية وهو حيل تشد به الدابة في محبسها

(٢) في الأصل : الروى . (٣) والرجولة والرجولية بمعنى واحد

بإقبال أحمد بن طولون تهباً أخذ مثل هذا الأسد مالم يُطمع في مثله،
فحيره إقباله حتى خرج بنفسه مبادراً ولم يعلم به أحد من غلمانه
ولا طلبه ولا استدعاه . وكان لما أن ركب موسى وعلم به بعض غلمانه
وأصحابه ركبوا خلفه ، فلم يدروا كيف ذهب ، وكانت ليلة
ظلماء فتفرقوا يميناً وشمالاً ، ولم يُقدّر لواحد منهم أن يسلك طريقه
التي قصدتها ، ليتم القضاء المقدر لأحمد بن طولون ، فلما وصل إليه
اعتقله في حجرة فرشها له في داره ، وفك قيده ، وخلع عليه ،
وبلغ في إكرامه ما يستحق مثله ، وخلع على أبي الأغر وأجازته ،
وزاد في رزقه ونوّه باسمه ، وقد كان ابن جينغويه أجازته أيضاً ،
وحمله وخلع عليه ، قبل إنفاذه موسى بن أتمش إلى أحمد بن طولون .

قال : وعدنا إلى أخباره المشهورة في دهائه وعقله وحزمه ،
وجعلنا لخبر ابنه العباس باباً مفرداً كما شرطنا . فمن ذلك أنه لما
وجه بالواسطي إلى العراق كما ذكرنا في أول أخباره ، واستكتب
جعفر بن عبد الغفار ، اضطرب بما حمّله من الأمر ولم يكمل له ،
فقال له حمدان ^(١) بن خاقان : الأمير أيده الله يحتاج إلى كاتب أوفى
وزناً من هذا الكاتب . فقال له : أنا احتمله وأقنع به لأنه مصري .
فقال له : والأمير أيده الله يرى أن الكاتب المصري أكتب من
العراقي وأنهض بما يتولاه ؟ قال له : اعلم أن أصلح الأشياء لمن ملك

تفضيله المصريين في
الاستخدام على
العراقيين

(١) في ابن الداية : أحمد .

بلداً أن يكون كاتبه منه ، فإنه يجمع بذلك أشياء تحمد عاقبتها .
منها أن عيال الكاتب وشمله ، وكل ما يملكه معه في بلده . ومنها أن
جميع ما يكسبه فيه ، وإن كان ممن يرغب في تجارة كانت تجارته
فيه ، أو في شراء عقار أو بناء كان فيه . ومنها أن جميع ما يتجمل
به ولده وعياله ويقتصده لهم من قليل وكثير ففي بلده ، وما يعتقده^(١)
من ضيعة أو ربع^(٢) أو ماشية فكله عمارة لبلده ، وضمنه الجناية إن
كانت منه أو جناية أحد من جهته ، و[هو] مع هذا وأهله ظاهرون
لي ، متصرفون في خدمتي .

والكاتب الغريب ليس كذلك لأنه يعتقد المستغلات في البلد
النائي عني ، وكده عمارة بلده بتخريب بلدي ، وهو كذلك في كل
حال متطلع إلى بلده ، فإن اجتمع عليّ منه أن يكون رئيس بلده
من أميرها أو وزيرها عولى (?) وهو أحد أهله المقيمين معه في بلده
خلطة أو خدمة فاختصار الحبه (?) أمن الاشتمال عليه . فهذا الذي
زهدي في كتاب العراق ، مع علمي بما فيهم من الصناعة ونقدمهم في
الكتابة ، فقال له : قد أصاب الأمير الرأي وفقه الله .

ومن ذلك أن طيفور خليفته بالحضرة كتب إليه أن رجلاً من وكيل ابن طولون
الموالي قد أشجاني وضيق عليّ ، وشغل قلبي ، مما لا يجري ذكرك أيها
في بغداد وحيلته في الانتفاع بالمدو

(١) العقدة بالضم : الولاية على البلد كهرد والضيعة والعقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً

(٢) الربع : الدار بينها ، ويمجوز الربع وهو النقة .

الأمير بحضورته في مجلس الموفق أو غيره إلا بسط لسانه فيك ،
وحرّض عليك ، فكتب إليه يقول : قد وجهت إليك كتاباً يصل
من يدك إليه ، فأوصله سرّاً عن جميع الناس ، مع ما قد حملته إليك
لتوصله إليه أيضاً ليلاً ، فلا يقف عليه أحد بوجه ولا سبب .
قال : وكان الكتاب يصف فيه شوقه إليه ، وتطلّعه إلى معرفة
خبره ، وأنه قد كان منذ مدة طويلة ، يطلب رجلاً يعتمد عليه
بالخبرة لمهاتته ، فعسر ذلك عليه ، خوفاً أن ينكشف أمره ، فيتعذر
عليه ما يحتاج إلى معرفته من جهته ، فلما بلغني مقالاتك في ، وبسط
لسانك بذكري ، بما يسر العدو ، ويغتم الصديق ، علمت أن بهذه
الحال يتم لي بها منك ما أحبه ، وتيقنت أن بمودتك برجوعك إليّ
يحصل لي ما استميل به قلبك ، وأرغب فيه من مؤاخاتك ومسالمتك ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تهادوا تحابوا . وقال أمير المؤمنين
عليّ عليه السلام : الهدية عطفة القلوب . وقد وجهت إليك بما جعلته
هدية إليك ألفي دينار تصرفها في بعض مهاتك ، وإن أقطع مواصلتك
بحسب ما أقف عليه من خلوص طويتك ، وصحة نيتك ، فلا تخلني
يا أخي ، أعزك الله من ذكر أحوالك ، حسنها الله ، وتكاتبني بجميع
ما أحتاج إلى علمه فإن الذي تأتيه من ذلك يغيب ويستتر عن
الخلق كلهم ، لما يعرفونك به من الانحراف عني ، ولا تقطع ذكري بما
جرى رسمك بذكرك ، بل فزد في ثلبي والطنع عليّ ، فإنك تبلغ لي

بذلك ما تحبه لي ، وتسرفني فيما تأتيه في ذلك إن شاء الله .
فلما وصل الكتاب إلى طيفور ركب به كما أمره ، وأوصله إليه
والمال ، فدعا له وشكره ، ووعد طيفوراً بأنه يبلغ له في ذلك فوق
ما يحبه ، وصار من أخص أصحاب أحمد بن طولون على الأخبار ،
فكان يكتابه بجميع ما يجري في دار الموفق ودار المعتمد وسائر البلد ،
مما يحتاج إلى علمه ، واستتر أمره مدة طويلة عن أصحاب أخبار
الموفق ، ثم انكشف أمره للموفق ، فأحضره وضربه بالسوط ، ورماه
[في] المطبق ، وأقام فيه أياماً ومات . فانتفع به أحمد بن طولون مدة
على الضرورة ، ثم استراح منه دفعة واحدة بأهون سعي ، وذلك الذي
قصده فيه .

ملك الروم
يطلب الهدنة

ومنه ما رواه أبو جعفر بن عبد كان أنه ورد عليه كتاب
متملك الروم^(١) يسأله الهدنة ، فأجابه إلى ذلك وقال له : اكتب إلى
طخشي بطرسوس أن متملك الروم سألنا الهدنة مدة كذا وكذا ،
وقد أجبناه إلى ذلك ، على علم منا أنه لم يدعه إلى ما سأل ، إشفاق
من سفك الدماء ، ولا تحوز لطلب السلامة ، بل أظن ، وهو كذلك ،
أنه قد خربت له قصور أو استرمت^(٢) ، أو لحقه من بعض أعدائه

(١) يقول ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ٢٦٥ أن فيها بث ملك الروم إلى أحمد بن
طولون ببدالله بن رشيد بن كاوس وعدة أسرى وأتخذ معهم مصاحف منه هدية إليه . قلنا : ولعل
صاحب الروم جعل عمله هذا وسيلة إلى عقد الهدنة مع ابن طولون في تلك السنة .
(٢) استرم الحائط : دعا إلى إصلاحه وحان له أن يرم

اضطراب اضطره إلى الهدنة هذه المدة، ومن الحسران المبين أن يكون
بما التمس من ذلك أسعد منا، وإذا قرأت كتابي تعاهد جميع الحصون
التي بقربك، فرم منها ما استرم، واعمر منها ما خرب، وجدد منها
ما أخلق، وأنفق على ذلك من مالي الذي في أيدي وكلائي في ضياعي
التي تقرب منك، وفرق في صعاليك أهل الثغر ممن تصر به هذه
الهدنة ما يقيم أودهم ويكفيهم، وأوسع عليهم في ذلك، وطالعي بما
يكون منك فيه فأني أراعيه إن شاء الله .

قال ابن عبد كان: وكان مضطلعاً بالكتابة: فوالله العظيم ما حضرني
لهذا الكتاب أحسن من معاني ألفاظه كلها فلم أتجاوزها، وأنفذ
الكتاب وعمل به .

ومن ذلك ما حدثت به نعت^(١) أم ولده قالت: كان عندي له
جوار أهدين إلى مولاي، ما رأيت أحسن منهن ولا أجمل، فأقن
عندي مدة لم يطلبهن، فشوقته إليهن، بحسن الصفة لهن، فذكر
لي شغل قلبه عن ذلك، ثم دخل إلي بعد ليال، فتبينت منه انشراح
صدر، وطيبة نفس، فذكرتهن له فقال لي: اعرضين علي واحدة
واحدة، ففعلت، فنظر إلى الأولة وقال: حسنة والله، ثم أحضر
بعض الخدم ودفعها إليه وقال له: امض بها إلى غلامي فلان، وقل

عزوف
ابن طولون
عن النسا .

(١) في كتاب ابن الداية: وحدثني نعت، أي ان ابن الداية هو الراوي عنها لا مؤلفنا
وقد روى عنها ابن الداية عدة أخبار ذلك على شدة اتصاله بالبيت الطولوني

له : بجمالي عليك اطلب من هذه الولد [سرك الله وكثرك] ، ثم لم يزل يفعل ذلك بواحدة واحدة حتى استوفى عدته مني .
فتبين الغيظ في ، فضحك وقال : أراك مغيظة ؟ فقلت : يا مولاي ، آثرت مثل هؤلاء المتعذر مثلين ، غلمانك على نفسك ، فقال لي : يا ويحك قد ارتفعت رغبتني في النكاح وما ناسبه ، وإنما رغبتني الآن وغرضي وأراني في حراسة دولتي ، وضبط نعمتي ، ومن اضطر إلي من يضافره على أمره سلك هذا المسلك ، وآثر هذا الايثار ، وهؤلاء الغلمان فهم عدتي ، وينتسبون إلي انتساب الأبناء إلى الآباء ، وشهواتهم مقصورة على الأكل والشرب والنكاح ، فأنا أوثرهم بما يحبون وأرتفع أنا عنه ، كما أنهم يوثر ونني في أوقات التضايق على نفوسهم ، فيبدلون في مهجهم دون مهجتي ، فقلت : وفق الله الأمير ، فقال لي : اعلمي أي أجد في فهم الرجل عني وإفهامه إياي من الالتذاذ أكثر مما يجده بمجامع الحسان من لذة جماعها ، وحسبك ، فدعوت له .

وحدث نسيم الخادم قال : جرى ذكر أخلاق قوم بين يدي بعض اخلاق ابن طولون وطاداته في ادارته
مولاي فقال : أما أنا فأرى أن أدفع بمالي عن رجالي ، وهرجالي عن نفسي ، ومافي الأرض عندي أبغض إلي من رجل يزيد ماله على فعاله وحالته على كفايته .

واستكتب كاتباً فقال له : إني جعلتك صاحب خبر على ألفاظي ،

Handwritten signature or note in the top right corner.

فانظر كل ما يجري بيني وبين من يخاطبني ، من كان من الناس من صغير
و كبير ، فاكتب خطابه وجوابي ، وخطابي إياه وجوابه لي ، واعرضه
عليّ بالعشي ، فكان يراعي هذا أشد مراعاة
وحدث عنه ابن عبد كان قال : كنا ننشئ الكتب إلى السلطان
وغيره من أصحاب أعماله ، فيرد في الأجوبة غير ما صدرت به الكتب
إليهم ، فذكرت له ذلك لما كثرت ، فضحك فقال : هذه أجوبة عن
أشياء أضمنها أنا الكتب لا أطلعكم عليها .

ومن ذلك أن كتابه ^(١) لم يكونوا يختمون كتاباً ولا يحررون
نسخته حتى يعرضوه عليه ، فإن استصابه ^(٢) أمضاه وإلا غيره . وكان
لما استكتب في خرجته إلى الشام أبا الضحاك محبوب بن رجاء ، ولم
يكن بالكامل ، إلا أنه كان حاضر الذهن ، حلوا الألفاظ ، فعرض
عليه يوماً كتاباً فلم يقل فيه شيئاً ، فأنفذه محبوب فسأله عنه أحمد بن
طولون بعد أيام فقال له : قد أنفذه ، فحرد واغتاض ، وقال له :
وبلك ، حق الكتب أن تراجع فيها الأفكار ، وقد كان ينبغي أن
تؤخر إنفاذه وتراجعني فيه . فكانت كتبه بعد ذلك تؤخر لمراجعة
النظر ، والتصفيح بعد الإنشاء ، وجعل لها ديواناً .

تدقيقه
في الرسائل
الصادرة عنه

Handwritten notes or corrections on the right margin.

(١) قال ابن توري بردي في النجوم الزاهرة : وكانت الديار المصرية من حين الفتح الاسلامي
والى الدولة الطولونية اماره ، ولم يكن لديوان الانشاء فيها كبير أمر . فلما استولى أحمد بن طولون
عظمت مملكته وقوي امرها فكتب عنه أبو جعفر عماد بن أحمد بن مودود .
(٢) استصاب استصابه واستصوب استصوبا قوله وفضله ورأى : رآه صواباً

فقال له يوماً في كتاب قد كان عرضه عليه : أظن ذلك الكتاب قد شارف دمشق ، فقال له محبوب : لا والله ، أيها الأمير ، هو موخر في ديوان التصفح ^(١) ، فقال له : ويل لك ، أتشك في رأيي حتى تطلب مراجعة بعد مراجعة ؟ وإنما قصدنا مراجعة مرة لا مرتين ، كأنك تراني بعين من لا يوثق بخاطره ونظره فكيف مراجعة مرة . فحمل محبوب بن رجاء الغيظ والدالة عليه إلى أن قال له : أيها الأمير ، ما أدري أي شيء أنت . إن قد منقلت : أخرُوا ، فإن أخرنا قلت لنا : قدّموا . فأمر به فبطح وضربه خمس مقارع ، فكانت المقارع تأخذه وهو يقول : اقتلني وقل لي أي شيء أنت ؟ فضحك منه وأطلقه

وهذا كله فإنما كان منه دهاء ، ولم يكن في كتابه أحد أعرف بخدمته ، ولا أصبر عليها من أحمد بن محمد الواسطي . لقد عتب عليه يوماً فضربه بيده ضرباً لا يحتمله المملوك . ومن حسن أفعاله أنه كان لا يضرب أحداً من كتابه إلا هو بيده ، كما كان يضرب من يخطئ من ولده بيده .

ولما ضرب الواسطي ضرباً بلغ منه ، أمره بالانصراف عنه ، فلما خرج من بين يديه ، طرح نفسه في دهليز من دهاليزه ، فأقام فيه ثلاثة أيام ، ينام على حصير الدهليز ، ودواته تحت رأسه ، صائماً نهارة ،

(١) في الأصل : في ديوان مراجعة التصفح

سنة ابن طولون
على أقرب الناس
إليه

ابن طولون
سنة ابن طولون
على أقرب الناس
إليه

فإذا صليت العشاء أفطر على خبز وملح لا غير ذلك ، ولم يتهياً لأحد
من حاشيته [أن] يفعل في أمره ما يستحقه ويلزمهم له خوفاً منه ،
وأخباره تنقل إلى أحمد بن طولون في كل ساعة ،

ولما مضت له ثلاثة أيام ، أحضره وخلع عليه ، وأجازه وعاتبه على
ما كان منه ، حتى أخرجه إلى ما جرى إليه ، وأنه جعل ذلك تأديباً
له كما بوّذب أحد ولده ، فشكر ودعا وزادت حاله عنده .

وحدث الواسطي هذا قال : انصرفت ليلة إلى داري ، وكان
عندي من آنس به ، وأنفرج إليه ، وأثق بمودته ، ممن يصحبني ، قد
خالطني ^(١) بنفسه ، لأن الإنسان الكامل يتفرج إلى صاحبه بما لا يتفرج
به إلى أخيه ولا ولده ولا خاصته وإن كانت حظية عنده .

توفّر ابن طولون
على كشف امرار
صحابته

و كنت قد ألزمته المبيت عندي ، وكان انصرافي ، وقد مضى
هزيع من الليل ، فدخلت ، وأنا مقطب مشغول القلب ، فتأمل ذلك
مني ، وقال لي : أطلت عند الأمير الليلة جداً ، وأراك قد جئت وعلى
قلبك هم ، فما الخبر ؟ فلم يكن بي فضل لجوابه ، وبقيت بثيابي وخفي
جالساً فقال لي : استخر الله يا سيدي ، وادخل إلى الحرم ، واخلع
ثيابك ، ونم تهدأ أعضائك بما تعطيه نفسك من الراحة . فقلت
له : دعني من هذا فقد حيرني أمر هذا الرجل الذي أخدمه وأدهشني ،
وما أشبه موارد أموره ومصادرهما إلا بالآخرة ، فلي والله في الفكر

(١) في الأصل : قد حاطي

فيها ما يشغلني عن الراحة والمطعم والمشرب التي لا بد منها
فقال لي : قد استعجلت أنا الساعة الحيرة فخبيري ما السبب ؟
فقلت له : كنت بين يدي الأمير واقفاً ، أعرض عليه الأعمال ، فلم
أزل كذلك إلى أن جاء نصف الليل ، فرأيت أنه وقد تشاغل عني بشيء
آثر الانفراد به ، فتأخرت وملت تعباً إلى طرف الزقاق ، فطرحت
نفسي اغتتم استراحة ، وكان موضعاً مظلماً لا يبين من فيه لكثرة
ضوء الشمع ، فرأيت غلامي فلاناً ، وهو كما تعلم أكبرهم وأوثقهم
عندي ، وهو عدتي وعليه معوَّلي ، وقد وقف بإزائه لما لم يرني ، وظن
الأمير أنني قد خرجت من الدار ، فاستدناه فدنا منه ، فلم يزل في سرار
متصل أكثر من ساعة ، ثم خرج من عنده متبسماً ، ما لقيه به من
محبوبه ، فما ظنك بمن أبرُّ غلامانه عنده صاحب خبر عليه ؟ أي عيش
يطيب له ؟ أو أي راحة تنفعه ؟

ومن ذلك ما حدث به أحمد بن أيمن قال : قال لي أحمد بن طولون
غرام ابن طولون
بالتجسس على
الناس
يوماً : اطلب لي رجلاً زكي الروح ، صادق اللهجة ، صحيح التمييز ،
لهم لي أريده ، فوعدته بذلك ، وقد كان في جواري فتى من أولاد
الكتاب ، فيه ما وصفه لي ، فعرضت عليه ما ذكره لي الأمير فقبله ،
فأدخلته إليه ، وقلت له : هذا الرجل الذي طلبه مني الأمير ، فتأمله ثم
استدناه فدنا منه ، وأسراً إليه ما لم أقف عليه ، فدعا بالسياط والعقابين ،

فشق عن الفتى وُضرب عشرين سوطاً ، وأمر به للمطبق ، فلم استجز
أسأله عن أمره ، فانصرفت مهموماً مغموماً ، وسألني بعض أسبابه^(١)
عن حاله فقلت : أنفذه الأمير في مهم له من وقته ، وأمر له بصلة ،
وقد أنفذ إليكم هذا منها ، ودفعت إليهم من عندي خمسين ديناراً ،
واستتر عني خبره شهراً ، فلما انقضى رأيته يوماً قد دخل وأنا بين يديه ،
وقد اتسخت ثيابه ، وطال شعره ، فاستبشرت لرؤيته ، وعجبت من حاله .
فدنا من الأمير فخطبه ساعة ، ثم استدعى أيضاً السياط فضربه
عشرين سوطاً ، وأمر به إلى المطبق ، فازدت حيرة وتعجباً وغماً . فلما
كان بعد شهر قال لي أحمد بن طولون : يا أحمد . فقمت قائماً فقلت : لبيك
أيها الأمير . قال لي : قد وافى ذلك الفتى من الموضع الذي كنا أنفذناه
إليه ، والساعة يدخل فاخرج للقائه ، فبادرت مسروراً بذلك ،
فلقيته بعين شمس ، وهو راكب على بغل فار به بسرج ثقيل ، وجنيبة^(٢)
تجنب له ، ومعه ثلاثة أبغل تُقلُّ محمله إليه ، فسلمت عليه وبدأني فقال :
إني لأعلم تعلق قلبك بأمرى ، فقلت له : ما أحسن أصف ذلك ،
فعرفني حالك . فقال لي : لما نظر إليّ عند دخولي إليه واستدناني قال
لي : إن قلبي متعلق بما يجري من المعتقلين في المطبق ، وقد ندمت لك ذلك ،
وقد عملت على أني أظهر سخطاً عليك ، وأمر بك إلى المطبق ، فإذا

(١) في الحديث كل سبب ونسب ينقطع الا سببي ونسبي ، النسب بالولادة والسبب بالزواج وهو
من السبب وهو الجبل الذي يتوصل به الى الماء ثم استعير لكل ما يتوصل به الى الشيء (تاج العروس)
(٢) الجنيبة : الدابة تماد .

قصته الطيبة

حصلت فيه فأثبت ما يجري من واحد واحد ساعة بساعة ، فإنني أنفذ إليك رجلاً خفي الشخص يجلس إليك ، تنفذ إليّ معه ما يجري يوماً بيوم ، فقلت له : لما توجهه هذه الحال : فإن ضربني الأمير ولو ضرباً يسيراً كان أصح لخبري ، فقال : لله درك ، فما أخطأت فراستي فيك ، فأمر بضربي كما شاهدت ، وأمت في المطبق شهراً أنفذ إليّ كل يوم مجللاً بما يجري مع شيخ يأتي كالمسلم عليّ ، وأهل المطبق يسألونني عن حالي ، فأقول : لا أدري من سعى بي بما لا أعلمه .

ثم أخرجت من المطبق ، فقال لي : قد قبضت على قوم آخر ، وأنا أريد إنفاذهم إلى المطبق ، فتعود إليّ على رسمك ، وثابت ما يكون منهم أيضاً ، واطالعني به ففعلت ، فأنفذ عشرة أنفس ما بين قائد وعامل و كاتب وصاحب ، فجزيت على شاكلي فيهم ، وأخرجت أمس إليّ فقال لي : بارك الله عليك وفيك ، وأمر لي بألفي دينار وعشرة آلاف درهم ، وما ترى من الحملان^(١) وثياب كثيرة ، وتقدم إلى نسيم بأن يسفرني هذا السفر وينفذني إلى عين شمس ، لا أعود منها كالسافر . فركبت فصرت معه إلى منزله ، وقد سررت بسلامته ، وكثر تعجبي من أفعال أحمد بن طولون ، وازداد خوفي ووجلي منه .

(١) الحملان ضم الحاء : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

ابن طولون
ورهبان القبط

ومن ذلك ما رواه رهبان دير القصير^(١) قالوا: كان كثيراً ما يطرقنا
الأمير أحمد بن طولون، ويخلو في بعض قلايينا^(٢) يفكر، وكان يأنس
براهب منا يقال له أندونة، فشكونا إليه يوماً أمر ابن مديبر صاحب
الخراج ببصر، وقلنا له: إنه يطالبنا بجزية رؤوسنا، وقد أسقطت عن
أمثالنا على مر السنين، فوقع إليه بخطه توقيعاً وقال لنا: احذروا أن
تجعلوا توقيعني هذا كالسيف الذي يصول به صاحبه، ولكن استعملوا
الاستكانة عند إيصالكم إياه إليه، والمسألة وحسن التلطف، فعجبنا
من قوله، وصرنا إلى ابن مديبر وإذا به قد بلغه خبر التوقيع، واستعملنا
ما أمرنا به الأمير، فأخذ التوقيع منا، وبلغ لنا فوق ما نحب.

تجسس ابن طولون
على احد اصحابه

ومن ذلك ما حدث به الفارسي، وكان من ثقات أصحاب
أخباره، وخصيصاً به جداً قال: دعاني أحمد بن طولون يوماً فقال
لي: ويحك قد خفي عني أمر فلان، رجل كان من أصحابه الأتراك،

(١) الغالب انه دير القصير ضد الطويل لا القصير بالتصغير ودير القصير كان في جهات حلوان في المكان
المطل على الصحراء والنيل وعلى القرية المعروفة كانت بـشهران والمعروفة اليوم باسم المعصرة بين طرا
وحلوان . ودير القصير مازال الى اليوم عامراً . قال ابن فضل الله في مسالك الابصار : انه في
اعلى الجبل وفي اعلاه غرّة ناهما حمارويه بن طولون تطل من كل جهة ، وكان كثير الغشيان لهذا
الدير والى جانبه قرية تعرف بشهران . وفي عمل اسبوط اليوم دير القصير ايضاً لكن هذا بعيد
وان طولون كان يختلف الى دير قرب الفسطاط وهو الدير الذي وصفنا .

(٢) القلاية كالتالية : شبه الصومعة تكون في كنيسة النصارى والجمع القلايا وقد جاء ذكرها في
الحديث وهي القلاية عند النصارى معرب كلاذه وهي من بيوت عبادتهم (قاله الزبيدي في تاج العروس)

وقال لي : من العجب أن يضبط نفسه ، ولا يظهر شيئاً من أمره ، فابحث لي عن حاله ، والطف في ذلك . ففضيت إلى داره فجلست ناحية ، وسألت من قرب من جواره عنه ، فعرفت أنه يركب في كل يوم ، ويغلق باب داره فلا يفتح ، ولا يقربه أحد إلى موافاته ، فإذا وافى ونزل أغلق فلم يخرج منه أحد ولم يدخل إليه أحد إلى غد يومه ، فإذا ركب كانت تلك سبيله على هذا دائماً .

فاكتريت داراً رأيتها مشرفة على داره وانصرفت . فلما كان غد يومي صرت إليها ومعني حمّال ، معه ما أجلس عليه وآكله وأشربه ليومي ، فدخلت الدار وغلقت عليّ بابها ، وصعدت إلى سطحها فتأملته ، وإذا فيه موضع أشرف منه فأرى قاعة التركي وبعض مجلسه ، ولم أسمع له حساً فعلمت ركوبه ، فلم أزل أتوقع عودته ، حتى عاد من ركوبه ، فلما سمعت حركته أشرفت ، فرأيته وقد دخل مجلسه ، وأقبلت أراعي أمره ، حتى رأيت الطعام ينقل إليه ، إلى أن فرغ من آكله ، وأدخل إليه الطست والغسل ، ولم أسمع بعد ذلك له حركة ، فعلمت أنه لما أكل نام ، فلم أزل أنتظر ما يكون ، وكان ذلك الوقت صيفاً .

فرأيت الفرائش بعد العصر ، وقد كنس القاعة ورشها ، وأخرج حصراً حساناً ففرشها ، وجعل له مطرحاً^(١) طبرياً ومسورتين^(٢) وأربع

(١) المطرح : كلفرش وزناً ومعنى ، وطبري ندية إلى طبرية من مدن الشام أو إلى طبرستان .

(٢) المسورة بكسر الميم مخدة مدورة (دوزي) .

مخاد ومقعد سامان (?) مبطن عن يمينه ومخاد بلا مساور، وخرج الفرائش
فخرجت جارية ففلقت باب القاعة بينهم وبين الغلمان . وخرج التركي
فجلس على المطرح ، وخرجت معه جارية في نهاية الحسن والجمال ،
فجلست على المقعد السامان (?) وجاءتها جارتها بعودها ، فوضعت
بين يديها .

وقدم بين يديه صينية فيها ثلاث خرداديات (١) ، وكوز ماء ،
وقدح نصف ، وجعل بين يدي الجارية صينية فيها خردادي وقدح
لطيف وكوز ماء ومغسل ، وأخذت العود فغنت أحسن غناء وأطيبه
وأحذقه ، وشرب حتى استوفى الثلاث خرداديات ، وشربت الجارية
الخردادي الذي بين يديها ، فأتي بثلاثة آخر وملئ خردادي الجارية ،
وغنت وشرب وشربت واستوفاهما . وفي كل واحد منهما نحو الرطلين
لأنني رأيتها كباراً وملئوا له ، وقد خلط في كلامه ، فاستدعى الرطل
فملاه ، وغنت وشرب ، فلما شربه قال لها : ويحك الساعة حصلنا على أن
يملك أحمد بن طولون العاصي لمولاه أمير المؤمنين الموفق هذا البلد الذي
ليس في الدنيا أجل منه ، ونحن بين يديه يدبرنا كما يشاء ، وبأمر
فينا بما يحب ، والله لا صبرت له على هذا . فقالت له الجارية : أيضاً قد

(١) الخردادي على ما في كتاب كنوز الفاطميين للأستاذ زكي محمد حسن : ابريق من
البلور الصخري له عنق ضيق وجسم يزداد اتساعاً من اعلى الى اسفل . والخردادي الخمر معرب
خوردادي بالفارسية ، والغالب ان هذا الاءاء كان خاصاً بوضع الخمر كالباطية . وقال الاستاذ
كرنكو : انها خرداذية بالذال في الثانية وهي كلمة فارسية لنوع من اواني الشرب كانوا يشربون
فيها ايام الأعياد .

عدت إلى هذا؟ دع عنك ما لا نحتاج إلى ذكره، واشرب حتى أغنيك صوتاً ما سمعت مني مثله قط، فقال لها: هات، فغنت صوتاً جودت فيه وأحسن كل الإحسان، وشرب فما ضبط نفسه فقال لها: ما أدري أي قتلة أقتل هذا العاصي الملعون. فقالت له: املاً قدحك حتى أغنيك صوتاً أحسن من كل ما غنيت، فلما غنت وشرب زاد الأمر عليه فقال لها: ويحك والله لا صبرت عن هذا العاصي، ولا دخلن إليه غداً وأخذ سيفي هذا، ثم جرّ دسيفه ووقف واقفاً وقال: ولا أزال أضربه هكذا وهكذا، وأقبل يضرب به المسورة، ويقول: أشتقي منه قلبي هكذا، حتى قطعها قطعة قطعة، فلم تنزل ترفق به حتى أخذت السيف منه، وأقبلت تغنيه وتسقيه حتى سكر ونام، ونمت موضعي.

ولما كان في السحر بكرت إلى أحمد بن طولون وعرفته ما جرى، وتبينت الغيظ في وجهه، وقال لي: امض، وأمسك حتى دخل إليه في جملة المسلمين من غدي، فلما أراد الانصراف أمره بالجلوس، فلما لم يبق أحد من المسلمين استدناه إليه ثم قال: يا هذا أسأت إليك قط؟ قال: لا أيها الأمير. قال: أليس أنا أدرّ عليك أرزاقك وجراباتك وأرزاق من معك؟ قال: نعم أيها الأمير. قال: ولا أخليك في الأوقات من صلة وجائزة؟ قال: نعم. قال: فبأي حال استوجبت منك أن تفعل كذا وكذا، وعرفه ما عرفته، فقام التركي قائماً، ورفع رأسه إلى السماء وقال: رفعته علينا فصبرنا،

وما كتبه رقابنا و ارزاقنا فاطعنا ، وأعطيته الدنيا كلها فلم نبال ، ما قنعت
له بهذا كله ، حتى صرت له صاحب خبر علينا ، فرفعت إليه ما تخرجه
حماقة النبيذ من الناس إذا هم شربوا ، كل هذا تتقرَّب من قلبه .
فضحك أحمد بن طولون حتى استلقى على شدة تزمته^(١) ، ثم أمره
بالانصراف ، وأتبعه بخادم معه خمس مائة دينار ، وأمره أن يدفعها
إلى الجارية ويقول لها : قد أحسنت في تأديبه فالزمي ذلك ، ثم أخرجه
بعد شهر إلى طرسوس ، وكتب له بأرزاقه هناك ، ووصله بخمس مائة
دينار ، ولم يحتمل أن يكون معه في بلده وبجيث تراه عينه ، ويحمل
منه ما شق عليه تحمله ، ولم ير في مروءته أن يسيء إليه لجليل فعل جاريته ،
وما أصلحته من خطابه ، ورميه بطرفه إلى السماء

أهداه ابن طولون
للجواسيس عليه
وأما فراسته وصحة إزكازه^(٢) ، فما رواه أبو العباس المعروف
بالطرسوسي صاحب خبره قال : ما رأيت أصح إزكناً من أحمد بن طولون
ولا أقوى فراسة منه . نظر يوماً شيخاً في جملة من ينظر إليه ، وهو راكب
سائر في جيشه فقال لبعض حجابيه : دونك ذلك الشيخ ، فقبض عليه ،
فلما صار في داره أحضره ، فأذا به رجل خراساني شديد العجمة ،
فسأله عن أمره فاعترف أنه صاحب خبر عليه للموفق ، وأن معه كتباً
إلى جماعة من قواده وأصحابه ، وأحضر الكتب فأخذها ، وأمر به إلى
المطبخ ، فقال له : أيها الأمير أما وقد أخذتني بحسن فراستك ، فقد

(١) التزم : الوقار . (٢) الازكان : النظة والمحسن وان ظن شيئاً فنصب فيه .

لزمني نصحك ، لما ملك قلبي من ذكاء عقلك ، واقتصارك بي على الحبس ،
وعفوك عن عقوبة كنت أتوقع التلف معها . فقال له : قل يا مبارك .
قال : معي صاحب خبر آخر فإن أردت أن تحتاط فاحبسنا جميعاً إن
رأيت ذلك ، أيها الأمير ، صواباً . فقال له : بارك الله عليك ، وأين
يكون ؟ قال : في موضع يجتمع فيه من ليل إلى ليل ، قال : فخذ معك
من تريه إياه ، حتى يأتيني به قال : أفعل فأنفذ معه بعض حجابيه
ومضى معه ، ولم يزل يتروقب موافاة صاحبه حتى وافى في آخر النهار ،
فعرّفه معرفة أحمد بن طولون به ، وقبضه عليه ، فسمعه الحاجب ،
وهو يقول له : فما الذي قلت له ؟ فقال : اعترفت بالصدق ، فقال له :
جودت ، الصدق أحمد عاقبة ، وإن سألتني صدقته ، وأحسبك ذكرت
له مكاني معك ، فوجه هذا الرجل معك ليحضرني إليه قال : نعم .
قال : سمعاً وطاعة ، امض بنا . ووافيا والحاجب معها إلى أحمد بن
طولون . فعرّفه الحاجب ما سمعه منه ، فأعجبه ذلك ، وسأله عن خبره
فصدقه . فقال لهما : قد نجوتما مني وتخلصتما بصدقكما ، فارجعا الآن
إليه وعرّفاه بعرفتنا بكما ، وأخذنا الكتب التي كانت معكما ، وإطلاقي
لكما ، ووصلها ووجه معها من يقيها .

قال أبو العباس فتحيرنا مما شاهدناه منه ، وقلنا : هذا وحي ،
وفطن لما خامر قلوبنا من ذلك ، فقال لنا : قد علمت ما اختلج بأسراركم ،
ما هو وحي ، ولكنّه إز كان صحيح ، وذكاء قوي بحمد الله ومنه .

إني رأيت هذا الرجل في وسط الناس وهو مشغول بالنظر إليّ والتأمل لي ، لا يطرف عني بنظر إلى جليس ولا غيره ، فارتبت به ، فكان كما ظننت . فقلت له : وفق الله الأمير وكفاه

قال : وانصرف يوماً من الصيد ، فاجتاز على شارع الحمراء فتأمل داراً تبني هناك ، فوقعت عينه على بعض الرقاصين ^(١) ، فأمر بأخذه فقبض عليه ، ووافوا به إلى الميدان ، فلما جلس أمر بإحضاره ، فلما حضر أمر بإحضار السياط والعُقابين ، فلما شُدَّ صاح : أيها الأمير ، لا تعجل عليّ من قبل أن تسألني ، وتعلم ما عندي ، فقال : صدق حلوه . فلما حُلَّ قال له : ادنْ ، فلما دنا ، قال له : عرّفني خبرك ، واصدقني تنجُ مني . قال : نعم أيها الأمير أنا جاسوس للموفق ، وكانت معي كتب ففرقتها على أصحابها ، فوعدوني بكتب الجواب عنها ، فعملت رقاصاً ليستتر أمري ، وأسمع وأنا في أوساط الناس من أحوال البلد وأخبار الأمير ما أحفظه ، حتى أذكره عند عودتي إن أنفذني ، كما يلزم من نصب لهذا المنصب . فقال له : صدقت ، فعرفني من أصحاب الكتب ، فعرفه بهم واحداً واحداً ، ووكل به من أخرجته عن البلد من وقته ، وقال له : قل له قد أطلعنا الله عز وجل على ما سترته ، وأردت أذيتنا به ، وأظفرنا ونصرنا ، ولم يضرنا ففعلك ، والحمد لله على ذلك . فلما كان في الليل قبض على

معرفة الجواسيس
بالظرفي لبا- ٣٣

(١) الرقاص : اجير البناء وهي لغة مصرية .

أولئك القوم أصحاب الكتب كلهم ، فمنهم من غرقه ، ومنهم من
طم عليه الحفر .

فقال له موسى بن طونيق وكان خصيصاً به : أيها الأمير ، كيف
علمت أن هذا الرقاص جاسوس ؟ قال : لمحتة على الاسقالة^(١) وعلى كتفه
قَصْرِيَّة^(٢) الطين ورأيت تكة أرمني فأنكرت ذلك وقلت : رقاص
لا تكون تكمته إلا خيطاً أو كتاناً ، فقبضت عليه وكان ما شاهدت
منه . قال له : أحسن الله توفيق الأمير .

وحدث موسى بن طونيق قال : رأيت أحمد بن طولون يوماً ، وقد
أمر بالقبض على رجل دخل إليه في جملة الأولياء للسلام ، ثم أحضر
له السياط والعقابين وقال له : اصدقني وبلك من أرسلك إلي ، فخبرك
عندي منذ البارحة . فقال له : صدق الأمير أيده الله ، أنا صاحب
خبر لأبي أحمد الموفق ، فأمر به إلى المطبق .

قال موسى فقلت له : أيها الأمير هذا وحي لا شك فيه . فضحك
وقال لي : ويحك لا تكفر بالله ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وارتفع الوحي . ولكن اعلم أنه إذا كان العقل صحيحاً قل ما يخطئ ، وإلا
فما منزلتي منزلة من يوحى إليه ، ولكنني أزر كن وأستدل فقل ما أخطئ ،

(١) الاسقالة: لعلها ما يطلق عليه في الشام اسم الصقالة وهي خشاب تحكم ليمتلئها البناؤون
والتجارون والمجسمون والمطينون والمدهنون .

(٢) القصرية: كالاجانة توضع فيها الزهور والطين وغير ذلك . وهي لظفة دخيلة

ومع هذا فإني رأيت البارحة في النوم هذا الشخص بعينه ، وكأنه يروم الدخول إليّ فيمنع من ذلك ، فكأنه يتسلق إلى طاق^(١) في مجلسي ليرى ما أعمل . فكانت عبارة هذه الرؤيا تدل على أنه صاحب خبر لتسلفه عليّ وتجسسه ، وكان ما قدرته .

ومن ذلك ما رواه تركان بن عبد الله بن الإمام قال جلس أحمد بن طولون يوماً في مُسْتَشْرَفٍ له على بعض بساتينه ، وأحضر الطعام ومن يوأكله من خاصته ، فرأى من بعيد سائلاً في ثوب حَلَقٍ ، وحال سيئة ، وهو جالس يتأمل المُسْتَشْرَفِ ومن فيه ، فأخذ رغيماً ، وكان خبز الطولونية في الرغيف رطلين زائدين ، فجعل عليه دجاجة وفرخاً وفرجاً وشواء اللحم ، وقطع فالزوج كبيرة ، ومن جميع ما كان بين يديه ، وغطاه برغيف آخر ، وجعل فوقه لوزينجاً مع الفالودج وغطاه برُقاقتين ، ودفعه إلى بعض الغلمان وأراه إياه وقال له : امض سلّمه إليه ، وأقبل يُراعي الغلام في دفعه إياه إليه وما يكون منه ، إلى أن دفعه إليه ، وعاد فعرفه ذلك ، فلم يزل يتأمل السائل ساعة ، ثم أمر بإحضاره ، فلما مثل بين يديه استنطقه ، فأحسن الجواب ، ولم يضطرب من هيئته ، فقال له : الكتبت التي معك هاتها ، واصدقني صدقاً ينجيك من ضرب السوط ، فقد توهمت فيك بحسن عبارتك ، وثبوت قلبك ، وصحة عقلك ،

(١) الطاق : ما عطف من الابنية ج طافات وطيقان (فارسي مررب) .

فاعترف له أنه صاحب خبر، وأن الكتب معه ما أوصلها ليدبر أمره
في إيصالها، فوكل به حتى مضى وأحضرت الكتب .

قال ترکان الإمام: فقال له طبارجي [وكان ذا دالة عليه وذا
موقع منه]: أيها الأمير إن لم يكن هذا وحيًا فهو سحر، فقال له:
لا والله يا هذا، ما هو وحي ولا سحر، ولكنه قياس صحيح،
وتوفيق من الله جل اسمه، وتفضل منه عليّ: رأيت هذا الرجل
على ما هو عليه من سوء الحال فأشفقت^(١) عليه، وعلمت أن
مثله لا يصل إلى مثل ما بين أيدينا من الطعام، وأنه يرى في
الأسواق ويشم من الروائح ما لا يصل إليه، وتعلق نفسه به،
فأردت أن أسره بما أنفذته إليه، فوجهت إليه بما تشره إليه
نفس الشبعان الواجد فكيف الفقير؟ فما هش له ولا مد يدًا إليه،
ولا رأيت من حسن القبول له والشهوة ما قدرته، فنفر قلبي منه،
وقلت: هذا عينه ملأى وفي غنى عن هذا، هذا جاسوس لا شك
فيه، فأحضرتة فكان من أمره ما قد شاهدتموه من صحة
خطابه، واستيفاء جوابه، فازداد إنكاري لأمره لقوة قلبه،
واجتماع لبه. وأنه ليس عليه من شواهد الفقر ما يدل على
فقره، وبعثه عقله على أن اعترف بأنه صاحب خبر، وصدقني عن

(١) شفق واشفق: حاذر قال الراغب: الاشتفاق عناية محتلطة بخوف لأن المشفق يجب

المشفق عليه قال عز وجل: «وهم من الساعة مشفقون» فاذا عدي بن فمعي الخوف فيه اظهر،

واذا عدي بجلي فمعي الناية فيه اظهر

أمره ، ولا أسيء إليه وأثأثره وأطلقه . ففعل ذلك بعد ثلاثة أيام ^(١)

وحدث تر كان بن الإمام عن أبيه قال : قال لي أبي : ركبت مع
الأمير أحمد بن طولون يوماً في السحر ، وكان من عادته أن يركب
سحراً في نفر من أصحابه ، ويمتاز بالواضع الشعثة يطالع منها جنائبات
أهل الشر في الليل ، فمن ظفر به منهم أمر بضرب عنقه ، فلقينا في
الطريق صوائح ، فوجه معهن من يخفهن إلى حيث يقصدن ، إلى
أن لقينا صوائح آخر فقال لصندل المزاحمي : انزل إلى هؤلاء الصوائح
ففتشهن واحدة واحدة ، فأخرج من وسطهن رجلين وأمر بهما إلى
المطبخ ، وكانا من قد جدَّ في طلبهما فلم يقدر عليهما ، فقال له طبارجي :
كيف تبينت ، أيها الأمير ، هذا من هؤلاء خاصة ، وقد لقينا غيرهن ،
ولم تفعل هذا بهن ، فقال له : نعم أولئك الذين لقينا هن كان صياحهن
يجد وحرقة وعلى غير تصنع ، وكان صياح هؤلاء بتشاج وتصنع ،
فعلت أن معهن رجلاً ، لأن من شأن النساء التصنع للرجال ، فكان
ما ظننت .

النساء الصائحات
والجاسوسان

(١) قال المصري في « جمع الجواهر في الملح والواد » : وكان أحمد بن طولون قد نابذ
الموقف وبأبائه بالعداوة وخله ، وكان قد ضبط مصر من الجواسيس ، وكان متيقظاً فهما ، فأشرف
من قصره يوماً فإذا بجنازة قد سمرت عليه ، فقال : علي بالمش ومن فيه ، فأحضره ، فقال : قم
يا متأوت ، ثم دعا بالسياف وقال : اضربه ، فقام الميت من نعشه ، فقال له : انت متجسس من
ناحية أحمد . قال : نعم . قال : لو لم أقدم اليك لقتلتك وقتلت من معك ، وأمر من أخرجهم من
عمل مصر ، فقيل له : من أين علمت ذلك ؟ فقال : رأيت القوم ليس عليهم كآبة من مات له
ميت ، ورأيتهم يطوفون بالنصر ونظرت إليه في العرش فرأيت رجله قائمتين ورجل الميت استرخي ،
فحكمت بأنه حي ، فلما حضر رأيت يسارق النفس فضحت القضية .

وحدث شعيب بن صالح قال : كان لأحمد بن طولون رجل يشق المتلاعب من رحال
ابن طولون به على كثير من أسراره^(١) ، يطالعه بها وما غاب عنه منها ، فعرفه جماعة
من الناس بذلك ، فكانوا يهادونه استكفافاً لشره ، وبسط يده
للارتفاق^(٢) إلى أن كسب مالا عظيماً ، وانكشف أمره لأحمد بن
طولون ، وعلم أن قصده الارتفاق في النصيحة . فلما وقف الرجل على
علم أحمد بن طولون به هرب منه خوفاً على نفسه ، فشق ذلك على أحمد
ابن طولون جداً ، لاشتماله على ما عنده من أسراره ، فرأى أحمد بن
طولون في منامه كأنه حفر قبراً ، واستخرج منه ثعباناً عظيماً ، فقبض
عليه بعنقه ، وأخرجه من القبر ، وجعله في جرة عظيمة ، وسد رأسها ،
ثم أصبح فركب على رصمه مغلياً إلى العين التي بناها بالعاقر ، فرأى
جنازة امرأة وخلفها نحو من عشرة أنفس ، وقد أخرجت في ذلك الوقت ،
فاستراب بها ، فقال ابن يحملها : أين حفرتم لهذه المرأة ؟ فاضطرب
الجماعة ، وحطها وكشف الغطاء ، فوجد الرجل الهارب منه ، وقد رام
الخروج عن البلد ، فأعجزه ذلك وضاق به الحيل ، فصنع هذا حتى
يصل إلى الصحراء ، فيذهب متنكراً في زي العباد ، ويأخذ طريق
الجبل ، الصحراء الصحراء ، إلى أن يتخلص ، فأمر به إلى المطبق ،
واستصنى جميع ماله ، وصحت رؤياه التي رآها وزال غمه بها .

(١) في الأصل : اصغابه بدل اسراره ولا معنى لها .

(٢) الانتفاع والكسب ، وفي رواية : دون تجريد النصيحة

كشف ابن طولون
للقتيبة

وحدث شعيب بن صالح قال : كنت مع أحمد بن طولون يوماً في الصحراء فرأى حملاً وهو يحمل شيئاً قد أثقله ، وهو تحته يضطرب اضطراباً شديداً ، فقال : لو كان اضطراب هذا الحمال من ثقل الحمله ، مع ما أرى فيه ، لغاص رأسه في عنقه ، وما هذا منه إلا من رعب مما يحمله ، فأوقفه وأمر بحط الحمله عنه ، فحطت وفتشت ، فإذا معه جارية قد قُتلت وفُصِّلت ، فاستخبر الحمال عن القصة ، فقال له : أربعة نفر في دار ، دفعوا إليّ هذه الحمله ، وأعطوني ديناراً فشرهت نفسي ، لسوء حالي ، إلى الدينار ، فتحملت من حملها مالا أطيقه . فقال له : فحضرت قتلها ؟ قال : لا والله . قال له : أرني الموضع ، وعاد مع الحمال إلى أن أراه الموضع الذي حمل منه ، ووجد القوم بالمهم لم يهربوا بعد ، فقبض عليهم وأمر بضرب أعناقهم ، وضرب الحمال مائة مقرعة وأطلقه ، وقال له : لو كنت حضرت قتلها لقتلتك .

اهتداؤم لمن يفر منه وحدث حماد بن علي الأزدي - وكان أحمد بن طولون قد جعل

إليه منع من هرب منه والتفتيش عنه - قال : تغير أحمد بن طولون على نعيم المعروف بأبي الذيب فهرب منه فأمر بطلبه وقال لي : لا تطلبه في داره بالفسطاط ، ولا في ضيعته سراط (١) ، ولا عند أحد من إخوانه ، فإنه أضعف قلباً ودينياً من أن يقيم في هذه الأماكن ،

(١) كذا في الاصل بنبر فقط ولا تعرف هذه الضيعة وهي محرفة بالرسم .

ولكن اطلبه في الديارات وعند النصارى ، فإنك تجده في زي راهب ،
وقد دخل في جملتهم ، لأنه حاذق بالقبطية فصيح بها . قال حماد :
وطلبتة هناك فوجدته كما وصف فقبضت عليه ، وجئت به على هيئته ،
فلما رآه قال له : إيش هذا الزي ؟ أرتداد عن الإسلام ؟ السيف
والنطع . فقال : لا والله ، أيها الأمير ، ما ارتددت عن الإسلام وإنما
تسترت بهذا الزي لأخفى ، ولكن أين يتهيأ لي استتار منك ولغيري ؟
وأنت كما قال النابغة الذبياني :

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي وإن خلت أن المتأى عنك واسعُ
فأوقفه هذا القول من أن يجري عليه من المكروه ما كان معتقداً
له فيه ، لما كان فيه من الكرم والحياء لمن صدقه ، واستكان بين يديه ،
وأخذ خطه بمائة ألف دينار وسلم الخط إلى محبوب بن رجاء كاتبه ،
وكان [في] محبوب ثره ومجبة لأخذ المرافق ، فوعده بخمسة آلاف دينار
وكتب له خطه بها ، فسأله أن بنجم^(١) عليه المال ليؤديه قليلاً قليلاً ،
على حسب ما يتهيأ له وتوسع به حيلته ، فكان كلما حضر ما يؤديه
لم يأخذ به براءة ، واستدعى خطه فحط منه وكتب بياقيه ، وكلما كتب
خطه بالباقي ، صغر الخط ولطفه ، إلى أن حصل له من الأداء ثلاثون
ألف دينار وكتب الخط بسبعين في رقعة صغيرة ، وأقام أياماً ، وهو
يذكر اضطرابه واحتياله بما يؤديه ، ثم ذكر أنه حضر ما يؤديه ،

(١) نجم المال : إذا اداه نجومياً أي اداه عند اقتضا . كل شهر منها نجماً .

واستدعى من محبوب خطه ليحط منه على الرسم ، فدفعه إليه محبوب على الاسترسال والثقة والعادة التي قد جرت ، ولارتفاقه منه بخمسة آلاف دينار ، فلما حصل الخط في يده أكله وقال ما بقي عليّ من مصادرتي درهم واحد إلا الخمسة آلاف المرفق التي خطي معك بها ، فقامت على محبوب القيامة . وُرفِع الخبر الى أحمد بن طولون فأمر بإحضارهما ، فلما حضرا قال نعيم : قد أدبت ، أيد الله الأمير ، جميع المال الذي أخذ به خطي إلا خمسة آلاف دينار . فذكر له محبوب حيلته وأكله للخط ، فقال أحمد بن طولون لنعيم : احلف برأسي أنك قد أدبت المال ، ولم يبق عليك منه إلا ما ذكرت ، وأن الذي ادعاه محبوب باطل ، ونحن نصدقك ونزيل المطالبة عنك ، فقال : قد أدبت جميع ما أخذ به خطي وسلم إليّ خطي وحرقتة ، وإنما لما طولبت بخمسة آلاف دينار مرفقاً خطي بها مع محبوب ، ولم يتبأ لي أداؤها ، ادعى عليّ بما ادعاه ، فقال له أحمد بن طولون : يمكن أن يكون الأمر كما ذكرت ، ولكن احلف برأسي على ما حكيت ، وقد برئت من المال ، فقال : يعفني الأمير ، أيد الله ، من هذه اليمين ، فأني لست أحلف بها بوجه ولا بسبب . فقال له : لست أعفيك منها إلا بالصدق فقال : إذا لم يعفني الأمير ، أيد الله ، فأنا أجل رأسه أن أحلف به إلا صادقاً ، والأمر كما حكاه محبوب ، وما فعلت ما فعلت وحملت نفسي عليه ، إلا من إضافة شديدة غليظة ، وأنه لم يبق لي شيء أرجع

إليه فيما أدبته ، وقد كشفت حالي للأمير أبده الله فيرى في عبده ما يشبه كرمه ورياسته ، فثناه هذا الفعل عنه ، ورق قلبه له ، لأنه كان إذا صدق لان وانعطف وأنعم ، وبلغ منه فوق المحبوب . فأمر بإطلاقه ، وحط ما كان بقي عليه ، ورد ما أخذ منه ، ورد إليه عملاً يتصرف فيه .

وحدث شعيب بن صالح قال : ركب أحمد بن طولون يوماً فسلك الجاسوس
الصادق الشريف شارع الحمراء يريد الجيزة ، فلما توسطه وقف ودعا بطخشي ، فأراه داراً هناك ، وقال له : قف على هذه الدار توكل بها ، واحذر أن يفوتك أحد من فيها ، حتى نتصفح وجوههم واحداً واحداً ، فإنك تجد شيخاً صفته كذا وكذا ، رأيت الساعة يتطلع من طاق في عُقر^(١) هذه الدار ، فلما رأني أغلق الطاق ، فخذته وامض به إلى الدار إلى أن أعود إن شاء الله .

قال طخشي : وسار الأمير ووقفت على الدار ، وأطفت بها الخيل والرجال ، وأنزل إلى جميع من فيها وأتصفح وجوههم واحداً واحداً ، فوجدت الشيخ على الصفة التي وصفها لي ، فقبضت عليه ، وصرت به إلى الميدان ، ورجع الأمير فحين نزل دعا بالشيخ ، فلما مثل بين يديه قال له : من أين الرجل ؟ قال : من بغداد . قال : وما جاء بك إلى

(١) في الأصل : في عسكر هذه الدار

هاهنا؟ قال : صاحب خبر عليك . قال له : عليّ ؟ قال : نعم ، عليك .
قال : ومن أنفذك متخبراً^(١) عليّ ؟ قال : الأمير أبو أحمد الموفق .
قال : ومن تعرف يا شيخ ؟ قال : بالقطان الطالقاني . قال : فضحك
أحمد بن طولون ، لما أعجبه من صدقه ، وقلة جزعه ، وانحل غيظه . وقال
له : اجلس فجلس ، فقال له : أبو من ؟ قال : أبو جعفر . فقال له :
قد سمعت بك يا أبا جعفر ، وكتب إليّ بخبرك ، وقد سررتني بصدقك
إيائي ، وحرست نفسك بذلك مني ، فذكم وردت البلد ؟ قال :
منذ سنة . قال له : ويحك ، ولك هذه المدة منذ دخلت البلد ، وأمرك
مستتر عني ؟ قال : نعم ، قال : فكيف نتف على أخباري ، وهذه
حالك في الاستمرار ؟ فقال : معي عشرة يدورون في البلد ، ويرفعون
إليّ أخبارك ، وأكتب بها . فقال له : وكيف قدرت على الدخول
إلى البلد مع ضبطي طريقه ؟ فقال : ركبت البحر من أنطاكية إلى
تَبَيْس^(٢) ومنها إلى مصر . فقال : صدقت ، أما هذا فما ضبطناه ، ولكن
من الآن .

ثم قال له : يا أبا جعفر إنك هو ذا تحسن وتجمل إليّ وإلى نفسك
في صدقك إيائي ، وقد أمّنتك الله عز وجل ، وأزال خوفك ، فاصدقني

(١) خرج يتخبّر الأخبار : يقتبها

(٢) تَبَيْس : مدينة كانت قرب دمياط تنسب إليها الثياب الفاخرة وهي بجوار المنزلة ولم يبق
منها اليوم إلا أطلال . بنى فيها ابن طولون عدة صهاريج وحوائيت في السوق كبيرة وكانت
تعرف بصهاريج الأمير ، وصفها المقدسي بأنها جزيرة صغيرة في بحيرة بين بحر الروم والنيل قد بنيت
لها مدينة واي مدينة وهي بندا الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب الخ .

أيضاً عما أسألك عنه ولا تناقني متقرباً إليّ . هل ترى في سيرتي شيئاً تنكره ، أو في تدبيري سياستي ما تدم ؟ مع تأملك لذلك منذ سنة . قال : لا والله الذي لا إله إلا هو ، وبالله إني لا أكتب بذلك ، وبما هو لك لا عليك ، وإني لأعلم أنه يسوء من أكتبه به ، ولكن الصدق يبعثني عليه ، رضي به من رضي ، أو سخط من سخط ، لأنني ما أقول فيما أكتب به إلا حقاً ، لأن أفعالك كلها حسنة جميلة ، مضبوطة محفوظة مستقيمة ، فإن الذي أكتب به من ذلك لما يزيد به حالك في قلوبهم خوفاً ، وهيبتك في نفوسهم عظماً وجزعاً وذعراً . فقال له :
حسي يا أبا جعفر ، أحسن الله إليك .

ولكن يا أبا جعفر كتب إليّ عنك بستر ودين وصدق لهجة وغنى عما حملت نفسك عليه ، فلم رضيت لنفسك بخدمتهم في هذه الحال العظيمة التي يركب صاحبها فيها خطئة لا يدري ما عقابها ؟ وهذا أيضاً مع بعد الطريق ، وتكلف المشقة العظيمة فيها وعظم المخاطرة . فقال : أيها الأمير : أجبرت وخوفت ، فسمعت وأطعت ، ولم يمكني الخلاف ، لأن لي في بلدكم عقاراً وعيالاً وأهلاً وتجاراً ، ولولا ذلك لاخترت ، لما ندبت له ، الحرب من بلدكم ، ولما استجبت . إلا أني اشترطت عليهم أني إن وقعت في يدك ، وسألتني عن شيء صدقتك فيه ، وقدّرت أني أدفع بذلك عني ما دُعيت له ، فلم يثبتم ذلك ، وأذنوا

لي فيما شرطته عليهم من صدقك عما تسألني عنه من قليل وكثير ،
فحمدت الله عز وجل على ما ابتلاني به من ذلك ، وصبرت عليه ،
وعملت على أنها مصيبة من المصائب التي تلحق الناس لا يمكنهم دفعها
عنهم ، وعملت على أنك ، أيها الأمير ، إذا وجدتني لم تستبقني ، فما
خرجت حتى أوصيت كما يوصي من تحضره الوفاة ، إذ كنت لم أجد
بداً من ذلك ، وقد أخلف الله جل اسمه ظني ، وأزال خوفي ، بكرم
طباع الأمير ، أيده الله ، ورأفته ، فلولا ذكاء الأمير ، أيده الله ، وحدة
خاطره ، وقوة حسه ، وصحة ذكائه ، بما وهبه الله الكريم له من ذلك ، لما فطن
لي ، وقد رأيي أتطلع من طاق ، وما أنكر عند ردي باب الطاق حين
رأيت به ، فكان ما ظننه ووقع له في حقاً . فقال له الأمير : والله يا أبا جعفر
كذلك ، ما أنكرت غير ردك باب الطاق حين رأيتني ، وإن فطنتك
بذلك يا أبا جعفر لحسنة ، ولولا ما فيك من الفضل والذكاء والعقل لما
علمت بذلك ، فهل لك إلى ما أدعوك إليه ؟ فقال : يا أمر الأمير ،
أيده الله ، بما أمثله ، إن شاء الله . فقال له : أدعوك إلى خدمتي كما
خدمتهم مع مجانبة الخلاف علي . فقال له : قبيح أيها الأمير أن أدع
قوماً سبقوك إلي ، وخطوني بأنفسهم ، ووثقوا بي ، فلا يجوز أن أكون
عليهم بعد أن كنت لهم ومعهم ، وإذا لم أصلح لصاحبي الأول لم
أصلح للثاني .

فاجتهد به أحمد بن طولون فلم يُتجد فيه في ذلك حيلة ، مع ما فيه

من البذل والعطاء . وقال له : لأن يقتلني الوفاء أيها الأمير أحب إليّ
من أن يُحييني الغدر . فزاد بذلك في محله عنده . فقال له : إذا كنت
يا أبا جعفر قد أبيت فاختر ، إن أحببت المقام عندي من غير خدمة
تكرهها ولا تختار التصرف فيها ، فبالرحب والسعة ، وإن أحببت
الرجوع إلى صاحبك أطلقتك . فقال له : إذا كان الأمير أيده الله ،
قد خيرني بكرمه فالرجوع إلى الأهل والوطن آثر عندي مما أوتره
من التصرف بين أمره ونهيه ، وإن كانت المروءة هي أوجبت عليّ
حسن الوفاء لمن وثق بي ، فلن أكون بعد منصرفي عن الأمير ، أيده
الله ، إلا متصرفاً بين أمره ونهيه هناك ، مجازاةً لجميله ، أيده الله ، الذي
شمّلتني ، وإحسانه الذي قد عمّني ، فقال له : أحسن الله جزاءك
يا أبا جعفر ، وكثر في الناس مثلك .

وأمر سواراً الخادم ، فأخذه إليه على حال تكرمته ، فأقام في
داره ثلاثة أيام ، تُقام له في كل يوم مائدة حسنة ، ولا يزال أحمد
ابن طولون يتبع^(١) له وهو يأكل من كل ما يستطيه ، مما يقدم
إليه من طعام وحلواء وفاكهة . ويستدعيه ليلاً ، فلا يزال يجادته
ويسأله عن أخبار الموفق ، وما يحتاج إلى علمه ، وبوائسه إلى أن يمضي
الليل إلا أقله ، فلما كان في اليوم الرابع أحضره فقال له : يا أبا جعفر ،
الضيافة ثلاثة ، ولا أشك في تعلق قلبك بخلفيك ، ويعزّ عليّ والله

(١) بعض النبي : جزاءه ، وبعض : تجزأ أي يناوله بعض ما على المائدة من طعام تحياً

مفارقتك ، إلا أني لأحب أذيتك ، وأختار مساعدتك ، وأمر له
بعشرة آلاف دينار ، وعشرة أسفاطياباً ، وخمسة أرويس من الدواب ،
وثلاثة غلمان وطيب كثير . فكان مقدار ذلك عشرة آلاف دينار
آخر . فلم يقبل شيئاً من ذلك إلا سفظاً واحداً من الثياب ، وبغلاً
واحداً ، وديناراً واحداً من المال . وقال : أيد الله الأمير ، أنا والله
من وراء نعمة عظيمة واسعة ، ولي مع ما كنت وصفته للأمير ، أيده
الله ، ضيعة ترد عليّ في كل سنة عشرين ألف درهم ، وفي أخذي من
الأمير ، أيده الله ، ما أمر لي به ، تغنم لا أستحسن فعله ، ويقبح بي
وصفه . وقد أخذت مما أمر به الأمير ، أيده الله ، ما أشرف بلبسي
له ، وأتجمل بر كويتي بغلاً من بغاله ، وأنفق يوم أدخل بلدي هذا
الدينار ، والله لا أنفقت يومئذ غيره تشرفاً به . فإن رأى الأمير ،
أيده الله ، أن يتم سرور عبده ، ويدعه وما اختاره ، ولا ينقض علي
حملة ، فعل وأحسن بها إليّ . فازداد بذلك أيضاً في قلب الأمير أحمد
ابن طولون جلاله ورفعة ، ووصاه بما احتاج إليه وودعه ، وأنفذ معه
من يشيعه ، وكتب له جوازاً وكتباً إلى سائر أعماله ، يأمر أصحابه بها
بتلقيه وتشيعه وخدمته ، وخرج ، وأحمد بن طولون يتأسف ألا يكون
مثله في خدمته ، وقد ملأ قلبه وصدوره بحسن وفائه لصاحبه .

فلما وصل القطان إلى الحضرة لم يدع جميلاً ولا حالاً تصلح ما بين
الموفق وأحمد بن طولون إلا بلغها ، من حسن طاعته ، وحسن سيرته ،

وضبط أمره ، وحزمه ، وجودة تدبيره ، وقوة أمره ، فثنى ذلك الموفق إلى الرجوع له . ووقف طيفور خليفة أحمد بن طولون هناك على ذلك وعلى انشاء الموفق له ، فكتب إلى أحمد بن طولون بذلك ويقول : أحسن الله جزاء القطان ، وكثر في الناس مثله ، فلقد قويت يدي به منذ ورد إلى الحضرة ، وباجرى منه مع الموفق ويقول في كتابه : ومن العجب أن يحضر مثل هذا الرجل بحضرة الأمير فيغفل الزامه قبول برّه بكل حال . ولم يعلم طيفور بما عمله أحمد بن طولون معه ، فلم تجد فيه حيلة . ويذكر عظم محله عند الموفق ، ونبل منزلته منه ، فكان أحمد بن طولون يقول : ما أسفت على شيء كتأسفي ألا أكون ألزمت القطان قبول خمسين ألف دينار ومثلها أعراضاً ويقول : رزقني الله صاحباً مثله . ولم يزل أحمد بن طولون يكاتبه في مهماته وحوادثه وما يحتاج إليه من مخاطبة الموفق ، فيبلغ له في جميعه ما يحبه إلى أن مات أحمد بن طولون . فلما مات بلغ القطان موته فحزن عليه واغتم غمّاً عظيماً ، وبلغ الموفق ذلك عنه فلم ينكره عليه ، وكان يحضره في كل وقت ويسأله إعادة أخباره عليه ، فيذكر كل ما كان يشاهده منه ومن سيرته ، وحسن سياسته في داره وحاشيته ، وحسن مملكته ، وعظيم هيئته ، وكثرة صدقاته ومعروفه ، ونفقده المستورين وأولاد النعم ، وإجرائه عليهم الرزق ، وما يعمل من الأطعمة في كل يوم جمعة ، وحضور الضعفاء وغير الضعفاء من المستورين ، وإشرافه على ذلك بنفسه حتى يأكلوا ، ويومرون

أن لا يخرج أحد أو يزُلَّ^(١) معه ما يقدر على حمله ، ينصرف به إلى
عياله ، وما كان يجد في ذلك من اللذة والسرور والفرح ، وأنه جعل
ذلك عوضاً من القصف والشراب وسماع الغناء وما يستعمله مثله من
ذلك . وكما سمعه الموفق يذكر من هذا شيئاً يبكي ويترحم عليه ،
ويبكيان جميعاً ، فلم يكن للموفق أحد يعاضده على الغم بأحمد بن
طولون إلا القطان ، ويستتر ذلك الموفق عن الناس كلهم إلا القطان ،
فكان هذا الفعل من الموفق للفضل الذي كان في الموفق ، فعرف به
فضل أحمد بن طولون ، فإنه ليس لهم في مملكتهم أنصح منه ولا أوثق ،
ولا أضبط ولا آمن ، وإنما كان ذلك الفعل من الموفق من الانحراف
عنه ، غيرة عليه ألا يكون ما يفعله للمعتمد له .

ولما تواترت الأخبار بموت أحمد بن طولون وصح ذلك عند سائر
الناس ، لأن الذي كان قبل كان بين مصدق ومكذب ، كان من
الموفق حينئذ ما نأتي به مشروحاً مبيناً إن شاء الله .

ومن إنصافه وحسن تأتبه ، وبطلان كثير مما يشنع به عليه ،
وإقامته له العذر فيما يأتيه ، أن وكيلاً له يعرف بابن مفضل ، صحبه
ولا شيء له ، ففوض أمره كله إليه ، فاستولى عليه ، وكان من بين
الوكلاء حازماً ذكي القلب شهماً بازلاً كافياً يحسن الخدمة ، ولم يكن
يقعد به إلا بجمل كان فيه ، ولجأ في الشيء إذا خوطب فيه بملكه

ذيادة وكيل ابن
طولون ومصيره

(١) زلّ الطعام: أخذ.

فلا ينحل عنه ، حتى إنه كان يتبع ما تضره اللجاجة ، فكان هذا عيبه ، فوصل إليه من الارتفاق ما لم يصل إلى أحد من حاشية أحمد ابن طولون ولا أهدي إليه ، وكبرت أحوال أحمد بن طولون ، فكبرت مرافق ابن مفضل واتسعت أحواله .

وكانت نفقات مطابخ أحمد بن طولون وراتبه من ضياع إقطاعه ، فتقدم إلى ابن مفضل في وقت اختاره ألا يضع يده على شيء من مال هذه الضياع ، وذكر له أنه يريد مالها الطرسوس . فلما انقضى الشهر وافى نفيس الطباخ إلى ابن مفضل يستدعي منه إطلاق النفقات على الرسم للمطابخ فقال له : قد حظر الأمير عليّ الجهة التي كنت أطلق لك مالها . فقال له نفيس : فتحتمل لي بما ننفقه اليوم ، وتستأذن الأمير الليلة فيما يستأنف . فقال له : ما عندي حيلة فقال له : إن النهار يمضي . وقال : حدثنا في شيء مما نحتاج إليه ، مما لا بدّ للأمر منهُ ، فقال له : كذا اختار إيش في يدي ؟ قال : فأعطل ؟ قال : ذلك إليك . قال : فأذكر هذا للأمر ؟ قال : ذلك إليك افعل .

فدخل نفيس إلى أحمد بن طولون فعرفه الخبر ، فأحضر ابن مفضل فقال له : ويحك ، ما كانت لك حيلة في إقامة نفقات المطابخ يوماً واحداً ، إلى أن نطلق لك ، من جهة نختارها ، ما تحتاج إليه ؟ فقال له : لو تهيأ لي ذلك لما توقفتُ عنه ، وإنه لمتعذر عليّ ، ثم قال له : احلف بالله ثم برأسي أنك ما تملك ذلك ، فحلف ، فدعا سواراً الخادم ،

وكان خادماً جريئاً ، صفيق الوجه ، قاسي القلب فقال له : امض الساعة واقبض على كل ماله ، واحمل إلي الساعة ما تجده من العين ، واختم على ما سواه . فمضى سوار وقبض على كل ما وجدته له في داره . فرجد له من العين ثمانين ألف دينار^(١) فحملها إليه ، وختم على ما بقي ، وعاد إليه فعرفه بجميعه ، فأمره ببيعه كله ، فبيع بعشرين ألف دينار سوى ما استهلك وتمزق وتفرق ، وسلم ابن مفضل إلى سوار فكان آخر العهد به .

استخدامه الصادقين وحدث شعيب بن صالح قال : شئت نفس أحمد بن طولون استخدام الكتاب ، لما وقف على حال ابن مفضل ، وقبح فعله ، وجراته على اليمين الكاذبة ، وكان ذلك يشتد عليه جداً ، واحتاج إلى من ينوب منابه ، فسمح له ذكر كاتب كان يكتب لحسين الخادم المعروف بعرق الموت ، كان لما قدم معه إلى مصر شاهده نخف على قلبه وافترس فيه خيراً فتبعته نفسه . وكان هذا الخادم حسن العقل ، راجح الوزن ، يتقلد البريد بمصر ، وكان أحمد بن طولون يعرفه من الحضرة ، ويعلم منه حسن اختيار فيما هو بسبيله ، فتيقن أنه لم يختار من كتابه إلا مختاراً ، وهو رجل يعرف بحسن بن مهاجر فقال إليه وسأل عنه هو ، فأحضره وسأله عن بلده وسبب تعلقه^(٢)

(١) في رواية ثمانية وسبعون ألف دينار

بجسين الخادم فقال : ولدت بالرقة ، وكان والدي يتوكل لحسين هذا
في ضياع هناك ، فاجتاز به في مسيره إلى مصر ، فطالع ماجرى على يديه
فأحمد أمره فيه ، وتأملني وأناين يديه أكتب فال إلي ، فقال لوالدي :
خرجت من الحضرة ولم استصحب منها كاتباً ، لا أعلمه منهم من الجرأة
ولطف الحيلة ، وأنهم للعامل الخائن أوفق منهم للناصح ، وأحب أن
تصحبني ولدك هذا وتوثرني به فأني أقنع به وأرجو إن يحسن تأديبي
له أن يبلغ ما نُقعه عنه الحدائنه ، ويتخرج معي فأبرئه وأكرمه
عن غيره ^(١) ، فشق ذلك على والدي لفارقتي له ، ولم يتهيأ له مخالفته .
فسلمني إليه وألزم نفسه تأديبي ونقومي ، كما يتولاه الوالد من ولده .
حتى إذا هو تبين اضطلاعي بما يسنده إلي سلم إلي ديوان البريد ،
وقال لي : يا بني احفظ ما أوصيك به ، إحدرك أن أراك في دار غير
داري ، ولا تسكن إلى أحد سكونك إلي ، فإن تفويضني إليك
يوجب لي ذلك عليك ، وليكن إيثارك لحسن الذكر أكثر منه
لكسب المال ، وطلبتك للصواب أكثر منه لحسن الذكر ، وإن
شق عليك تحمله ، فإنه أحمد عاقبة فيما تأتيه من غيره ، مما لا مشقة
عليك فيه ، ولا تنزعني إلى إنفاق ما تكتسبه ، بابتياح الأعراض
النفسية والملابس الرائعة ، فإنك لا تزيد بذلك إلا في عين ناقص
الفهم والحال ، لأن من قوي تمييزه إنما يطالع ما صدر عنك من فضل ،

(١) ورد في الاصل : فامر به واكرهه من غيره .

واستعرضه فيك من طبع ، فأذا غلب عليك إِبْشارٌ شئٍ يحسن به ظاهره
فطالع يئنه في حاصلك ، واعلم أنه في يدك متى شئت من غير أن
تغري بك كل حاسد أو باغ . ولاتذكرن لأحد من حديثي ما يسهل
عليك إذاعته ، فيجتري بذلك على إذاعة ما يقف عليه من سري ،
وأطو ما تستعرضه مني طيَّ الصحيفة ، واحذر أن يسبقك أحد إلى
مطالعتي بما أتو كفه^(١) . وقد أمرت لك بكذا وكذا ديناراً ، لتتأمل
بها زيادة عطيتي على عطية خيانتني ، واشتمل على أمري ، وقابل
ما ابتدأتك به بما يقصي عنك سوء التي لديك ، وفقك الله وسددك .

فقال له أحمد بن طولون : فمن خدمت بعده ؟ فقال : ما استرحت
إلى سواه ، ومعوَّلي فيما يقيموني على جزء مما أفادنيه غنيت به عن سواه ،
فأنا أستغله مع قوم أثق بهم وبيوداتهم وحسن معاملاتهم ، فأصرف
الفضل فيما ينوبني ، وأردُّ الأصل إلى موضعه . فقال له : وكم صرف
إليك حسين الخادم ، فقال : أربعة آلاف دينار ، وهي كانت أكثر
ما كان في حاصله في ذلك الوقت . فقال له : فما أحب من كاتبني إلا
ما وصالك به صاحبك لا زيادة عليه ، وقد أمرت لك بمائة ألف دينار ،
فإذا جريت على ما وصالك به صاحبك ، فهذا المال قليل من كثير لك
عندي ، وخلص عليه وحمله ، وألزمه خدمته ، فلم ينكر منه أحمد بن
طولون إلا تحامله على الناس له ليحظى بذلك عنده .

(١) توَكَّفَ الخَيْرَ انتظره وسأل عنه وتوقَّعه

فقال له يوماً : قد صحت عندي نصيحتك ، وأنت غير محتاج
أن تتعامل على أحد لتزيد عندي ، وأنت تجني على نفسك بذلك من
الأثم واستيحاش الناس مني ، أكثر مما تحوزه لي من الحظ ، واعلم
أنك تزرع في قلوب الناس بما تأتيه - فقد لا تفنيه الأيام ، بل
تتوارثه الأعداء ، فاطلب الشكر من الناس ؛ فليس يكرهه إلا ناقص
المعرفة ، جاهل بما يوجبه حسن السياسة ، غير عالم بما في باطن النصيحة ،
فيفيز الناس تمييز عادل : تلقى شرارهم بغلظتك ، وخيارهم برأفتك .
قال : فسألت نسيماً الخادم عن المائة ألف دينار التي دفعها إليه أحمد
ابن طولون فقال : هي المائة ألف من المائة ألف التي أخذها من ابن
مفضل ؛ تركها معزولة بجالها ناحية ، حتى يرى فيها رأيه ، فلما
استكتب ابن مهاجر أمرني بدفعها إليه .

قال صالح بن علي : جرى في مجلس لابن عبد كان ذكر محبوب بن
رجاء وحسن بن مهاجر ، فطعن عليهما أكثر الحاضرين ، فقال ابن
عبد كان : الصدق أجمل ما يؤثر ، في كل واحد منهما فضل بين ، وإنهما
لعلی أفضل طريقة : أما محبوب فسريع الجواب ، حسن الانتزاع ^(١) ،
حلوا المكتبة ، وأما ابن مهاجر ففوقور [النفس] ، مستصغر لنصيحة من
ينصحه ، بعيد الغور ، لا يؤثر على توفير مال صاحبه ، وعلى ما زين

(١) في رواية : حسن الاستماع .

حاله عنده شيئاً من أعراض الدنيا ، ولقد اجتمعوا وقت المناظرة ، وكل واحد منهما مغيظ على صاحبه ، فقال حسن لمحبوب : أمرني الأمير أن أجلس في حلقك حتى تفصل ما أثبتته من الحساب الذي رفعتة . فقال له محبوب من وقته : لو جلست في حلقك قذفتك في المخرج . فأضحك جميع من حضر ، وانقطع ابن مهاجر ساعة ، ثم تناظرا ، فقال محبوب لحسن : أنت شاب حدث غر ، والصواب لك أن تستشعر خوف الأمير . فقال له حسن : والله ما أخافه . فقام بها محبوب وقعد ، ورفعها أصحاب الأخبار إلى أحمد بن طولون ، فدعا بها وقال : ما هذا الكلام الذي جرى بينكما ؟ فقال له محبوب : ذكر حسن أنه لا يخاف الأمير ، فقال له أحمد : هو ذا تسمع يا حسن ، فقال : كذا قلتُ أيها الأمير ، لأنني قد استغرقت جهدي في نصيحتك ، وقد أمنت جورك ، وليس مع هذين ما يخيفني منك . فقال له : صدقت ، الأمر كما وصفت ، بارك الله عليك وفيك . وذهب حسن بن مهاجر إلى قول الأحوص في عمر بن عبد العزيز :

وأرى المدينة منذ صرّت أميرها أمِنَ البريُّ بها ونام الأعرل
ولقد أحسن ابن مهاجر في ذلك .

وشبيهه بهذا ما روي عن عمر بن الخطاب رحمه الله أنه اجتاز ببعض سكك المدينة ، فرأى صبياناً يلعبون ، فيهم عبد الله بن الزبير ، فهربوا جميعاً غير ابن الزبير ، فقال له عمر : مالك أنت لم تهرب كما

هرب أصحابك ؟ فقال : لم آتِ جرماً فأخافك ، وما بالطريق من ضيق
فأوسع لك . فأعجب عمر قوله ، ومضى وهو يقول : لله درك وبارك
الله عليك .

قال : وذُكر أيضاً محبوب بن رجاء في مجلس ابن عبد كان فقال
قائل : إنما كان مقبلاً بإقبال صاحبه ، فلما مات أدبر . فقال ابن عبد كان :
دعونا من هذا القول ، لقد كان بين الفضل . لقد أمرني أحمد بن طولون
يوماً بإنشاء كتاب يقرأ على المنبر فأنشأته ودفعتته إلى محبوب ليقرأه ،
وكان فصيحاً ، فدفعه محبوب إلى غلامه صاحب دواته ، ليحمله إلى
الجامع ، وتركه الغلام في مندبل العمل " . وركب الأمير إلى
الجامع وحمل الغلام ثلثاً نقياً ، وهو يقدر أنه الكتاب ، فلما صد
محبوب المنبر ناوله الغلامُ الثلثَ النقيَّ ، فلما نشره محبوب علم أن الغلام
غلط ونسي ، فاندفع ومضى به يقرأ ، وينشر الثلث ويطوي ليوهم من
يراه أنه يقرأ منه ، مثل ما كان في الثلث ، وما شدَّ عنه منه شيء ،
بألفاظ عذبة حسنة المعنى في الذي قصده ، وأتى على ما كان في نفسه .
فلولا أنني الذي أنشأته ، لشككت فيه ، وما فطن به أحد غيري ،
بل تبين منه الأمير بعض الاضطراب لذلك ، وحادثة خاطره ،
وقوة حسنة .

(١) الأقرب « مندبل النمر » والنمر بالتحريك السهك وريح اللحم وما يملق باليد من دسه ،
ويقال لمندبل النمر المشوش ، ومندبل النمر هو ما نطلق عليه اليوم « نوطة الأكل » أو « السفر » .

فلما نزل عن المنبر أمر أن يؤخذ منه الغلام فأخذ ، وما خاطبه حتى صار إلى الدار ، فأحضره وقال له : ويحك إنك قد أتيت بمثل ما كان في الكتاب ، ولو لا ما فيك من الفضل لافتضحت ، فكيف جرى هذا ؟ فعرفه غلط الغلام فقال له : إن لم تؤدبه على هذا أدباً يمنع من تركه مراعاة أمرك ، جرى عليك بعده أعظم منه ، وأمر بإحضار الغلام فأحضر ، فضرب بين يديه مائة مفرعة . وقال لمحبوب : إن اخترت أن تستبدل به فافعل ، وإن علمت هذا الأدب قد أصلحه فدعه على رسمه . ثم قال ابن عبد كان : وإن كان الرجل يقبل بإقبال صاحبه كان ، فله فضل طبيعة وحسن صناعة .

وعدنا إلى أخباره الموجبة له العذر فيما يأتيه من العقوبة ، فمنها خبر ابن شعرة ، وكان ابن شعرة^(١) هذا يضحك المتوكل على الله ، وكان يغني أيضاً ، وكان قد انضوى إلى ابن مدبر لصباية خراجيات^(٢) كانت له بمصر ، فكان لا يعلم من كره أحمد بن طولون لابن مدبر يذكره عنده ، فأحضره ونهاه عن ذلك ، فكانه إنما أغراه بنفسه ، ولم ينته . فأقبل على حملته يتقرب إلى ابن مدبر يذكره كل ما سمعه ، يذكر ثقل وطأته عليه ، ويتبرم بمكانه معه في البلد ، فبلغه أيضاً ذلك فوجه إليه من نهاه فلم ينته ، وبلغه عنه ما ينفره مثل ذلك ، فأحضره وقال له : ويحك انت عما يبلغني ، واحذر مني ويحك ، فلن يبلغني عنك

انتقام ابن طولون
من كان ينال منه

(١) في الصفحة التالية ان اسمه الحسن ، وفي المكافاة : الحسين بن شعرة .

(٢) في المكافاة : قد انضوى اليه فحسب به ضياعه وأملاكه .

بعد هذا شيء أنكره إلا أتيت على نفسك ، فعاد إلى ابن مدبر بعد أن
حلف له أن جميع ما يبلغه تحيُّفُ عليه ، فلما عاد إلى ابن مدبر دخل
خزانة الكسوة ، ولبس منها مثل ما كان على أحمد بن طولون
وخرج إلى ابن مدبر ، فجلس مثل جلوس أحمد بن طولون وحاكاه ،
وأعاد ما خاطبه به ، وأقبل ابن مدبر يضحك منه ويعجبه ذلك .
وبلغ ذلك أحمد بن طولون . وانفق في الوقت أن السعر بلغ ،
واضطرب البلد لذلك . على أن السعر كان إذا تحرك في أيامه كان خمسة
أرادب بدينار وأربعة ، وإلا فكان من العشرة إلى ما دونها مما ذكرناه .
فركب أحمد بن طولون ليهدي الناس ، ويعاقب قوماً من القهاجيين
والدقاقين ، وينظر فيما يصلح أمر الناس في البلد . فلما بلغ إلى مسجد
عبد الله ازدحم النساء من السطوح ينظرن إليه ، وأشرفن من كل دار ،
فاطلعت امرأة من دار ابن شعرة من أعلى سطحها من بين مِرْكَنِي^(١)
ريحان ، وجاءت أخرى لتنظر معها ، فازدحمتا ، فرمت إحداهما أحد
المِرْكَنَيْنِ الريحان ، فسقط للمقدور على كفل دابة أحمد بن طولون ولم
يشعر به ، فوثب الفرس ونثره من سرجه ، ولولا ثبوته في ظهره
لرماه الأرض .

فسأل عن الدار ابن مكي ، فقيل لحسن بن شعرة ، فأحضره في الوقت ،
وشق عنه وضربه في موضعه خمسمائة^(٢) سوط . وهدمت داره ، وطيف

(١) المِرْكَنِي كناية: آية كالأجاة تدل بها الثياب أو زرع فيها الرياحين والجمع مراكن ومراكين .

(٢) في المكائنة : ثلاثمائة سوط وطاف به وكان ما أوقفه به من أهل متقدم سوانه اليه ولم

يفاج الحسبن بن شعرة بهدها .

به البلد على جمل ، فبلغ ما كان في نفسه منه ، مكافأة على قبيح أفعاله
به مرة بعد مرة ، وهو يحذره فلا يحذر .

وعاد وقد بلغ في أمر السعر ما أحب وأحب أهل البلد ، وكثر
الضحيج له بالدعاء على ذلك ، وتصديق في ذلك اليوم بجملة عظيمة ،
شكراً لله على كفايته .

ومن ذلك أنه كان له بسرٌّ من رأى صديق من أولاد الموالي قد
برع في الكتابة والأدب ، وحسن الافتنان في العلوم ، وحلاوة
الشاهد . فلما استمّلت أحواله بمصر وعظمت ، كتب إليه يستزيره ،
ويذكر له أن الحال التي قد هيأها الله جل ذكره لانتثته الإبشار كته
فيها ، وأتى في ذلك ما يأتيه الكرام مع إخوانهم إذا رزقوا حالاً استبدوا
بها دونهم . فأجابه أن السفر يشق عليه ، والبلد بلد شاسع ، لا يكاد
يعهد السفر إليه ، ويذكر من شوقه إليه أضعاف ما ذكره في كتابه ،
وأن اليسير الذي في يده يُقنعه ويُغنيه عما سواه ، ويشكر له فعله ،
فعمَّ ذلك أحمد بن طولون وساء تأخره عنه ، لما كان بينه وبينه من
المودة والعشرة والأخوة ، فأراد الإفضال عليه والأنس به .

فلما سرفت الحال بينه وبين الموفقى ورد كتابه عليه يذكر فيه
أن شوقه إليه قد تزايد ، وأنه لا يطيق الصبر عن زيارته ، وأنه قد
سهل عليه تحمل مشقة السفر ، لما قد استولى على قلبه من محبة النظر
إليه ، ويستأذنه في الرحيل إليه .

صديق
لابن طولون يغلب
عليه ويريد قتله

فاستبشر أحمد بن طولون بذلك ، وأذن له فيه ، إلا أن نفسه ،
لقوة ذكائه ، نفرت بعض النفور . وكتب إلى خليفته طيفور بأمره
أن يستكشف له خبره ، ويشرح له صورة أمره بالحضرة ، وإلى من
ينقطع بها ، فكتب إليه أن حاله حسنت في دار السلطان ، ومنزلته
قد ظهرت ، وأن بينه وبين الموفق صلة قوية ، وله منه منزلة كبيرة .

ولم يمض إلا مديدة يسيرة ، حتى وافاه خبره ، أنه قد قرب من
البلد ، فأخرج إليه وجوه أصحابه وقواده ، وتلقوه بالعباسة^(١) ، فلما
بلغ منية مال الله^(٢) أقام له الجيش سباطين^(٣) ، في أحسن زي إلى
الميدان ، ومن الميدان إلى داره ، وأوقف من باب قصره إلى مجلسه
الروم والترك والمستوقدات والعمد الحديد ، ودخل الرجل يشق
هوؤلاء كلهم حتى وصل إليه ، فكاد عقله يطير مما رأى وشاهد ، مما
لم يظنه ولا قدّره .

فلما قرب منه قام إليه أحمد بن طولون فتلقاه ، وأجلسه معه ،
وأكب عليه يسأله عن أحواله ، وقد أعد له حجرة في قصره وفرش

(١) العباسية قرية بنيت باسم العباسية بنت أحمد بن طولون لما خرجت مع قطر الندي ابنة
خارويه متبعة لها إلى آخر أعمال مصر من جهة الشام وتزلت هناك وضربت فساطيطها على ماروي
ابن خلسكان في وفيات الأعيان (وانظر تلميقة ص ٥١ من هذا الكتاب) .

(٢) لم تعرف قرية بهذا الاسم في القديم ولا الحديث .

(٣) سباط القوم : صفهم ، والسباط المائدة السلطانية أو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة

وجلوس الآكلين .

له فيها ، وأعدّ له جميع ما يحتاج إليه من كل شيء - حسن جليل له خطر
وحسن من قليل وكثير . فلما خليا ساعة وتحدثنا دعا بالمائدة فأكلنا ،
ولم يزل في حديث وموانسة إلى وقت العشاء الآخرة ، فقال له أحمد
ابن طولون : أنت قد تعبت وتحتاج إلى راحة فإن نشطت إلى أن تخلو
لذلك في دارك فعلت . فقام الرجل إلى تلك الدار ، وأتبعه غلمان
وحجابه يسبقونه إليها ، فلم يمض من الليل إلا أيسره حتى أمر خاقان
الطرسوسي بالقبض عليه ، والاحتياط على جميع ما معه ، حتى لا يفوته
منه شيء .

وكان إذا جرى منه شيء في هذا الباب كشف لأصحابه عن
وجه الخبر فيه ، ليزول عن قلوبهم التعلق بما يجري منه . فلما انقضى أمر
الرجل ومضت له ثلاثة أيام ، أقبل على جماعة من وجوه أصحابه
وقوَّأده فقال : اسمعوا خبري مع هذا الرجل الذي استدعيتَه لأقضي
حقه وحق الصحبة كانت بيني وبينه والمودة ، وما أعلمه من حاله
ليشر كني في نعمة الله عندنا ، فأبى وامتنع عليّ ، واستبعد الطريق
إلينا ، فغمي ذلك .

ولمّا كان في هذا الوقت كتب يستدعي ويدكر شوقه إلينا ،
ويسأل الإذن له في مصيره إلينا ، فأذنت له في ذلك ، وآثرت
مشاهدته ، وكتبت إلى خليفتي بالحضرة ليستكشف لي حاله هناك ،
فكتب يذكّر أن حاله قد حسنت في دار السلطان ، ومنزلته قد عظمت

عنده ، وخالطته بالموفق قد ظهرت ، فما قدّرت إلا أن الموفق لما بلغه ما بيني وبينه من الإخاء والمودة دسه إليّ ليحسن التمسيد بيني وبينه حتى يصلح ما تشعث بيننا .

فلما وافي واجتمعنا ، لم يدع للموفق مثلبة إلا نبشها ، ولا قبيحاً إلا ذكره ، ورأيت صورته قد انقلبت عما كنت أعهد عليه ، فتلطفت بأن استحضرت غلامين له ، رأيتهما مشتملين على أمره ، فوعدتهما ورغبتهما ، فأحضراني سفظاً فيه ثمانون كتاباً من الموفق إلى وجوه قوادي وخواص غلماي ، يعدم فيها بأن من فتك بي منهم قلده البلدان الخطيرة ، وأسنى له العطية الجزيلة ، أفألام على ما فعلته في أمره ؟ فقالوا : لا والله ، أيد الله الأمير ، والحمد لله على ما وفق الأمير له في أمره ، والعدر للأمر أيد الله ، والذنب لمن جنى على الأمير ، ولم يحفظ المودة وبرع الإخاء ، وقد جازاه الله بما يستوجبه .

ولما مات يارجوخ في سنة ثمان وخمسين خاف ستة بنين وبناتاً ، كان يارجوخ قد زوجهما من موسى بن بغا . وبنو يارجوخ : عيسى وهو الأكبر ، وجعفر طريده ، والفتح طريده ، وثلاثة صغار : صالح ، ورجاء ، ونصر ، لم يبلغوا الحلم . وكان عيسى بن يارجوخ كثير الهبة ، شرس الأخلاق ، ولا كبير الهمة . فلما مات أبوه لم يلزم الر كوب إلى دار السلطان ، ولا واظب على الخدمة ، وقدّر أن الأمر يجيئه على ما يجبه ، وهو جالس

مما لته
لأولاد حبه

في داره . فلما ترك الخدمة ولزم منزله اقتصر على رزقه ولم يقلد عملاً ،
ولا ارتفق بزيادة ولا جراية ، فأغاضه ذلك ، فحمل إخوته وأخته ،
وخرج بهم على طريق مكة . ووافى إلى أحمد بن طولون من الحضرة
فقبله بأحسن قبول ، ووفر عليه الرزق ، وأجرى على إخوته كلهم
وأخته الأرزاق السنية ، وأقام لهم الوظائف ، وزوج جعفر بن
يارجوخ من ابنته الكبرى فاطمة ، لأن عيسى كانت له امرأة . ولم
يزالوا عنده في أجل حال ، حتى دعت عيسى شراصة أخلاقه إلى
السكر ، وبلغه عنه مقالات قبيحة ، ذكر أنه صنعة أبيه ، فوجه
إليه يعذله على ما يبلغه عنه .

فلما علم عيسى أنه قد علم بمقالاته فيه ، سأله أن يطلقه إلى طرسوس
خوفاً منه ، وحياءً من خطاؤه عليه ، ففعل ووصله بمال جزيل ، وكتب
له جوازاً ، وحفظ فيه فعل أبيه ، ولم يواخذه ، ومنعه أن يأخذ معه
إخوته ، وأقرهم عنده على حالهم ، حتى دعت جعفرأ أيضاً حماقتة التي
كانت فيه ، ولأنه كان بينه وبين العباس منادمة اصاهرة بينهما إلى
أن خرج معه إلى برقة ، فلما كان من أمره ما كان ، عاقب الناس جميعاً ،
وقتل من قتل ، وأعفى جعفرأ من ذلك ، غير أنه أمره بالخروج عن البلد .

مقتل خراساني بيد
من هتك الخراساني
عرضه
وحدث محمد بن عبد الله الخراساني الدهان قال : نزل عندنا بجارة
الخراسانيين شاب حسن الوجه ، فصيح اللسان ، حافظ للقرآن وسنة

النبي صلى الله عليه وسلم ، من أهل بلخ ، فجل في قلوبنا ، وحل منا محلاً لطيفاً ، فأمننا في مسجدنا في حارتنا ، وتوزعنا ما يكفيه من أموالنا ، فكنا نجلس عنده في المسجد كل عشية ، ونأنس بحديثه ، وحسن فصاحته ، وكثرة فوائده . فإننا لجلوس معه يوماً في عشية من العشايا ، حتى طلع علينا كهل من الخراسانية ، عليه لباد ، وفي يده خنجر مشهور ، فلما رآه إمامنا قام مبادراً هارباً ، فعدا صاحب اللباد خلفه ، فلحقه ، فلم يزل يتوجوه^(١) بخنجره حتى قتله ، فقبضنا عليه وسقناه إلى الشرطة ، وهو مقتاد معنا غير متعاص ولا منكر . فأوقفنا صاحب الشرطة على أمره ، فرفعنا بأجمعنا إلى أحمد بن طولون ، فلما حضرنا بين يديه ووقف على صورة القضية قال له : ما الذي حملك على ما أتيت ، فقال : أعز الله الأمير ، كان هذا الرجل جاري ببخارى ، وكان حسن المجاورة ، ظاهر السر ، لا نعلم ما في باطنه ، فألفته وملت إلى عشرته ، فدخلت يوماً من الأيام إلى منزلي على غفلة من أهلي ، فوجدته مفترشاً زوجتي ، ففزعت إلى السيف ، وإلى أن آخذه فهرب مني ، فعدت إلى الامرأة فقتلتها ، واشترت أمري في الجوار ، فأحضرني أهل الامرأة إلى السلطان فعرفته قصتي فأطلقني ، وأمرني بطلب هذا الفاجر ، وأباحني قتله ، فطلبته فلم أجده ، وأخبرت بخروجه عن بخارى ، فتركت شغلي ومعاشي ، وما أنا بسبيلة ببلدي من تجارة وأهل ، وخرجت خلفه .

(١) وجاء باليد والسكين كوضعه : ضربه كتوجاه .

و كنت لا أدخل بلدًا إلا قيل لي ، إذا سألت عنه ، إنه قد دخل
إلينا ورحل ، إلى أن بلغت مصر ، ولي هاهنا مدة أسأل عنه في كل
يوم ، وأدور عليه ، وأصف صفته ، إلى أن عرفت بالصفة ، فعرفت
أنه يصلي بقوم في المسجد الذي وافيته فيه ، فأخذت بطائفتي^(١) ،
وشفيت ما في نفسي ، فاضنع بي أيها الأمير الآن ما شئت ، فقد سهل
عليّ القتل بعد ما وصلت إليه .

فسألنا أحمد بن طولون عن المقتول لما رآه ما الذي عمل ؟ فقلنا : ما
نظر إليه قام يعدو هارباً منه . فقال له أحمد بن طولون : كثر الله في
الناس مثلك ، انصرف مكلوفاً ، فأقام عندنا تلك العشية ، وودعنا من
غدٍ وخرج إلى بلده .

ومن ذلك أن صاحب الخبر رفع إلى أحمد بن طولون أن رجلاً
دعا صديقاً له إلى منزله فقتله ، فأمر به فأحضر إليه مع أولياء الميت ،
فسأل أولياء الميت عنه ، فقالوا : دعاه هذا الرجل إليه ، للصداقة بينهما ،
وجاءونا به مقتولاً من منزله ، فلا نعلم كيف كانت حاله . فسأله عن
القصة فقال : والله ، أيد الله الأمير ، ما عندي علم من أمره ، وإنه
عندي مثل ناظري ، وعزيز عليّ بما فُجعت به منه ، وإني عليه لثكلانٌ
موجع . ولقد كان أخصّ خلق الله عندي ، وأحبهم إلى قلبي ،

قتل التبيذ
ودكا ابن طولون

(١) الطائفة : العداوة والترفة والجمع الطوائف وهي الذحول والأوتار ، وملان يطاب بن فلان بطائفة
أي بوتر كان له فيهم نار يطالبه بدم قتله .

وبحسب الأمير ، أيده الله ، أني أصلحت نبيذاً منذ سنتين ، وأعوزتني الظروف فقيرت^(١) ظروفًا كباراً ، وجعلتها فيها ، وتركت الجرار في الشمس ، ولي في السطح برج حمام فتهدم منه موضع ، ولم يحضرني في الوقت طوب ، وخشيت على الفراخ من دخول شيء إليها ، فأخذت جرة من تلك الجرار الكبار فسددت بها ما انهدم من البرج وطينتها ، وعملت على أن أطلب طوباً فأجعله مكانها وأخذتها . ومضت الأيام ونسيتها بالشغل والعوارض فما ذكرتها ، وانقضى النبيذ وفرغ ، واعتلت علة قطعني عن إصلاح غيره ، فلما وهب الله جل اسمه العافية في هذا الوقت سعدت أفقد الحمام ، فرأيت بعض الطين قد انكشف عن الجرة النبيذ ، فذكرتها فأخرجتها وجعلت عوضها طوباً ، وسررت بها كل السرور ، لاجتماع أنا وأخي هذا على شربها . فخرجت واشتريت لحماً وما أحتاج إليه ، وصفيتها في [إنا] أي ، فرأيت منظرًا ما رأيت أحسن منه ، وعبّيت^(٢) مجلسي كما يجب ، ومضيت إلى أخي فحدثته حديث الجرة ، ففرح بها أيضاً ، وسألته الحضور ، وأن يحضر معه ثلاثة من إخواننا ، وعدت إلى منزلي ، وتشاغلنا بالطبخ وما أحتاج إليه .

فكان صديقي هذا وأخي أول من وافاني من إخواني ، وأنا مشغول ما فرغت ، فنظر إلى النبيذ فاستحسنه جداً وأعجب به ، وحلف أنه

(١) القار والقير: شيء أسود يطل به السفن والابل وهو الزفت، وقير الحب والزق إذا طلاهما به وقير الظرف طلاه . (٢) عبّيت: لغة في عبّأت أي هبأت

ما رأى قط مثله ، وشرب منه قدحاً واحداً ، ووضع رأسه فنمام ،
فلما فرغت من شغلي وحضر إخواني ، أصلحت المائدة وتقدمت إليه
لأنه فوجده ميتاً . فورد عليّ ، أيد الله الأمير ، من الأمر ما خشيت
معه أن أجنّ ، وحرّت وحر القوم ، وبقينا لا ندري ما نعمل ، ولم
أجد بداً من حمله إلى منزله ، فحملناه إليهم وعرفناهم خبره .

فقال أحمد بن طولون لأولياء الميت : تَشْكُون في مودته كانت
لميتكم ؟ فقالوا : لا والله ، أيد الله الأمير ، لقد كان به عليه من
الإشفاق والمحبة مثل ما نحن له عليه وأفضل ، وما نتهمه في أمره بوجه
ولا سبب .

فقال له أحمد بن طولون : ما فعل النبيذ ؟ فقال : هو بحاله ، أيد الله
الأمير ، شغلتنا هذه المصيبة عنه وعن كل حال . فقال له : أحضرني
منه شيئاً ، فوجه معه من أتاه منه بقينة ، فنظر أحمد بن طولون إلى
لونه وقال : حسن . فاستحضر كبد خروف فأُتي به في غضارة^(١)
صيني فملاً من النبيذ قدحاً وصبه على الكبد ، وغطاها قليلاً وكشف
عنها فأصابها قد تقطعت وتهرأت ، ثم استدعى كبداً أخرى فأُتي بها ،
فأخذ من النبيذ قدحاً ، فجعل نصفه نبيذاً ونصفه ماءً ، وصبه عليها
وغطاها أيضاً ، وتركها قليلاً ، ثم كشف عنها فوجدتها تبرق مصقولة
حسنة ، فقال للرجل : هكذا كان ينبغي أن شرب هذا النبيذ منصفاً

(١) الغضارة : القصة .

وقال لأولياء الميت : مات ميتكم بأجله وعلى حسب ما قضيت موته
فشانكم بميتكم فا [مضوا وادفنوه] ، بتولاه الله جل اسمه برحمته .
ثم قال لصاحب النييد : امض واحذر أن تسقي أو تشرب من هذا النييد
شيئاً صرفاً فإنه قاتل . فقال : والله ، أيد الله الأمير ، لا شربت ولا
أسقيت بعد [يومي] نييداً أبداً ما عشت ، فقال له : جودت انصرف مسلماً .

ومن ذلك أنه راح في يوم جمعة فلما رقي الخاطب^(١) المنبر وخطب الخطيب الوعود
بالعقوبة ومكافأته دعا للمعتمد ولولده ، ونسي أن يدعو لأحمد بن طولون ، ونزل عن المنبر
مرقاة ، فقال سوار الخادم : فأشار إليّ أن إذا فرغ من صلاته وخرج
أضربه خمسمائة سوط ، فذكر الإمام وهو على المرقاة الثانية ، فرجع إلى
أعلا المنبر ، وقال : الحمد لله وصلى الله على محمد . « وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ
مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزَمًا » ، اللهم وأصلح الأمير أبا العباس
أحمد بن طولون . وزاد في الدعاء له ، ثم نزل عن المنبر . قال سوار : فنظر
إليّ مولاي وقال لي : اجعلها دنانير . ووقف الخاطب على ما كان منه ،
فحمد الله جل اسمه على سلامته منه ، وهنأه الناس بالسلامة .

ومن ذلك أنه اعتلّ معمر الجوهري فعاده أحمد بن طولون ،
وكانت بينه وبين معمر مودة وخلطة ، وميل شديد ومحبة . فإنه
لعنده جالس يتوجع له من عاتيه ، ويذكر له غمه به ، وشغل قلبه

(١) في خطط القرظي ان هذا الخطيب كان ابا يعقوب البلخي .

كشفت
ظلامه اسرارة

بأمره ، ويدعو الله له بالعافية ؛ إذ سمع صائحاً يقول : أنا بالله
وبالأمر . فقال للحاجب : ما هذا ؟ فخرج وعاد فقال : امرأة .
فقال : هاتها . فدخلت إليه عجوز فلما رآته قالت : أنا بالله وبالأمر .
فقال لها : ما قصتك ومن انتظلمين ؟ فقالت : من هذا الذي أنت عنده ،
أيها الأمير . فقال لها : وما خبرك معه ؟ فقالت : أنا امرأة من أهل
الستر ، ولي نصف دار منها معيشتي ، وفي بقائها عليّ نعمتي ، فاشترى
هذا الرجل من شريك ، وكدني في أن أبيع النصف الذي لي لتكمل
له الدار ، فامتنعت لأن في بقائها ستري ، وفي بيعها هتكلي ، فأنا
من كده لي ومطالبته إياي بالبيع ، وتخويفي منه ، في أمر قد عذبني
وحيرني . فردّ أحمد بن طولون إلى معمر وجهاً مكفهر المير مثله قط ،
تكاد أن تطير من عينيه النار ، وانقلب في الوقت عن تلك الحال التي
كان عليها له إلى غيرها ، كل ذلك مراعاة لحق الله عز وجل . ثم قال
له بعيسة وانقباض وجفاء خطاب : ما نقول فيما قالت هذه المرأة ؟
قال معمر : جميع ما أملكه صدقة ، إن كنت أعرف شيئاً مما ذكرته .
فقالت الامرأة : وكيفك فلان الذي يعنتني ويؤذيني ، وطلب في
الوقت فلم يوجد . فقام أحمد بن طولون وقال له : أنصفها ولا تحوجها
إلى شكاية بعدها . فبث معمر الرسل يطلبون وكيله حتى أحضر ،
فسأله عما حكّت الامرأة قال : نعم صدقت ، النصف من الدار
الفلازية اشتريتها من شريكها ، وطلبت منها النصف الذي لها لتكمل

الدار بأجمعها لنا فامتنت . فأمره باحضار الكتاب بشراء النصف فأحضره ، فأقر لها في ظهره أن الشراء لها دونه ، ووهبه لها ، ووصلها بجملة دنانير . وقال لها : قد أبقى الله جل اسمه عليك النصف الذي لك ، وزادك النصف الذي لنا هبة منك ، فأحب أن تمضي وتلقي الأمير ، وتعرفيه ما فعلته في أمرك وتشكريني عنده ، فخرجت إلى الميدان فلقيت أحمد بن طولون ، فعرفته ما كان من معمر فحمد الله على ذلك^(١)

ومن عجيب أخباره أنه لما صرف أبا أيوب عن الخراج وقلده نصيحة نصراني لابن طولون أحمد بن إبراهيم الأطرش جعل يتجسس عنه فلا يجد له شاكياً ، ولا به ساعياً ، وكان قد استكتب أبا الجيش علي بن أحمد ، وسنه يومئذ أربعون سنة ، واستخلفه على جميع أمره ، وكان كل الكتاب يومئذ يحلفون ، وهم متوافرون ، أنهم ما رأوا ولا شاهدوا أحضر ذهباً منه ، ولا أقوى حفظاً .

فبينما أبو بكر أحمد بن إبراهيم الأطرش يوماً في الديوان يناظر المعاملين ، إذ نظر [إلى] نصراني كان يعرف بإسحق كاتب جرجان ، وكان معتقلاً شيخاً من المتقبلين يعرف بابن جمهور فآدى^(٢) النصراني عليه ،

(١) الغالب أن مثل هذه الشكايات كان أربابها يرون أن ردها إلى ابن طولون على هذا الوجه أقرب إلى نيل ما يتطلبون ، والألفان صاحب الدولة الطولونية كان يجلس للمظالم وينظر بنفسه في ظلمات الناس . روى القرظي في المخطوط أنه كان أول من جلس بمصر من الأمراء للنظر في المظالم وكان يجلس لذلك يومين في الأسبوع . (٢) آدى : قوي .

فاغتاز ابن الأُطروش من تسلط النصراني على الشيخ، فأمر برده إلى حبسه . فصاح النصراني : نصيحة للأمر أحمد بن طولون . فماتم كلامه حتى وافى صاحب أحمد بن طولون ، فأخذ أحمد بن إبراهيم الأُطروش والنصراني فأحضرهما بين يدي أحمد بن طولون ، فقال لا يسحق النصراني : ما نصيحتك ؟ فقال : أخذ أحمد بن إبراهيم الأُطروش هذا من مال ضياع البلد في هذه الأيام أربعين ألف دينار . فقال لابن الأُطروش : ما تقول فيما ذكره ؟ فأذكره وقال : هذا نصراني أحق ما يدري ما يقول ، وإنما لما طالبته بما يجب عليه من الخراج عمل هذا ليدفع به عن نفسه المطالبة . فاغتاز أحمد بن طولون وقال له : أنا أسألك عن الحجة فيما ذكره تقيمها تأتيني بخرافات ، فبقي ابن الأُطروش قد حار وُسقط في يده ^(١) .

ورُفِع في الخبر إليه ، لأن الأخبار ما كانت تُعْبَهُ في كل ساعة بكل ما يجري من قليل و كثير ، فكان في الخبر أن الباب كاتباً لأحمد بن إبراهيم الأُطروش ، يسأل الحجاب إدخاله إلى الأمير ، فأمر بإحضاره ، فدخل على أحمد بن طولون ، فكان أول ما ابتدأ به بعد السلام على الأمير أن قال : أيد الله الأمير ، جميع ما وجب على صاحبي هذا أحمد بن إبراهيم الأُطروش فهو عليّ دونه بما فوّضه إليّ من أمره ، فإن رأى الأمير ، أيد الله ، أن يعفيه من المناظرة لهذا النصراني

(١) سقط في يده واسقط مضمومتين : زل واخطأ وندم وتحير

ويجعلها معي ويصغي الأمير ، أيده الله ، إلى ما يجري فعل . فعجب أحمد بن طولون من تأكيده على نفسه فيما يتبرأ فيه الولد من والده ، فقال له : شأنك وإياه .

والتفت إلى النصراني فقال له : ما نصيحتك ؟ فقال : أخذ صاحبك من مال ضياع البلد أربعين ألف دينار ، فقال له علي بن أحمد : أخذها جملة من حاصل مال كان لها مفرداً ، أو أخذها مفرقاً من الضياع ؟ فقال له النصراني : أخذها مفرقاً من الضياع . قال : فأحضرننا بها عملاً مفصلاً تبين فيه ما ذكرت شيئاً شديداً . فقال : ما عندي لها عمل بتفصيل ، ولكن إذا حضر الحساب للضياع أخرجت من عرضه ما اختزله ويثبت اقتطاعه له . فقال علي بن أحمد : الله أكبر . وأخرج من خفه عملاً وناوله الأمير وقال له : أيد الله الأمير هذه نسخة ما حمل إلى بيت المال عن هذه الضياع دفعة دفعة ، وأنا أحفظها ظاهراً ، وهو ذا أقرؤه وهو يسمع ، فمهما عرف منه هذا النصراني شيئاً فيذكره . ثم اندفع يذكر ذلك ضيعة ضيعة ودفعة دفعة . وقد أعجب أحمد بن طولون ذلك منه ، وأقبل عليه يستزيده حتى أتى على العمل . ثم استعاده إياه ثانية إعجاباً منه ، واستحساناً له ، فأعاده على ترتيب ، لم يقدم حرفاً ولم يؤخر حرفاً ، ثم قال للنصراني : أخبرني الآن ما الذي زاد على هذا حتى يكشفه الأمير ، أيده الله ؟ فإن صح علم صدقك ، وإن لم يصح وقف على كذبك ، فانقطع النصراني ، وسكت سكوت

منقطع لا حجة معه ، وارتعد بين يدي أحمد بن طولون فقال له :
يا كلب أردت أن تحملني على الإساءة لرجل ليس في خدمتي أعف منه
.....
.....

لولا أن الإسلام يهدر ما قبله (١)

عبرة لغيرك ، وأمر بانصرافه . ثم قال لعلي بن أحمد : بارك الله عليك
. . منك ، فقد جمعت بين الذكاء والوفاء فلا يدخلن إلي صاحبك
وقتاً إلا وأنت معه . وكان لباس علي بن أحمد الدُّرَاعَة فنراه أحمد بن
طولون عنها وأمره بلباس الأقبية والسيف والمنطقة ولبس السواد
يوم السلام .

سجين ابن طولون
يتم ثقافته في الحبس

وحدث يحيى بن براقه الحاسب ، وكان صديق أبي يوسف
يعقوب بن إسحق كاتب أحمد بن طولون قال : صار إلي غلام
أبي يوسف الكاتب ، بعد انصراف أحمد بن طولون من الإسكندرية
إلى الفسطاط ، يدعوني إليه ويذكر شوقه إلي ، وكنت قبل
نكبته مواصلاً له ، فلما حبسه أحمد بن طولون [تهيبت] الذهاب إليه
خوفاً على نفسي . فقلت له : ما تركت زيارته إلا خوفاً ، فقال : قد
علم عذرك ، والآن فقد تقدم الأمير إلى الموكل بالمطبخ ، أن يفرد
من جملة المحبوسين ، ويطلق له دخول من قصده للسلام عليه ، من
أصدقائه وأصحابه وحاشيته وزوي عنايته ، وشوقه إليك شديد ،

(١) في الاصل هنا خرق ثلاثة أسطر تينا في اثنالك منها هذه الكلمات

وقد استبطأ تأخر ك عنه مع ما جرى من تسهيل أمره ، ففضيت مع
الغلام إليه فوجدته في غرفة واسعة نظيفة فسلم عليّ وقال : يا أبا زكرياء ،
قد تفرغت الآن للعرض عليك ، والاقْتباس منك ، فالزمني فلزمته .
فعمل زيح السندهند بأمره ، وعمل صدر آمن أحكام النجوم . وأقت
أنقطع إليه في محبسه خمس سنين وكسراً حتى أطلق . فحدث يحيى بن
براقة قال : لما دخلت سنة أربع وستين ومائتين ^(١)

.
.

. المسلمين وتتضمن ذكر ما امره

في الضيق . لك وقد سلكت في قصيدي ذلك المسلك ، وكتب
إلى أبي عبد الله الواسطي رقعة يشكو بها حاله ، ويسأله التلطف في
قراءة القصيدة عليه في خلوة ، وتتبعها بما يحسن أن يأتيه وهي :

الشعر صعب على المكروب والعافي	وليس أعجب شيء فيض ملآن
ما للزمان لقد حالت حوادثه	بيني وبين حبيب نازح دان
إن قلت جاء أجاب الطرف من كتب	ملكنتي بين أبواب وحيطان
ودون عرب وعم في مجالسهم	مواكلين بنا ترك وسودان
إذا تنحنحت قالوا طار صاحبنا	كأنما لي في حبيسي جناحان

(١) في الأصل هنا خرق ثلاثة أسطر تينا في الثالث منها هذه الكلمات وفي ابن الداية : لما
دخلت سنة أربع وستين ومائتين تحولت لأبي يوسف سنة محمودة رجا فرجه فيها . فعمل قصيدة
طويلة ، وكتب إلى أبي عبد الله الخ .

لكن طيفك يأتيني برغمهم
 طيفُ لبيضاء تنقادُ القلوبُ لها
 لو لا خيالكِ يا مولاة مالِكها
 يا حبذا طيفُ من أهوى ويهواني
 لو خاصمت قرأ جاءت ببهان
 وأنه كلما نومتُ يغشاني
 إذا لما عشتُ من همٍّ أعالجه
 وأحرقت كبدي نيرانُ أحزاني
 كيف البقاء على سجنٍ حبست به
 كأنه حجرٌ من بين كُشبان
 إذا مددتُ يدي مستلقياً بلغت
 منه سماوته ^(١) شلت ^(٢) يدُ الباني
 وإن علا نفسي نمت سرائره
 ثم استقلتُ بأحزانٍ وأشجان
 وإن تروحتُ منه للخروج فلا
 روحٌ سوى مخرج ماوى لشيطان
 للجن فيه عزيفٌ كلُّ صاحبةٍ
 تنوحُ فرعون أو تبكي لمامان
 تجول فيه بناتُ الأفعوان مع الـ
 عقارب [السود] من مثني ووحدان

قال : فورد جواب أحمد بن محمد الواسطي عليه بقول : قد قرأت
 القصيدة عليه ، وهو منشرح الصدر ، فقدمع لبعضها وضحك لبعضها .
 فقلت : أيد الله الأمير . قد طال حبسه ، وبلغ به غضب الأمير حالاً
 رثى له عدوه منها ، فإن رأى الأمير أيده الله أن يمنَّ عليه بالرضا ،
 فقال : ما غضبت عليه ، ولو غضبت لجرى مجرى غيره ممن اصطفت
 ماله وأجريت عليه المكروه ، حتى خفي خبره ، واستتر أثره ، وقد
 أطلقت له من بآنس به ، وهو مشغول بتعلم حساب النجوم وقول الشعر ،
 وقد زال الآن عتبي عليه عن قلبي فقلت له : الحمد لله ، فما يمنع
 الأمير من التطول عليه بإطلاقه والرضا عنه ؟ فقال : كلام ألقاه إلي ،

(١) سماء البيت : رواه (٢) شلت بفتح الشين : أي يست

وحدثني به عن أنوشروان ، وهو أنه قال : الملك المتمكن من نفسه لا يغضب سريعاً ولا يرضى سريعاً ، لأن ذلك من أخلاق النساء ومن قاربهن . فلذلك أطلت حبسه . فأمسكت عن إعادة قول عليه ، فأنت يا أبا يوسف في حبس نفسك بما كنت غنياً عنه من هذا القول .

فلما وصل إليه الجواب من أبي عبد الله قال إن حضره من إخوانه : أما ترى إلى فظاظة أبي عبد الله في خطابه لي ، وأنا في مثل هذه الحال ، وذمه إياي فيما كان يجب أن يمدحني به ، ولكن يا أخي المحن تقلب أعيان الحسنات إلى المساوي .

فكتب أبا بكره^(١) القاضي وسأله كلام أحمد بن طولون في أمره ، ومسألته إطلاقه ، فركب إليه القاضي ، فأذكره بجرمته عليه ، وخدمته له ، وطول صحبته له . واتفق له في تلك الساعة ورود خبر عليه يسره ، فأمر بإطلاقه ، وتخليه سبيله .

وكان وقت الحج ، فلما أطلقه [جاءه] مسلماً عليه ، فسأله الإذن له في الحج ، وعرفه أنه اعتقد ذلك إذا من الله عز وجل عليه برضا الأمير ، فأذن له في ذلك ، وأطلق له الذهاب إلى منزله بسر من رأى ، والاجتماع مع أهله وحرمه ، وأطلق له جملة كبيرة من المال وخرج . فلما حج ووصل إلى منزله كف لسانه بالعتاب ، فلم يذكر أحمد ابن طولون بكلمة تُكره ولا بقبیح ، فزاد بذلك عند الموفق ، وثقتم به عنده ، وكتب طيفور خليفة أحمد بن طولون إليه بذلك ، وأنه

(١) أي كاتب أبو يوسف أبا بكره

يكثر الشكر بذلك ويطيل الثناء عليه ، فشكر له أحمد بن طولون ذلك ، وصار يكتبه في مهامته وحوادثه ، ولا يقطع مواصلته بصلاته .

امراة تبكي زوجها
لستره عليها

قال مؤلف هذا الكتاب : حدث نسيم الخادم قال : كان أحمد بن طولون مولاي على غاية من الميل والمحبة لمعمر الجوهري ، فلما مات معمر الجوهري حزن عليه أحمد بن طولون حزناً عظيماً ، حتى ظهر ذلك منه للناس كلهم ، فلم يتعزَّ به ولم يسئل عنه . فلحزنه عليه كان يبكر كل يوم سحراً إلى قبره ، وأنا معه فيترحم عليه ويقرأ قليلاً ، ويعود إلى قصره مع الصبح . فكنا عند موافاتنا قبره نجد في كل يوم امرأة قد سبقتنا إلى قبر مقابل قبر معمر ، تبكي وتنتحب بحرقه موجهة مؤلمة لقلب من يسمعا ، فكانت تزيد في حزن أحمد بن طولون وتبكيه .

فلما كثر ذلك عليه منها قال لها يوماً : يا امرأة أتبتين ها هنا ؟ فقالت : لا أيها الأمير . فعلم أنها قد عرفته . فقالت : وكيف لي لو تهيأ لي المبيت ، حتى أبيت ولا أفارق هذا القبر ، وأدفن فيه مع صاحبه . ولكني أسهر ليلي ، ما أجد في قلبي ، فإذا قرب الفجر خرجت ، وقد شغل الحزن قلبي عن الخوف من وحشة الطريق . فقال لها أحمد بن طولون : وما هذه الحال العظيمة التي استحق بها هذا الفعل منك ؟ فقالت : أيها الأمير إنها حال عظيمة عندي ، لا يجوز لي أن أذكرها . فقال لها : لا بدَّ أن تخبريني ذلك . أبتك هو ؟ قالت : لا . قال : فأخوك ؟ قالت : لا . قال : فزوجك ؟ قالت : نعم . قال : أقسمت

عليك لتخبرني بما استوجب به منك هذا الفعل . فقالت : أيها الأمير ،
إني أحتشم من ذكره ، وأرفع الأمير عن كشفه . قال لها : إلزامي
لك ذكره قد أزال حشمتك ، وأقام عذرك .

فقالت : أزوجني أبي لهذا الرجل ، وأنا صبية ، ما بلغت مبالغ
النساء . فلما عقد النكاح سافر سافراً طال مدة أيسنا منه معها .
فخلابني من النساء من لا خير فيه ، وأنا مع أبي وأمي ، وأفسدوني
واستولوا على عقلي ، وحملوني على أن ساعدتهم فيما كتب عليّ ، مما لم
يكن لي منه محيص ، وصبوت كما تصبو النساء وحملت . فلما تبين
والدائي جميعاً ذلك ، ورد عليهما ما يرد مثله من المصائب ، فبينما هما
يركضان في الحيرة في أمرني إذ قدم هذا الرجل من سفره ، فطالب
بإدخاله عليه ، فدافعه أبي وأمي ، بما يحتاج إلى إصلاحه لي ، رجاء أن
يزول ما في جوفي ، فلم يدها شيئاً يعمل في طرحه حتى عملاه ، فما نزع
ذلك ، لما قضى الله جل اسمه بكونه .

وقربت ولادتي فوافانا هذا الرجل ، وقد طال المدافعة له ، فحاف
بالطلاق أنه يأخذني بعد ثلاثة أيام ، فلم يجد أبي وأمي بدءاً من إدخاله
عليه فدفعت إليه ، وأنا على حال قد علمها الله جل اسمه غمماً
وقلقاً ، وأبي وأمي في أعظم مما أنا فيه ، فلما أدخات عليه ، وأخليت معه ،
انصرفت أمي وسائر أهلي ، خوفاً من مشاهدة الفضيحة . فلما حصلت
معه في الكيلة^(١) ، ضربني الطلق ، وزاد الأمر عليّ ، فوثبت من الكيلة ،

(١) الكيلة: ستر رفیق وهي ما تبرعه اليوم بالناموسية واقية النائم من التاموس .

أريد الخروج من البيت إلى أبي ، وليس عندي أنها هربت . فما بلغت عتبة باب البيت حتى طرحت الولد من بين رجلي إلى الأرض ، وسقطت ولا عقل لي ، فوثب هذا الرجل يتأمل ، فرأى طفلاً مطروحاً يبكي ، فصاح بأخته ، فسمعته وأنا في كربي ونمي ، يقول لها : يا أختي ! اقض كل حق لي عليك ، بما تأتيه في أمر هذه المرأة ، وانصرف عن البيت ، وتركني مع أخته ، فقامت بي أحسن قيام ، وتولت من أمري ما لا يتولى مثله أبي : برفق ، وإشفاق ، وانبساط وجه ، وحسن خلق ، ومزح ومداعبة ، حتى كأن الولد منهم ، وكل ذلك يزيدني خجلاً واحتشاماً ، إلا أنه قد سكن قلبي بعض السكون .

وبلغ أبي وأمي خبري فلم يقربني أحد منهما حياءً واحتشاماً ، وبت ليلتي ، فلما كان من الغد دخل إلي بوجه منبسط طلق ضاحك ، فجلس عند رأسي ، وسألتني عن خبري ، وقال لي : ألك حاجة ؟ قلت ، ودموعي تجري : يبيك الله . فبكي لبكائي ، ومضى بنفسه إلى أبي وأمي ، فحلف عليهما حتى جاءني بهما وقال لهما : لا مهر ب من قضاء الله عز وجل ، إني لليس في يدي ولا في أيديكما ولا في يدي أحد من عبيده جل ذكره منه غير الصبر والحمد له ، تبارك وتعالى ، على البأساء والضراء ، والحمد لله الذي كان هذا من فيض (?) الله جل اسمه ، له الصبر عليه والستر عليكم ، واحمدوا الله جل اسمه . فدعيا له وشكراه واستعبدهما بذلك .

فكان كل يوم يدخل اليّ بكرة وبالعشي ، يسألني عن حالي ،
ويسألني عن شيء أشتهيه ويستحلفني على ذلك ، فأبوس يديه وأدعوله
حتى إذا مضى لي أربعون يوماً ، وهي أيام النفاس ، ودخلت الحمام
وصلحت له ، دخل اليّ مستبشراً طيب النفس ، فمازحني وجلس
عندي ، واستحضر أبي وأمي وأنفق نفقة كبيرة واسعة حسنة ، حتى
كانت مقام عرس ثمانين يوماً انقضى يومنا وبات عندي ، وجرى بيني
وبينه ما يجري بين الرجل وزوجته ، وأنا على غاية من الاحتشام والحياء
منه ، وأصبح ، وهب لي دنانير كثيرة ، وقطع لي ثياباً حسناً . فما مضى
إلا شهر حتى حملت فولدت غلاماً فسرّ به غاية السرور ، فكأنني انبسطت
قليلاً اليه ، ودعا أيضاً أبي وأمي وحلف عليها أن يلزمانني ولا ينقطعوا
عني ، وصاغ لي حلياً حسناً ، وما ترك شيئاً من إكرامي وسروري
حتى بلغه لي ، وعاشرتني أخته ولأبي^(١) أحسن عشرة ، وفعلت معنا
أجمل فعل ، فكنا له ولها كالعييد .

وما زلتُ معه على حال ما فوقها مزيد من الإحسان والمهجة ، حتى
مضت لي عشر سنين ، وكبر ابني ، وحذق القرآن ، وعلمه جميع
الآداب ، وأنجب ، فعظم بذلك سروره وسروري . ثم اعتلّ علته هذه التي
مات فيها ، فلما أيس من نفسه كتب وصيته ، وأحضر اليهود ليشهدوا
عليه فيها فسمعتهم يقرءون في الوصية : والذي خلفه من الولد ، ولدان
ذكران ، وهما فلان وفلان ، وزوجة وهي فلانة ابنة فلان ،

(١) الأولى : وعاشرت أبي .

يريدني . فلما سمعت ذلك لحق قلبي ما يلحق قلوب النساء من الغيرة ،
ثم فكرت في خيانتني وقبح فعلي ، وجميل فعله ، فأمسكت ، إلا أنني لما
خرج العدول من عنده ، خرجت اليه من وراء مقطع كنت جالسة
خلفه ، فقبلت رأسه وبده ، وقلت له : يا سيدي ، لك علي من الإحسان
والإنعام وجميل الفعل ما قد استعبدتني به ، حتى لو وقفت على أن لك
ثلاث نسوة وعدة جوار حملتهن لك على رأسي ، فكان ذلك أقل
واجبك علي ، فكيف يكون لك ولد غير ولدي من امرأة غيري أو
جارية ، فلا تعرفني حتى أتولى خدمتها بنفسي ، وكان ذلك بعض ما تستحقه
مني ؟ فقال : كأنك أنكرت ما سمعته في وصيتي من ذكري ولدين
ذكرين ، فقلت : نعم . فحوّل وجهه عني إلى الحائط فقال لي : ويحك ،
هذا وذاك ، وتشهد ومات .

فأحضرني أخته ذلك الطفل الذي كنت رميته ، ووالله ما قدرته
يعيش ولا سألت عنه ولا فكرت فيه ، فقالت له : يا بني هذه أمك
فبس^(١) رأسها ، فانكبت على رأسي وبكيت وبكى وبكت أخته ،
وإذا بها قد اشترت له دابة ، وأفردته في موضع معها ، وكبر فعلته
مع ابنه انقرآن وجميع ما علمه ابنه من الآداب وأنجب أيضاً ، على أنه
بعض ولد الجيران ، وأحضرت أخاه فقالت له : يا ابن أخي هذا أخوك
فتعانقا ، ووقف كل واحد منهما على صورة الأمر ، وانفقت الحال بينهما .
فتسخمت^(٢) أنا وأخته عليه ، وجززنا شعورنا ، ولزنا الحزن عليه .

(١) البوس : التقبيل (فارسي معرب) (٢) سخم وجهه : سوده ، وتسخم : تسود

فماتت أخته حزناً ، وبقيت أنا وابني وأخوه معي ، وخلف له شيئاً يسيراً حاجتنا^(١) . فأنا ألزم قبره ولا أنسى جميل فعله ، ولا يزول من قلبي حزنه . فقال لها أحمد بن طولون : رحمه الله ورضي عنه ، فما في الدنيا أكرم من هذا الرجل ولا أجمل فعلاً ، وأحسن الله جزاءك إذ عرفت له مقدار فعله بك ، وكثر الله في النساء مثلك ، فإن يكن لك حاجة ، أو نابتك نائبة ، فعرفيني فقد لزميني حقك ، ووجب عليّ حفظك ، فدعت له ، وانصرف أحمد بن طولون وقد أبكتته وأحزنته .

وزير الجا إلى ابن
طولون ثم شط عليه

قال : وحمل أبو الفتح محمد بن الفتح أخته خديجة إلى أحمد بن طولون في آخر سنة خمس وستين ومائتين وكان المعتمد قد عقد بينهما نكاحاً ، وكانت أختها يومئذ تحت المعتمد بالله ، ففقد أحمد بن طولون محمد بن الفتح ديار مصر . وكان الحسن بن مخلد قد نفاه السلطان إلى الرقة ، لأنه أساء إلى الأولياء والكتاب ، فكتب إلى أحمد بن طولون يذكر له رغبته في المقام عنده وفي كنفه . فأنفذ محمد بن الفتح كتابه إليه بذلك ، فأجابه أحمد بن طولون : أنا وليك ومقام صنيعتك ، لأنه كان الوزير ، ووصوب رأيه فيما انتواه فرحل إليه ، فلما قارب أعمال مصر منعه صاحب البذرة^(٢) ، وكتب إلى أحمد بن طولون يخبره ، وكتب إليه أيضاً الحسن بن مخلد ، فكتب أحمد بن طولون إلى صاحب

(١) في الأصل : يسترجعنا (٢) البذرة : الحفارة

البذرة ، يأمره بحمله مكرماً فحمل إليه . فلما وصل إلى أحمد بن طولون أظهر إكرامه وإعزازة ، والتجمل له والبشر به . ولم يزل عنده على هذه الحال الى أن تأمل أحمد بن طولون منه أنه يرى أن فعله ذلك به ، باستحقاق له عليه ، وأقبل يتبسط بين يديه تبسط المتبوع مع التابع ، ولم يزد أيضاً مهابة ، ولا توفية حقه ، فأحفظه ذلك عليه . وكان ينادمه فحضر يوماً محبوب بن رجاء معه بحضرة أحمد بن طولون فقال لمحبوب على جهة المداعبة :

فاح ریح الخمام^(١) من سراويل قاسم

يعرض بأن أم محبوب بن رجاء اسمها قاسم ، وذهب عنه أن اسم أم أحمد بن طولون قاسم . فقال له محبوب بن رجاء ، ليزبه أحمد بن طولون عليه : أويذ كر لأمي وقد كانت فمسه (؟) أو يقال فيها هذا ؟ إنما المنكر أن يكون الوزير أخيف^(٢) إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء ، وهذا في الدواب مشئوم ، فكيف في الوزراء ؟ فأحفظ أحمد بن طولون قول الحسن بن مخلد وخبأ ذلك له . فلما كان بعد أيام أحضره أحمد ابن طولون لمنادته على الرسم فغنى ، وقد سكر ، بالنبطية^(٣) ، وصفق بيديه ، ثم زاد عليه السكر وملكه فقال :

أيا ويحك كم تصعد
لقد جرت مدى الفرق
ولو زلت بك النعلا
نلاستوبات ما تحمد

(١) الخمامة : السكاسة والجمع خمام (٢) الخيف محركة في الفرس وغيره زرقه إحدى العينين وسواد الاخرى (٣) النبطية : لغة الأناط وهي السريانية .

فاغتاط أحمد بن طولون غيظاً شديداً ، وأمر به فجرُّ برجله الى الحبس ، فمزال محبوساً حتى خرج أحمد بن طولون الى الشام ، فحمله معه مقيداً فمات في الطريق ، فدفن في قصر عيسى بن شيخ الحشاشي .

القضا .
على ابن مدبر

وكان ابن مخلد قد خبر ابن طولون عن أحمد بن محمد بن مدبر ، بما كان يكتب به أحمد بن محمد بن مدبر في أمره الى السلطان ، ودفع اليه كتباً ، منها ما يقول فيه بخطه : وإنه قد عزم على أن يقيم بمصر خليفة ، ويصف غدره ، ويذكره بكل قبيح ويشير بعزله ، ويُخيف السلطان منه ، ويذكر ما قد اختزله من الأموال ، فكتب أحمد بن طولون من وقته الى سعد الفرغاني . وكان من قواده وثقاته ، وهو بالشام مقيم ، أن يُشخص اليه ابن مدبر فأشخصه ، فحبسه في حجرة من داره مكرماً ، ولم يدر ابن مدبر ما عرفه به الحسن بن مخلد ، وقرر له عنده ، فكتب ابن مدبر الى أحمد بن طولون رقعة ، وليس عنده صورة الأمر فيما جرى في أمره ، ولا أن له ذنباً ، وضمن الرقعة آياتاً منها :

أريت^(١) قبيل الصبح في النوم أننا جميعاً على سطح ينيف بنا السطح
إذا فارس شهوي الى السطح معلناً أخوشكّة يزهي به السيف والرمح^(٢)
يلوح بالبشرى إليك مبادراً بنصر وتمكين أجد هما النصح

(١) في تاريخ دمشق : « أريت قبيل الصبح رؤيا كأننا » : وقد صححت من هنا بعض

غلطات النسخ وقيت بقية لم تصحح .

(٢) الشكّة بكر الشين : السلاح ، زهي فلان بكذا يزهي به . ومعناه زهاه الاوصحاب بنفسه .

وعالوا بتبكيرٍ من الدار غدوةً بعقبِ كتابِ الفتحِ إذ قرى الفتح
فلم أرَ حِلماً مثله صدقَ وافدٍ على سرعةٍ ما كان يسبقها للمح
فهنئتُ بالشكرِ العظيمةِ إنه تدومُ مع الشكرِ العظيمةِ والنصح
وقل لي فدتك النفسُ من كلِّ حادثٍ وإن كان للنفسِ الضنَّانةِ والشح
إلى كم يكون العتبُ في غيرِ معتبٍ ^(١) بتمويهه واشٍ شأنه القذفُ والقدح
يصرِّحُ بالبهتانِ تصریحَ مازحٍ وياربِ حتفٍ ساقه الهزلُ والمزح
أما خلةٌ تُرعى ولا طولُ عشرةٍ ولا حرمةُ الندمانِ تُقضى ولا الملح
تبينُ فإن الحقَّ يجلو دُجى العمى وإن كنت في شكٍ فقد بين الصبح
وماليَ ذنبٌ غيرَ آني محمدٌ ^(٢) وفي زمن تكدي الأمانة والنصح
فإن كان لي ذنبٌ فحلمك واسعٌ ^(٣) وحكمُ الكتابِ العفوُ والكَظْمُ والصنح
فقد نالني بالامس ماملٌ سمعه فأجلُ فإن القرحَ ينكوه القرح
وما كنتُ ذا شعري ولكن جراحةً من الغم في صدري وقد نعب الجرح

قال: وكان أحمد بن طولون قد حبس ابن مدبر في حجرة مفروشة،
ومعه خادمان يخدمانه، وبوجه إليه أحمد بن طولون في كل يوم مائدة
حسنة عليهما من كل شيء، فلما ورد عليه هذا الشعر أفاضه فأحضره إليه وقال
له: تفككك وتفككك يدلان على أنك ما وقفت على علمي بما قصدتني به
وكاتبت السلطان في مرة بعد أخرى بسوء طبعك، وقبح كيدك
وجرأتك على ربك بأيمانك الكاذبة، هبك ويحك لتوهم بخبثك أنه قد جاز

(١) في تاريخ ابن عساكر بدلاً من هذه الشطرة: أما كان دون الحبس للمرء معتب

(٢) في ابن الداية: فإن كان لي ذنب فحلمك واسع ومن على المشطر فالغو والصنح

انها تجوز على عالم الغيب والشهادة ، والله لقد أردت قتلك ، لولا اليمين التي حلفت بها لك ، لما صح عندي من سعيك في أذيتي ، وقصدك مكروهي ، وحيلتك في سفك دمي ، فأنكر ذلك فقال : وبلك ، تنكر وهذه كتبك بخطك عندي ؟ ثم أحضره الكتب التي سلمها إليه الحسن ابن مخلد ، ورماها إليه وقال له : وبلك هذه كتب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويخاف عقوبته عز وجل التي يخافها من بغى وأساء ؟ والله لولا ما في قلبي من يميني لضربت عنقك الساعة ، وضربتك بالسوط حتى تموت ، وأمر به فأخرج من بين يديه سحياً . وعمل أحمد بن محمد الواسطي جواباً لشعر ابن مدبر ، ودخل به إلى أحمد بن طولون فقراه عليه فأعجبه وأمره بإيقاظه إليه ، وقيل : إنه لمحمد بن عبد الغفار^(١)

أحمد كان السطح يا ابن محمد منيقاً ولو عاليته خسف السطح^(٢)
متى كنت في الأحلام لله صادقاً فتصدق في رؤياك إذ وضح الصبح

(١) في تاريخ ابن عساكر ان ابن طولون لما قرأ قصيدة ابن مدبر دعا كاتبه ابن حدار وكان شاعراً اديباً وقال له : اقرأ قراها ، فقال لابن حدار : أجه فقال : بالرضا أم بالسخط فقال : بالسخط ، قلب الرقعة وكتب في ظهرها هذه الأيات

(٢) أصلنا هذه الأيات من تاريخ ابن عساكر واعتمدنا روايته ، وفيها زيادة على الأصل أربع آيات وهي الثالث والرابع والخامس والسادس ولم يرد البيتان الأخيران في تاريخ ابن عساكر . وعند ابن الداية أنه قبل أن الأيات الأصلية هي لمحمد بن عبد الغفار لابن مدبر . والجواب عليها لابن حدار لالواسطي . وابن حدار او جرار او جدار . على اختلاف في النسخ كان شاعراً مقلداً ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد قصيدة قال في مقدمتها : وقد يأتي من الشعر ما هو خارج عن طبقة الشعراء منفرد في غرابه وبديع صنعه ولطيف تشبيهه كقول جعفر بن جرار كاتب ابن طولون الخ (راجع ص ١٥٣ ج ٣ من العقد الفريد الطبعة الاميرية)
١٢ - ابن طولون

[فكم ذبحت كفاك من ربِّ نعمة
فأصبح مما خول الله عارياً
ومن عدلنا أن قد زُويت مضيئاً
فلو جاءنا الناعي بنعيك جاءنا
ولكن أدام الله عزَّ أميرنا
فما زال ميمون النقيبة ماجداً
وما زال في الهيجاء أول فارس
فاستجادها أحمد بن طولون وأنفذت إليه ، فلما قرأها ندم على
ما كان من خطائه على نفسه حيث لم ينفعه ، ولم يزل في حبس أحمد بن
طولون حتى عمي ومات .

وكان قد أشرك بين علي بن الحسن بن شعيب المدايني وبين ابن
الأطروش في الخراج ، فوجدت لعلي بن شعيب رقعة إلى ابن مديبر يقول
فيها بخطه : « قد علم الله جل اسمه زهدي في العمل الذي أنقلده ، وكراهتي
له ، وخوفي منه . وأسأل الله جل اسمه أن يكفيك ما أهمك . » فأمر
به أحمد بن طولون إلى المطبق ، فما زال فيه حتى مات . وأفرد ابن
الأطروش بالخراج .

مثال من تساهل
ابن طولون مع
الرعية

وكان أحمد بن إسماعيل بن عمار المعروف بسبع شعرات قد قدم
إلى أحمد بن طولون من الشام فقلده الأملاك وما خرج عن الخراج ،

وصرف به الحسن بن سليمان بن ثابت ، وتقدم إلى أحمد بن إسماعيل
بمطالبة الحسن بما دفعه عليّ ابنه ، فطالبه بذلك وضربه فمات في
الضرب . ونحن نذكر خبره مفرداً إن شاء الله .

وكان أحمد بن إسماعيل هذا قد أشار على أحمد بن طولون بشورة
فتعداها فبسط لسانه فيه على جهة الإشفاق عليه ، وقال : ليس هو ممن
تمرن في الرياسة . وفيه لجأج لا يؤمن عليه منه ، فبلغ ذلك أحمد بن
طولون فحبسه في المطبق ، ومنع من كان يبسط عليه عائدته حتى مات .
وكل هذه الأحوال التي عددناها فالعذر فيها كلها بين لأحمد بن
طولون ، والذنب لمن يبسط لسانه في مثله ، ويتعدى إلى غير ما هو أهله ،
وكان قد بقيت لأحمد بن طولون بقية كبيرة من خراج البلد على بعض
المتقبلين ذهب عني اسمه فاستتر ، وكان قبل استتاره قد عمد إلى ربع
له نفيس يفي بما عليه من الخراج ، وفضل حبسه على ولده وخرج عن
البلد ، ورُفِع خبره إلى أحمد بن طولون ، فطلب فقبل له : قد هرب وفات
وخرج عن البلد فأحضر بكار بن قتيبة القاضي وقال له : صاحبك يقول
بجَلِّ الحبس في الدين ، فتحلّ حبس هذا الهارب منا حتى نأخذ مال
السلطان منه ؟ فقال له بكار : لا تفعل ولا تستنّ سنة يستن بها فيك ،
لأن لك أوقافاً على وجوه ، فإن حللت حلوا عنك . فتوقف عن ذلك
وكف عنه ، وشكر لبقار مشورته عليه ^(١) .

(١) في الولاية والقضاة : قال ابن طولون لبقار : مر بيّمه على مذهبك ، فسكت ساعة —

بعض صدقات ابن
طولون ومصانفه
وأثاره

وأما رغبته كانت في أبواب البر التي كانت له فكانت ظاهرة
بينه واضحة ، بشهوة شديدة ، ونية صحيحة . فمن ذلك بناء الجامع
والبيمارستان ^(١) ، وما ضمنه خزائنه من العقاقير النفيسة الخطيرة ،
والدرىاقات المعروفة التي ليست إلا في خزائن الملوك والخلفاء . فلم
يكن يعدم في بيمارستانه شي من الأدوية ولا العقاقير الرئيسة ، مثل
دواء المسك وغيره مما لا يوجد مثله . واشترى له المستغلات النفيسة
التي يني بعضها بجميع حوائجها ، إذا أبقى الله جل اسمه من يتولاها .
ثم العين التي بالمعافر بناها بنية صحيحة ، ورغبة قوية جميلة ، حتى
إنها ليس لها نظير . ولقد اجتهد الماذرائيون ^(٢) وأنفقوا الأموال
الخطيرة ليحكوها فأعجزهم ذلك ، لأنها وقعت في موضع جيرانه كلهم

— فإوده قال : أيها الأمير قد بنيت المسجد الجامع والمارستان والسقاية والصهريج وحجت على
ذلك ما شاء الله ، فلا تجعل لعنرك على احباسك سيلاً فسكت أحمد .

(١) روى المقرئ عن جامع السيرة الطولونية ان أحمد بن طولون بنى في سنة احدى وستين
وماثين المارستان ولم يكن قبل ذلك بصر مارستان ، ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان
ودوره في الأسكفة والقيسارية وسوق الرقيق ، وشرط في المارستان ان لا يبالغ فيه جندي
ملوك ، وعمل حمامين للمارستان إحداهما للرجال والاخرى للنساء ، حبسها على المارستان وغيره ،
وشرط أنه اذا جني بالليل نزع ثيابه وتحفظ نفقته عند أمين المارستان ثم يلبس ثياباً ،
ويفرش له ويُغدى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ ، فاذا أكل فروجاً
ورغيفاً أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه . قال : وكان يرك بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد
خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر الى المرضى وسائر الأعلام والمحجوسين من المجانين .

(٢) الماذرائي نسبة الى ماذرايا قرية بالبصرة نسب اليها الماذرائيون كتاب الدولة الطولونية
ببصر — قاله ياقوت . ويقول الصابي في تاريخ الوزرا : إن أبا علي الحسين بن احمد المعروف
بأبن زُنُور وأبا بكر محمد بن علي الماذرائيين قد دروا أمور بني طولون في المال والرجال ولهما
في الكتابة قدم وبالتدبير دربة

محتاجون إليها ، وهي مفتوحة طول النهار لمن كشف وجهه للأخذ منها ،
ولمن كان له غلام أو جارية ، والليل كله للضعفاء والمستورين والمستورات .
فهي لهم حياة ومعونة . واتخذ لها المستغل الذي فيه فضل عن الكفاية .

حدث ابن قراطغان أن الذي تولى لأحمد بن طولون بناء هذه
العين رجل نصراني حسن الهندسة حاذق فيها ^(١) ، وأنه دخل إلى
أحمد بن طولون عشية من العشايا فقال له : فرغت مما تحتاج إليه فيها
لنر كعب إليها نراها . فقال له : ير كعب الأمير ، أيده الله ، في غد ،
فقد فرغت ، فر كعب وتقدم النصراني فتأمل منها موضعاً يحتاج إلى
قصرية ^(٢) جبر وأربع طوبات ^(٣) فبادر فعمل ذلك . وأقبل أحمد بن
طولون يتأمل العين ، واستحسن جميع ما شاهده منها . ثم أقبل إلى
الموضع الذي فيه قصرية الجير ليقف ، فلرطوبة الجير لما وضع الفرس
يده على الموضع غاصت يده ، وكبأ بأحمد بن طولون فرسه ، فلسوء

(١) في تاريخ الأمة القبطية ان اسم هذا المهندس سعيد بن كاتب القرطاني وهو الذي
تولى بناء مقياس النيل والصهرنج وجامع ابن طولون . قلنا : وكان ابن طولون يقرب العلماء من
أي مذهب كان . ذكر المسعودي في مروج الذهب أنه حمل إلى ابن طولون في النيل مكرماً رجل
معمّر من الأقباط في سنة نيف وستين ومائتين كان بأعلى بلاد مصر من أرض الصعيد وكان ممن
يشار إليه بالعلم من لدن حدائمه والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين
وغيرهم ، فأحضر له أحمد بن طولون من حضره من أهل الدراية وصرف همه إليه وأخلى له نفسه
في ليالي وأيام كثيرة يسمع كلامه وإبراداته وجواباته فيما يسأل عنه ، وأقام عنده نحو ستة
فأجازته وأعطاه فأبى قبول شيء من ذلك فزده إلى بلده مكرماً

(٢) القصرية : كالأجانية اسم للقضة الكبيرة التي تُنقل فيها الثياب وقد مرّ في التاليف

(٣) الطوبة : هي التينة واللبن الطوب الذي لم يشو والآجر أو القرميد هو الذي شوي

ظنه قدّر أن ذلك لمكروه أرادہ النصراني به ، فأمر به وشق عنه
وضربه خمسمائة سوط وأمر به إلى المطبق . وكان المسكين يتوقع
الجائزة فانفق له اتفاق سوٲ . وانصرف أحمد بن طولون .

وأقام النصراني في المطبق إلى أن أراد أحمد بن طولون بناء الجامع ،
فقدّر له ثلاثمائة عمود ، وقيل له : ما تجدها أو تنفذ إلى الكنائس في الأرياف
وفي الضياع الخراب ، فتحمل إليك ، فأذكره ولم يختره ، وتعذّب
قلبه بالفكر في أمره ، وبلغ النصراني وهو في المطبق الخبر فكتب
إليه يقول : أنا أبنيه للأمير ، أيده الله ، كما يحب ويختار ، بلا عمود
إلا عمودي القبلة . وأحضره فأدخل إليه ، وقد طال شعره حتى سقط
على وجهه ، فقال له : ما تقول ويحك في بناء الجامع ؟ فقال له : أنا
أصوره للأمير حتى يراه عياناً . بلا عمود إلا عمودي القبلة . فأمر
بأن تحضر له الجلود^(١) فأحضرت ، وصوره له فأعجب به واستحسنه .
فأطلقه وخلع عليه ، وأطلق له النفقة عليه مائة ألف دينار ، فقال له :
أنفق وما احتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك . فوضع النصراني يده
في البناء في الموضع الذي هو فيه وهو جبل يشكر^(٢) فكان ينشر
منه ويسطح ويعمله جيّراً ويبني إلى أن فرغ من جميعه وبيّضه وخلّقه
وفرش فيه الحصر ، وعلق القناديل والسلاسل الطوال الغلاظ الحسان ،

(١) كانوا يرسمون مخطط البناء على الجلد

(٢) في حسن المخاضرة : ان جبل يشكر هو الذي عليه جامع ابن طولون ويقال انه قطعة من

الجبل القدس وكان يشكر رجلاً صالحاً الخ

وحمل إليه صناديق المصاحف ونقل إليه الفقهاء والقراء . وتصدق في ذلك اليوم صدقات عظيمة فيه وعمل طعاماً واسعاً كبيراً ، وحمل إليه . فأطعم سائر من حضر ، وكان يوماً عظيماً نبيلاً جليلاً .

وراح أحمد بن طولون ونزل في الدار التي عملها فيه للإيمارة ، وقد فرشت ، وعلّق فيها الستور ، وحمل إلى خزائنها الآلات والأواني التي يحتاج إليها ، وصناديق الشراب فيها من كل نوع من الأشرطة وما شاكلها . فنزل فيها أحمد بن طولون ، وجدد طهره ، وأبدل ثيابه وتبخّر ، وخرج من بابها إلى المقصورة ، فركع وسجد شكراً لله على ما أعانه عليه من ذلك ويسرّه له . فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى أشرف على الفوارة ، وخرج إلى باب الريح . فصعد النصراني المنارة ووقف إلى جانب المرّكن النحاس ، وصاح بأحمد بن طولون : أيها الأمير عبدك يريد الجائزة ، ويسأل الأمان ألا يجري عليه مثل ما جرى في المرة الأولى . فقال له أحمد بن طولون : انزل ويحك يا كافر : فقال : وحق رأس الأمير لا نزلت أو توّمني . فقال له : انزل فقد أمّتك الله ولك الجائزة . فنزل وأمر له بعشرة آلاف دينار ، وخلع عليه وأجرى عليه رزقاً واسعاً .

قال : ومن أفعاله الجميلة ما كان يحمله إلى طرسوس وغيرها من الثغور من المال العين والسلاح والكرّاع والثياب ما لم يحمله إليها أحد قط .

بعض أفعال ابن طولون الجميلة

ولم يغيره على أهل طرسوس شيء مما أنكره من فعلهم ، فيقصر عن ذلك مجازاة لهم ، لأنه كان يقصد بفعله الله وحده جل اسمه .
ومن ذلك بناؤه حصن يافا لأنها لم يكن لها حصن ، ومات قبل الفراغ منه وأتمه بعده ابنه أبو الجيش ^(١) .

ومنها ما كان يحمله إلى الحرمين من المال العين والحنة [الشفوف] والثياب وكل ما يحتاج إليه أهلها ^(٢) .
ومنها نفقد أهل السمرقند والمتجملين وضعفاء النواحي ممن يلزم المساجد ، ويسأل عن النساء المستورات في منازلهن ومحالهن ، فيجرين مجرى الرجال من معروفه ويفضلن ^(٣) .

وحدث أبو جعفر الروزي قال : دعاني أحمد بن طولون يوماً ودفع إلي رقعة وقال لي : سل عن فيها فهم سجنه حبس القاضي ، وانظر الدارج الحال منهم المستقل ، وأثبت لي أسماءهم وأحوالهم وأسماء خصومهم . قال : ففضيت فسألت عنهم ، وأثبت أسماءهم وأحوالهم وخصومهم ،

(١) وبني ميناء عسكة لما رأى ثغر صور واستدارة الحائط على مينائها فجمع صناع الكور وعرض عليهم ذلك . انشاء له ابو بكر البناء المقدسي جد مؤلف كتاب أحسن التقاسيم من أجل كتب الجغرافيا عند العرب

(٢) روى المؤرخون ان الأمير احمد كان يرسل في كل سنة الى ققرا بندا مائة الف دينار يرسم الصدقات ويرسل اليهم في كل سنة بكسوة الشتاء والصيف مدة ولايته على مصر .
(٣) روى ابن طلحة الوزير في العقد الفريد لملك السعيد أن مما ذكره عبد الله بن عبد الكريم ، وكان مطلقاً على أحمد بن طولون عارفاً بأمره ، عالماً بوردته وصدوره فقال ما معناه : ان أحمد كان يرني من يطرح على الطرقات — اي القفاط — ويقيم لهم الكوافل ، ويدبر عليهم النفقات ، رغبة في الثواب ، وتقرباً الى الله تعالى بهذه الأسباب .

وذكر الموجد منهم والمعدم ، وأحضرته العمل بذلك ، فأحضر وكيله ابن مفضل فقال له : اجتمع مع أبي جعفر المروزي حتى تنظر في أمر هؤلاء القوم ، وتحضروا خصومهم وترضوهم عنهم ، وثبتا مبلغ ذلك وتعرفاني به ، فاجتمعنا وعرضناهم وأرضيناهم عنهم بمصالحة لواحد ، وأن يدفع إلى آخر ماله كله لتشدده أو لاختلال حاله أيضاً حتى فرغنا من جميعهم ، فكان مبلغ ما لزمه من ذلك عشرين ألف دينار ، وجئناه بالعمل فأطلق المال باستبشار وفرح وسرور وطيب نفس ، وحمد الله عز وجل ، وأمر بأن ينصرف جميع المحبسين إلى منازلهم ، فمضينا ودفعنا المال إلى أربابه ، فأكثروا له الدعاء والشكر ، وأطلقنا الجماعة من حبس القاضي ، وهم مبهتلون إلى الله جل اسمه بالدعاء له . فعدنا إليه فعرفناه ذلك فقال لنا : من أنا ، لولا توفيق الله عز وجل إياي ؟ وإنه جل اسمه ليلهمني أن أحنو على الضعيف ، وأسطو على العنيف ، وهكذا وصف الله عز وجل خلصه " فقال : (أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ) فالحمد لله على ما من به علي من ذلك .

قال مؤلف هذا الكتاب : وللحجاج بن يوسف حكاية مثل هذه إلا أن الحجاج زكى نفسه ، وأحمد بن طولون استكان لربه .
حدث الحسن بن القاسم الأنباري أن امرأة عارضت الحجاج بن يوسف فقالت له :

تَقِ اللهُ يَا حِجَّاجُ فِينَا فَإِنَّا بَقِيَّةُ سُؤْلِ^(١) غَابَ عَنْهَا فُحُولُهَا
وَإِلْتِدَارُ كِنَانِ بْنِ يُوسُفَ رَحْمَةً بِكَفَيْكَ أَمْسَى صَعْبُهَا وَذَلُولُهَا
فَقَالَ لَهَا : مَا خَطْبُكَ ؟ فَقَالَتْ : غَرَبَتْ زَوْجِي مَعَ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ ،
وَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُهُ وَخَفْنَا بَعْدَهُ الضَّيْعَةَ وَالْعَارَ ، فَأَمَرَ بِالْكِتَابِ إِلَى ابْنِ
أَبِي بَكْرَةَ بِإِقْفَالِ زَوْجِهَا وَكُلِّ مَنْ خَرَجَ مَعَهُ ، فَوَلَّتْ نَقُولُ :
شَكُونَا إِلَى الْحِجَّاجِ مَا قَدَّ أَصَابَنَا فَكَانَ كَرِيمًا عَالِمًا بِالنَّوَائِبِ
بَصِيرًا بِمَا يَأْتِي حَلِيمًا عَنِ الْعِدَى غَيُورًا عَلَى الْبَيْضِ الْحَسَانِ الْكَوَاعِبِ
فَقَالَ لَهَا الْحِجَّاجُ : صَدَقْتَ وَكَذَبْتَ ، أَنَا كَرِيمٌ عَالِمٌ بِالنَّوَائِبِ ،
بَصِيرٌ بِمَا يَأْتِي ، غَيُورٌ عَلَى الْبَيْضِ الْحَسَانِ ، وَلَسْتُ بِجَلِيمٍ عَلَى الْعِدَى .
أَنَا كَمَا قَالَ حَمِيدُ الْأَرْقَطِ :

حُخِّلْتُ نُكْلًا لِلْعَدُوِّ الْجَاهِدِ أَضْرِبُ مِنْهُ مَوْضِعَ الْقَلَائِدِ
بِالسَّيْفِ ضَرْبَ الْهِنْدِيِّ الْهَائِدِ^(٢)

وَحَدَّثَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ : كَانَ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونَ مِنْ حِفَاظِ
الْقُرْآنِ ، [الْمُتَقَنِّينَ] حَفِظَهُ وَمِنَ الدَّارِسِينَ الْحَدِّاقِ ، فَكَانَ يَجِبُ
حِفَاظُ الْقُرْآنِ وَيَكْثُرُ [مَوَاصِلَتُهُمْ] بِصَلَاتِهِ ، وَيَطْرُقُهُمْ سِرًّا فِي
مَوَاضِعِهِمْ ، حَتَّى يَسْمَعَ قِرَاءَتَهُمْ ، فَيَتَّبِعُهُمْ مِنْزِلَةً وَاحِدًا وَاحِدًا فِي حَفِظِهِ ،
وَيَصِلِي خَلْفَهُ إِذَا الصَّبْحَ وَإِذَا الْعَتَمَةَ ، يَرُكِبُ حِمَارًا وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ ،

عطف ابن طولون
على حفظة الكتاب
العزيز وكان حافظاً

(١) الشائبة بن الأبل ما أتى عليها من حملها أو وضها سبعة أشهر فنجف لبها والجمع شول
(٢) الهندي : الهندي والسكان زائدة يقال : سيف هندي ورجل هندي

متنكراً لا يعلم به أحد ، ولا يعرفه من يراه ، حتى يصلي خلفه ، ويعود في السحر إن كان صباحاً أو بعد عتمة ، ولا يقطع برهم في كل وقت .
فدعاني يوماً وقال لي : أتعرف إماماً يصلي بالنامة^(١) في موضع كذا وكذا ؟ فقلت له : نعم أنا أعرف المسجد ، وما أعرف الرجل ، فقال لي : إنه حسن الصوت جيد الحفظ ، نخدمك خمسين^(٢) ديناراً وامض إليه ، فأني لا أشك أنه في ضيقة ، فصل خلفه ، فإذا فرغ وخلا ، فوانسه حتى ينبسط إليك ، والطف به حتى يأنس بك ، فإذا أنس فادفع هذه الدنانير إليه ، وسله عن دين إن كان عليه ، فإن ذكره لك فاقضه عنه ، وعرفني ما يكون منك في أمره فأني أراعيه .

قال أبو جعفر : فعجبت من تغلغله في معرفة هؤلاء القوم واحداً واحداً ، وهم في أطراف البلد ، وفي مواضع متفرقة لا يكاد يعرف أكثرها أهل البلد ، ثم علمت أن دينه ورغبته في الخير حملاه على ذلك ، مع توفيق الله عز وجل له ، ولن يوفق جل اسمه من عبده ما يرضاه إلا من يختاره ، وله عنده منزلة .

فبكرت في السحر إلى المسجد ، وصليت خلف الرجل ، فسدمت إماماً طيباً حسن الصوت . فلما فرغ من الصلاة وانصرف الناس جلست أحادثه ، فلم أزل أوانسه وأذكر له أخبار الصالحين ، وما يصلح أن

(١) كذا في الأصل وابن الداية ولعلها النامخة

(٢) في ابن الداية : مائة

أحدثه لمثله ، حتى أنس وانبسط ، وسألني عن حديثي وعن حالي ،
وقال : قد آتستني فأحب ألا تقطع مؤانستك ، فقد سررت بك .
فسألته عن أحواله وعن تصرف الزمان به ، فشكا إضاعة وقال : أغلظ
ما حلَّ بي أني وقفت في المحراب أمس أصلي ، فغلطت في قراءتي وما
جرى عليَّ هذا [قبلاً] فقلت : هذا يدل على شغل قلب وغم ،
فقال لي : نعم منزلي خلف قبلة هذا المسجد ، فجمت إلى الصلاة وزوجتي
تُطَلِّق ، فلما وقفت في المحراب سمعت صياحها من شدة الطلق ، ففكرت
أنه ليس لها في البيت دقيق ولا خبز ولا زيت ، ولا معي شيء أنفقته
عليها فغلطت . فقلت : موضع ياسيدي ، ما تلام على ذلك ،
فأخرجت إليه الدنانير وقلت له : هذه الدنانير من جهة صالحة ترضاها ،
تخذها وتفرج بها ، فتوقف عن أخذها خلفت له أنها من جهة مرضية ،
ليس عليه فيها تبعة ، فأخذها وحمد الله جل اسمه وأثنى عليه ،
وانبسط وجهه بعدما كان كالتعاس وأنا أحدثه ، وكأنه في موضع
آخر مشغول القلب والفكر ، ثم سألته عن دين إن كان عليه فقال :
نعم عليَّ دين ، وكان أيضاً قلبي به متعلقاً لتأخيره عن أصحابه ،
والساعة أبتدى بقضائه ، فقلت له : كم هو ؟ فقال : خمسة عشر ديناراً .
فدفعتها إليه وقلت له : اقضها ولا تثلم هذه الدنانير ، واتسع أنت
وعيالك بها . فزاد في حمد الله عز وجل وشكرني ، وسألني من أي
جهة هي ؟ فلم أذكرها له ، كما أمرني أحمد بن طولون .

وعدتُ إليه لأعرفه ما كان ، فما وصلت إليه يومي ، فلما كان من غد صرت إليه فخبرتُه بما جرى بيننا ، فقال لي : صدق ، ولقد وقفت خلفه مراراً فما سمعت منه غلطاً إلا أول أمس ، فأني رددت عليه في ثلاثة مواضع ، وصليت اليوم خلفه فقرأ القراءة التي أعرفها منه . فحمدت الله جل اسمه على ما وفقني له في أمره . ثم أمرني بإثبات اسمه في دفتر الذي فيه أسماء المستورين والمستورات الذين يجري عليهم في كل شهر خمسة دنانير على كل رجل وامرأة ، وأجرى عليه مثلهم .

ومن ذلك ما حدث به سعد الفرغاني قال : ركب أحمد بن طولون حمار الخيزوي المنظم يوماً إلى الجيزة ، وكان رسمه إذا قُرب من الجسر أُخلي له . فلما بلغ إليه أمر الناس بأن يسرعوا المحي عليه وأعجلوا . فلم يبق عليه إلا شيخ ضعيف على حمار هزيل ومعه صبي له ، وقد أقبل من بعض نواحي الجيزة . فلما أعجل الناس وهبَّ ليعجل معهم لم يكن له نهضة ولا حماره ، فسقط عن الحمار . فأقبل أحمد بن طولون ينظر إليه وإلى الصبي معه قد سقطا جميعاً . فقال لي : امنعهم من إزعاج هذا الشيخ ، وقف عليه وارفق به حتى يركب حماره والحقتي به ، فما أشك أنه مظلوم ، وقد وافانا يريد التظلم ، وسأله في طريقك معه إليَّ عن خبره ، وسبب دخوله إلى مصر ، فإن ذكر ظلامته فاسأله ممن يتظلم ؟ قال سعد : فوقفت عليه حتى عبر أحمد بن طولون ، وعبرت مع الشيخ ،

وقد رددته معي ، فلخوفه انقادم معي ولم يسألني عن رده ، وأقبلت أسير معه قليلاً قليلاً ، على قدر سير حماره ، وساءلته عن خبره وسبب دخوله القسْطاط ، فقال : ما ترك لي و كيل ابن دشومة بذات ^(١) الساحل شيئاً أرجع إليه ، وكنت مستوراً فتهتكني ، وكنت غنياً فأفقرني ، حتى صرت بين المزارعين مرحوماً فقيراً ، بعد أن كنت موجداً موسراً . فدخلت مستغيثاً إلى الأمير أيده الله . وكان ابن دشومة يومئذ أميناً على أبي أيوب ^(٢) في الخراج . فلما لحقنا أحمد بن طولون وكَلت بالشيخ ، ودخلت إليه في مَضْرَبه ، فعرفته جميع ما عرفني به الشيخ ، فوجه من ساعته بمن أحضر إليه ابن دشومة من مصر إلى الجيزة ، ولم يصبر إلى أن يعود ، لقوة رغبته في الثواب والخير ، فأحضر فقال له : ويحك إن الضياع تُشبه البستان ، والمزارعون شجرة ، فإن رفق بهم ، وأحسن القيام بأمرهم ، ورعوا بإصلاحهم ، طلعت الثمرة ونمت وزكت ، وإن لم يفعل ذلك ، هلكت الشجرة وذهب ثمرها . فأحضر كاتبك الساعة الساعة ، ومختار الناحية إلى هاهنا ، ولا تبرحها حتى تنصف هذا الشيخ من ظلامته ، وتبلغ له ما يحبه وتعرفني ، فأني هاهنا أراعي ما يكون منك في أمره

فطار عقل ابن دشومة ، وجعل يتوقع مكروه أحمد بن طولون ،

(١) ينهم ما ذكره ابن مباتي ان ذات الساحل كانت من عمل الجيزة وهي الى شمال القسْطاط قربة من ام دينار (قاله الاستاذ فييت في تعليقاته على خطط القريري)
(٢) في ابن الداية : أبي ذؤيب

ووجه بن أحضر صاحبه والمختار بالناحية ، وابن دشومة كالمعتقل ، حتى جمع بينهما وبين الشيخ ، وذكر ما جرى عليه ، فخطوا عنه ما كانوا يطالبونه به ، وأسقطوا عنه ما شكاه من الغبن عليه ، وبلغوا له فوق ما يحبه ، وأحمد بن طولون يطالعههم برسله من حيث لا يعلمون ، حتى عرف جميع ما جرى بينهم وبينه ، وأقبل في خلال ذلك ينفذ إلى ابن دشومة خادماً بعد خادم يقول له : أنصف الشيخ ، ابلغ له فوق ما يحبه ، وبكدهم في الفراغ من أمره ، ويعرفهم أن مقامه بالجيزة بسببه ، إلى أن ينصف فيعود إلى الفسطاط ، فلما فرغوا من أمر الرجل ، دخل إليه ابن دشومة فعرفه أنه قد بلغ له ما أحب ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال لابن دشومة : اشرح لي قصته وكيف ظلم ، وما عملت في أمره ، فكان ابن دشومة يعيد عليه أمره ، وهو يرعد خوفاً من بادرة تلحقه منه ، والشيخ واقف يسمع كل ما يجري في أمره . فلما فرغ من شرح ذلك قال له : يا شيخ الأمر كما حكى ؟ قال : نعم أيها الأمير ، جعل الله عليك واقية ، وسترك في الدنيا والآخرة فلما سمع ابن طولون قوله « والآخرة » بكى وخرَّ ساجداً لله ، ثم قال له : زال عنك ما كرهت ، وبلغت ما أحببت ؟ قال : نعم أيها الأمير أحسن الله إليك كما أحسنت إليّ ، فقال : ماشاء الله فعل بك ، ذلك بمنه وكرمه . فقال له : كم عمارتك ؟ ^(١) قال : خمسون

(١) العارة بالكسر : ما يعمر به المكان ، والعمارة ، بالنهم : أجرها

ديناراً قال له : فتطيقها ؟ قال : لا . قال : فكم تطيق ؟ قال : ثلاثين
ديناراً . فأمر بأن تجعل عمارته عشرين ديناراً ، ووهب له خمسين
فداناً يزرعها ما أحب معاط (?) وتقوية^(١) في كل سنة ولا تؤخذ
منه التعموية ولا تسترجع ، وجعل ذلك كالصدقة وقال له : يا شيخ لولا
أن حظ العمارة عنك يحط من منزلتك في بلدك لحططتها . فدعا له ،
فقال : ما فعله إلا ميرأيده الله في أمري فهو أكثر من الحطيطة ، وجميعه
صدقة علي وعلى ولدي وعيالي ، فأجاب الله منا فيك صالح الدعاء ،
فأمر بأن نهب له عشرين ديناراً ، وقال له : خذ هذه الدنانير فاشتر
بها حماراً فارهاً لا يرميك على الجسر ، ولا يقف بك إذا عبر الأمير
عليك . وضحك أحمد بن طولون ، وانكسب الشيخ ليقبل الأرض
فمنعه من ذلك وقال له : احذر ثم احذر أن تفعل هذا بأحد من المخلوقين ،
فإنه لا يوثره إلا كل جبار عنيد ، والسجود لله وحده عز وجل .
فانصرف الشيخ على غاية من السرور ، بما تم له من إزالة الظلم والمساحمة
في العمارة ، والافضال عليه ، وهبة الدنانير ، وممازحة أحمد بن طولون له في
الحمار ، فرأيته في انصرافه يبكي فرحاً ، ويدعو لأحمد بن طولون بنية
خالصة ، وحصل له بذلك جاه في بلده ووطنه ومجمله ، ومنزلة وسطوة .

(١) التعموية : إعطاء البذار والحيوانات التي تقوى بها الفلاح على فلاحته وهي عامية مثل التعاوي

وحدث نسيم الخادم قال : ركب مولاي في غداة باردة إلى الصياد قتل
الذهب الممس^(١) فأصاب بشاطئ النيل صياداً عليه خلق لا يواريه منه
شيء ، ومعه صبي له في مثل حاله وقد ألقى شبكته في البحر ،
فراه مولاي فرق له وقال لي : يا نسيم ادفع إلى هذا الصياد ثلاثين^(٢)
ديناراً ، فتأخرت حتى دفعتها إليه ، ولحقت به فلم يبعد حتى رجع ،
فوجدنا الصياد ميتاً ملقياً ، والصبي يبكي ويصيح ، فظن مولاي
أن بعض سودانه قتله ، وأخذ الدنانير منه ، فوقف بنفسه عليه ، وسأل
هذا الصبي عن أبيه فقال له : هذا الغلام - وأشار إلي - دفع إلى
أبي شيئاً ، فلم يزل يبوسه حتى وقع ميتاً .

فقال لي مولاي : فتشه ، فنزلت وفتشته ، فوجدت الدنانير معه
بجملها . فحرضنا الصبي أن يأخذها فأبى وقال : هذه قتلت أبي وإن
أخذتها قتلتني . فأحضر مولاي قاضي الممس وشيوخه ، وأمرهم بأن
يشتروا للصبي داراً بخمسة دنانير يكون لها غلّة^(٣) فاشتريت وحبست
عليه ، وكتب اسمه في جملة من كان يجري عليه جرايته في كل
شهر . وقال لي : يا نسيم نحن قتلناه ، الغنى يحتاج إلى تدبير ، وإلا قتل

(١) موضع كان على نيل مصر بين يدي القاهرة (التاج) وهو في موقع جامع أولاد عنان في القاهرة
اليوم ولم تكن بولاق موجودة - قاله الأستاذ علي بهجت في تعليقه على قانون ديوان الرسائل
لابن الصيرفي (٢) في ابن الداية : عشرين . وفي روضة المحبين لابن قيم الجوزية أن أحمد بن طولون
سار بصياد في يوم بارد وعند بني له ، فرق عليها وأمر غلامه أن يدفع إليه ما معه من الذهب
فصبه في حجره . وهضى فاشتد فرجه به فلم يحمل ما ورد عليه من الفرح ففضى مكانه
(٣) الغلّة : الدخل من كراة دار وأجر غلام وقائمة أرض

صاحبه ، كان يجب أن يدفع إليه دينار بعد دينار ، حتى تحصل له هذه الدنانير ، ولا تدفع إليه جملة .

وحدث طاهر الكبير قال : كان لمولاي برج حمام هيتي^(١) فصعد إليه يوماً ، وجلس على كرسي بين يدي البرج يستعرضها ، فأخرجت إليه ما كان عندي من الفراخ ، فنظر إليها وسرحها تدرج بين يديه ، وكان عددها ثمانية . ثم أمرني بردّها فرددت سبعة ، وإذا بالثامن قد درج فصار خلفه ، فقال لي : قد بقي واحد . فقلت : هو خلف مولاي . فقال لي : خذه ، فمدت يدي إليه لا أخذه ، فارتعدت هيبة له أن أمد يدي خلفه ، فتبين ذلك مني ، فقال لي : تنح ، فتنحيت فوضع خده على التراب ، في الموضع الذي كانت قدمي عليه ، وبكى وأقبل يُمرغ خديه ولحيته في التراب ، ويتضرع إلى الله جل اسمه ، ويسأله العفو عنه ، وإلهامه الشكر على نعمه عنده .

الحمام الهدادي
وشكر ابن طولون
للنعمه

وحدث نسيم الخادم قال : ركب مولاي يوماً إلى الأهرام ، فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ، وفي أيديهم مساح ومعاول ، فسألهم

البحث عن الكنوز
وتشدد ابن طولون
في عيار الذهب

(١) كذا في الاصل ، وفي ابن الداية : الهدادي . وفي المحقق لابن سيده : ومنهن (أي من الحمام) الهدا . ألوحد الهادي وهن اللاتي يدربن ويرضن من مرحل الى مرحل حتى يبيضن من البعد من بلاد الروم وعريش مصر ودون ذلك من مواضع كثيرة مسماة وهي محنوظة أنسابهن وربما كان ما لم يعرفوا له نسباً يساوين في الرجوع من البعد ولا يكون ذلك الا بالتدريج والتوسطه من موضع الى موضع الخ ما قال .

عماي يعملون ، فقالوا : نحن قوم نطلب المطالب ^(١) ، فقال لهم : لا تخرجوا بعد هذا الوقت إلا بمشور ^(٢) ، ورجل من قبلي يكون معكم ، فقالوا له : سمعاً وطاعة للأمر ، أيده الله . فسألهم عما رُفِع إليهم من الصفات ، فذكروا له أن في سمت الأهرام ^(٣) مطلباً قد عجزوا عنه ، لأنهم يحتاجون في إثارته إلى جمع كبير ، ونفقات واسعة ، فإن فيه مالاً عظيماً . فنظر مولاي إلى شيخ من أصحابه يعرف بالرافقي من أهل الثغر فضمه إليهم ، وتقدم إلى عامل معونة الجيزة في دفع جميع ما يحتاجون إليه من الرجال والنفقات . وانصرف مولاي فأقام القوم مدة يعملون حتى ظهرت لهم العلامات ، فوافانا الرافقي وأعلم مولاي بذلك ، وأن أمره قد قُرب ، فركب وسرنا معه حتى وقف على الموضع ، فلما رآه الناس جدُّوا في الحفر ، فكشفوا عن حوض كبير عظيم مملوء دنانير ،

(١) المطالب واحدها مطلب ، كلمة كان المصريون يطلقونها على الكنوز ، وقال القرظي : انها كانت مستعملة لهذا المعنى الى عهد . والقوم المطالبية هم الباحثون عن الكنوز

(٢) في ابن الداية والمقرظي : إلا بمشورتي

(٣) روى السيوطي في حسن المحاضرة أن احمد بن طولون لما ملك مصر حفر على ابواب الأهرام فوجدوا في الحفر قطعة مرجان مكتوباً عليها سطور باليوناني فأحضر من يعرف ذلك القلم فاذا هي ايات شعر فترجمت وبما كان فيها :

ستفتح أقنالي وتبدو عجائبي	وفي ليلة في آخر الدهر تنجم
ثمان وتسع واثنتان واربع	وسبعون من بعد المئين فتسلم
ومن بعد هذا جزء تسعين برهة	وتلقي البرابي صخرها وتهدم
تدبر فطالي في صخور قطعها	سبقي وأفني قبلها ثم تعدم

فجمع احمد بن طولون الحكماء وارهم بحساب هذه المدة فلم يقدروا على تحقيق ذلك فيش من فتحها .

وعليه غطاء مكتوب عليه بالبنظية^(١) ، فأحضرُوا من قرأه فكان :
أنا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من شؤونه ووغشه وأدناسه ،
فمن أراد أن يعلم فضل ملكي على ملكه ، فليُنظر إلى فضل عيار ديناري
على عيار ديناره ، فإن مخلص الذهب من العش مخلص في محياه
وبعد مماته . فقال مولاي : الحمد لله يا نسيم ، ما نهيتني عليه هذه الكتابة
أحب إليّ من المال . ثم أمر لكل رجل كان يعمل فيه بمائة دينار
ووفى الصناع أجرتهم ، ووهب لكل رجل منهم خمسة دنانير ، ودفع
إلى الرافقي منه ثلاثمائة دينار ، وقال لي يا نسيم : خذ لنفسك منه ما شئت
فقلت : ما يأمرني به مولاي . فقال لي : خذ منه ملء كفك جميعاً ،
وخذ من غيره من بيت المال مثل ذلك مرتين ، فأني أشح على هذا ،
فبسطت كفي فملاهما ، فحصل لي منه ألف دينار . وكان عيار الدينار
منه أجود من عيار السندي بن شاهك ومن عيار المعتصم ، ولم يكن
يرى أجود منهما ، فتشدد مولاي من ذلك اليوم في العيار ، حتى لحق
ديناره بالعيار المعروف به ، وهو الأحمدى الذي لا يطل بأجود منه^(٢)

(١) اللغة التي يتكلم بها في بنظية وهي اليونانية . وفي خطط القرظي البربطية بدل البنظية
ويقول الاستاذ فينت في تعليقاته على الخطط المصرية : ان الأقران تقرأ باللغة البرابية لغة البرابي . والبرابي
جمع برابا كلمة بوطية وهي الهياكل لندما . المصريين قاله العلامة كرنكو في تعليقاته على كتاب الجاهر للبيروني
(٢) ذكر القرظي في رسالته النقود الإسلامية هذه القصة وقال : ان الأمير ابا العباس احمد
ابن طولون ضرب بصر دنانير عرفت بالأحمدية وكان سبب ضربها هذه الحادثة التي وقعت له في
الاهرام والشور على الذهب

قال : وأما صدقاته فكانت مشهورة متواترة على أهل الضعف اطعام ابن طولون
والمسكنة والمستورين والمتجملين ، وكان راتبها في كل شهر ألفي وعطفه على شيخ
دينار ، سوى ما يطرأ عليه من نذر ينذره ، أو شكر على تجديد نعمة
لله عز وجل عنده ، أو على خبر يسره ، فيقابل ذلك بالصدقات الكبيرة ،
فيزيد ذلك على راتبه زيادة عظيمة ، سوى مطالبه التي يقام بها في
كل يوم للصدقات ، في داره وغير داره ، يذبح فيها البقر الكثير ،
والكباش العداد ، ويطعم الناس ، ويفرق على كل من يأخذ في القدر
الفخار مع الخبز على المساكين أربعة أرغفة مع كل قدر ، في رغيفين
منها فالزوج . وكان من شهوته لذلك ، وصحة نيته فيه ، ورغبته في
الثواب عليه ، يعمل الطعام في داره ، وينادي من أحب أن يحضر
طعام الأمير فيحضر ، وتفتح الأبواب ، ويدخل الناس إلى الميدان ،
ويجلس هو في المجلس الذي ذكرنا مقدماً أنه كان يجلس فيه ، يشرف
على من يدخل داره ويخرج منها ، وينظر إلى المساكين ، ويتمامل
فرحهم مما يأكلون ، فيفرح بذلك ويحمد الله عليه .

فنظر يوماً إلى شيخ مستور ، وقد زل^(١) في خرقة معه زلّة ، وزاد
فيها حتى لم يكن في الخرقة موضع ، فلما قام لشدة الزحمة وقعت من
يده لضعفه ، فغمز بعض الحجاب بعض الغلمان أن يأخذها ، تماجناً
لا قصداً ، وترد عليه . وتأمل أحمد بن طولون ذلك فأغاظه ، فأمر

(١) زل الطعام : اخذه وتناوله ، والزلّة : اسم لما تحمله من مائة صدقك أو قريك

برد الشيخ وإحضار الحاجب ، وقال له : ويحك ما الذي حملك على ما صنعت بهذا الشيخ الضعيف ؟ فقال : والله أيها الأمير ما أردت إلا مداعبته ، فقال له : والله العظيم لا حملها له إلى منزله غيرك . وأمر فأصلح للشيخ مائدة عظيمة ، فيها من كل شيء حار وبارد وحلو ، وأحضره فقال له : يا شيخ كم سنك ؟ قال : ثمانون سنة قال له : لك عيال ؟ قال : نعم خمس بنات عوانق وثلاثة غلمان ، وأهمهم ومن يخدمنا ، ومن يقرب منا نواسيه بما أمكننا . فقال : ففي أي شيء تتجر ؟ قال : في المثلث ^(١) . قال : وكم بضاعتك منه ، قال : عشرة دنانير . قال له : فلم لا تزوج بناتك ؟ فقال : لا يُرغب فيهن إلا لشيء ، وما لنا شيء ، فأمر له بمائة دينار بضاعة له ، وأحضر معمر الجوهري فتقدم إليه بأن يُجهز بناته بما يصلح لهن من الجواز والتجمل ويزوجهن ، ودفع إلى الذكور من ولده لكل واحد خمسين ديناراً ، وأثبت أسماء الجميع في دفتر الجرايات . فذكر معمر الجوهري أنه جهزهم بألف دينار ، فعرفه ذلك وسره ، وأطلق المال له ، وحمل الحاجب مع الشيخ تلك الزئالة بين يديه على سرجه ، حتى بلغ إلى منزله ، ووهب له عشرة دنانير تكريماً ورغبة في الثواب .

ابن طولون يعطي الصدقات لطالها
وحدث إبراهيم بن قراطغان ، وكان على صدقات أحمد بن طولون ،
قال : قلت للأمير : أريد الله الأمير إننا نقف في المواضع التي جرت

(١) المثلث : شراب يطبخ حتى يذهب ثنائه ولعله شيء أشبه بالمرقيات أو القنود أي السكر

العادة بصدقة الأمير على من فيها من المستورين والمستورات فتخرج
إلينا الكف الناعمة المخضوبة نقشاً أو تظارييف والمعصم الرائع وفي
الاصبع الخاتم الذهب والسوار والفتك^(١) والفراء والثوب الرطبة (?)
فقال لي: يا هذا كل من مدَّ يده إليك فأعطه، فهذي هي الطبقة المستورة
التي ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ
مِنَ التَّعَفُّفِ لَا يَسَاءَلُونَ النَّاسَ إِخْلَافًا) . فاحذر أن تردَّ يداً امتدت
إليك، وأعط كل من طلب منك

قال: ومن حسن أفعاله أنه بلغه عن علي بن طباطبآ أنه قد حبس
ابن طولون وأبناء
البيوتات
في مال بقي عليه من ضياعه وعجز عن أدائه . فقال: وكم مقداره؟
فقال له: عشرون ألف دينار . فأمر صاحب الخراج بإسقاطها عنه ،
وكتب له بالعشرين ألف دينار براءة ، ووجه إليه ، فأحضره إليه
وعرفه بإسقاط ما عليه وصرفه إلى منزله ، فأكثر الدعاء والشكر . ولم يزل
وسائر أهله وجيرته يدعون له طول حياتهم

قال: وأما إشفاقه على أهل مصر فكان يزيد على كل إشفاق، حتى
إنه كان يجوز إشفاق الوالد على ولده: يحو طهم، ويراعي أحوالهم ومصالحهم ،
ويدفع كل مكروه عنهم .

حدث سوار الخادم قال: قلت لمولاي ليلة وقد بات في قبة الهواء

(١) الفتك بالتحريك: دابة فروتها اطيبت انواع الفراء . واشترتها واعدتها

خاليًا مفكرًا، وكانت ليلة قراء - وهذه القبة بُنيت لها من وقت موافاته
البلد، ويقال: إن العلاء الطائي بناها على قرية من جبل المقطم، وكانت
تشرف على داره وعلى جميع البلد - أيها الأمير قد مضى أكثر الليل،
ومولاي منتصب، فلو أعطى نفسه حظها من الراحة كان ذلك أعود عليه.
فقال: يا بني! إنا كلفنا من القيام بأمر هذه البلدة ما كلفناه، فإن نحن
أعطينا أنفسنا حظها من النوم والراحة، وأهملنا الفكر في تدبير
أحوالها، والشغل بما يعود به صلاح أمورها، وصيانة أهلها، ليأمنوا في
سربهم، ويسكنوا في قلوبهم ضاعوا، فأرى أن أتعب ويناموا، أصلح
من أن أستريح ويخافوا فيسهروا. فأمسكت عنه.

قال: ولقد أصلح منجنقات، لما كان في نفسه من المسير إلى
حصن أنطاكية، فأراد امتحانها فنصبت في الموضع المعروف إلى
اليوم بالمنجنقات، على شاطئ البركة وفوق الجبل الذي يعرف بجبل
يَشْكُر وهو المعروف بالكباش. ولم يكن بين يديه إلى النيل شيء، وإنما
كان جرفًا^(١) يشرف به على الكباش، فركب مولاي ليحرب بين
يديه، فنصب في أحدهما حبال ووضع فيه حجر، ووقف الرجال على
الحبال وجذبوها، فمرَّ الحجر إلى البستان المعروف ببستان عرق الذي
على خليج أمير المؤمنين، وإنما سمي هذا الخليج بأمر المؤمنين لأن عمر
ابن الخطاب رحمه الله أمر عمرو بن العاص بجفر خليج يتصل من النيل

(١) الجرف بفتح الجيم وضم المكان الذي لا يأخذه السيل.

إلى القلزم ، وتحمل فيه الميرة إلى الحرمين ، فحفره وكان متصلاً
بالقلزم فسمي بذلك ، لأن عمر رحمه الله أول من سمي بأمر المؤمنين ^(١) ثم
حذف من جنياً آخر أيضاً ، وزادوا في رجاله وحباله ، وجعل فيه
حجرًا ، وزادوا في جذبه ، فلما استوفوا جرّه انقطعت الكفة وطارت
في الهواء .

فلقد رأيت مولاي ولم يتكل على حاجب ولا غلام يتقدم ، وإنه
يصيح بنفسه إلى الناس الذين ينظرون ، ويشير مع صياحه إليهم
بكمه إلى الموضع الذي يقدر أن الكفة وقعت فيه بنجوة ^(٢)
بصياح شديد . كل هذا إشفاقاً منه على أهل البلد ورأفة بهم .

وحدث نسيم قال : خرج مولاي ليلة إلى قبة الهواء ، فسمع في
أطراف المعافر كلباً يذبح فرابه ذلك ، فقال للغلمان ، وهم قيام بين
يديه : اركبوا الساعة وامضوا ركضاً نحو هذا الكلب فانظروا على
أي شيء يصيح ، فإن وجدتم أحداً فجيئوني به . فضى الغلمان
نحو صوت الكلب حتى أدر كوه ، فوجدوا رجلاً قد كان عند
صديق له من جيرانه ، وقد انصرف من عنده يريد منزله ، فوجد
بابه مغلقاً ، وهو قائم عليه يدق ، وقد منع أهله غلبة النوم عن أن

(١) روى السيوطي أن هذا الخليج احتفزه عمرو بن العاص في سنة وجرت فيه السفن وأنه
احتفزه من حاشية السطاط وساقه من النيل إلى القلزم أي البحر الأحمر
(٢) الجا كالنجوة ما ارتفع من الأرض يقال انك من ذلك الأمر بنجوة إذا كنت بعيداً
منه بريئاً سالماً

سكران أخذته
فصاحته من بطش
ابن طولون

يسمعوا دقه . وكلما دق الرجل نبح الكلب عليه ، فأخذوه ، وأردفه
أحدهم خلفه ، وأقبلوا به ركضاً . فلما رأى الرجل ما حلَّ به طار
النبيذ من رأسه ، وأقبل يستعين بالله . فلما أوقفوه بين يديه كاد
عقله يذهب ، حتى ثبتته الله عز وجل ، فعرفه الغلمان صورة الأمر ،
فقال له أحمد بن طولون : ما الذي حملك على الخروج في مثل هذا
الوقت ؟ فقال له : أنا أحدث عنه الأمير ، أيده الله : كنت عند
صديق لي من جيرتي ، وقمادى بنا الحديث إلى هذا الوقت ، وكنا
نستعمل الحذر والتحفظ ، قبل أيام الأمير ، أيده الله ، فلما ولينا
واشدت وطأته على أهل الدعارة والفساد ، انقمعوا^(١) من هيبتته
وخوفاً من سطوته ، فأمننا لذلك وصرنا نخرج في مثل هذا الوقت
وقبله وبعده آمين ببركة الأمير أيده الله . فاستحيا منه أحمد بن
طولون لحسن عبارته وبيان قوله ، وتوقف عما كان قد عزم عليه من
التأديب له في الخروج في مثل هذا الوقت . فقال له : قد كنا على
تأديبك على مخاطرتك بنفسك في مثل هذا الوقت ، فأزال ذلك عنا
جميل عذرك ، وحسن عبارتك عن نفسك ، وفصاحة لسانك ، وعلمنا
أن ذلك لا يكون إلا في عاقل ، وكفى بالعقل واعظاً . وقد جعلت
العرض من ذلك سرعة ردك إلى منزلك ، فلست أشك بأن أهلك
لما علموا بأخذنا لك قد قلقوا لذلك ، ثم قال لبعض الغلمان : أردفه

(١) لغة : ضربه بالمنعمة وهي خشبة يضرب بها الانسان على رأسه والجمع مقام وقوعه كمنه ضربه
بها وقهره وذاله كاشمه وانقمعوا ذلوا وقهروا

خلفك وردّه إلى منزله . وقام هو فأخذ مضجعه وقدمضى أكثر الليل .

وحدث نسيم الخادم قال : بينا نحن وقوف ليلة بين يدي مولاي ، المجنون العاقل مع ابن طولون وقد طال سهره وفكره ، وكان إذا لحقه مثل هذا ، وطال وقوفنا بين يديه يقول : تفرقوا واقعدوا ، لعلمه بما ينالنا من التعب ، ونعانيه من غلبة السهر والنوم ، فنغتم هذا القول منه ونتفرق ، فنستلقي في المواضع التي يبعد نظره عنها .

فبينما نحن ليلة وقد نمنا ، إلا وبه قائم على رؤوسنا ولم نشعر به ، فقمنا مبادرين ، فقال لنا : ما سمعتم هذا الصياح ؟ وتأمّلنا فإذا صوت عال يقول : يا أحمد بن طولون يا أخا عاد . فقال للغلمان : اركبوا واطلبوا صاحب هذا الصوت حيث كان ، حتى تجيئوني به الساعة . وكان كلامه يجي من ناحية الجبل من بين المقابر هناك . فمضى الغلمان وأبطوا ثم عادوا فقالوا : ما أبقينا موضعاً ، فما رأينا أحداً ، ولا عرفنا خبراً ، وإذا بالصوت ثانية : يا أحمد بن طولون يا أخا ثمود . فحرد فقال : ويحكم اخرجوا فاطلبوه حيث كان ، فخرجوا كخرجتهم الأولى وأبطوا وعادوا ، فقالوا : والله ما أبقينا موضعاً ، ولا تركنا مكاناً ، حتى طلبناه فما وجدنا أحداً . فقال لهم : ارجعوا قليلاً قليلاً ، وأخفوا سيركم ، واكنبوا بين المقابر ، فلا بد من الصياح المرة الثالثة ، فلقربكم منه نقفون على موضعه فتأخذونه ، فمضوا وعملوا كما أمرهم ، فلم يشعروا به إلا وقد خرج فتادى : يا أحمد بن طولون يا أخا فرعون . فلقربهم

منه عرفوا مكانه فقصده فوجدوه ، وقبضوا عليه ، فإذا به مجنون
كان في أيام أحمد بن طولون يكنى أبا نصر ، وكان إذا هاج خاط ، وإذا
سكن تكلم بكلام بليغ . فأتوه به وعرفوه أنه أبو نصر المجنون ،
فسكن غيظه وقال : يا أبا نصر ما حملك على أن خاطبتنا بمثل هذا
الخطاب ، وهتفت بنا في مثل هذا الوقت . فقال له : لأنك تعظمت
وتكبرت وتجبرت ونسيت خلقك من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة
ثم من مضغة ، ثم جعلت المضغة عظماً ثم كسيت لحمًا ، ثم سواك
رجالاً كاملاً . فبكى أحمد بن طولون بكاءً كثيراً . ثم قال له : ما أحسبك
يا أبا نصر إلا متنطعاً " علينا ؟ ومع هذا فأتوهمك جائعاً فتأكل شيئاً ؟
فقال له : ما تطعمني شيئاً ولا أنتفع بك . فقال له : ما تغشانا يا أبا نصر
ولا تأمننا ، فضحك وقال : حتى أجيبك ؟ لعن المعروف إن لم يكن
ابتداءً ، ثم قال :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوَضاً ولو نال الغنى بسؤال
فقال له : صدقت يا أبا نصر ، هاتوا له شيئاً يأكل ، فأتي له بطبق
فيه ألوان كثيرة ، وفضلة من جدي ودجاج وفراخ وفالزوج ،
فأقبل يأكل من كل شيء ، وأمعن في الفالزوج فثقلت معدته فنام ،
ووضع يده تحت رأسه ، وتمدد بين يدي أحمد بن طولون ، فذهب به
النوم وهو يتأمله ، حتى علم أنه قد استثقل في نومه ، فقام وقال :

(١) تنطع في الكلام تعنى وغالى وتأثق وفي عمله تعذتى ، ولا بأس بان يقال هنا مشططاً
بدل متنطعاً

دعوه لا تنبهوه ، ووكل به خادماً يراعي أمره ، وقال له : لا تكبره
على شيء يريده ، فإن طلب ماءً أو غيره فأعطه . فمضى أحمد بن
طولون فنام ، وانتبه قبل انتباه المجنون ، وقت ركوبه ، فسأل عنه
فخبر بنومه ، فركب على رصمه ووصى به ، وقال : إن أراد الانصراف
فلا يكلم ولا يخاطب ، ويترك يذهب كيف شاء . فلما انتبه قام مبادراً
نحو الباب فلم يكلم ، وخرج فمضى . فلما عاد أحمد بن طولون سأل عنه
فخبر بذهابه . فتصدق في ذلك اليوم بصدقات كثيرة . وكان
يتعاهده في كل وقت بالطعام والكسوة والبر .

وحدث نسيم الخادم قال : قلد مولاي الشرطة السفلانية قائداً من
قواده ، وقال له : ارفق بالرعية ، وانشر العدل عليهم ، واقض
حوائجهم ، وأظهر إكرامهم وصيانتهم ، وتفقد مصالحهم ، فأني أسير
بالليل في محالهم فكل موضع أمرٌ به ، لا يخلو من قارى أو متهدأ وداعٍ
أو ذاكر لله عز وجل ، فوفر علينا دعاءهم لنا ، واحرسنا من أن يكون
دعائهم علينا .

ويقول لمن يقلده الشرطة الفوقانية : تشدد عليهم وأرهبهم منك ،
ولا تلبس لهم واغظ عليهم ، فأني أسير في محالهم فما أمرٌ بوضع
فأسمع فيه الإغناء أو سكران أو معربداً ، قد أخرجته عربده إلى
الوثوب والكفر .

أمره لصاحب
شرطته بالشدة
واللين

وكان لا يقلد شرطة أسفل إلا الثقات من وجوه قواده . وأما
أشده على قواده وغلماه فمشهور .

حدث ابن قراطغان قال : وجه أحمد بن طولون بقائد من جملة عقاب قائد اعتدى على راهب قبطي قواده إلى بعض الأرياف في حمل مال ، وإصلاح حال ، فلما أقام القائد بالناحية التي نزلها وفرغ مما يحتاج إليه أقبل إليه بعض أقباط الضيعة ، فسعى إليه براهب في الضيعة لشيء كان يحقده عليه ، فأراد التثني منه ، والقبط لا يحسنون أكثر من سعاية بعضهم ببعض . قال له : إن هاهنا راهباً قد وجد كنزاً عظيماً مملوءاً مالا . فحمل القائد الشره والطمع على أن أحضر الراهب فأرهبه وهدده وأخافه ، فأخذ منه خمسمائة دينار ، وانصرف القائد من الضيعة . فبلغ ذلك من الراهب مبلغاً كسفه وأتى عليه ، فجعل يبكي ليله ونهاره ، فرآه بعض من وافي الضيعة فسأل عن حاله فخبّره فرحمه ، وقال له : ولم تبكي ، ولنا أمير عادل منصف ؟ ادخل إلى الفسطاط ، واكتب قصة ^(١) ، فإذا ركب أحمد بن طولون فادفعها إليه ، فإنه يأمر لما يقرؤها بردّ مالك عليك ، وجسره على ذلك وسهله عليه .

فشخص إلى الفسطاط وكتب قصته وأقبل بها إلى الميدان ، فوقف على بعض أبوابه ، يلتمس ركوب أحمد بن طولون ، فبصر به حاجب ذلك الباب ، فدعا به وسأله عن خبره فشرح له قصته ، وأنه

(١) القصة بكسر القاف وجمعها قصص : ما يكتبه المشتكي المتظلم إلى الأمير أو الملك ليرفع ظلامته وهو ما نطلق عليه اليوم الاستدعاء . وكان الأولى أن يقال الاستدعاء من استدعاء استغاثه واستنصره .

ينتظر ركوب الأمير ليوصل إليه قصته ، وكان الحاجب صديق القائد الذي يتظلم منه الراهب ، فقال له : بينك وبينه شيء غير هذا ؟ فقال : لا . قال : فأنا أدفع اليك الخمسمائة دينار فامض في حفظ الله ، والرجل صديق لي ، وأنا أسترجعها منه أو أتركها له ، وأصونه عن الواقعة به . ففرح الراهب وقال : ما أطلب ياسيدي غير هذا . فأحضر الحاجب خمسمائة دينار ودفعها إليه ، فأخذها ومضى وهو لا يصدق ، وجاء فخرج من ساعته وعاد إلى ضيعته .

فوقف بعض أصحاب الأخبار على ما جرى ، فكتب به إلى أحمد بن طولون ، فأحضر الحاجب فسأله عن الخبر فلم يمكنه ستره ، فأحضر القائد واعتقله ، وأنفذ الحاجب خلف الراهب إلى ضيعته حتى أحضره ، فلما حضر جمع بينه وبين القائد ، وسأله عن الحال كيف جرت ، فخبّره بما كان ، فقال له أحمد بن طولون : كان سييلك وبلك أن تدعي عليه بثلاثة آلاف دينار ، حتى آخذها لك منه ، وأجعل ذلك تأديباً له ولغيره . ثم قال للحاجب : والله لولا أنها مكرّمة سارعت إليها ، وجميل رغبت فيه ، وقال الله عز من قائل : (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) لعمرت بك المطبق ، ولكن احذر أن تعاود مثلها ، ولا تستبدن بأمر تأتبه دون أن تُعرّفنا به ، ولا تطوّرنا خبراً ولا سرّاً ولا قصة تُرفع . فقال له : أقلني أيها الأمير ، أقلك الله ، فوالله لا أعود إلى مثلها أبداً . قال : فانصرف إلى موضعي .

Sheet

ثم أقبل على أعمامه فقال له أفي رزقك تقصير عن مؤنتك؟ قال:
لا. قال فأخرج عنك استحقاقك تأخيراً يضطرك إلى ما أتيت به؟ قال:
لا. قال فبأي حال استحللت أن تأخذ من هذا البائس الضعيف
ما تقطع به قلبه، وتبكي عينه، وتفقره وأهله؟ ألك حاجة أوجبت
ذلك عليك، أو ضرورة دعيتك إليه؟ المطبق. فأخرج من بين
يديه إلى المطبق على موضعه منه، ومجمله في نفسه، فخرج وهو آيس
من الحياة، وأمر الراهب بالانصراف.

وحدث أبو كامل شجاع بن أسلم الحاجب قال: لما أطلقني أحمد
ابن طولون أزميني دار الصناعة^(١)، فدعاني يوماً فقال لي: كل ما
تعمل [لي من العدة] يكتبني فيه بالقليل، مع [تقدم] هيبتي في صدور
الناس إلا المراكب فإن البحر لا يهابني، ولا يخاف سورتي،
وليس يعمل في البحر إلا الوثاقة، والجودة في الصنعة، وتقديم
الإحسان. فقدم الحزم في الاحتياط، والاستزادة في الانفاق على
المراكب لتسلم بعون الله عز وجل وتوفيقه من معرة البحر.

عناية ابن طولون
باسطوله

وحدث قال: دخلت أم عقبة الأعرابية يوماً إلى أحمد بن طولون
ومعها ابنتها عقبة، وكان كثيراً ما يأنس بها، ويجب محادثتها بالفصاحتها،
وحسن كلامها، وكان يكثر برها في كل وقت، فسألته التقدم في

اعرابية ابنته
يكون ابنها جاسوساً

(١) هي الدار التي تصنع فيها المراكب والسفن، نقلت هذه اللفظة إلى اللغات الأخرى بصيغة

Arsenāl ثم أعيدت البناء على المهد التركي باسم «ترسانة».

تصريف^(١) ابنها فيما يعود عليه نفعه . فقال لابن مهاجر ، وهو بين يديه : انظر له في شغل يعود عليه فيه خير بين عليه ، وكان البريد إليه ، فقلده ابن مهاجر بريد ناحية من النواحي ، وأجرى عليه من الرزق عشرة دنانير في كل شهر ، فحدث ابن مهاجر قال : إني لقاعد بين يدي أحمد بن طولون بعد ثلاث ، حتى دخلت أم عقبة على الأمير فقالت : أنا شاكرة للأمر أيده الله ، ذامة لهذا الرجل ، تريدني ، فقال لها : ولم ذاك ؟ فقالت : أمرته في إشغال ولدي فيما يعود عليه نفعه ، فشغله فيما لا يُرْحَضُ^(٢) عن رؤوسنا عاره وشناره ، والجوع الكريم أنفع من الشبع اللثيم ، فقال لها : وما ذاك ؟ قالت : وكله بالنميمة يحصمها على المسترسل ، ويهتك بها المستتر ، فقد تحاماه الناس وتناذروه^(٣) فأذا لم يكن غير هذا تركته ، ولم أتعرض لما فيه مقت الله عز وجل وسب

(١) صرفه (بتشديد الواو) في أعماله وأموره فتصرف بها أي عينه فعمل عملاً ووسده إليه (٢) قبل إيراد هذه القصة ورد في كتاب ابن الداية ما يأتي : وحدثني نسيم قال : تطلعت عجوز أعرابية تعرف بأُم عقيل إلى أحمد بن طولون من تسخير أجمال لها ، وكانت فصيحة اللسان ، حسنة البيان ، انتمد برد أجمالها ، وأمر بعض الحجاب أن يلحقه بها إلى داره ، فوافقت فتقدم في إطلامها ، وأن يطلع عليها أبواب ضخم ، ودخلت مجلسه ، وهو مع خواص له بشر ، فحدثته بما استحسنته ، وأنشدته ما استطلبه ، وهي في ذلك حائرة من صفا . كأس بيده ورقة شراب فيه ، فأمر لها بكأس فأخضر ، فقالت : أيها الأمير هذا شراب ماخالط دمي قط ، قال : خذيه وشمي رائحته ، وانظري إلى لونه ، قالت : كل ما فيه يدعو إليه . فلما عزم عليها شربته ، ثم ضحك بعده ضحكاً لا سبب له . فقالت : أيها الأمير ، وإن الرجل بالحضرة ليسيئ نساءه من هذا الشراب ؟ قال : نعم . قالت : زين ورب الكعبة . فضحك وقال لها : ولم ؟ قالت : تحرك علي ، اعز الله الأمير ، ساكن ما شكوت من ثلاثين سنة ، ولا والله لا عاودته ابداً . فكانت تنفقد أحمد بن طولون في كل وقت فيجزل عائنتها .

(٣) تناذروا القوم أنذر بعضهم بعضاً شراً مخوفاً وفي الأساس : تناذروا العدو خوفاً منه بعضهم بعضاً

عباده . فضحك أحمد بن طولون ، وأمرني أن أجري العشرة دنانير في كل شهر ، وأعفيه من البريد ففعلت ، فشكرت ودعت وقالت : هذا الأشبه بك أيها الأمير ، وانصرفت .

وحدث نسيم الخادم قال : ما خلّت دار مولاي قط من كاتب خفي الشخص ، موثّق عنده ، يعرف بكاتب السر ، يرتصد في سائر يومه مناظرته لمن ناظره ، فيكتب الابتداء والجواب في كل ما يجري ، فإذا اتقضى يومه أنفذ جميع ما يثبتته مع خاصة يثق به فيقرأ ذلك ويتدبره ، فإن كان فيه شيء يحتاج إلى مداركته بتغيير أو زيادة تقدم في ذلك بما يمثّل .

نجس ابن طولون
على رجال قصره

وحدث نسيم الخادم أيضاً قال : كان لمولاي في مقرنس^(١) سقف مجلس بين يديه ألف بدرة^(٢) ، قدأ حكمت مواضعها ، واستوثقت منها

قصة الغراب
سارق الذهب

(١) في الأصل : تقرنس ، وفي ابن الداية : في المقرنس مجلس : وسقف مقرنس عمل على هيئة السلم ويقول الأستاذ زكي محمد حسن في تعليقاته على كتاب الفنون الفرعية والتصوير والعمارة أن كلمة Stalactite تطلق على التحجر الذي ينشأ على شكل اعمدة نازلة غير منتظمة وذلك في بعض الكهوف بفعل الرشح الذي تنتجه مياه محملة بالاملاح الجيرية ويطلق هذا اللفظ على الأعمدة التي تصبغ معلقة في سقف الكهوف وتطلق كلمة Stalagmite او الاعمدة الصاعدة على الاعمدة التي تملو من الارض والمقرنس Stalactite في فن العمارة نوع من الرخايف يقلد بها ذلك التحجر الطبيعي ويتكون من اجسام صغيرة بارزة ومدلاة واكثر ما يستعمل في وجهات المساجد واسقف القصور .

(٢) البدره : كيس فيه الف او عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار

بالخشب الغليظ ، والنخل الصلب ، والعمل المحكم . وكانت بين يديه
يرأها ولا يراها غيره ممن يكون بين يديه ، إذا دخل وباب المجلس
مفتوح ، ولم يكن يعلم بذلك ، فلا يراعيه غيره وغيري فقط . وكان
قد أكد عليّ في مراعاته وجعلته اهتمامي . قال : وكان في الدار غراب
شديد الأنا ، وكان مولاي يعجب بصياحه ، وما كان يمضي يوم
إلا ومولاي يدخل ذلك المجلس يتأمل البدر ، فدخل يوماً فرأى
بدره مملخة ، فتقدم بإنزالها فأنزلت ، فأمرني بفتحها ووزنها ، فنقصت
عما كان فيها أربعين ^(١) ديناراً . فقال لي : يا نسيم من تظن أنه
أخذها ؟ فقلت : ما يدخل هذا المجلس غيرنا أنا ومولاي ، ولكني
أراعي هذه الحال فقال لي : افعل . وشغل ذلك قلبي . فبينما أنا أراعيه
يوماً إذ نظرت ذلك الغراب قد دخل البيت فنقر البدره من خياطتها
فأخرج منها ديناراً واحداً ، فمضى به ، فمشيت خلفه حتى أتى به إلى شق
بين بلاطين فألقاه فيه ، فدخلت إلى مولاي فخبرت به بذلك فعجب منه ،
وقام فأتى الموضع ، ودعا بالبلاطين فقلعوا تينك البلاطين ، فوجدنا
الدنانير التي نقصت والدينار الآخر ، لم يذهب من ذلك شيء ، فضحك
مولاي وقال لي : يا بني ، لو كانت هذه الدنانير لمسكين أو متجمل
ما وجدها ، ولكن يا بني المقبل محروس . وتصديق ذلك اليوم
صدقة كبيرة .

(١) كما في ابن الداية وفي الأصل : فنقصت عما كان فيها ثلاثون من وزنها أربعون ديناراً

وحدثت نعت أم ولد أحمد بن طولون قالت: كانت مولاي زوجة
من بنات الموالي تزوجها بمصر، وكنت من أحسن النساء وأجملهن
وجهاً وخلقاً، يقال لها أسماء، قالت: فقلت له يوماً: يا مولاي ليست
خلوتها معك على قدر محلها منك، وما يقتضيه حسنها وجمالها ومحلها
أيضاً. فقال لي: ويحك هي صغيرة الكف قصدة الخلق، وأكره
أن يكون هذا في ولدي منها، فلماذا أتوقف عنها كثيراً.

عزوف ابن
طولون عن إحدى
زوجاته

وحدث أحمد بن القاسم أخو عبد الله بن القاسم كاتب العباس بن
أحمد بن طولون قال: حدثني أخي عبد الله قال: بعث إليّ أحمد بن
طولون بعد أن مضى من الليل نصفه، فوافيته وأنا منه خائف مذعور،
فدخل الحاجب بين يدي وأنا في أثره، حتى أدخلني إلى بيت مظلم
فقال لي: سلم على الأمير. فقلت: السلام على الأمير ورحمة الله وبركاته.
فقال لي من داخل البيت وهو في الظلام: وعليك السلام. لأي شيء
يصلح هذا البيت؟ فقلت: للفكر. فقال: ولم؟ فقلت: لأنه ليس
فيه شيء يشغل الطرف بالنظر فيه، فقال لي: أحسنت بارك الله عليك،
امض إلى العباس فقل له: يقول لك الأمير اغدُ عليّ، وامنع من أن
يأكل شيئاً من الطعام، إلى أن يجيئني فيأكل معي، واحذر ذلك
فقلت: السمع والطاعة لأمر الأمير أيده الله. وانصرفت ففعلت
ما أمرني به، ومنعته من أن يأكل شيئاً.

تأديب ابن طولون
لابنه العباس

وكان العباس قليل الصبر على الجوع ، فرام أن يأكل شيئاً يسيراً قبل ذهابه إلى أبيه ، فمنعته فر كب إليه ، وكان يوم خميس ، فجلس بين يديه ، وأطال أحمد بن طولون عمداً ، حتى علم أن العباس قد اشتد جوعه ، فأحضرت المائدة ، ولم يُقدِّم عليها إلا سماني^(١) زيرباجاً^(٢) فانهمك العباس في أكلها لشدة جوعه ، وامتدت يده إلى صغار ما كان من البوارد^(٣) على المائدة ، فشبع من ذلك الطعام ، وأبوه متوقف عن الانبساط في الأكل ، فلما علم بأنه قد امتلأ من ذلك الطعام ، أمرهم بنقل الطعام ، فأحضر كل لون طيب ، لا يخلو من أن يكون دجاجاً ثقيلًا وفراخاً مسمنة ، ثم ابن بالبطة السمينة والجدي الرضيع ، والخروف النادر ، وماشاكل ذلك [مما] يؤكل من جميع الحيوان مشويًا ، فانبسط أبوه في جميع ذلك فأكل ، وأقبل يضع بين يدي ابنه منه ، فلا يرى فيه حيلة لأكله وشبعه .

(١) كذا في ابن الداية ، وفي الاصل : سان كردناج ، والساني بالضم : من الطيور القواطع لا يدري من اين يأتي للواحد وللجمع وقيل الواحدة سماناة والجمع سمانيات .
(٢) الزيرباج : مناء بالفارسية طبق من كيون . وكان يطلق في القرن الثالث عشر على طعام مؤلف من سكر ولوز وخل (قاله دوزي) وفي كتاب الطيبخ ان صنعته ان تقطع اللحم السمين صغاراً ويجمل في القدر عليه غمرة ماء . وقطع دارصيني وحسن مقشور ويسير ملح فاذا اغلي تؤخذ رغوته ثم بطرح عليه رطل خل خر ورابع رطل سكر واوقية لوز حلو مقشراً او مدقوقاً ناعماً يذاف بناء ورد وخل ثم بطرح على اللحم الخ
(٣) البوارد بقول وأبازير مبردة وفي كتاب الطيبخ البغدادى هي البقول المطبوخة الموضوعة في الاشياء الحامضة كالخل وما المحصرم والساني وماء التفاح والرياس والماس

فقال له : إنني أردت تأديبك في يومك هذا بما امتحتك به ، لا لتلق بهمتك على صغار الأمور ، بأن تسهل على نفسك تناول يسيرها ، فيمنعك ذلك من كبارها ، ولا تشتغل بما يقل قدره ، فلا يكون فيك فضل لما يعظم قدره ، وهذا يا بني نظير تشاغلك بالسماوي ، وهو من صغار الطير ، ولم تتوقف عما تعلم أنه يحضر مائدة أهلك ، مما هو أجل من السماوي وأطيب وأمتع ، فلما حضر ، لم يكن فيك لشيء منه فضل ، وقد تتبعته نفسك فما قدرت عليه .

وليس يتصل بي أنك أخذت من رجل على حاجة تقضيها له أقل من خمسمائة دينار ، لا يجد صاحبها مسأماً معها ، ولا إجحافاً فيها ، إلا غضبت عليك ، ونلت كاتبك بغليظ العقوبة ، ولا تستدع البر على الحوائج ، ولكن أقمه مقام الهدية التي نفيدها إذا جاءت عفواً ، واحذر أن تقتضيها إن تأخرت عنك ، وكافئ على الهدية بأحسن منها ، فإن أعظم الفقر فقرك إلى رعييتك ، وقد جعلت بما عملته معك اليوم تأديباً ومعاقبة وتنبهاً لك على ما فيه رشذك ، وفقك الله وسددك ، ولا ساء في فيك . فقبل يده ، وقبل منه ، وامتلأ أمره .

وحدث هارون بن ملول قال : وقف بعض من ينتحل التصوف من المصريين لأحمد بن طولون ، وقد انصرف يوماً من صلاة

عقوبة منتحل
التصوف على فحته

الجمعة ، فقال له : أيها الأمير على رسلك ، فوقف . فقال له : اتق الله الذي إليه معادك وراقبه ، فقد أرعبت الناس وأخفتهم خوفاً قد منعهم من صدقك عن كل ما يجري مما يكرهه الله عز وجل ولا يرضاه ، وأنا لسان جماعتهم إليك . فأمر بالقبض عليه ، فلما نزل أحضر إليه شيوخ البلد ووجوهه ، وكان الناس إذ ذاك متوافرين . فلما اجتمعوا وافي صاحب خبر السر الذي يكتب كل ما يجري ، فدفع إليه رقعة فيما خاطبه به الصوفي ، فأمر كاتبه أحمد بن أمين بقراءتها على الشيوخ فقرأها عليهم ، وسألهم عما أنكروه من أمره حتى بعثهم إلى إيفاد الصوفي إليه ، فحلفوا له بالله عز وجل وبالطلاق والصدقة أنهم ما بعثوا إليه أحداً ، ولا أنكروا له فعلاً . فأحضر الصوفي وقال له : زعمت أن أهل البلد نصبوك للقول فيما أنكروه . فقال : نصبني لهذا المظلوم والمقهور من لحقه جور أصحابك . فقال له : لست أعجل عليك ، أخبرني ما الذي اتضح عندك حتى دعاك إلي . فقال : بعض أصحابك منذ ثلاثة أيام أنا أتلف وأبحث عما قد راى منه ، حتى وقفت على أن امرأة طبالة لا سبيل له عليها ، تدخل إليه وتبيت عنده كل ليلة ، واشترى رجل من أصحابك أيضاً غلاماً أمرد فنصب له طرة وقرطقه^(١) بأشياء لا يسمح بها إلا قلب فاسق .

(١) قرطقه : ألبسه القرطق وهو أقباء بمرب كرتة

فقال له أحمد بن طولون : أنت الآن في العاجل قد دلتنا على عورتك ، وأعلمتنا أن التجسس المنهي عنه ، والظن السيء المكروه استعماله ، وقد نهى عنه أيضاً ، من شيمتك ، والله عز وجل ستر على عباده لا ينهتك بما التمسته ، فأنا أرى أنك إلى التأديب أحوج منك إلى التأزيب . ولعل دخائلك الرديئة أوضح من دخائل من فسقته ورميته بما لا يجوز في الدين أن يُقطع مثله على مسلم في الحكم .

قال هارون بن ملؤل : فقال رجل ممن حضر : أيد الله الأمير هذا الرجل أعرفه وقلبي يكرهه لأن قصده أن يترأس لندنيا يصيبها بالكذب على الناس ، وأنا أشهد وجماعة من حضر أن مسكنه الذي ينزله غضب ، وأن طعمته ^(١) إخافة المستورين . فقال جميع من حضر من الشيوخ : صدق أيد الله الأمير . فأمر به فضرب مائة سوط وطيف به البلد على جمل ، ونودي عليه بما قيل فيه ، وحُجس في المطبق ^(٢) .

(١) الطعمة بضم الطاء : وجه المكسب

(٢) روى ابن طلحة الوزير في العقد الفريد له قال : ولقد بلغني عن أحمد بن طولون قضية يؤثر في النفس الزكية سمعها ، ويحسن عند ذوي المعرفة والتوفيق وقمها ، وكان ابن طولون هذا مبسوط القدرة على البلاد المصرية ، نازد الحكم فيها ، هيباً مخوفاً ، يقوم بسياسة الملك ، ويملي كلمة العدل ، وبأخذ نفسه بالانصاف مع ما هو عليه من الجبروت المفرط ، واقتل المسرف ، وكان يجلس للعظام ويحضر مجلسه القاضي بكار بن قتيبة وجماعة من النجباء وأهل العلم مثل الربيع بن سليمان صاحب الامام الشافعي . وكان ابن طولون إذا جلس للعظام يمكن المظلوم من الكلام ويسمع كلامه الى آخره ، ويكشف ظلامته ، ويجلسه بين يديه مقرباً إليه ، قال أحمد بن محمد بن سلامة -

المتبسط مع ابن
طولون وذهاب
نعمته

وحدث أحمد بن أيمن قال : كان لأحمد بن طولون ساعٍ يسعى
بالكتّاب والمعاملين إليه ، وكان من أبناء قبط مصر يعرف بأبي
النوَّيب ، حسن الموضع منه ، وكان قد أجرى عليه وأحسن إليه
بنصحه له ، وكان ربما أكل معه ، وربما جلس ينادمه بين يديه .
قال : فاجتمعنا يوماً عند أحمد بن طولون ، فقال أحمد بن طولون لكتّيب
المعني : أنا أشتهي صوتاً ما سمعته منذ خرجت من سر من رأى فقال له :
وما هو أيها الأمير ؟ فقال :

ألا سقيتم بني حزمٍ أسيركمُ نفسي فداؤك من ذي غلّةٍ صارِ
فقال له : ما أعرفه يا سيدي ، وما استهواني من تقريب أحمد بن طولون
لي ، وإيناسه لي [دعاني] إلى أن قلت : أنا أحسنه ، ففرح بذلك
فاندفعت ، لما تبينته من سروره ، أغنيه إياه . وكان أحمد بن أيمن

— الطحاوي الفقيه : اعترضت لنا ضيعة بالصعيد من ضياع جدي سلامة فاحتجت إلى الدخول
إليه والتظلم مما جرى لي ، وأنا يومئذ شاب إلا أن العلم والمعرفة بالحاضرين بسطني على الكلام
والتمكن من الحجّة فخطبته في أمر الضيعة فاحتج عليّ بحجج كثيرة وأجبت عنها بما لزمه الرجوع
إليه ، ثم ناظرني مناظرة المصوم بغير انشراح ولا سطوة عليّ ، وأنا أجيبه وأحل حجته إلى أن
وقف ولم يبق له حجّة ، فأمسك عني ساعة ثم قال لي : إلى هذا الموضع انتهى كلامي وكلامك ،
والحجّة قد ظهرت لك ، ولكن أجلتنا ثلاثة أيام ، فإن ظهرت لي حجّة ، وإلا سلمت الضيعة إليك .
فقلت منصرفاً ، فلما خرجت قال ابن طولون بعد خروجي للحاضرين : ما أوجب ما أشهدتكم على
نفسى ، أقول لرجل من رعيبي ظهرت لك حجّة أجلي ثلاثة أيام إلى أن أطلب حجّة ، وأبطل
الحكم الذي قد أوجبت من يميني إذا وجبت لي حجّة أن أحضره وألزمه إياها ، وهذا والله النفس
وأتم رسلني إليه بأني بعد أكرمت حجته وأزكت الأعتراض عن الضيعة . وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : إن الله لا يقدر أمة لا يؤخذ الحق لضيقها من قويتها ، وتقدم بالكتاب له وعرف
الطحاوي الحال من الحاضرين ، فذهب إلى الديوان وأخذ الكتاب بازالة الاعتراض وتسليم الضيعة ،
وصارت هذه تبلى من مناقب أحمد بن طولون وعمله بالعدل وإقامته ميزان القسط ٥١ .

هذا حسن الصوت ، فطرب أحمد بن طولون طرباً شديداً ، حتى
صفق بيديه . قال أحمد : فحملني سخف الطرب لما رأيت من سرور
الأمير ، إلى أن قتت فرقصت على إيقاع اللحن ، فزاد سرور أحمد بن
طولون بذلك ، وغمزني على أبي الذؤيب الساعي أن أسقط عليه ،
فتزالقت^(١) على البساط وألقيت نفسي عليه ، فأظهر أنه ألم لذلك ،
فأخذ يبكي كما يبكي الصبي ، لعاميته وسوء أدبه . فصاح عليه
أحمد بن طولون ، فقال له : لم يوجعني ما وقع علي ، أيد الله الأمير ،
من جسمه ، وعظم جثته ، وإنما آتاني ما على ظهره من البدر التي
اختانها وحصلها من مال الأمير أيده الله . فقال له أحمد بن طولون :
أمسك ، وارفع هذا إلى الصحو ، ولا تخلط الجدة بالهزل . فتبينت
غلطي بفرط الانبساط ، فما مضت إلا مديدة حتى قبض علي أحمد
ابن طولون ، وحبسني وأخذ جميع ما كان لي ، وما خرجت من
حبسه إلا بعد وفاته ، أطلقني ابنه أبو الجيش .

وحدث العجيني^(٢) وكان يتولى شرطة أسفل ، أن رجلاً من التجار ،
يعرف بالستر والسلامة ، ابتاع خادماً مما أبيع من تركة وكيل
أحمد بن طولون الذي قبض عليه ، المعروف بابن مفضل ، بهاتني دينار ،
وأنه أخذ جوازاً وخرج بالغلام إلى الشام ، يوئل في بيعه هناك رجلاً ،
فلما بلغ العريش ، وكان بها وال يعرف بحبيب المعرفي قد نصبه أحمد

تاجر أن يوت
في السجن مع
معامله

(١) أظهرت اني ذلقت اي ذقت قديمي . (٢) في ابن الداية : يعقوب بن صالح صاحب العجيني

ابن طولون ليتأمل ما يرد من الكتب ونفيس الأمتعة إلى الفسطاط،
فقرأ الجواز وقال: قد كان يجب أن يحكى في هذا الجواز حلية هذا
الخادم، فقال الرجل: أنا اشتريته من الواسطي فقال: لست أطلقه إلا
بعد الاستئثار^(١) فيه. فكتب إلى أحمد بن طولون يخبره، فكتب إليه
بأمره بأشخاصه إليه، فأشخص التاجر والغلام. فلما وافى وأدخل مع
الغلام إليه، قال له: من أين لك هذا الخادم قال: ابتعته من الواسطي
كاتبك مما باعه من تركة ابن مفضل. فقال له: أين كنت عازماً به؟
قال: أستقري به البلدان حتى أجد فيه ما أومله من الربح، فقال:
اكتبوا له جوازاً وحلوا فيه الخادم، وأطلقوا سبيله. فقال: أيها الأمير
فعلى من نفقتي في مجيئي ورجوعي بغير ذنب ولا جناية وجبت عليَّ
حتى أشخصت؟ فقد علم الله جل اسمه ما داخل قلبي من ذلك من الغم
والجزع، وأنكف نفقة ثانية؟ فقال له أحمد بن طولون: لا، ما نكفك
نفقة، كم كانت نفقتك في خروجك ورجوعك؟ قال: عشرة دنانير،
فأمر بدفعها إليه، وتحقق بذلك منه أنه من أهل السلامة، فخرج
ولم يدع له، فكتب صاحب الخزانة بما سمعه تكلم لالحقه من
التعب والمشقة في دخوله ورجوعه بما أنكره أحمد بن طولون، فأمر به
إلى المطبق، فلما دخله وجد فيه جماعة من غرمائه الكتاب والقواد
الذين كان قد أيس أن يرى أحداً منهم أبداً، فسرى بهم وسري^(٢) عنه بنظره

(١) الاتئثار: المشاورة كالمؤامرة والاتئثار والتأمر.

(٢) سروت عنى الهمّ وسري عنى وانسرى عنى: انكشف

إليهم ، وسُرُّوا أيضاً بهم ، وأنس بهم وأنسوا به ، وقضوه جملة كبيرة مما كان له عليهم ، واستأنف معاملة ثانية لهم ، وباع رجلاً منهم الخادم بربح جيد ، فوجه به إلى من باعه له بدون ذلك لحاجته إلى الثمن ، وأسلف قوماً من المحبسين دنائير كثيرة ، وابتاع في المطبق رحلات^(١) أبيعت يستغلها ، وأقام مع غرمائه مقام مستوطن طيب النفس ، حامد لله عز وجل على ما قضاه عليه . فذكره أحمد بن طولون يوماً بعد سنة وشهور ، فأمر بإطلاقه .

فحدث يعقوب غلام العجيفي قال : دخلت إلى الرجل وأنا مسرور بإطلاقه فبشرته بذلك ، وقلت له : قم انصرف في حفظ الله ، فقد أمر الأمير بإطلاقك . فقال لي : وكيف أخرج من موضع أكثر مالي فيه ، بل جميع ملكي ؟ ومع هذا فلي فيه مستغل وأسلاف على جماعة وديون ، فزبرته وأنكرت قوله ، فصاح وبكى ، وأقبلنا نجاذبه على الخروج ، وهو يجاذبنا على المقام . فرفع خبره إلى أحمد بن طولون فعجب منه وأمر بإحضاره وقال له : ويحك تختار المقام في المطبق على إطلاق السرب^(٢) . فقال له : أيها الأمير لما صار جميع ملكي في حبسك ، وحصل لي فيه معاملون ، اخترت ذلك ، فإن كان لا بد من إخراجي فاتركني حتى أستنظف مالي وأبيع مستغلي ، فقال له : وكم تحب أن تقيم كذلك ؟ قال : ثلاثة

(١) الرحال : الطنافس المبرية ، والرجل ما تستصعبه من الأثاث وكلاهما يصلحها

(٢) بكسر الهمزة : النفس

أشهر . فقال له : ويحك أبحنون أنت ؟ فقال : لا والله إلا صحيح
 بحمد الله ، ولكن ما تسمح نفسي بترك مالي فيه ، مع ما اتفق لي
 من المعاش مع من فيه ، فقال له : فما تشفق على نفسك من شدة
 الحرّ فيه ، والازدحام والضيق . فقال له : أيها الأمير ، القيسارية
 إذا ازدحم الناس فيها كانت أشدّ حرّاً منه ، ويهون ذلك لكثرة
 الفائدة ولذة الربح ، لا سيما ومعاملتي فيه ثقات ، وأحسن معاملة من
 التجار ، وأكرم وأوسع صدرًا ، وإنه لتسوؤني مفارقتهم . فأمر
 أحمد بن طولون برده إلى المطبق ، فلم يزل فيه حتى مات . فكان
 أمره من العجائب .

قال : ووقف رجل ليوسف بن إبراهيم يوماً على باب داره حتى
 أقبل من الميدان ، فلما همّ بالنزول صاح به : أنا عائذ بالله وبك ،
 ومستجير من رجل في حاشيتك قريب من قلبك ، أثير^(١) عندك ،
 فقال له : ومن هو ؟ قال : أذكرك في سرّ ، وأنهي إليك من خبره
 ما لا يسمعك له الصبر عليه . فأدخله معه الدار وخلا به ، ففتح كفه
 فأراه كتاباً من موسى بن بغا إليه ، وقال له : بعث بي إليك قاصداً
 وحدك بهذا الكتاب ، فصاح به يوسف بن إبراهيم لسمع من
 حضره : يا هذا ! إن جميع ما ادعيت به ، وذكرت أنه ظلمك فيه
 مائة دينار ، ونحن نعطيك إياها ، ونزيل ظلامتك . وأمر فأحضرت

(١) يقال : فلان أثير أي من خصائمي .

مهارة يوسف بن
 إبراهيم في التخلص
 من ابن طولون

الدنانير فدفعتها إليه وقال له : امض في حفظ الله ، فلم يبق بينك وبينه شيء بعد هذه المائة الدينار من المطالبات ، وأعفنا من ظلمك وتكثرك . فأخذ الرجل المائة الدينار وخرج ، ولم يأخذ منه يوسف ابن إبراهيم الكتاب ، توقيفاً وخوفاً ، ورغبة في السلامة .

فأحضر أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم فقال له : ما الذي كان في كتاب موسى بن بغا إليك ؟ فقال له : والله ما قرأت كتاباً قط ، والذي يجب عليّ من حق طاعتك فقد عملته . فقال له : فلم لم تقبض على الرجل وتجنني به فقال له : لم يستكفي الأمير ، أيده الله ، هذا فأكفيه وأمثل أمره فيه ، ومن أتى شيئاً من غير أن يندب إليه فساع يتوقع من شره أكثر مما يطلب من خيره ، فاعتقله أياماً ثم صرفه إلى داره مكرمًا .

وحدث نسيم الخادم قال : أهدى علي بن ماجور إلى أحمد بن طولون ثلاثة خدم كانوا لآبيه ، فأما أحدهم فما خلا من طرفه في وقت من الأوقات ، من شدة ملازمته لخدمته . فقال له يوماً : أيُّ البلدان أحب إليك أن تكون فيه ؟ فقال له : بلد فيه مولاي الأمير . فقال له : ويحك في داري ثلاثمائة خادم وقد تقدمت عليهم تقدماً قصراً بجماعتهم في عيني ، فأنا أخاف عليك أن تحدث بك حادثة منهم فأغتم بك ولا يمكنني أن استدرك أمرك ، فاختر

الخدوم الثلاثة
الأذكيا .

لنفسك بلداً تكون فيه آمن عليك من حال تلحقك ، فقال له : إذا كان الأمر على ما ذكره مولاي الأمير ، فطرسوس . فوصله بجملة دنانير كثيرة وأمر له بخيل وبغال وآلة كثيرة ، وأجرى له رزقاً واسعاً وأنفذه إليها

وأما الثاني فكان من أحسن الناس وجهاً وخلقاً ، فرآه يوماً في خلعة رائعة حسنة ، وقد زاد حسنه وجماله فيها ، فقال له وهو خال : لو لحقتني في شرح شبابي لما أفلت مني ، فقال له : لو كان مولاي الأمير يستأهني لما أفلت منه . فضحك وقال : يا نسيم ابعث بهذا الخادم إلى محمد ابن أخي ، فأني لا أرغب في هزله ، فهو يفسده أمر قريب يومه . وكان محمد هذا ابن أخيه موسى ، عفيف الفرج ، ولما بعث به إليه ورآه حسناً بضاً^(١) وهبه للسيدة بنت أحمد بن طولون زوجته ، وكان يخدمها جميعاً .

وأما الثالث فإنه سلم إليه رجلاً آثر الراحة منه وقال له : إن هذا عدوي وعدوكم ، وقدّر عليه أنه سيقتله ، ثم سأله عنه بعد أيام ، فقال له : هو محبوس . فقال له : لو كنت تحبني لقتلته . فقال له : يا مولاي لو كنت لك وحدك لقتلته ، ولكني لك والخالقي وخالقك وما أقدر أن أرضيك بسخطه ، لأنه أقدر عليّ منك . فنفاه إلى أذنة ولم يقطع رزقه عنه .

(١) البسّ: الرخص الجسد الرقيق الجلد المعتلى

وحدث نسيم أيضاً قال : كان أصحاب الأخبار يرفعون إلى مولاي رقاعاً في أقوام تكون سبباً لاصطفائهم وقتلهم ، و كنت حرباً لأصحاب الأخبار باغضاً لهم ، و كنت إذا لقيت الرجل منهم لعنته في وجهه جهراً . وكان مولاي إذا رُفعت إليه رقعة حفظ معناها ، وأمر بقتل صاحبها ، ودفعها إليّ وأمرني بتحريقها ، ولم يثق بغيري في ذلك .

قول ابن طولون
الجاوسية صناعة
ردية

فسمى أصحاب الأخبار في إفساد حالي عنده ، فكانوا إذا رفعوا إليه واحدة وعلموا أنني قد حرقتها ، رُفعت أخرى إلى مولاي وقالوا له : كيف بقيت هذه الرقعة لم تُحرق ؟ فيوهموه أنني قد أغفلت أمرها ، أو أخذتها لأعلم ما فيها ومن رُفعت فيه ، فأعلمني مولاي بذلك ، فحلفت له عليه أنني ما أغفلت قط تحريق رقعة دفعها إليّ ، ولكن هؤلاء القوم لما علموا يبغضني لهم ، احتالوا في إسقاط منزلتي من مولاي ، فقال لي : صدقت ، قد علمت ذلك ، وأنها حيلة منهم عليك في الرقاع التي أمرك بتحريقها ، لأن لي فيها علامة وهي إدخال سبابة يميني حتى يتحيف فيها اسم أعرفه من الرقاع التي يعيدونها إليّ سليمة من علامتي . وهذه يا بني صناعة ردية ليس يصلح لها غير الشرار ومن ليس فيه خير .

وحدث^(١) سعد الفرغاني قال : ركب أحمد بن طولون يوماً فبينما هو
كشف ابن طولون
جاسوساً من تكته

(١) تقدمت هذه القصة في أول الكتاب باختلاف يسير في اللفظ وفي بعض الرواة

سائر فاذا هو برقاص يعمل في دار فقال : اقبضوا عليه وامضوا به إلى الدار ، فقبض عليه ومضي به إلى الميدان^(١) .

فبقي جماعة أصحاب أحمد بن طولون في حيرة من ذلك ، لا يدرون على ما يُنزلون أمر الرقاص . ولما عاد إلى داره أحضره وأحضر السياط والعقابين فاعترف أنه جاسوس للموفق ، وأنه أنفذ معه كتباً إلى جماعة من القواد ، قد أوصل بعضها وبقي بعضها ، وأنه عمل رقاصاً ليخفي أمره ، ويختلط بالناس ، ويسمع منهم الأخبار ، ويسأل عما يحتاج إليه ، فوكل به حتى مضى ، وأحضره ما بقي من الكتب ، فقبض على الجميع وأتى عليهم ، وأطلق الجاسوس وقال له : عدّ إليه وعرفه أنا قد وقفنا ، والحمد لله ، على ما عمله ، ولم يضرنا الله جل اسمه به ، بل كشف لنا عن نيات أعدائنا ، فاستأصلنا شأفتهم ، بما مكنتنا الله عز وجل به فيهم . ووكل به حتى خرج من العريش .

فقال له طبارجي : أيها الأمير كيف علمت بهذا الرقاص ؟ فقال له : يا هذا إني لمحت تكتمه وهو يحمل قَصْرِيَّةَ الطين على كتفه [فرأيتها تكمة] أرمني فقلت : رقاص بتكمة أرمني لا يكون ، فعلمت أنه جاسوس ، فكان من أمره ما قد رأيتم .

(١) في الأصل : الدار ، وقد تكررت

وحدث أحمد بن محمد الكاتب ، وكان من عقلاء الناس وفهائمهم ، وكان فيه دين وخير كثير ، [قال] : أتاني رسول أحمد بن طولون ، و [قد] مضى من الليل أكثره ، وأنا نائم في فراشي ، فقرع بابي قرعاً عنيفاً ، فأشرفت عليهم عيالي ، فإذا جماعة من العلمان بالشمع والمشاعل ، فراعهم ذلك وعرفت فوني فأشرفت عليهم ، فعلمت أنه لم يستدع حضورى في ذلك الوقت لحير ، فأيست من الحياة ، فدخلت المستراح وتطهرت ، وتطيبت طيب من يفارق الدنيا ، ولبست ثياباً نظافاً ، وقلت : تكون [مشيئة الله] وودعت أهلى ، وقد كثر بكائهم وضجيجهم ، ونزلت إليهم فركبت معهم ، فمضوا بي حتى دخلت إلى أحمد ابن طولون .

إفراط ابن طولون
في إهلاك من
نالوا منه

فرأيت قاعة الدار كلها شمعاً يتقد ، حتى خلت أنه نهار ، وسرت فيها حتى بلغت المجلس الذي هو فيه ، وبين يديه شمعتان عظيمتان ، في كل واحدة منهما قنطار ، وهما بعيدتان منه ، فسلمت وأنا أرعد خوفاً ، فرد علي السلام ، فسكن بذلك بعض روعي ، واستدنا في فدنوت . فقال لي : أنت غداً في دعوة فلان ، ومعك في الدعوة فلان وفلان ، إلى أن أسمى لي جميع من كان وقع الاتفاق على حضوره ، فقلت : نعم أيد الله الأمير ، فقال لي : امض واحذر أن يفوتك شيء مما يجري حتى نبيته وتنصرف به إلي تعرفنيه . فقلت : السمع والطاعة لأمر الأمير أيد الله . فقال

لي : انصرف راشداً ، فانصرفت ، وقد حرت في أمري فقلت :
أبعد هذه السن أركب الآثام ، وما تنقيح به الأحدثنة ، أسمى
بقوم بيدي وبينهم مودة وعشرة وأخوة ، وأكون السبب في
قتلهم وإتلاف نعمهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون .
وتأملت الحال فإذا بي إن خالفت أمره قتلني ، وأبتمت ولدي
وأرملت زوجتي . فعملت على تحمل ذلك ، ويعلم الله جل اسمه
كرهي له ، وأناي غير مختار لما لا أوثره ، وأناي صابر على ضيق
الحال طلباً للصيانة ، وتجنباً للدخول فيما فيه المأثم ، ثم فكرت في
وقوفه على الدعوة وعلى حالها ، ومعرفة من يحضرها ، فازداد خوفي
منه وحذري ، وحيرتي في أمري ، وعدت إلى منزلي ، وقد يشوا
مني ، فلما رأوني تباشروا بي ، وحمدوا الله عز وجل على ذلك ،
ورأوني قد رجعت إليهم من الآخرة ، وأنه جل اسمه قد تصدق
بي عليهم ، ووهبني لهم هبة جديدة .

فلما أصبحت وتعالى النهار ، جاءني رقعة صديقي صاحب الدعوة ،
يسألني أن أقدم الوقت في المصير إليه ، ففعلت ، وأظهرت أن
بي عسر البول وأخذت معي مكتباً أكتب فيه كل ما يجري ،
وحضرت الجماعة التي أسماهم لي أحمد بن طولون ، فكنت كلما سمعت
شيئاً يجب أن أثبته أريهم أنني أقوم إلى المستراح ، فإذا حصلت
فيه كتبت كل ما جرى وتهيأ ، لما أحب الله عز وجل إمضاءه ،

أنه لم يكن للقوم مذ وقت حضورهم إلى وقت انصرافهم حديث
إلا ذكر أحمد بن طولون بكل قبيحة وعظيمة ، والابتهاال إلى
الله جل اسمه بالدعاء عليه ، وتمكين الموفق منه ، كل ذلك لآمن
بعضهم من بعض والثقة بهم ، ولما في قلب كل واحد منهم منه .
فلم أزل أكتب كل ما يقوله واحد واحد ، وفي قلبي من ذلك
ما قد علمه الله عز وجل ، إلى بعد العتمة

وانصرفت الجماعة ، وكنت أنا آخر من انصرف ، فجيئت
من تويي إلى أحمد بن طولون كما أمرني ، فأدخلت إليه فأصبت
على تلك الحال ، وهو كالمنتظر لي ، فلما سلمت ردّ عليّ السلام
وقال لي : الساعة انصرفت ؟ قلت : نعم أيها الأمير ، أنا آخر
من انصرف . فقال لي : جوّدت . هات ما معك ، فقلت : هو في
مكتب ، فإن أمر الأمير بنقله نقلته ، فأمر لي بدواة وبياض ، ففتحيت
ناحية ، ونقلت جميعه في رقعة ، وقت فدفعتها إليه فقرأها ، فلما
استوفى قراءتها ، قال لي : بارك الله عليك ، خذ ما تحت المصلى^(١) ،
فمددت يدي ، وأنا أرعد وأقدّر أنّها أفعى ، قد أعدّها لي تضرب
يدي فتأتي على نفسي ، فأصبت رقعة فقال لي : اقرأها ، فقرأتها ،
فإذا فيها جميع ما كتبته ، ما غادرت منه حرفاً واحداً ، وإذا به
قد استظهر عليّ ، بأن جعل معي واحداً من القوم الذين كانوا معنا

(١) المصلى كعلى : موضع الصلاة .

في الدعوة لا أعرفه ، فعرفت بعد ذلك أنه كان بعض أصحاب صديقي ، وأراد أحمد بن طولون [أن يعرف] أبنا أصدق وأنصح فيما يرويه له فكانت نسختنا واحدة ، فحمدت الله جل اسمه ، إذ لم أَدع شيئاً قلّ ولا جلّ حتى كتبتّه ، وتيقنت أنني لو تركت شيئاً لاستحلّ قتلي . فلما قرأتها قال لي : دعها وامض مصاحباً ، وأمر لي بألف دينار فأخذتها وانصرفت ، وليس لي فكر ولا عقل إلا في أصدقائي ، وما يكون منهم ، وما أتخوفه عليهم .

فلما كان من غدٍ ركبت إلى صديقي صاحب الدعوة لأعرف خبره ، فلما صرت إلى السكة التي يسكن فيها ، لم أرَ للدار التي كان فيها أثراً ، ورأيت موضعها رَحبة مكنوسة مرشوشة واسعة نظيفة ، لا أعرفها ولا رأيتها قط . وأقبلت أطلب الدار فلا أراها بوجه ولا سبب ، فتحيرت ووقفت أتأمل الرحبة والموضع ، فرآني بعض شيوخ الناحية فتقدم إليّ وقال لي : أراك أعزك الله متحيراً ، فقلت له : نعم ، أعزك الله ، أنا أطلب دار صديق وما أراها ، ولولا معرفتي بهذا الموضع لقلت غلطت موضعها ، فقد حرت من ذلك ، فأخذ بعنان لجامي ، وقدمني ناحية وخلا بي ، وقال لي : امض يا حبيبي في حفظ الله ، فرحم الله صديقك ، فقد كان حسن المجاورة لنا ، وقاضياً لحوائجنا وحقوقنا . فقلت له : عرفني ما وقفت عليه لأعلمه وفرّج عني . فقال : أما خبره فما أدري كيف جرى ، إلا أنه سُعي به

إلى أحمد بن طولون ، وبجماعة كانوا عنده البارحة في دعوة ، فلما كان في أول الليل وافي إلى ها هنا أكثر من خمسمائة رقاص^(١) ، وأكثر من ثلثمائة بغل عليها المزابل^(٢) ، فأُنزلت الدار إلى الأرض بأسرها ، ونقل جميعها إلى البحر^(٣) ، فما أصبح الصباح حتى صارت رحبة كما ترى مكنوسة مرشوشة ، كأنه ما كانت ها هنا قط دار ، وغرق أصحابها والجماعة الذين كانوا معه عنده ، لأنه بلغني من جارٍ لبعضهم أن رُسل أحمد بن طولون كانوا يُخرجون واحداً من منزله فيغرق وتؤخذ نعمته بأسرها ، فاذهب في حفظ الله . فزاد غمي وقلقي ، وعظمت مصيبتي وحزني ، وما انتفعت بنفسي بعدهم .

وحدث^(٤) أحمد بن دعيم ، وكان من خاصة قواد أحمد بن طولون ، وكان حديثه لي بعد أن تركنا الديوان ، وحسن انقطاعه إلى الله جل اسمه ، قال : قلدي أحمد بن طولون الصعيد الأوسط في وقت خروج عبد الرحمن العمري^(٥) عليه بالصعيد ، فكتب إليّ يستخبرني عما أقف

اعرابي
اراد أن يغدي
صاحبه بآله وده

(١) الرقاص بالتشديد رفيق البناء الذي يعمل تحت إشرافه على ما قال دوزي وفي القاموس المحيط الرهص بالكسر العرق الأسفل من الحائط والطين الذي يبنى به يجعل بعضه على بعض والرهاص عامه . والناب أن الأولى محرقة من الثانية

(٢) المزبلة وتضم الباء ملقى الزبل وموضعه

(٣) ذكر البيروني أن نهر النيل بحر بالإضافة إلى خليج او ساقية وليس يجر عند بحر الشام فانه بالإضافة إلى البحر المحيط خليج وقد يقع اسم اليه على نيل مصر بسبب أن أرض مصر كانت بحراً ثم نضب الماء منها بالانكباب وبقي فيها خلجان سبعة وذلك معروف في كتب الأوائل .

(٤) ذكر أحمد بن يوسف الكلاب هذه القصة في كتاب المكافأة بقوله : حدثني احمد بن دعيم . ورواية البلوي أطول وأمتع (٥) (انظر ص ٦٤ من هذا الكتاب)

عليه من حاله ، فكتبت إليه أعرّفه ضعف يده ، وانتشار أمره ، وقلة المال . وقبضت على رئيس من رؤساء الأعراب اتهمته بكتابتته ، وأنهيت خبره إليه ، فكتب إليّ بأمرني بحمله إليه ، وابتياح ما قدرت عليه من النُجُب ، والشخوص [إليه] لأشرح له أمره مشافهة ، فامتثلت أمره ، فما سرت إلا مرحلة حتى لحقني وجوه تجار العمل ، ومعهم أعرابي شاب وقالوا لي : جئناك في أمر هذا الأعرابي المحمول معك إلى الأمير ، أيده الله ، ومعنا من يبذل في إطلاقه خمسمائة دينار . فقلت لهم : قد أنهيت خبره إلى الأمير ، فقال الأعرابي الذي معهم : خذ الخمسمائة دينار واجعلني أنا مكانه ، وأطلقه فيحصل لك المال والرجل ، إذ^(١) لا يعرف الأمير أيهما كتبت بذكره ، فقلت : أفعل .

وكان الأعرابي المحمول من عشيرتي ، و كنت مغموماً بأمره ، إلا أنني لم أجد بداً من تعريف أحمد بن طولون ما كان منه ، لما كان في قلوب جماعتنا من الخوف منه ، فأحضرت الأعرابي وعرفته ما جرى ، وقالت له : قد سرّني الله بخلاصك . فقال : بماذا ؟ فعرفته ما جرى . فقال : بأن تجعل هذا مكاني ، وتحمله عوضاً مني ، ليجري عليه المكروه دوني ؟ والله لا كان هذا أبداً . ثم قال الأعرابي للشاب الأعرابي : امض لشأنك ، أحسن الله جزاءك ، والتفت

(١) في الأصل : « الذي » وضعنا مكانها « إذ »

إليّ فقال لي : يحسن بشيخ مثلي [أن] يتربح^(١) في المعروف ؟ هذا رجل لقيته ، وقد اكبت عليه خيل^(٢) لتسلبه نفسه وما كان معه ، فطردتها عنه حتى تخلص ، فلما رأي في هذا الوقت وما نزل بي ، أراد أن يخلصني بحصوله في موضع إن سلمت روحه لا يخرج منه آخر الليالي ، ثم يغرم مالا لعله يثقل عليه ويُجحف به ، ليكون له الفضل عليّ ، والله لا فعلت ، ثم أقبل إليه فقال : انصرف في حفظ الله ، فلن يضيع عندي فعلك ، وقد حصلت لك قبلي مكرمة . فقلت له : قد قضيت يا أخي ما يجب عليك ، كثر الله في الناس مثلك ، فانصرف مصاحباً ، فقد وثق الرجل بالله عز وجل في أمره ، وهو جلّ اسمه يخلصه بجميل هذا الفعل .

فقال لي : لست أفعل ، وعزمت^(٣) على الأول في القبول منه وقلت له : فلست آخذ منه شيئاً وأعينه في خلاصك ، وإن أدع حالاً أبلغ بها خلاصه أيضاً إلا بلغت ، فامتنع وقال : والله لئن خالفتني وأخذته وحصلتُ بحضرة الأمير لأعرفنه ، فاصرف الرجل ولا تعرض لهلكة ، فبقيت قد تحيرت ودهشت من كرمهما جميعاً . فقال له الشاب : إذا كان الأمر على هذا فما أصنع في عارفتك التي في عنقي ؟ أنشدك الله إلا قبلت المال ، وأزات عني العار ، فأنت

(١) تريح طلب الربح وفي الأناص وهو يتربح ويتربح أي بطاب الأرباح ويتكسب

(٢) رواية المكافأة : خيل لتسلبه ثيابه .

(٣) عزم عليه أقسم عليه

تعلم أنه عار على الكرم أن يموت وعليه دين من ديون المعروف، فامتنع من قبول المال أيضاً وقال له: إذا رأيت رجلاً قد أحاطت به خيل تريد تسلبه فذُّبها عنه، فإذا فعلت ذلك فقد كافأت عارفتي، انصرف في كلاءة الله عز وجل^(١)، فانصرف الأعرابي باكياً متأسفاً على ما قد فاته، مما بذله من نفسه وماله، ولم يزل يقبل رأس الأعرابي وبديه ورجليه ويبكي ويعول، ويسأله قبول المال وهو ممتنع من ذلك، حتى أبكى جماعتنا، فلما لم يجد فيه حيلة انصرف.

فلما دخلت إلى أحمد بن طولون وشافهته بخبر العمري، وذكرت له منه ما سرّه، وعرضت عليه النُجْبَ واستحسنها، قلت له: بقي أيها الأمير ما هو أحسن منها قال: ما هو؟ قلت: الأعرابي الذي كتبت بخبره إلى الأمير أيده الله، فأمرت بإشخاصه قال: نعم، وما الذي فعل، وأردت بقولك إنه أحسن مما جئتنا به؟ قلت: كان من خبره كذا وكذا، وشرحت له جميع ما جرى من أوله إلى آخره، وخبر المال الذي بذل لي، ومشورتي عليه بأن يفعل، وصدقته عن جميعه، فأعجبه صدقي، واستحسن فعلهما، وأمرني بإحضار الأعرابي، فأحضرتة. فلما رآه قال له: يا أعرابي قد كنا عزمنا في أمرك على ما يسوؤك ولا يسرك، حتى وقفنا على ما جرى بينك وبين من أراد مكافأتك على جميلك عنده، وقد قمنا عن ذلك الأعرابي

(١) وردت هذه الجملة في كتاب المكافأة كما يلي: إذا رأيت رجلاً أحاطت به خيل تُربغ

سلبه فذُّبها عنه فقد كافأت عارفتي، انصرف مصاحباً.

بحق عارفتك عنده بإطلاق سبيلك والإحسان إليك . وأمر أن
يخلع عليه ، وأثبتته في ديوانه ، وأسنى له الرزق . وأمرني بإيقاد رسول
قاصد في حمل ذلك الأعرابي إليه ففعلت ، فلما وافى أدخلته إليه ، فقال
له : كثر الله في الناس مثلك يا أعرابي ، وقد قننا عنك بحق عارفتك ،
بما أتيناك في أمر صاحبك ، وبك نجاه الله عز وجل وبجميل فعلك من
مكروهننا ، وأمر فخلع عليه وأثبتته في ديوانه وأجرى له رزقاً
واسعاً . ولم يزل في خاصته ولا يُخْلِيهما في كل عيد من صلاة واسعة
إلى أن مات .

وحدث نسيم الخادم^(١) قال : كان مولاي يراعي أمر المحبوس حتى
تمضي له سنة فإذا جازها نسيه ولم يذكره . وكان يقول لي مرأ : إذا
تبيئت من رجل براءة ساحتها ، فسهل على أمره واستأمرني فيه ، فإني
أستعمل التشديد للضرورة ، والقلوب بيد الله عز وجل .

صدق حسين نجا
بإخلاقه

قال نسيم : فقال لي موسى بن صالح ، وكان من الثقات عنده ،
وكان على الشرطتين جميعاً : إن في الحبس رجلاً قد زاد على سنتين ،
وهو منقطع إلى الله عز وجل ، لا يسألنا شيئاً من أمره ، وقد
أكب على العبادة ، وقد جرى في أمره شيء ، وهو ذا أشرحه لك
فيما بيني وبينك ، لثقتي بك وبدينك ومحبتك للخير ، ولا أستعين بك

(١) في المسكأنة : وحدثني موسى بن مصلح المعروف بأبي مصلح ، وكان هذا من الثقات
عند أحمد بن طولون ، أن أحمد كان يراعي أمر المحبوس

في أمره ، حتى يخلصه الله عز وجل على يديك ، فيحصل لك بذلك ثواب من الله الكريم جزيل . فقلت له : قل . فقال لي : لما رأيت هذا الرجل على هذه الحال قلت له : يا هذا إن الناس يضطربون في أمرهم ، ويسألون الخلاص مما يقاسونهُ . بكتب رقعة بشفاعة من يعتني بأمرهم ، وأراك خارجاً عن جملتهم ، فجزاني خيراً .

فرقَّ له قلبي وكبر في نفسي فخلوت به وقلت له : إني لو استجزت إطلاقك بغير إذن لعلت ، ولكن استعن في أمرك بمن يضطرب^(١) في خلاصك ، فقال لي : ما أعرف في هذا البلد غير أبي طالب الخليج^(٢) ولو تهيأ الاجتماع معه لحاطبته بما لا تبلغه الرسالة ، فقلت له : والله لأخاطرن فيك بنفسي ، أنا أطلقك سرّاً ، على أن توثقني بأيمان محرّجة أنك تعود إليّ ولا تُخفني^(٣) ، فقال لي : إذا كنت عندك بمنزلة من تشك فيه حتى توثق منه بيمين ، فلا حاجة لي في إطلاقك إياي . فقلت : والله لا استحلقتك ثقةً بك ، فامض في حفظ الله ، وأحكم معه ما تريد .

وكان ذلك ليلة الجمعة ، وفارقتهُ على أن يصير إليّ محبسه ليلة الاثنين ، فلما كان في سحر يوم السبت وافاني لما فتحت السجن .

(١) يتحرك

(٢) زاد في المسكافة هذه العبارة « وكان هذا الرجل يتولى شرطتي أحمد بن طولون بمصر »

(٣) أخفرت الرجل إذا قصت عهداً وذمامه وخفرتهُ أجزتته وحفظته .

فلما دخل حمد الله جل وعز وأثنى عليه ، وسجد شكراً له جل اسمه .
ثم قال لي ، وقد حررتُ من أمره ، بعثت إلى أبي طالب الخليج
امرأة من أهلنا فهمة ، وطويت عنه إطلاقي ، وسألته أن يطف ،
في أمري فوعده بذلك ، وقال : أدخل إلى الأمير وأسأله في أمره ،
فاجلسي إلى أن أعود إليك أعرفك ما يجري ، وأرجو أن يمن
الله الكريم بإطلاقه .

وركب عشية الجمعة أمس فأقام عند الأمير إلى قريب من العتمة
وانصرفت إليَّ المرأة فقالت : وافي أبو طالب وهو مغموم فقال لي :
كلمت الأمير في أمره فقال لي : لقد أذكرتني رجلاً يحتاج إلى عقوبة ،
ثم تقدم إلى رجل من أصحابه في المصير به إليه في غدٍ عند جلوسه
اليوم ، وقال للمرأة : قولي له ارجع يا أخي إلى الله عز وجل ، فليتني
ما تكلمت في أمرك ، وطال عليَّ بقية ليلى ، قلقاً بأمرك أن يجيئك رسول
في إحضاري ، فبكرت إليك في هذا الوقت ، خوفاً من حال تلحقك
فتغمني فيك ، ورأيت والله جميع ما يوعدني به من المكروه أسهل
عليَّ من أن أخفرك وأبطل ظنك .

فما استوفى كلامه حتى وافاني رسول الأمير ، فتسلمه مني ومضى به
إليه فلحقته ، فرأيت الأمير وقد شغل الساعة عنه . فقال : أنا أسألك أن
تدخل الساعة إليه من قبل أن يفرغ شغله ، فتدعوه به حتى تشرح له
قصته وتسأله في أمره ، فبادرت معه ودخلنا إلى مولاي ، وإذ به قد دعا

بالرجل وهو بين يديه، وقد ذكر له جنايةه فاعترف بها واعتذر إليه منها
عذراً قبله منه . فتأملناه فإذا به قد لحقته عليه رقة ورحمة ورأفة ،
ضد ما قدرناه فيه ، فعلمنا أن العناية من الله جل اسمه قد سبقت
عنايتنا ، فغنيننا عن سؤاله في أمره وأمر بإطلاقه وأمر له بجائزة

قال نسيم : ثم قال لي مولاي : تسلمه يا نسيم مكرماً . فأخذته الي
وقد لحقني من السرور بإطلاقه ما علمه الله جل اسمه ، وكذلك موسى
ابن صالح ، فوصلته بدنانير كثيرة سوى ما وصل إليه من مولاي ،
وصرفته مع موسى بن صالح ، لأنه اختار انصرافه معه ليلبغ أيضاً في
أمره ما يجه ، مما توصل به المثوبة من الله جل ثناؤه .

فلما خلوت بمولاي حدثته بقصته من أولها إلى آخرها ، فأحضر
موسى بن صالح وقال له : لله درك فيما أتيته في أمر الرجل ،
فأحضرني ، فأحضرتة ، فلما رآه أكرمه وأدنى مجلسه ، وجعله أخص
أصحابه عنده . ولم يزل يواصله بيره إلى أن مات مولاي رحمه الله .

وحدث نسيم الخادم^(١) قال : حبس مولاي يوسف بن إبراهيم
في موضع في داره شيء أنكره منه ، وكان إذا حبس رجلاً
في داره أيس منه . وكان ليوسف بن إبراهيم على جماعة من أهل
الستر معروف كبير وتحمل لموئهم . فاجتمعوا وكانوا نحواً من مائة

(١) في المسكاة : وحدثنا أحمد بن يوسف قال : حبس أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم الخ

رجل^(١) ، لكل رجل منهم محل في نفسه وقديمه وستره ودينه ، ووافوا إلى باب الجبل ، فاستأذنوا على أحمد بن طولون ، فأذن لهم فدخلوا إليه ، وعند محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وجماعة من شيوخ البلد .

فابتدأوا الكلام بعد السلام بأن قالوا : قد اتفق لنا أيد الله الأمير من حضور هذه الجماعة مجلسه ما رجونا أن يكون ذريعة لنا إلى ما نأمله ، ونحن نرغب إلى مولاي الأمير ، أيد الله ، في أن يسألنا عنا ليقف على منازلنا ، فسألهم عنهم فقالوا : نعرفهم بالستر والصيانة والدين والتقديم النبيل ، وقد عرضت على جماعة منهم العدالة فامتنع صيانة وتواضعاً .

فأمرهم بالجلوس فلما جلسوا سألم تعريفه ما قصدوا له فقالوا : ليس لنا أن نسأل الأمير ، أيد الله ، مخالفة ما آثره في يوسف بن إبراهيم لأنه أهدي إلى الصواب فيه ، لكننا نسأله ، أيد الله ، أن يقدر منا قبله فيما لعله قد اعتزم عليه في أمره من قتل أو مكروه ، وهو في حلٍ وسعة وأن يفعل في أمره بعد ذلك ما أحب . وقد قضينا حق عارفته عندنا ، وكافينا معروفه لدينا ، بتحمل المكروه فيه ، كما كان يبادر بمروفه إلينا . فقال لهم : وكيف ذلك ؟ فقالوا : ما أحوجنا أن نفكر معه في شيء نبتاعه لسنتنا من مؤونة وكسوة ، وقليل وكثير ، ولا وقفنا بباب غيره لما غنينا به عن سواه ، وما نوثر ، أيد الله الأمير ،

(١) في المكافأة: وكانواها ثلاثين رجلاً

البقاء بعده ، ولا السلامة من شيء قد وقع فيه . وَتَجَوَّأُوا بِالْبَكَاءِ
 بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَبَكَتِ الْجَمَاعَةُ الْحُضُورَ لِبَكَائِهِمْ ، وَرَقَّ قَلْبُ أَحْمَدَ بْنِ
 طُولُونَ حَتَّى تَدْمَعُ^(١) مَعَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحْسِنَ جِزَاءَ كَم
 فَقَدْ كَفَأْتُمْ إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ، وَجَازَيْتُمْ إِفْضَالَهُ عَلَيْكُمْ . ثُمَّ قَالَ : يَوْسُفُ
 ابْنُ إِبْرَاهِيمَ ، فَأُحْضِرْ ، فَقَالَ لَهُمْ : خُذُوا بِيَدِ صَاحِبِكُمْ وَانصَرَفُوا بِهِ
 مَعَكُمْ ، فَقَدْ وَهَبَتْ جَنَابَتُهُ لَكُمْ ، فَأَخَذُوا بِيَدِهِ وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ،
 شَاكِرِينَ دَاعِينَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ فِي إِطَالَةِ بَقَائِهِ وَدَوَامِ عِزِّهِ .

ولم يزوالوا حول يوسف بن إبراهيم حتى أوصلوه إلى داره ، فشكر
 لهم فعلهم ، وانصرفوا فرحين بما سهل الله بكرمه لهم من المحنة في أمره .
 وكان ذلك سبب رضا أحمد بن طولون عن يوسف بن إبراهيم^(٢)

(١) لا تذكر دم في المعاجم إلا لقرونه بعينه ما تدمع وحدها فلم تثر عليها وقد تكررت في هذا الكتاب
 (٢) يوسف بن إبراهيم هذا هو والد أحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية ، وحيد عصره في
 العلم والبلاغة وصاحب كتاب المكافأة ، ومقت لأحمد بن يوسف مع أحمد بن طولون يوم وفاة والده قصة
 ذكرها في كتابه هذا نصها : وبعت أحمد بن طولون في الساعة التي توفي فيها يوسف بن إبراهيم والذي
 يخدم ، فهجموا الدار ، وطالبوا بكتبه ، مقدّرين أن يجدوا فيها كتاباً من بغداد . فحملوا صندوقين
 وقبضوا عليّ وعلى أخي ، وصاروا بنا إلى داره ، وأدخلنا إليه وهو فيها جالس وبين يديه رجل
 من أشرف الطالبين . فأمر بفتح أحد الصندوقين وأدخل خادم يده فوق على دفتر جراياته
 على الأشرف وغيرهم . فأخذ الدفتر بيده وتصفحه ، وكان جيد الاستخراج ، فوجد اسم الطالب
 في الجراية ، فقال له وأنا أسمع : كانت عليك جراية يوسف بن إبراهيم ؟ فقال له : نعم ، أيها
 الأمير دخلت هذا البلد وأنا مملق فأجرى عليّ في كل سنة مائتي دينار ومائتي أردب قح أسوة
 ابني الأرقط والمعيني وغيرهما . ثم امتلأت يداي بطول الأمير فاستغفني منها . فقال له : نشدتك
 الله أن تقطعت سبباً لي برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وتدمع الطالب . فقال أحمد بن
 طولون : يرحم الله يوسف بن إبراهيم . ثم قال لنا : انصرفوا إلى منازلكم لا بأس عليكم ،
 فانصرفنا فلحقنا جنازة والدنا ، وحضرنا العلوي وقد أحسن مكافأة والدنا في مخلفيه .

قال مؤلف هذا الكتاب : اتصل بأحمد بن طولون عن القاسم بن
شعبة شي أنكره منه ، فقبض عليه وحبسه في داره ، ووكل به من
يمنع أحداً يدخل إليه ، فلا يخرج من عنده إلا غلام يقضي من حوائجه
وحوائج حرمه مالا بدمنه في منزله ، ولم يمتنه بجبس في مطبق ولا غيره ،
وتركه في داره موكلاً به ، وكان ذلك من جميل أفعال أحمد بن
طولون محافظةً لأبيه . وكان يصحبه ويتقلب في نعمته رجل يعرف بابن
أخت بن الزنق ، وكان له عم من الشيوخ الأولين الذين فيهم السلامة
والدين . فلما قبض عليه أحمد بن طولون فزع ابن أخت بن الزنق من
مكروه يلحقه من أحمد بن طولون ، وخافه وانقطع عنه ، فبلغ عمه
ذلك فأنكره عليه ، وحثه على المضي إليه ، والتوصل إلى قضاء حاجة
إن كانت له . فاحتج بأنه لا يصل إليه لمنع الموكلين إن يجيئه ، فقال
له [لأن] يقف على مصيرك إليه ومنعهم لك أحسن من وقوفه على انقطاعك
عنه فقال له : أنا أخاف من مكروه يلحقني فقال له : كما كنت يا بني
تقلب في نعمته ، تصبر على ما يلحقك في محنته ، فلا تفضحنا بالقعود
عن رجل أحسن إليك ، فلم تكافئه على جميله عندك ، فقال له :
ما أجزر على ذلك . فلما أيس منه قال له : قبحك الله سرقتم معروف
الرجل ، وتركته يقارع محنته . فلم ينجع فيه قوله .

وركب الشيخ حمارة ، وصار إلى دار القاسم بن شعبة ، وجيرانه
يناشدونه الله أن لا يتعرض لأحمد بن طولون فلم يقبل ، وقال : والله

ثناخي رجل عن
مقابلة المعروف وما
علمه خاله

لا تحملت عاراً حَمَلْتَنِيهِ هذا الرجل الجاهل القبيح الفعل . فلما وقف
بباب القاسم بن شعبة ، وعليها الموكلون ، وقوم من أصحاب الأخبار ،
سَلَّمَ عليهم ، فقال : كيف حال القائد أبو محمد أيده الله ؟ فقالوا
له : امض يا شيخ في حفظ الله . فقال : ما أمضي حتى أقضي من
حقه ما يلزمي ، إذ كان قد بعدُ عنه من يلزمه أمره ، ممن كان في
جملته من أهلي .

فَرُفِعَ خبره إلى أحمد بن طولون فأحضره فقال له : ما كنت
يا شيخ تعمله للقاسم بن شعبة ؟ فقال : والله ما عملت له قط عملاً ،
ولا تصرفت له في حال من الأحوال ، ولا دخلت له داراً ،
ولا سلمت عليه قط ، ولا أعرفه ولا يعرفني ، ولكنه أولاني جميلاً في
بعض أقاربي ، فتوقف عن معاضدته في محنته ، وقضاء حقه على ما أولاه ،
توقياً وخوفاً ، فلم تُطِقْ نفسي الصبرَ على ترك مكافأة جميله عنه ،
فانتصبت الساعة لذلك . والأمر أيده الله أحق وأولى بحسن مكافأة
أبيه فيه ، والصفح له عن ابنه في غلطة إن كان غلطها ، أو زلة إن
كان زلماً ، فقد كان أبوه مشهوراً بحسن الموالاة للأمر أيده الله ،
جميل النصح له طول حياته . فقال أحمد بن طولون : يا شيخ ما في
هذا المجلس أحد يقول فيما اهتمدبت إليه من إذكارك إياي حق
أبيه ، ولعمري إنه ليقضي عطني على والده ، وصفحني عن زله ، والتجاوز
له عن خطائه ، فأحسن الله جزاءك يا شيخ على جميل فعلك ،
١٦ - ابن طولون

وكثر في الناس مثلك ، فقد نهيتني على قضاء حق أبيه رحمه الله .
ثم أمر بأحضاره ، فلما حضر خلع عليه خلع الرضا وأجازه ، وورده
إلى منزلته التي كانت عنده . وقال للشيخ : تسلمه يا شيخ بارك الله
عليك ، وأحسن إليك ، فسبقه الشيخ إلى داره فنزلها ، ولم يمض إلى
منزله ولم يدخل داره معه ، وحرص به واجتهد فما فعل ، وقال له :
إنما أردت قضاء حقك والقيام فيه بما قعد عنه ابن أخي خوفاً
وجزاعاً من الأمير أيده الله ، فله الحمد على ما سهل لي من ذلك ويسره ،
وأستودعك الله ، وانصرف إلى منزله . فلما كان من غدٍ ركب إليه
القاسم بن شعبة يشكر فعله ، وواد إلى أفضل ما كان عليه لابن أخيه
إكراماً للشيخ على ما أتاه في أمره .

وحدث نسيم الخادم قال : صار إليّ ثابت بن سليمان - وكان
سليمان هذا يكتب لشقيق الخادم ، ثم خدم بعد مولاي - ومعه
رقعة وسألني أن أوصلها إلى مولاي ، فأخذتها منه وقرأتها ، فإذا فيها
يذكر أن شقيقاً الخادم أودع أباه أربعمئة ألف دينار . فأوصلتها
إلى مولاي ، وعجبت من سعابته بأبيه ، فلما قرأها استحضره وقال
له : قد قرأت رقعتك ، فالأمر على ما ذكرته من حصول المال عند
أبيك ؟ قال : نعم ، أيد الله الأمير ، وإنما خشيت أن تمتد يد أخي
إليه ، ويتصل خبره بالأمر بعد وقت ، فيلحقني مكروهه ، فقال له :

رجل سعى بأبيه
قتله ابن طولون

أمسك الآن عن هذا ، واطوئه عن الناس كلهم ، ولا يعلم أبوك بجيئك إليّ ، حتى أدبر الأمر في ذلك فيما أراه فيه ، وانصرف مكلوفاً . قال نسيم : فكثير تعجبي من إمساك مولاي عن هذه الجملة العظيمة التي لا يغفل عن مثلها .

فلما مضت سنة مات سليمان فأظهر مولاي غمّاً به ، وتفجعاً عليه ، ثم دعا بابنه الرافع لتلك الرقعة ، فردّها إليه ما كان في يد أبيه من أملاكه ، وضمّها إليه من الرجال من تقوى بهم يده ، وتركه شهراً ثم دعا به يوماً ، وأناقائم بين يديه ، فقال له : كيف حالٌ مُخَلَّفِي أبيك معك بعد أهلك ؟ فقال : الحالٌ سالحة ، وما أدع حالاً توّدي إلى مصلحتهم إلا بلغتها ، ببقاء الأمير أيده الله . وقد أعزّ الله جلّ اسمه جانبي به أدام الله عزه ، فقال له : احمل إليّ تلك الأربعمائة ألف دينار التي لشقير الخادم عندكم ، فتلجّج ولم يمكنه أن يردّها جواباً ، فأمرني بتسليمه إلى أحمد ابن إسماعيل بن عمار ، وأن أمره بمطالبتة بها بالسوط ، فامتثلت ذلك وطالبه قبّاح^(١) فضربه خمسمائة^(٢) سوط ، وأخذ جميع ملكه وما خلفه أبوه ، فلم يوجد عنده بعض ما نقوله على أبيه ، فأعاد مطالبتة ثانية ، وضربه فمات تحت الضرب ، فعرف مولاي خبره فقال : ذلك أردت لسعايته كانت بأبيه — رحمه الله — إليّ ، فلارحمه الله^(٣)

(١) بلح بتشديد اللام : جعد (٢) في المكافاة : خمسين سوطاً

(٣) في المكافاة بعد ذكر هذه القصة ما يأتي : قال (أي نسيم الخادم) فعجبت من هلاكه بهذا المقدار من الضرب ، فأخبرت أن هذا الضروب كان يستنزير الفوائد من النساء في وفور حاله —

أخبار العباس بن أحمد بن طولون

خروج العباس
على أبيه

قال مؤلف هذا الكتاب: لما ضبط أحمد بن طولون أطراف عمله، بلؤلؤ غلامه وابن جيعوبه، ومن ضمَّ إليهما من الرجال، أغدَّ السير من الثغر إلى الفسطاط ليبادر أمر العباس ابنه. وكان سبب خروج العباس إلى الغرب حقه ونقصه، وإنما قدمه أبوه على سائر ولده لكبر سنِّه، ولأنه كان أحظاهم عنده، ولهووى كان له فيه من هوى الأبوة. ومن الناس من يعنى عن حظ نفسه، وعيب ولده لخواه فيه، وإن كان أبوه حازماً لا يطعن عليه، لكنه كما قال الشاعر:

وَيْسِي بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا مَنَ هُوَ بَابِنَهُ وَبِشَعْرِهِ مَفْتُونٌ

فخانه أمله فيه وأتاه من المقدور ما ليس في خلدّه، وهذا الصغر الدنيا عند الله عز وجل، ولنزارة محلها، ولينبه أُولي الأبواب على مقدارها، وأنها لا تدوم لأحد ولا تصفوله، وإن حسن تدبيره، وصح تمييزه، وقيل هو واحد زمانه.

ولم يزل أحمد بن طولون كذلك مستقيمة أموره كلها، مصححة أمانيه، يعطى سؤله وإرادته، حتى بلغ الكتاب أجله، فكان أول

— فزارته امرأة كانت ربيطة لجلاد بالسوط، وعلم الجلاذ بذلك فبكر إليه، ووقف له حتى إذا خرج، انكب على فخذه وقبله، ثم قال: يا سيدي قد اغناك الله عن سائقى، بما بسطه من الرزق عليك، وظاهره من الإحسان لديك. وكانت مهجتي عندك البارحة، فلئن رأيت أن تهبها لي فلك منها عوض، وليس لي عنها معدل، فصاح في وجهه، وأمر بإياديه، فلما شدَّ بالعقابين تقدم الجلاذ فضربه ضرب القتل فأتى على نفسه.

انحلال أمره ، وعكس قصته ، وتنقص الأمور عنه ، أمر العباس
ابنه ، فانعكست العين عليه من آمن سبيلها وأعذب شربها ، وذلك
ولده وقرّة عينه ، وأحب الأشياء كلها إلى قلبه ، والمؤمل لسدّ
مكانه ، و [أن] ينوب منابه فكان كما قال الشاعر :

أُتيت في أمرٍ من مأمني ولم أكن فيه بِمِرْتَابِ
وقد يُوفّي ويُلقي الرّدي مترسّ من ضعف أسبابِ

وذلك أنه اشتملت على العباس ابنه طائفة سوء من صنوف جماعة العباس بن
احمد بن طولون شتى ، فمنهم قواد استخلصهم ، واستحجب كثيراً منهم ، كانوا يخافون
أباه ويحسدونه بالنعمة عليه ، ويتمنون تلفها وزوالها ، ودخول النقص
عليها ، من أي وجه تهيأ له ، فأشاروا على العباس بالخلاف على أبيه
والانحراف عنه . واتفق لهم أنه أرجف بموته ، لما طالت غيبته
بالثغور والشامات .

منهم علي بن ماجور^(١) وعبد الله بن طغيا وأحمد بن صالح الرشيدي ،
وأحمد بن اتقاسم بن أسلم ، و [جعفر] بن حدار^(٢) الكاتب ، وكل هؤلاء
كان لأحمد بن طولون عنده النعمة الجزيلة ، والإحسان التام ،

(١) في قضاة مصر وولاتها : علي بن اعور ، وفي ابن الداية : علي بن الحزور .

(٢) اختلفت المصادر فمنها ابن حدار بالجيم ومنها ابن حدار بالحاء ومنها ابن حدار بالحاء ومنها

ابن جرير [انظر هامش ص ١٧٧ من هذا الكتاب]

والأشياء الخطيرة ، إلا أن الحاسد لا دواء له ، ولا يقنعه إلا أن يأتي
على نفس من يحسده .

ومنهم طائفة أخرى مذهبهم النحو والغريب وعلم النجوم والشعر
وما يجري مجراه . وانضاف إليهم جعفر بن عبد الله ، وأحمد بن [المؤمل]
المعروف بأبي معشر ، ومحمد بن أزهر^(١) المعروف بالمنتوف . وكل
هؤلاء حسنوا له التغلب على مصر ، والفتك بأحمد بن محمد الواسطي .

وكان العباس ممتلي القلب من هيبة أبيه ، وكل من أشار عليه
لا علم له بسياسة جيش ، ولا تدبير أمر . فرام العباس أن يظهر التغلب
من مصر فمنعه الواسطي ، وخاف دخول الخلل في الأعمال ، وكان أبوه
أمره قبل خروجه إلى الشام ، واستخلافه إياه في البلد ، ألا يتجاوز
ما يشير عليه به الواسطي وقال له : يا بني إن الواسطي قد عجم أمري ،
وعرف ما يصلحه ، فأقبل عليه ، وفوض الأمر إليه ، وتضافرا على
ما يحسن معه الأثر فيما أنتما بسبيله . وكانت هذه الطائفة تزري^(٢)
على الواسطي عند العباس ، وثقع فيه ، وتوحش بينه وبينه ، ويحكون
عنه أن ألفاظه عامية ، وأنه يغلط في كتبه ، ويكثر اللحن فيها
- وكان العباس أديباً حسن الأدب ، إلا أن الكمال لله عز وجل -

منزلة الواسطي من
ابن طولون وما
عمل العباس
لاه لاه

(١) في ابن الداية والسكدي : سهل بدل أزهر

(٢) تزري عليه : تبيه

وقالوا فيه من هذا المعنى ما لا يضع منه ولا يعكر فيه ، لفضله وعقله ،
لولا عمى قلب العباس وقلب من أشار عليه . أليس البلد في يده ، وأمره
نافذ فيه ، وفيما يريده من مال وغيره ، متمكن منه مبذول له ؟ ولكن
نعوذ بالله من الخذلان .

وكتب الواسطي إلى أحمد بن طولون كتباً بخطه ، يذكر فيها
ما يلحقه من سوء اعتراض العباس ، ومنعه له من استيفاء الرسوم
السلطانية بمصر ، وأنه مقبوض اليد . ويذكر الطائفة التي استولت
عليه ، وتخطيها في البلد إلى ما ليس من عملها . وكان محبوب بن رجاء
عدو الواسطي ، فكان كلما ورد من الواسطي كتاب إلى أحمد بن
طولون ينفذه إليه ، لموضع كتابته لأحمد بن طولون ، وأخذ كل
كتاب يرد عليه ، وكتب عنه بما يأمره به ، فكان ذلك مما يزيد في
غيظ العباس على الواسطي ويحقد له .

ولج العباس وجداً فيما اعتزم عليه ، فلخوف الواسطي من سوء
العاقبة ، قال له بما جعله له أبوه من اليد في البلد : إن أضربت أيها
الأمير ، عما قد حملت عليه ، وإلا منعتك منه . فأجابه العباس بجواب
قبيح . وخاف الواسطي تأنيب أبيه في ستر الأمر عنه ، وأن يلزمه أحمد
ابن طولون الذنب فيما يأتيه العباس ، فكتب إليه يشرح له القصة ، ولم
يستر عنه منها شيئاً ، ويذكر أن حيلته تعجز عن منعه . فأجابه
بوصيه بالمداراة له إلى موافاته ، فاستعمل معه ذلك حتى زاد أمره ،

وعجز عن مداراته ، فاستقر في داره ، ولم يحتمل الامتحان . فركب إليه العباس وهجم عليه وأخرجه مكرهاً ، ووجد عنده الأجوبة من أبيه عن كتبه كانت إليه في أمرها ، فأخذها فلما وقف عليها اشتد خوفه من أبيه ، وساء ظنه به ، فقيّد الواسطي وأمين الأسود ، وكان من غلمان أبيه وثقاته ، لأنّه أشار عليه بما يشير به الناصح .

وأظهر العباس لما قوي في نفسه الخوف من أبيه أنه يريد الخروج إلى الإسكندرية ، فقال له محمد بن أباً ونظراؤه من قواد أبيه : ما يصنع الأمير بالإسكندرية؟ فقال: بلغني أن الروم تطرقها وأحب أن ألقاهم ، لعلّ الله جلّ اسمه أن يظفرني بهم . فقالوا له : بعضنا يكفيك هذا ، والصواب ألا تفارق [ما جعلك] الأمير أيده الله عليه ، والمرتبة التي رتبك فيها ، فأنت أيها الأمير العوض منه ، ومقامه في دار مملكته ، فلم يصغ إلى قولهم ، واستخلف أخاه ربيعة على البلد وخرج ، وكتب هؤلاء القواد إلى أبيه يبلّون بينهم وبينه عذراً ، ويعرفونه أنه قد غلبهم على رأيهم ، ولم يتبأ لهم منعه إلا على سبيل النصيح ، لقوة يده وما مكنه منه الأمير .

خروج العباس
على أبيه إلى البرقة

وأخذ العباس كل ما تهيأ له من المال والمتاع والسلاح والكراع ، وأخذ معه الواسطي وأمين الأسود مقيدين وخرج ، فلما صار إلى الإسكندرية أقام بها أياماً ثم تجاوزها إلى برقة .

ما أخذ العباس من
مال مصر وجاها

ووافي أحمد بن طولون إلى مصر فوجده قد أخذ من المال ألفي ألف دينار ، ولم يقنعه ذلك حتى استسلف من التجار ثلاثمائة ألف دينار ، وأمر صاحب الخراج أن يضمها لهم ويكتب لهم بها على العاملين ففعل ذلك خوفاً منه . وأحضر أحمد بن طولون أبا أيوب وقال له : لم يقنعك [ما أخذ] من المال حتى استسلفت له من التجار ثلاثمائة ألف دينار . فقال له : خفته ، ولم يكن لي به طاقة ، فلم يقبل ذلك منه ، وألزمه غرمها للتجار من ماله ، فبلغ ذلك منه مبلغاً كشفه وأضر به ، فشكا ذلك إليه فقال له : هذا جزاء من عاون عدوي ، وقوى يده بمالي ، فلما انكشف له ما لحقه من ذلك ، علم أنه لو منعه لأجرى عليه المكره ، فأزال ذلك عنه ، وقبل عذره .

قال : وسعى إليه في ذلك الوقت المعروف بأبي مقاتل ابن أبي ثابت بأبيه لما رأى انحراف أبيه عنه ، وبأخيه المعروف بأبي حفص لتقديم أبيه أخاه عليه فغلظ عليه سعائته بأبيه فقبض عليه وعلى أخيه جميعاً وضر بهما بالسوط فماتا ، فأخذ ما كان لهما ، وعطفه ذلك على أبيهما .

قال : وراسل أحمد بن طولون العباس ابنه ولطف به ، وأنفذ إليه
ابن طولون ابنه
وإرسال وفد إليه
أبا بكر بن بكار بن قتيبة والصابوني القاضي وأبا محمد معمر الجوهري
وزياداً المعدني مولى أشهب ، وكان فصيح اللسان ، حسن العبارة ،
قوي الفهم . وأمرهم بملايئته وملاطفته ، ووعدته في كتابه

الصفح عما جناه ، وألا يسوءه بمكروه . وحلف له على ذلك بأيمان
مغلظة ، وخرجوا ، فلما وصلوا إليه رحب بهم وأكرمهم ورفع مجلسهم ،
فابتدأ زياد المَعْدِي فقال : يا سيدي ، سيدنا الأَمِيرُ أَيْدَهُ اللهُ يقرأُ عليك
السلام ، ويقول لك : يا أقرب الناس إليَّ ، وأبرهم لديَّ ، وأعزهم
عليَّ ، خفرت ظني بك [أقوى ما كان] أُملي فيك ، وأرجى ما كنت
لك ، عن غير إساءة كانت مني إليك ، ولا خطيئة ركبها فيك ،
ولم ترعَ حسن تربيته لك ، وعظم إشفاقه عليك ، وأني رشحتك أنزلتي ،
وقدرت بك حياة ذكري ، وصيانة شملي ، فأرضيتَ عدوي ،
وأسخطت وليي ، أيا سبحان الله ! أما تخاف العقوبة في العقوق ، وقانيها
الله جل اسمه فيك ، وثمره المجازاة على الإساءة ، صرفها الله بكرمه
عنك ؟ فإن رجعت إليَّ ، فكأنك لم تذنّب ، وإن تَمَادَى بك الاعتقار
شخصت إليك بنفسي ، ولم أكن بأول من خسر سعيه ، وأخلف
تقديره . وبكى زياد وبكى معه من حضر ، فتدمع العباس ، وبلغ
قوله من قلبه .

فذكر زياد أنه انصرف مع الجماعة إلى دُورٍ قد أعدت لهم ، وفرق
فيما بينهم ، وما يخالجه شك في أنه يرجع معهم إلى أبيه ، لما تبينه منه
من انعطافه ، وبلوغ كلامه من قلبه . فخلت به تلك الطائفة التي أغوته
حتى خرج ، لخوفها من أبيه ، فثنته عن انعطافه . وقال له ابن حنبل
الكتاب : الله الله فينا وفي نفسك ، انظر لنا ولك ، فأنت تعرف أباك

وغدره ، فأرحمنا وارحم نفسك ، فأنت تعرف طبع أبيك وشدة
غدره ، فإنه يرى أن في استئصال شأفتك ، ونقطيع قلبه عليك
فيما يأتيه من أمرك وأمرنا بعدك ، بما للسياسة وتوطيد المملكة توجهه ،
فخفف الله فينا وفيك .

وكان كلام زيادله يشبه معنى ما كتبه [به] أبوه ، وكان فيما ذكره
في كتابه بعد دعاء الصدر : وراجع بك إلى الحال التي يحصل لك
عاجلها ، ويتوفر عليك ثواب آجلها ، ولا حرمك ثواب برّي وطاعتي ،
وصرف عنك وزر عقوقي ومعصيتي . ثم قال له فيه : أحين فقأت النعمة
فيك أعين الأعداء ، وبلغت الغاية القصوى من سرور الأولياء ،
وبلغت السن التي يكون معها انتفاع الوالد بولده ، واستحكمت نعتي
بك ، وحسن ظني بالأيام فيك ، واستكفيت على كفايتك وعنايتك
عني ، أتيت مالا يحسن بك ، ولا يجمل بمثلك ، أستكفي الله جل اسمه
مؤونة من حمّلك على ذلك ، وغلبك على رأيك ، فقد سعى في دينك
بما نلّمه ، وعيشك بما كدره ، ودنياك بما نقصها ، وآخرتك بما أفسدها ،
ومرءتك بما أزرى بها ، ونعم الله عز وجل عليك بما بدعو إلى تبديلها
وما أنا بأيس من أن يثيبه على عظيم ما ركبته منك ، وجيل ما جناه
عليك في تضييعك حقي ، وما ألبسك من ثوب معصيتي ، وعرضك
إليه من سخط الله جل ثناؤه وغضبه في إسخطي ومخالفتي ، فإنك
إذا ميزته وتبليته لم تجده إلا أحد رجلين : إما رجل أظعننا الله

عز وجل فيه ، فلزمننا أخذُ جناها منه ، أو رجل طمع في مالك
فاغتنم شغل قلبك فقال : أفوز بحظ من دنياه في هذا الريح الساطع ،
فإن أحسستُ في أمره نقصاً لجأت به إلى حيث لا يعرف خبري ،
ولا يدري أين أمري ، فيز من شئت من خلصائك ونصحائك ، فقد
ترى أمرك فإنك لا تجده يخرج من هذين القسمين والله المستعان .
قال زياد : فلما غدونا إليه ، وسلمنا عليه ، وجدناه قد حال عما
كنا شاهدناه منه . فقال لي : يا زياد والله إن أبي مانوى لي
خيراً ، فقلت له : يا سيدي كيف يليق ^(١) هذا بصدرك ؟ وأنت
تعلم أنه ما طلعت الشمس على أحبِّ إلى أبيك منك ، فالتفت إلى
بكار القاضي فقال له : يا أبا بكر المستشار مؤتمن ، وأنا أقلدك
أمري ، أسألك بالله هل تأمنه علي ؟ فقال له بكار لما كان عليه من
الدين والورع والزهد : قد حلف أبوك لك ألا يسوءك ، فأما بي لك
بما حلف أو لا يفي ، وما يعلم الغيب إلا الله جل اسمه .
فلا سمع أصحابه قول بكار قالوا له : كيف رأيت ؟ لو تحقق
القاضي ما يثق به منه لما قال هذا . فكتب لنا جواباً للكتاب ،
وشرط فيه شرائط بحجفة ، وأغاظ في خطابه لأبيه ، بإنشاء ابن
حدار الكاتب ، وانصرفنا إلى أبيه ، وعرفناه ما جرى بيننا وبينه .
ولم تزل بينهما مكاتبات ومراجعات .

ثم دعت العباس حماقته [إلى] الخروج إلى إفريقية^(١) ، ثقة^(٢) فذل العباس
وما معه من المال والعدة والعدة ، ورأى أن ذلك يُقيمه ويوصله
إليها . وحسن ذلك وأطعمه فيه أصحابه ، ليعدوا عن أبيه ،
وصغروا عنده أمر إبراهيم بن أحمد بن الأغلِب صاحب إفريقية ،
وكتب وجوه البربر فتسرع إليه منهم جماعة كبيرة العدة ،
صغيرة العدة ، وفرَّق فيهم صدراً^(٣) من المال الذي كان معه ،
وتخلف عنه أكابر القبائل ، واعتلوا عليه بأن بينهم وبين قوم
ترات ، ولا يأمنونهم عند خروجهم عن أوطانهم على أموالهم
وحرَمهم ، فرأى أن من حصل معه كاف له .

وكتب إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلِب يقول : إن المعتمد بالله
أمير المؤمنين قد قلدني إفريقية ، وأنه أمره بالخروج إليها . وبأمره
باقامة الدعوة له ، ورحل بأكثر من معه وأكثر المال والذخائر ، حتى
انتهى إلى حصن يقال له : « لبدة » ففتح أهله له ، وخرج إليه
عامل بن الأغلِب به ، فتلقاها بأجل تلقى ، فقابلهم بضد ما استحقوه
منه ، وأطلق لأصحابه نهب الحصن ، فنهبوا وقتلوا الرجال وسبوا
النساء ، وهتكوا من لم يصلوا إلى سببه ، فهرب أهل الحصن إلى إلياس
ابن منصور الزناتي [النفوسي] رئيس الإباضية^(١) ، واستعانوا إليه ، وشكوا

(١) تونس (٢) صدر النبي : طائفة منه (٣) الإباضية : فرقة من الخوارج
تقول بأمامة عبد الله بن إياض وجمهرتهم اليوم في تونس وطرابلس وعمان وزنجبار . والخوارج
هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب لما رضي بالتحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان .
وانشأ الإباضية دولاً في إفريقية وعمان في القرون الأولى للإسلام

ما نالهم منه ، فدخلته حمية الإباضية ، فغضب من ذلك غضباً
شديداً ، وكان العباس قد كاتبه يأمره بالسمع والطاعة له ، وإلا
رحل إليه ، ووطئ بلده ، وبلد النفوسى بعزل عن الناس ، ممتنع
لنجدته وكثرة أهله وقوتهم ، ولم يؤدِّ النفوسى إلى ابن الأُغلب
طاعةً قط ، فرد الجواب مع رسوله يقول : قل لهذا الغلام إنك
أقرب الكافرين مني وأولاهم بمجاهدتي ، وقد ظهر من قبيح
فعلك ما لا يمكنني معه التخلف عنك وعن جهادك ، وأنا على أثر
رسالتي إليك .

وكان ابن الأُغلب قد أنفذ إلى محمد بن قره‌ب عامل طرابلس
بغادام له يعرف ببلاغ ، في جمع من أهل القيروان كثير ، فالتقى مع
العباس ، وكان القتال بينهم مناوشة لا مناجزة ، فقاتل العباس فيها
قتالاً شديداً بنفسه ، وكان مع نقص عقله من الرجال الفتاك ، وكان
جيد الشعر . [ومن شعره يفتخر] :

إلى الهياج ونار الحرب تستعز	لله دري إذ أغدو على فرسي
في حده الموت لا يبقي ولا يذر	وفي يدي صارم أفرى أروس به
فها أنا أليث والصمصامة ألد كره	إن كنت سائلة عني وعن خبري
فوقي لمفتخر بالجود مفتخر	من آل طولون أصلي إن سألت فما
مجداً أناف به أباه الغرر	ورثت مجد أبي عنه وورثني

(١) كذا في خطط الفريزي وتاريخ ابن عساكر ، وفي الأصل : من آل طولون فاعلم إن علمت فما الخ

لو كنت شاهدة كرتي بليدة^(٢) إذ بالسيف أضرب والهلمات تبتدر
يدعون لا أين والعباس يقدمهم كأنهم حمر^١ وألث مقتسر
إذا لعابت مني ما تسير به عني الأحاديث والأنباء والخبر
فلما كان من غد ، غاداه النفوسي في اثني عشر ألف مستنصر مقاتل ،
وزحف إليه أيضاً بلاغ بعسكره من خلفه ، فأطبق عليه العسكران ،
فقتل من أصحابه خلق كثير ، ولولا شجاعته ورجلته^(٢) لأخذ .
فدعته الضرورة ، بقتل من قتل من أصحابه ، إلى أن انهزم ، ولحق
فكاد أن يوتر ، حتى أقيل بجزالته ولطف الله عز وجل به وبعونه ،
وأخذ سواده وذخائره ، وجميع ما كان معه من المتاع والأموال
والسلاح ، وما حصله معه له من مصر ، وعاد إلى برقة أقبح عودة .
وكان معه أمين الأسود مقيداً فتخلص من القتل ، لأنهم علموا بقيده
أنه حرب له ، وكان قد أطلق الواسطي بضمن جماعة من التجار
ببرقة إحضاره إياه متى طلبه ، فكان عندهم مكرماً .

وشاع الخبر بمصر أن العباس قتل ، فتبين الناس في وجه أحمد
ابن طولون كآبة شديدة ، وغماً ظاهراً . لأنه وقع بذلك بين شرين :
تألم ابن طولون من الحالة التي آداها إليها

(١) في معجم البلدان ان لردة مدينة بين برقة وإفريقية (تونس) وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة وهو حصن من بنيان الأول بالحجر والآجر وحوله آثار عجيبة . وذكر انه كانت فيه وقعة بين أبي العباس أحمد بن طولون واهل إفريقية . وذكر ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار ان هذه المدينة ببرقة مما يقابل أطرابلس الغربية وانها اصبت خراباً ياباً في عهده
(٢) رجل بين الرجولة والرجلة والرجولية بضمين والرجولية بالفتح

منها فقد ابنه إن صح ، وذهاب جميع ما كان معه ، ومنها الترة التي تقع
بينه وبين النفوسى وابن الأغب ، إن أمسك عنها انحلت منزلته ،
وإن نهض إليها فبأنفاق الأموال الجلييلة العظيمة التي لم تكن في
حسابه . فلم يزل مغموماً مهموماً حتى صحت عنده سلامته ، فحمد الله
جل اسمه وتصدق بمال كثير .

كتاب العباس
لأبيه

وكان مما أفاض أحمد بن طولون من مكاتبات ابنه العباس إليه ،
حتى استخفه إلى الخروج إلى الإسكندرية بنفسه ، قوله في كتابه من
إنشاء جعفر بن حدار : إلى الأمير أبي العباس أحمد بن طولون مولى
أمير المؤمنين من عبد الله مولى الله ، المتمسك بمناجي طاعة الله ،
المنحرف عن زيغ ظلم المعصية إلى وضوح سر البصيرة ، القابل من الله
موعظته ، والعامل بما أمر به ، إذ يقول جل ثناؤه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) وقوله عز وجل (فَلَا تُطِعْ
مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) سلام على الأمير ، وعلى من
استرجع وادّكر ، وفكر وازدجر ، فأنا أحمد إلى الأمير الله لا إله
إلا هو ، العاطف بي إلى أرفع سنن الهداية ، والعاذل بي عن ظلم
سنن الجهالة ، وأسأله صلاة تامة يخص بها وليه وخيرته من صفوته
ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد وفق الله الأمير لمحال رشده ، وجنبه مقابح أمره ، وسخر

له الخلق عن غامض ذكره ، فإن كتاب الأمير ورد على الحائد منه
عن سبيل العظة والتذكير ، إلى سبيل التهديد والتحذير ، فبعد وقرب ،
وأنس وهدد ، وجمع وفرع ، يبذل من نفسه باليسير فيها ، ويدعو
إلى الصلة ويحدث غيرها ، ويعرض من ماله الأتقى ، ويصير من
خطابه الأثر ، ويعدد من واجب حقه ، ولازم مفترضة ، ما اعترف
به مصدقاً لمن اعترف بالطاعة محققاً ، وأذعن به لمن أذعن وحاد عن
الشك ، ووقفت منه على ما أطب حياطاً وحواف عاماً ومهمه (?) فإن
استخذأت لاتباع موافقتك ، وتطامنت برعنا عبر محاوربك (?) فلقد
اضطرتني الطاعة ، وأنجذتني الحاجة ، إلى إقامة عذر يتضح لك في
استجلاب مرضاتك ما تجاوزت عما يدهمني ، فهبت في جواب الأمير
مقام الأمير .

إن فهت ضاع دمي (?) وإن سكت فمثل النار في كبدي
وبالله أستعين على بلوغ طاعته ، وإليه الرغبة جل اسمه في استصلاحك ،
وتحصينك من زيغ شيطانك ، وأما ما قرعت بذكره ووبخت موضعه في
غير كتاب صدر منك في غير جواب ورد ، من انحرافي عن سبيل طاعتك
وجنفي عن موالاتك ، والتامسي ابتزاز ملكك ، فوالذي اضطرتني إلى
مجادلة من أوجب الله عز وجل علي حقه ، فإن حججته أوحشته ، وإن
قصرت عن الحججة نقصت عنده ، ما حلت عن مخايل ظنك ، ولا كنت
منذ نشأت إلا تحت طاعتك ، لكنه اكتنفتني أمران واجبان مقرون
١٧ - ابن طولون

حقهما بحق الله جل اسمه وحق رسوله صلى الله عليه وسلم . وسمعت
الله جل اسمه وعلا يقول : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْحَوْا
بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ
إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)

فكان أكبر ما عندي في تأدية حقتك القعود عن نصرته من لزمني
مشايعته ، ووجبت عليّ معاونته ، وقبلت من الله عز وعلا أدبه في
حسن هجرتك . يقول الله عز وجل : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)
فلو ذهبت إلى ذكر ما أتى الله به عز وجل في كتابه المنزل على نبيه
صلى الله عليه وسلم لطال به كتابي ، وقامت به عليك حجتي . والآن
فقد خليت عما قلده أمير المؤمنين ، وما قبلت له تكميمته وإنعامه
من جميع أعمال حضرته ، خوفاً من أن أقوم فيها بالحق فأسخطك ،
وانكفأت إلى هذه الناحية هرباً من موجدتك ، وطلباً للقيام بحقتك ،
أيها الأمير ، ولا أبين بقيامي فيما جعل إليّ ما يخلفك فيه النقيصة ،
إذ كان جبل أمير المؤمنين قد اضطرب في يدك ، فوهت قواه وانحل
مبهمه . وتداكت^(١) عساكره في ذلك ، كما تذاك الأبل اللواقح ،
على الحياض الطوافح ، وسبيل من اتبع رضاك أيها الأمير ، وتوقف

(١) تذاك عليه القوم إذا ازدحموا عليه وفي حديث علي رضي الله عنه ثم تذاكتم علي تذاك
الأبل الهم على حياضها ، أي ازدحمتم

عما تكره التصرف فيه ، أن تعرف له ذلك ، ولا تجازي عليه
بخلاف ما يستوجب .

وأما تخويفك أيها الأمير أيابي بخيلك ورجلك ، وعددك وعتادك ،
فلو نظرت بعين النصفه ، ونطقت بلسان المعدلة ، لانفرج عن لبك
رَبِّ الشَّيْبَةِ ، وانفتح من سمعك ما استد سمعه بالشهوة ، فسمعت بعد
وَقَرَّ ، وعرفت بعد نُكْرٍ ، أفني لو آثرت ما إليه قصدت من مقاومتك ،
لدفعتك عن محل عزك ، وما انخرفت عن دار ذلِّك ، ولا أقت بها
مظهراً الحق . داعياً إلى طاعة الله عز وجل ، وفي جواربي من يجيب
صريح الحق إذا استصرخته ، ثم لو كشف لك عن قناعه ، وحسر عن
ذراعه ، لتطامننت لو طأته الليوث الغضاب ، ولتضعضعت لروعته الصم
الصلاب ، فلو لزمتم ما بدر إليه ظنك لغورت مشاربك ، ولدثرت
مسا لكك ، ولا استصعب على الراكب مر كبه ، ولحيل بينهم وبين
ما يشتهون . لكنني آثرت الله عز وجل وما لديه ، فألقيت أزيمة أمرك
سخياً بها ، وسوغتكمها مطرحاً لها زاهداً فيها ، وانقطعت إلى ناحيتي هذه
لقلة قدرها ، وبعد حملها ، لا أخفي شخصي بها لا ما شرطت القول فيه ،
وأطلت الخطاب به ، والله جل وعز يجزي الشاكرين .

وأما عرضك أمانك قبل انجذاذ الجبل ، فإن الله تبارك وتعالى
يقول : (وَآئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا
لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ويقول جل اسمه : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) ولقد مدح خليله صلى الله عليه وسلم في قطعه رحمه فيما حصر دينه فقال : (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .
والكتاب طويل وإنما اختصرنا منه هذا القول .

كتاب احمد بن طولون لابن العباس
فلما ورد كتابه أغاظه وبلغ منه ، وخرج إلى الإسكندرية وأجابه يقول (١) :

إلى الظالم لنفسه ، العاصي لربه ، المثلم لدينه (٢) ، المبخوس من حظّ دينه وآخرته . سلام على كل منيب ، مستجيب من قريب .

أما بعد فإن مثلك مثل البقرة تُثير المدينة بقرّنها ، والنملة يكون حتفها في جناحها ، وستعلم ، هبلتك (٣) الهوايل ، أيها الأخرق الجاهل الذي نثى عن الحق عطفه ، واغترّ بضجيج المواكب خلفه ، أي مورد هاككة سلكت ، إذ على الله جل اسمه تمرّدت ، فإنه تعالى قد ضرب لك (مثلاً قريةً كانت امنة مطمئنة يأتونها رزقها رعداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس

(١) عارضنا هذه الرسالة على رواية صبح الأُعشى وقد جاءت فيه بطولته ، وقال القلقشندي :

إيها من قلم ابن عبدكان من كتاب الدولة الطولونية . (٢) في الصبح : الملم بذنبه

(٣) هبلته أمته تهبه هبلاً : كتمته وهبلتهم الهبول أي شككهم الشكول وهي بفتح الهاء من النساء

التي لا يبقى لها ولد . والشكل بضم التاء : فقد الولد .

الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ^(١) . واعلم أن البلاء
 بأذن الله قد أظلك ، والمكروه قد أحاط بك ، والعساكر قد
 أتمت كالسيل في الليل ، توذنتك بحرب وويل ، فإني لأقسم ،
 وأرجو ألا أجور وأظلم ، ألا أنثني عنك عناناً ، ولا أوثر على شأنك
 شأناً ، فلا نتوكلُ ذروةً أو تليجُ بطن واد ، إلا تبعتك وطلبتك ، حيث
 يمت وسلكت ، حتى تستمر من عيشك ما استحليت ، وتستدفع من
 البلايا ما استدعيت ، حتى لا دافع ، بعون الله ، يدفع عنك ، فتعرف
 من قدر الرخاء ما جهلت ، وتود أنك هلكت ، ولم تأت بما إليه
 عجلت ، ولا رأي من أطاف بك من الغواة قبلت . فحينئذ
 يتفرغى^(٢) لك الليل عن صبحه ، ويسفر [لك] الحق عن نصحه ، فتتظن
 بعين لا غشاوة عليها ، وتسمع بأذن لا وقر فيها ، وتعلم أنك كنت
 مستمسكاً بجبل غرور متمادياً ، وسالكاً سبيل ضلال لا تجد له
 هادياً ، من عقوق لا ينام طالبه ، وبغي لا يفوت هاربه ، وتقف على
 سوء رويتك ، وعظيم جريرتك ، في تركك قبول الأمان ، وهو لك
 مبذول وأنت عليه محمود ، واليد عنك كافة والسيف عنك مغمود ،

(١) في صبح الأعرى هذه الزيادة: وإنا كنا نترك إيلنا، ونسبك إلى يوتنا، طامعاً في إيلنا،
 وتاميراً ليلتنا، فلما طال في البغي اتهاكك، وفي عمرة الجهل ارتباكك، ولم نر الموعظة منين
 بكرك، ولا التذكير يقيم أودك، لم تكن لهذه النسبة أهلاً، ولا لإضافتك إيلنا. وضماً ومجلاً،
 بل لا تكفي بأبي العباس إلا تكرهاً، وطامعاً. باز يهب الله منك خلقاً ناله اسمك، وتكفي
 به دونك، ونعدك كنت نسباً مذمياً، ولم تك شيئاً مقضياً، فانظر - ولا نظرك إلى عار
 نسبه تقلدت، وسخط من قبلنا مرضت (٢) تقرى: انشق

فتتلطف ، واللهف غير نافعك ، إلا أن تكون أجبت إليه سريعاً ، وأقبلت نحوه هرعاً ^(١) واعلم أنك لا تقصد موضعاً إلا تلوتك ، ولا تأتي بلداً إلا قفوتك ، ولا تلوذ بعاصم لينجيك ، إلا استعنت بالله عليه وعلى ، فما يجيرك إلا أحد رجلين إما لدين أو لدنيا ، فأما الدين فأنت بحكمه مفارق ، لأنك عاقق مشاقق ، وأما الدنيا فما أحسبه بقي معك من حطام ما سرقته ، مما حملت نفسك على الاستبداد به ، ما يفي بك أكثر تنا ، مع ما وهبه الله جل اسمه لنا من جليل نعمه التي نستوزعه الشكر عليها ، ونرغب إليه في إدامتها ^(٢) . وما دعاني إلى إرفاقك ، والتسهيل

(١) وردت في صبح الأعشى هذه الجملة بعد ذلك : وإن مما زاد في ذنوبك عندي ، ما ورد به كتابك علي بعد تفوذي إلى الفسطاط من التوبيعات والأعالي ، والعداء بالباطيل ، من مصيرك بزعمك إلى إصلاح ما ذكرت أنه فسد علي حتى ملك إلى الإسكندرية ، فأقت بها طول هذه المدة ، واستظهاراً عليك بالحجة ، وقطعاً لمن عصى أن يتعان به معذرة علم بأن الأناة غير صادة ، ولا أنه خالجي شك ولا عارضني ريب في أنك إنما أردت النزوح والاحتيال للهرب ، والنزوع إلى بعض المواضع التي لعل قصدك إياها يوديك ، ولعل مصيرك إليها يكفينيك ، ويبلغ الي أكثر من الإرادة فيك ، لأنك إن شاء الله لا تقصد الخ .

(٢) وهنا زيادة كبيرة في رواية صبح الأعشى منها : وأما ما نبتناه من مصيرك إليا في حشودك وجودك ، ومن دخل في طاعتك ، لإصلاح عملنا ، ومكافحة أعدائنا ، بأمر أظهِروا فيه الصيانة بنا ، فما كان إلا بسبك ، فأصلح أيها الصبي الأخرق أمر نفسك قبل إصلاح عملنا واحزم في أمرك قبل استهلاك الحزم لنا ، فما أحوجنا الله ، ولله الحمد ، إلى نصرتك ومؤازرتك ، ولا اضطررنا إلى التكتير بك على شقاقك ومصيبتك « وما كنت متخذ المضلين عضداً » .

وليت شعري على من تهول بالجنود ، وتمخرق بذكر الجيوش ، ومن هؤلاء المسخرون لك ، الباذلون دماءهم وأرواحهم وأديانهم دونك ؟ دون رزق رزقهم إياه ، ولا عطاء تدره عليهم ، قد علمت إن كان لك تمييز ، أو عندك تحصيل ، كيف كانت حالك في الوقعة التي كانت بناحية أطرابلس ، وكيف خذلك أولياؤك والمرزقة معك حتى هزمت ، فكيف تغتر بينك من الجنود الذين لا اسم لهم معك ، ولا رزق يجري لهم على يدك ؟ فإن كان يدعوهم إلى نصرتك هيبتك والمدارة لك والخوف من سلطانك ، فإنهم ليجذبهم أضعاف ذلك منا ، ووجودهم من البذل الكثير ، والعطاء الجزيل ،

من خناقك طول هذه المدة إلا أمور، منها استضعاف أمرك واحتقاره،
وقلة الاحتفال به واستصغاره، ومنها أنا جعلنا تركك على ما اخترته
عقوبة لك من إياك إلى أقصى البلاد، مبعداً عن الوطن والأهل والراحة
والمهاد، وقد فارقت بلدك، وحرمت أهلك وولدك، ومنها أنا علمنا
يقيناً أن الوحشة دعوتك إلى الانحياز حيث انحزت، فأهلناك
ليسكن نفارك، وقلنا إنك تحن إلينا حنين الولد ذي الحسب،
وتمتوق إلينا توقان ذي الرحم والنسب^(١)، فلم تسمع من وواعظ ولم تعتد
بمحافظة: وأما الآن، وقد اضطررنا إلى الانزعاج نحوك، لاستعمالك
المواربة والمخادعة فيما يجري عليه تدبيرك، فما أنت بموضع للصيانة،
بل حقيق باللعنة والإهانة، فعليك من ولد عاق لعنة الله ولعنة الملاعنين،
والملائكة والناس أجمعين، لا قبل الله لك صرفاً ولا عدلاً، وحاط
بك حيث كنت ولا حاطك حيث توجهت^(٢)، وستعلم أيها المخالف

— عندنا ما لا يمدونه عندك، وإنهم لا حري بخذلك، والميل إلينا دونك، ولو كانوا جميعاً معك ومقيمين على
نصرتك، لرجونا أن يمكن الله منك ومنهم، ويجعل دائرة السوء عليك وعليهم، ويجرينا من عادته في
النصر، وإعزاز الأمر، على ما لم يزل يفضل علينا بأمثاله، ويتطول بأشبهه، فما دعاني إلى...
(١) زاد في صبح الأعشى: فإذ في رقننا بك ما يعطفك إلينا، وفي تأخينا إياك ما يردك علينا،
ولم يسمع منا سامع في خلاء ولا ملائمتنا بك، ولا غصاً منك، ولا قدماً فيك، رقة عليك،
واستقاماً لبد عندك، وتأميلاً لأن يكون الراجع من تلقاء نفسك، والموفق بذلك لرشدك وحظك.
(٢) وهنا جاء في الأصل الذي نقله القلقشندي في صبح الأعشى ما يأتي: فوالله لا نستعملن
لنك في دبر كل صلاة، والدعاء عليك في آناء الليل والنهار، والقدر والآصال، ولا كتبنا
إلى مصر وأجناد الشامات والننور وقسرين والعواصم والجزيرة والحجاز ومكة والمدينة كتباً تقرأ
على منابرنا فيك، بالإنك والبراءة منك، والدلالة على عقوبتك وقطيبتك، يتناقها آخر عن
أول، وأثرها غير عن ماض، وتخلد في بطون الصحائف، وتعملها الركبان، ويتحدث بها
في الآفاق، وتلحن بك بأعقابك عاراً ما اطرد الليل والنهار، واختلف الظلم والأأنوار.

القاطع رحمه العاصي ربه ، أي جنابية على نفسك جنيت ، وأي كبيرة أتيت ، فتندم إن كانت لك روية ، وفيك فضل إنسانية ، وتود أنك لم تكن ولدت ، ولا في الخلق عرفت ، إلا أن ترجع ^(١) رغباً ، وتسرع خاضعاً إلى ما قبلنا ، فنقيم الاستغفار لك مقام اللعن ، والرقعة مقام الغلظة والوهن ، والسلام على من سمع الوعظ فوعاه ، وذُكر بالله فانتقاه .

نقل عريان
العباس

وسير من الإسكندرية إليه العساكر ، وهم بالنفوذ إليه بعدهم ، حتى وافاه الواسطي ، لأنه تهيأت له الحيلة عند انهزام العباس من النفوس فتخلص بذلك ، وعمل الحيلة حتى هرب منه إلى أيه ، فوافاه وقد تمَّ عزمه على الحقوق بالعسكر ، فنعاه وقال له : حاله أصغر من ذلك ، وأنا أكفيك أمره مع بعض قوادك ، والصواب أن ترجع إلى بلدك ، ومقر عزك ، فقبل منه ، وأنفذ الواسطي مع طبارجي وجماعة من وجوه أصحابه ، وطبارجي مؤمراً على الجيش ، وعاد أحمد بن طولون إلى مصر ، فلما قرب طبارجي من العباس خرج إليه مدلاً بنفسه ، ونسي هزيمته في أمسه . فلما التقى العسكران استأمن إلى طبارجي جماعة من وجوه أصحاب العباس فقبلهم ، وخلع عليهم ، وقامت الحرب بينهم على ساق ، وتعارك الفريقان ، فصبر أصحاب العباس الباقون هنيئة ،

(١) في صبح الأعشى : إلا أن ترجع من طاعتنا والإسراع إلى ما قبلنا خاضعاً ذليلاً كما يلزمك فنقيم

حتى دهمهم مالا طاقة لهم به ، ثم ولّوا منهزمين ، لا يلّون على شيء
فذكرت قول البحري :

لما رأوك تبددت آراؤهم وغدا مضارع حدّهم مصروعا
فدعوتهم بظبا الصفيح^(١) إلى الردى فأتوك طرّاً مهطعين خشوعا
حتى ظفرت بعزهم^(٢) فتركته للذلّ جانبه وكان منيعا

فقتل منهم وأسر خلقاً كثيراً ، وولى العباس منهزماً في شردمة من
ظلمانه ، وسرّب طبارجي خلفه الرجال ، وبادر فكتب إلى أبيه كتاب
الفتح ، وكتب بذلك الواسطي نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي هذا وقت غروب الشمس ، من
يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وقد وضعت الحرب أوزارها ،
وأظفر الله جلّ اسمه عبد الأمير ، وجمع أوليائه ، وأيدهم ونصرهم ،
وأحسن معونتهم ، ودمر على الملعون العاق الشاق الغادر العباس ،
وضرب وجهه ، وقتل أكثر الفجرة الذين كانوا معه ، وأمکن من
خلق كثير منهم ، والحمد لله الذي أجرى الأمير أيده الله على عوائده
عنده ، وجعل أوليائه المنصورين ، وحزبه الغالبين ، وأعداءه ومن
عدل عن أمره المقهورين ، حمداً يكون قضاءً لحقه ، وكفاً لإحسانه ،
وامتراءً للمزيد من فضله ، تبارك اسمه وجل ثناؤه .

(١) في ديوان البحري : فدعوتهم بظي السيوف إلى الردى .

(٢) في الديوان يذم بدل برهم وبت مدينة بابل الحرّبي الذي أسره الأفشين وقتله المعتصم

ويمكن أن تكون يدهم واليد الصم

و كنت عند نزولنا المنزل المعروف بدي حى (?) قد أكلتُ أمر
القدمة والساقة والميمنة والميسرة ، وسرنا على تعبئة ، حتى وافينا المنزل
المعروف بدينار الذي كتبت كتابي هذا منه ، وكان اللعين قد وافى
هذا المنزل من أول النهار ، مستعداً بجموعه وحشوده . فلما توافت
الفتتان تسرع إلينا مدلاً بنفسه ، متادياً في غيّه ، فحملت ميمنته على
ميسرتنا ، فأعان الله ، جل اسمه وله الحمد ، الأولياء على فلها ، وحملت
ميسرتنا على ميمنته ، وحملت أنا في أثرها من القلب ، محتسبين واثقين
بنصر الله عز وجل ، متوكلين عليه ، فولى القوم منهزمين ، قد ضرب
الله وجوههم ، ومنح أكتافهم ، وقذف الرعب في قلوبهم ، وأتبعهم
الأولياء يقتلون فيهم ، ويأسرون منهم ، وقبل ذلك ما استأمن إلينا
جماعة من مشهورهم ، كتابي يرد على الأمير أيده الله بأسمائهم ، ولم
يُصب أحداً من الأولياء بحمد الله شيءٌ يكرهه ، ومضى اللعين
على وجهه في نفر يسير من غلانه ، فأتبعته بصيراً وانعج وكنجوراً ،
وهم مدرّكوه بمشيئة الله وعونه ، وفي غدٍ نكتب إلى الأمير أيده
الله بشرح القصة ، وبادرت بكتابي بهذه الجملة ليتعجل الله عز وجل إليه
السرور بما من الله جل اسمه ، ويحمده على ما أولى من إنعامه .»

قال مؤلف هذا الكتاب : وورد الخبر بأن الطائفة التي أنفذها
طبارجي خلف العباس لحقته ، فقتل من غلانه جماعة ، وقبضوا عليه

أسر العباس وحمله
إلى أبيه مقيداً

أسيراً فأتوا به طبارجي ، فقيده وحمله من وقته إلى أبيه ، وأمر بصيراً وانعج وكنجوراً أن يتقدموا به إليه ، وأنفذ كتاباً بالشرح ، فلما وصل إليه الكتاب ، حمد الله كثيراً وتمثل ، وما تمثل بشعر قط :
وَبَعَثَ ^(١) مِنْ وَلَدِ الْأَغْرَمِ مَعْتَبٍ ^(٢) صَقْرًا يَلُوذُ حَمَامَهُ بِالْعَوَسِجِ ^(٣)
فَإِذَا طَبَخَتْ بِنَارِهِ أَنْضَجْتَهَا وَإِذَا طَبَخَتْ بِغَيْرِهَا لَمْ تَنْضِجْ
وَهُوَ الْهَزْبُ ^(٤) إِذَا أَرَادَ فَرِيَسَةً لَمْ يَنْجِهَا مِنْهُ صِيَاخُ الْمَهْجِجِ ^(٥)
ومدَّ طبارجي إلى بركة ، فدخلها وأصلح من حالها ما كان فسد ، واستخلف فيها خليفة ورجع إلى مصر ، وحمل بين يديه الأسرى والروثوس ، ودخل إلى البلد على تعبئة حسنة وترتيب . فلما وافوا بالعباس إلى الجيزة أخرج إليه جميع الجيش ، وذلك في سنة سبع وستين ومائتين ، فلما لقوه زفوه ^(٥) بين أيديهم وأدخلوه البلد في قبة

(١) هذه الايات لعمران بن عصام اوردها في العقد الفريد وقال : إن عبد الملك سأل عن عمران بن عصام فقيل له : قتله الحجاج قال : ولم ؟ قال : لخروجه مع ابن الأئمت قال : ما كان ينبغي له أن يقتله بعد قوله ، وبعث الايات ، وفي البيان والتبيين ان عمران بن عصام العرني كان من الشعراء الخطباء وهو الذي أشار على عبد الملك بجمع اخيه عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك في خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له قال : ولم قتله وبلغه ؟ هلا رعى له قوله فيه ، وذكر الايات الثلاثة والايات في الأصل كثيرة التعريف فأصلحناها من البيان والتبيين والعقد الفريد (٢) معتب هو أحد اجداد الحجاج فهو ابو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب وفي الأصل : معتباً صقراً يكون الخ (٣) في البيان والتبيين : العرفج بدل العوسج (٤) قال في البيان والتبيين : صياح المهجج صياح لطرذ الأسد وزجره . وفي الأصل : وهو الهمام إذا يريد فريسة لم ينجها منه محجج . وهجج (٥) زفوه : أسرعوا به

مكشوفة وهو مقيد، وعليه قرطق ملحم^(١)، وعلى رأسه عمامة^(٢) فشقوا به البلد، حتى إذا وافوا به الثلاثة الأبواب، أمر أبوه بإزالته عن القبة، وأركب بغلاً بإيكاف، وساروا به كذلك حتى إذا بلغ إلى باب الميدان أوقف موضعه في الشمس.

وأدخل بصير وانعج وكنجور وأصحابهم فخلع أبوه عليهم، وأحسن إليهم، وأخرجوا بين يديه، وهو يرى ما فعل بهم من الجليل، وهم مسرورون فرحون، وأمر به إلى حجرة فاعتقل فيها، ولم يزل معتقلاً حتى وافى طبارجي.

عودة الخلة الى
مصر وقتل العباس
رجاله يده وغفو
الأمير عن اثنين

فلما وافى أمر أحمد بن طولون بإخراج الجيش لتلقيه فخرج بأسره وتلقي، ودخل ودخلوا بين يديه في أحسن زي وأجل تعبية، والأسرى بين يديه والرؤوس، فشق البلد حتى وصل إلى الميدان، فلما دخل إلى أحمد بن طولون خلع عليه خلعاً حسناً، وحمل بين يديه أكياساً كثيرة دنانير ودرهم، وحمله على فرس نادر بسرجه ولجامه، وخيل تُقاد بين يديه، وانصرف إلى داره في أجل حال.

وأمر أحمد بن طولون بالأسرى إلى الحبس، وبالرؤوس أن تنصب على القسي ليراها من لم يرها ويشاهدها، ويشاهد منها كل معروف، فيأيس منه من أهله من خفي عنهم أمره. وأمر بأن تبني

(١) القرطق: القباء، والملحم: ضرب من الثياب ليست لحمتها من حرير وبذلك يتميز عن الثياب الدياتج (دوزي) ٢ (٣) كذا في ابن الداية، وفي الاصل: مام.

دكة عظيمة السمك عالية خارج الميدان فبُئيت ، فلما فرغ منها ركب إليها ، وصعد من سلم عمل لها [من] حجارة عظيمة ، ففرش له عليها ، وجلس عليها وحده ، منفرداً من سائر أصحابه ، إلا خواص غلمانه فأول من دعا به فقدم أبو معشر فضربه ثلاثمائة سوط ، وأمر بالعباس فأحضر ، وأوقف بين يديه ، فأمره بأن يقطع يدي أبي معشر ورجليه ، فدفع إليه سيفاً فتقدم فقطع يديه ورجليه ، وألقي من أعلى الدكة إلى الأرض ، فما وصل إلى القرار حتى مات ، ثم قدم إليه المعروف بالمتوف فأمره أيضاً فقطع يديه ورجليه ، ورمى به من أعلى الدكة إلى الأرض ، ثم قدم ابن حدار^(١) الكاتب ، وكان غيظه عليه أشد ، وحقته عليه أعظم ، لأن كتب العباس إليه كانت بإنشائه ، فأمره فقطع يديه ورجليه ورمى به إلى الأرض .

وكان أحمد بن طولون إذا قرأ كتاباً من العباس إليه ، تمرُّ به اللفظة البشعة فيقول : هذا من كلام أبي معشر ، وهذه اللفظة من كلام الشيخ السوء ابن حدار^(١) ، وهذا من كلام فلان ، وهذا من كلام فلان ، لأنه كان يعرف كلام كل واحد منهم ومذاهبهم . ثم ضرب أعناق الباقين من الأسرى ، أعادنا الله من البلاء كله ، إلا رجلين من عليهما بالعفو لحرمة كانت لهما به . أحدهما جعفر بن يار جوخ لأنه كان زوج ابنته ، ولأن أباه كان صاحبه ، فأمر بحبسهما ، ثم أطلقه على أن يطلق ابنته ،

(١) في بعض المصادر : ابن جدار بالجيم بدل الحاء .

ويخرج عن بلده فطَلَّقَهَا ، وخرج فمات بنو احي المَوْصِل ، ورجل يعرف
بابن عبيد ، ذُكِرَ لِأحمد بن طولون أنه خلص ابنه العباس من النفوسِي
بالغرب في وقت محاربتة له ، وأزته لولاه ، ودفعه عنه ، وبذله مجهوده
في محاربتة عنه ، لكان قد أُسِرَ وقتل ، فحفظ له أحمد بن طولون ذلك
في العباس ، فعفا عنه وأطلقه ، وأحسن إليه واصطنعه .

تربيع ابن طولون
لابنه وضربه بيده
مئة مِرَّة

فلما فرغ العباس من قطع أيدي أصحابه^(١) دعا به أبوه فقال له :
قبح الله هذا من رأي وعقل ، ويل لك بهذا العقل وبهذا الرأي
قدَّرت الرياسة ؟ يا ويلك لم لم تجعل العوض من مبادرتك وتسرعك
إلى قطع أيدي أصحابك هؤلاء ، استلقاك بين يدي ، وتضرعك
إليّ ، ومسألتك إياي الصفح عنهم وعنك ، والعفو عن جميعكم ؟

(١) كان العباس من اسخف الناس ، ورت من أيه استبداده وقسوته ، ولم يرث إدارته
وسياسته . روى ابن الداية قال : حدثني أحمد بن يعقوب ، وكان يتولى خراج بركة من قبل أحمد
ابن طولون في الوقت الذي خرج فيه العباس فأقره عليه . قال : ما عاشت رئيساً قط أحرأ على
نفس ونقمة من العباس ، ولا أفسى قلباً عند استرحام منه . ولقد انصرف اليانا من هزيمته ، وقد
تضاعف سوء ظنه ، وندم على تفرطه فيما كان بذله أبوه بركة فأبكى العيون . ولاحظ ثلاثة خدم
صغار يشاورون ، فأمر بالنفرة فبا بهم ، سأل كل واحد منهم عما حاوره صاحبه ، فاختلفت
أقوالهم لصغرهم ، وضعفهم عن الاحاطة بما جرى بينهم ، فأمر بأن تحفر لهم حفيرة ، وألقوا
فيها ، وألقى التراب عليهم وهم احياء وطم الأرض عليهم . وقال لي : لم يكن في داره إلا خادم
يعرف بأبي نصر ، ذهب عني اسمه ، وإني معه ، جالس إذ خرج خادم معه قطن مندوف فقال
للخادم : خذ ، فنجي بالقطن مثل اللحاف ، وقام فثابعد حتى رجع اليّ فقال : والله لا تأخرت عنه
العقوبة على هذه الأفعال السيئة . قلت : وما ذاك ؟ قال : أنكرت على حظي له ما لا يبالي به ،
فلته في هذا القطن ، وأخذ الشمعة بيده فلم يزل يشعلها في جوانبه حتى احترق الخادم واحترق القطن

فكان ذلك أجل لك ، وأعظم لمهلك ، وأكبر لمنزلتك ؟ ونقضني بذلك حقاً من حمل نفسه في طلب مرضاتك ، ومساعدتك على خطة الهلاك فيها ، وقد فارق وطنه وأهله وولده ، وتبعك في هواك ، فجعلت ، يا ويلك ، مجازاته على ما تحمله فيك من المكروه ، قطع يديه ورجليه بيدك ، ثم إيتام ولده وإرمال عياله ، ولكن ما وقفت لما تأتيه فتصونهم عما حل بهم منك منة عليك ، وعزيز علي أن يكون هذا وزنك ، ومقدار عقلك .

فلما تفرق الجمع أمر به فبطح ، وضربه بيده مائة مقرة ، فكان يضربه ودموعه تنحدر ، كأنه [هو] المضرروب ، وأمر باعتقاله في داره !

قال مؤلف هذا الكتاب : وغلب الحسن بن مهاجر على أحمد بن طولون ، فحسن له جمع الأموال ، ومنعه من سماحته ، وجريه على عادات كانت له جميلة ، فقبل رأيه ، وتغيرت سماحته ، واستقصى ابن مهاجر على الناس ، ومنع كل من كان يبسط عليه عائدته ، ويشمله معروفه وفائدته ، وظهر ذلك فأنحرفت عنه القلوب ، وتغيرت له النفوس كما قالت الحكماء : ترك العادات ذنب محسوب .

حدث أحمد بن محمد الواسطي أحمد بن إبراهيم الأطرش بعد وفاة أحمد بن طولون ، وقد اجتمعاً فتفاوضاً أخبراه فقال : فارقت أحمد بن طولون رحمه الله وقت رجوعه إلى مصر من الإسكندرية ، ورجوعي

انتقال طبع ابن
طولون من البذل
إلى البخل

إلى بَرَقَة مع طبارجي للقاء العباس ، وهو أمير نبيل سمح ، واسع الصدر
في العطاء والبذل في أبواب الخير ، على حسب ما رأيتم منه ، وعدت
من بَرَقَة مع طبارجي إليه ، وهو أمير ممسك ، ضيق الصدر بخيل ،
مُطَّرَح لما جرت به عادته ، فتطيرت يشهد الله له بذلك ، لآني ما رأيت
سمحاً قط ولا تُحدّث به انتقل عن سماحته ، ودق نظره في توفير
ماله ، إلا عند حضور منيته .

ولما انقضى أمر العباس ابنه ، وهو كان ابتداء انحلال أمره ، تنكّر
عليه لؤلؤ غلامه ، وكان مُمدّته ، وعليه كان معوّله ، لتتم مشيئة الله
عز وجل فيه بانقضاء عمره ، وزوال ملكه ، كما يجري حكمه جلّ
اسمه على سائر خلقه ، عند انقضاء المدة ، وتكدير المحنة ، وتنغيص
العيش . وإذا أراد الله أمراً أتى بعضه يتلو بعضاً ليؤدب بذلك
المؤمنين . وينبه به المعتبرين ، ويخفف به عن قلوب المتقلبين ، كما
قال بعضهم ^(١) :

تنكر غلام ابن
لولؤن لولؤ .

إِذَا مَا كَسَاكَ الدَّهْرُ سِرّاً بِالصَّحَّةِ وَلَمْ تَخُلْ مِنْ قَوْتٍ بِجَلِّ وَيَعْدُبُ ^(٢)
فَلَا تَغْبِطَنَّ الْمَكْثُرِينَ ^(٣) فَإِنَّهُ عَلَى قَدَرٍ مَا يَكْسُوهُمْ الدَّهْرُ يَسْلُبُ
فلما خلا قلبه من ابنه العباس ، واطمأن بالظفر ، وأمن مما كان
يتخوفه ، تحدّرت عليه الغير من جهة أخرى ، فتنكر عليه لؤلؤ غلامه

(١) البيتان لابن الرومي (٢) في رواية : ويقرب

(٣) في رواية : فلا تغبطن أهل الكثير ، وفي الديوان المترين

الذي كان أقربهم إلى قلبه محلاً ، وأشدّهم مكاناً وزُلْفَى ! رباه صغيراً ، ومدّه كبيراً وكهلاً ، وعلى حسب ذلك سدّه به الثُلْمَة التي خاف منها ، وجعله المحامي والذاب عنها ، فكان دخول الخلل عليه من أوكد احتياطه ، وانحلال مبرمه من أوثق رباطه .

كيس الذهب
وطمع صاحبه

حدث أسامة بن حباب ، وكان مضموماً إلى لؤلؤ ، قال : حمل أحمد بن طولون غلامه لؤلؤاً في خرجته إلى أعماله بديار مضر^(١) ، بما لا يتسمح به لأحد من أولاده ، ولا غيرهم من خاصة أصحابه المخصوصين به ، من مال ومتاع ، وكراع وآلة ، وكل ما يحتاج إليه ومالا يحتاج ، ثم أمر أن ينادى ، ونحن يومئذ معسكرون بمنية^(٢) مال الله ، براءة الذمة من أي رجل من رجال الأمير أبي محمد لؤلؤ دخل إلى المدينة ، وليست معه حجة منه إلا حلّ به غليظ المكروه . قال :

نفقت لي دابة ، فاستأذنت لؤلؤاً في الدخول إلى الفسطاط لأعتاض منها ، فأذن لي ، فأخذت كتابه إلى أحمد بن طولون مولاه ، ودخلت ليلاً ، فأني لسائر إذ تعثر فرسي بشيء ، فنزلت أنظر ،

(١) في تويم البلدان لابي الفداء ان الجزيرة تشتمل على ديار ربيعة وديار مضر وبعض ديار بكر ، وحران مدينة الصابئين تمد من ديار مضر ، والرقة المدينة التي على الفرات تدو كالراقة من ديار مضر أيضاً ، وكذلك الرها وسروج ، وقال البكري في معجم ما استعجم : ان الجزيرة هي الكور التي تلي الشام وهي المعروفة بديار مضر وربيعة وبالجزيرة وهي كورة الرقة وكورة الرها وكورة سروج وكورة حران وكورة شمشاط وكورة حصن منصور وسميت الجزيرة لانها بين الفرات ودجلة مثل الجزيرة وقال : ان ديار ربيعة تضم عدة كور الخ

(٢) لم تعرف هذه البلدة وقد تقدم ذكرها في ص ١٥١ من هذا الكتاب

فأصبحت كيساً فأخذته وركبت ، ووافيت منزلي فنظرت الكيس
 فإذا به مملوءٌ دنانير ، وكانت لي امرأةٌ سالحة ، فحدثتها بخبره ،
 فأحضرت الميزان فوزنت الدنانير ، فكانت سبعمائة دينار ، فقالت لي :
 يا هذا لا تشره نفسك إليه ، فلعله لمن لا يملك غيره ، ولكن عرّف
 به ، وخذ جعلك منه حلالاً موفراً ، يجعل الله لك فيه البركة ،
 فسكنتُ إلى قولها ، فلما أصبحت ، أخفيت شخصي من أن يراني
 أحد ، فيعرف أحمد بن طولون خبري ، فأحتاج أن أقيم الحجة في
 دخولي ، فوجهت إلى صديق لي في ابتياع دابة عوضاً من دابتي .

فبينما أنا كذلك إذ سمعت النداء : « من دلّنا على كيس فيه دنانير ،
 جعله مائة دينار حلالاً طيباً ، وأجره على الله . » فقالت لي زوجتي :
 كيف ترى ؟ مائة دينار حلال خير من سبعمائة حرام ، فقلت للغلام :
 أدخل المنادي ، فدخل ومعه إنسان من التجار ، سياه تدل على أنه
 خشن الطبع ، فقلت للمنادي : أين صاحب الكيس ؟ فقال : هذا
 هو . فقال لي : الكيس عندك ؟ قلت : نعم ، وجدته في الطريق بموضع
 كذا وكذا . قال : هاته ، فأخرجته إليه ، فلما رآه لطم وجهه وقال : ذهب
 مالي ، وصاح : أنا بالله وبالأمير . ثم قال لي : الأمير بيني وبينك ، فخشيت
 أن يسمع أصحاب الأخبار ، فيذهبوا بي إلى أحمد بن طولون . فبادرت
 بالخروج معه اضطراراً وقلت لزوجتي : رضيت ؟ هذا رأيك الحسن ،

ومشورتك الجميلة ، ولكن ليس العجب إلا مني حيث قبلت منك ،
فقال لي : لا تخف فإن الله عز وجل معك .

فحملت الكيس معي ، وأخذت كتاب لؤلؤ إلى أحمد بن طولون
حجة في دخولي . فلما توسطنا الطريق قام إلي أصحاب الأرباع^(١) ،
فأربتهم كتاب لؤلؤ وعرفتهم ذهابي به إلى الأمير . ومضينا حتى
دخلنا إلى أحمد بن طولون فقال لي : ألم تخرج مع لؤلؤ ؟ قلت : نعم
أيد الله الأمير قال : فلم دخلت ؟ فعرفته خبري في دابتي ودفعت
إليه كتاب لؤلؤ فلما قرأه قصصت عليه خبري وخبر الكيس ، وما
كان من الرجل ، فأحضره فقال له : كم كان في كيسك ؟ قال : ألف
دينار . فأمر بإحضار الميزان ووزن الدينارين بين يديه ، فوزنت ،
فكان مبلغها سبعمائة دينار . فأمر بردّها إلى الكيس فقال لي : اقبض
أنت الكيس إليك ، إلى أن يجيئك صاحبه . وقال للرجل : اطلب
أنت كيسك جمع الله عليك . فقال : أيها الأمير الله الله فيّ ، هو
والله كيسي ، فقال له : لو كان كيسك لما ادعيت أكثر منه ، وأمر
بإخراجه فأخرج . وقال لي : امض لشأنك ، فانصرفت بالكيس ،
وابتعت منه الدابة واتسعت . فقالت لي زوجتي : كيف رأيت مشورتني ؟
لو استحقته التاجر لما حرمه الله إياه ، وجعله رزقاً لك . فتركت باقيه
عند زوجتي ، ورجعت إلى لؤلؤ فحدثته بما جرى ، فضحك وأمر لي

بفرس . وكانت هذه الخرجة العظيمة التي بلغ أحمد بن طولون بلؤلؤ
فيها كل مبلغ جليل ، هي التي خفر به فيها واستأمن إلى الموفق .

قال مؤلف هذا الكتاب : كان أحمد بن طولون إذا أنكر على
لؤلؤ شيئاً أوقع بكاتبه محمد بن سليمان ، وقال : هذا منك ليس منه ،
فحمل محمد بن سليمان الخوف من أحمد بن طولون على أن حسن للؤلؤ
حمل جملة من المال في الأعمال ، والاستئمان إلى الموفق ، فمنع عامل
الخراج لؤلؤاً من المال ، واستخف برأي محمد بن سليمان ، حتى أخذ
جميع ما أراد من أموال الأعمال ، فلما حصل له المال قال له محمد بن
سليمان : قد علمت ما فعل بابنه العباس ، وهو أعز الناس عليه ، وقد
تخلصنا منه ، فإن لم تبادر وإلا لم نأمنه ، فأجابه إلى ما أشار به عليه .
فكتب محمد بن سليمان إلى الموفق عن لؤلؤ كتاباً يعرفه رغبته
في المصير إليه ، والتصرف تحت أمره ونهيه ، والدخول في طائته ،
فاستبشر الموفق لذلك ، لما في نفسه من مولاه أحمد بن طولون ، وابتهج
له ، ورأى أن ذلك إحدى الفرص التي ينتهزها ويبادر إليها ، فأجابه
بأحسن جواب ، وأنفذ إليه خلعاً وحملاًناً .

وكانت مع لؤلؤ طائفة من خواص أحمد بن طولون ، فقدّر فيهم
أنهم يساعدونه على ما اختاره ، فلما تبينوا حاله أنكروا ذلك ولم يساعده .
فكان أكثر ما قدروا عليه ، لما خرج الأمر عن أيديهم ، أن تركوه

استئمان لؤلؤ
للموفق وضبط
ابن طولون على
كاتب لؤلؤ

وانصرفوا عنه إلى مولاه بجملة خبره . فلما وردوا عليه وشرحوا له حاله ، وما هو عليه ، تكدر عليه مشربه الذي كان يشربه فيه ، ومرّ مذاقه الذي كان يستحليه ، لنكد الدنيا وأيامها ، كما قال ابن الرومي :
تَذَكَّرْ سَاعَةً أَلْعَقْتَ فِيهَا وَأَنْتَ وَكَيْدُهَا عَسَلًا وَصَبْرًا
لَتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ يُمِيسِي وَيُصْبِحُ طَعْمُهُ حَلْوًا وَمَرًّا
وظن أحمد بن طولون أن المخادعة تمكنه من لؤلؤ ، والملاطفة تنبيهه ، ولم يعلم أن سبب زوال ملكه يكون على يدي محمد بن سليمان لما حقدته عليه من أفعاله به وحققه منه .

فكتب أحمد بن طولون لؤلؤاً [وأرسل إليه] كتاباً يلاينه فيه ،
ويذكره تربيته له ، وما يجب من حقه ، وكان من بعض ألفاظه في
مكاتبتة له قوله : «وقفك الله اطاعته ، وراجع بك إلى ما هو أعود
عليك ديناً ودنيا برحمته ، إنه ليس شيء يبلغه والد شفيق ، ومستصلح
رفيق ، من مواصلة وعظ ، وتنبيه على حظ ، أو دلالة على رشد ،
وحض على سلوك قصد ، إلا وقد بلغنا أقصى نهايته [معك] ، وأبعد غايته
فيك ، ضناً بك وشحاً عليك ، وتأميلاً لمراجعتك ، وما تركنا شيئاً
ظنناه يؤنس وحشتك ، ويرفع محلك ، ويتجاوز به حق حرمتك ،
إلا وقد أتينا منه ، على ما نرجو أن يكون لروعتك مسكناً ، ولنفسك
مؤنساً ومطيباً ، ولك من كل خوف موقباً .

كتاب
ابن طولون لؤلؤ
يذكره ويذكره

«وليس يمنعنا ذلك من تكرير القول عليك ، رجاء أن تصادف
مواعظنا إياك إصغاءً إليها وإصاخة لها ، لينفعك الله عز وجل بها نفعاً
كبيراً ، ويصرف بها عنك شيئاً كثيراً ، وقد تبينت بما كان من
مفارقتك لنا ما قارفته من معصية الله جل اسمه فينا ، وتعرضك لما
تعرضته من سخطه بانحرافك عن طاعتنا ، واختيارك لنفسك ما كنت
عنه غنياً ، وعليه ثقة أميناً ، فانظر هل نلت بذلك فيما بلغت عاجل
دنيا ؟ أو آجل صلاح وجزيل [أجر] ؟ بل قدسعيت في فسادهما ،
ثم تأمل الحال التي أنت عليها ، والحال التي انتقلت عنها ، في أيهما
كنت أرخى بالاً ، وآمن سرباً ، وأروح بدناً وقلباً ، لتعلم أنك
لم توفق في ذلك ، ولم تسدد في اختيارك ، لأن الله عز وجل وكلك
إلى نفسك ، فاستفزك الشيطان وأضلك .

«لقد تبين لك غرور ما أتيت به ، بتبديد شملك بعد اجتماعه ، وانصداع
شعبك بعد الثامه ، واتضح لك ما كنت أحذرك وقوعه ، من قلة
رضا جماعة الأولياء والموالي بك ، واستنكافهم من رياستك ، إذ
زالت عنك شمسنا ، فحرمت هيبتك التي ألبسك الله عز وجل بنا ،
من تنكر [هم] لك وانصرفهم عنك ، وما تنتظر الشرذمة الباقية معك
إلا إمكان الفرصة بثقل ذلك ، محاماة منهم على أديانهم ، ووفاء بأيمانهم ،
فكيف بك إذا صرت إلى العراق بحال مع من لا يدفع عنك
عدواً ، ولا يصرف عنك سوءاً ، وقد فارقت العيش الذي فيه

درجت ، وموطنك الذي منه خرجت ، ومولاك الذي في حجره ربيت ،
وفي نعمته غذيت ، وصرت إلى من لا يرعى فيك إلا^(١) ولا ذمة ،
ولا يوجب لك حقاً ولا حرمة ، بل يجعلك مغنماً ، وفيئاً^(٢) مقسماً ،
يدريك ويميتك ، لا حرصاً عليك بل ليحتوي على مامعك ويستصفيك .
«وقد كتبت إلى أمير المؤمنين وإلى من لعلك تقصده ، أعلمهم أن
المال الذي اختزله من أعمالنا ، هو مما أمرتك بحمله إلى باب السلطان
أعزه الله ، ومبلغه ألف ألف دينار . فأي حجة أبلغ لهم من كتابنا إليهم
أن المال لهم ، ومحمول إليهم ، فهل تكون بعد استنصاف ما معك إلا
بين أمرين ؟ إما أن يردوك علينا ، متقربين بك إلينا ، أو نذل لهم في
ردك إلينا ما لا يروذك عوضاً منه ، فيكون مصيرك إلينا على جهة
اقهر والأسر ما الموت أيسر منه ، أفهذه المنزلة خير لك ، أو مراجعتك
الواجب عليك ؟ وإنابتك إلى ما هو أولى بك ، مما تختاره ويرجع إلى
محصل ، ويؤول إلى معقول ، فيكون مصيرك إلينا بوجه مسفر غير
كاسف ، وقلب مطمئن غير خائف .»

والرسالة طويلة وإنما اقتصرنا على هذا منها .

وكان أحمد بن طولون باقياً له [يصيب] فيما يتخوفه في ظن يظنه
وحدس يحده مما قدمنا ذكره بالمعنى فيه ؛ المنبه على صلاحه ، حتى
إذا بلغ الكتاب أجله انقلبت العين ، وتتابعت المحن .

(١) الإل : العهد (٢) النفي : النتيجة

كشفه الأبرار
من حمام الزاجل

حدث نسيم الخادم قال : كان مولاي إذا خرج إلى نزهة يحب
الولع بقوس البندق^(١) وكانت نزهته حول الجب لا يبعده . فخرج يوماً
إلى النزهة ونزل في مرج حسن ؛ وكان قوس البندق بيده ؛ فمرّ
به حمام طائر فضربه فسقط ؛ وأخذناه فإذا في أصل جناحه رقعة
كالكتاب فإذا فيها : « قد استراح مولاي محمد فخذوا حذركم ؛
وارفعوا كل شيء فقد عصا الأمير لؤلؤ . » فأمر مولاي من وقته
بإحضار خادم كان على مخلفي لؤلؤ فأحضر [وقال له] : من منكم له حمام
هدى ؟ ومن لكم عليل في عسكر لؤلؤ ؟ فقال له : ليس في دارنا
يا مولاي حمام هدى ؛ ولكن لعبيد الله بن سليمان أخي كاتبنا محمد
طيور تسرح ، وقد كان مغموماً بعله أخيه محمد بن سليمان . فأمر
مولاي بالقبض على عبيد الله بن سليمان من ساعته

سمى ابن طولون
لاقتاع الخليفة
أن يقصد مصر
وكتابه إليه

وَأَسْرًا وَجَدَهُ بِلَوْلُؤٍ ؛ وَأَظْهَرَ التَّهَانُونَ بِأَمْرِهِ ، وَفِي قَلْبِهِ مِنْهُ أَحْرَمٌ مِنَ
الْجَمْرِ ، وَأَظْهَرَ أَنَّ غَمَّهُ بِالْمَعْتَمِدِ ، لَمَّا بَانَ لِلنَّاسِ مِنْ غَمِّهِ ، بِمَا يَلْحَقُ
الْمَعْتَمِدَ مِنَ الْمَوْفِقِ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ وَالْمَاهَانَةِ ، وَمَا يَخَافُهُ عَلَيْهِ مِنَ
الْقَتْلِ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْعَهُ فِي أَيْمَانِهِ الْمَوْءُ كِدَّةً عَلَيْهِ فِي عُنُقِهِ بِالْبَيْعَةِ أَنْ
يَغْمُضَ فِي أَمْرِهِ ، وَأَنَّهُ يَرِيدُ الْخُرُوجَ لِنَصْرَتِهِ ، وَلِيَفْكَهَ مِنْ تَلَاعِبِ
أَخِيهِ بِهِ ، وَاسْتِيْلَائِهِ عَلَى الْأُمُورِ دُونَهُ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ فِي خُرُوجِهِ

(١) البندق : واحدها بندقة والجمع بنادق وهي ما يرمى به (مغرب)

أن يبلغ كل مبلغ يصل به إلى القبض على لؤلؤ ، فأنفذ إلى المعتد بالله رسولا خفي الشخص ، رث الهيئة إلا أنه كامل محصل ، وأنفذ إليه معه سفتجة بمائة ألف دينار ، وكتب معه إليه كتاباً هذا منه ، وذلك في سنة ثمان وستين ومائتين :

« قد منعتني الطعام والشراب والنوم خوفاً على أمير المؤمنين من مكروه بلحقه ، مع ماله في عنقي من الأيمان المؤكدة ، وقد اجتمع عندي مائة ألف عنان أنجاد ، وأنا أرى لسيدي أمير المؤمنين الانجذاب إلى مصر ، فإن أمره يرجع بعد الامتحان إلى نهاية العز . ولا يتهاى لأخيه فيه شيء مما يخافه عليه منه في كل لحظة . فإن رأى أمير المؤمنين ، أيده الله ذلك صواباً قدمه إن شاء الله وأظهر الخروج لهذه القصة »

فحدث أحمد بن محمد الواسطي قال : قال لي أحمد بن طولون : أليس الرأي عندك أن أخرج بجميع جيشي وعدتي كلها حتى أنتاش أمير المؤمنين من تلاعب أخيه الموفق به وأنقل كرسي الخلافة إلى مصر ؟ فإن بيعته اتى في عنقي تقتضي هذا له مني . فقلت له : ما تبلغ معرفتي وفهمي الكلام في هذا الباب ، ولكن في محبتك من إن أحضرته واستشرته أشار ، لفهمه ورجحان عقله ، عليك بالصواب ، فقال : ومن هو هذا ؟ فقلت : محمد ^(١) بن إسماعيل بن عمار . فقال لي : صدقت إنه كذلك ، ولولا نفوري منه لخوفي من غوائله ودهائه ، لما كان بحيث هو ، وكان معي في أجل حال ، فأحضرني ، فوجهت من وقتي

استصاح ابن طولون رجلاً عظيماً كان في حبسه

(١) في ابن الداية : أحمد .

فأحضرتة ، فأدخل إليه وهو بحاله التي هو عليها من المُطْبِق ، وعليه قميص غليظ ؛ ولم يكن يلبسه أحد سواه ، وقد اسودَّ من طول دُخان السراج ، وشعره قد طال ، حتى سقط على وجهه ، لمكثه في المُطْبِق ، فاستدناه فدنا قليلاً ، ثم استدناه ثانية فدنا ، وقال : ما أرضى رائحتي للأمير أبده الله

فقال له : « دعوتك لأستشيرك في أمر أردت أن أفعله ، لعلني بجودة رأيك ، وصحة فهمك . فقال له : أين الرأي مني اليوم ، أيها الأمير ، وهذه حالي ؟ فقال له : أنت أوفى رأياً ، وأذكي قلباً ، من أن يختل عليك ما التمسته منك ، أو يعتربك ما يعترني ذوي النقص فقال : يقول الأمير أبده الله ماشاء ، والله جلَّ اسمه الموفق ، فقال له : إن أبا أحمد الموفق قد احتوى على أخيه أمير المؤمنين المعتمد بالله ، ونفذ أمره في كل ما يريد ، وتمكن من إعناته بن ضم إليه أمير المؤمنين من الرجال والجيش الذي استدناه منه لقتال البصري . فلما حصل ذلك له صارت له عدة على أمير المؤمنين ، وقد خفت حنثي في يميني التي له في عنقي ، إن قعدت عنه ، وقد عزمت على الخروج إليه بنفسي وجميع جيشي ، حتى أنصردعوته ، وأنقله اليّ ، فما ترى ؟ » فقال : « إن من الخطر العظيم أولاً خروج الأمير بنفسه ، وجميع جيشه وعُرتَه ، لأن الحرب سجال ، ^(١) والظفر بحسب التوفيق ؛

(١) الحرب بينهم سجال ككتاب أي سجل منهم - على هؤلاء ، وآخر على هؤلاء - وأصله إن المستهين بسجلين من البئر يكون لكل واحد منها سجل أي دلو ملآن ماء . (الباج)

فأخاف أن يلحق الأمير ، وأعيذه بالله ، هزيمة فلا تكون له بعدها
قائمة . ولأن يكون الأمير أيده الله من وراء من يبعث به إلى هذا
الوجه ، وهو مادة له ، أولى من أن ينفذ بنفسه . وبعدهذا فأرى كلام
الأمير كلام من قد لهج من نصرة المعتمد ، وما يريد من رد أمره
إليه ، مما لا يراه له المعتمد ، ولا يعتد به له ، لأنه رجل مشغول
بلهوه ، منهمك في لذاته ، بعزل عن حسن تدبير ، وأن يكفى
على فعل جميل .

« أرأيت أيها الأمير لو انتقل إليك ، وتمت للأمير حمايته من
أخيه ، وأجابك إلى ما دعوته إليه ، أكان له في قصرك دار يسكنها
غير دارك ؟ فأول ما يستعجل الأمير أن ينتقل عن هذه الدار إلى
مالا يقاربها ولا يدانيها ، بل يضيق بمن يحوطه ، بل لا يسع بعضهم ،
ثم يكون الأمير إذا دخلها كبعض الزوار .

« ثم أنت أيها الأمير الآن المتبوع الأمر ، فلا تلبث أن تصير
التابع المأمور ، ولعله أن يكون عنده آثر الناس مله أو مغن أو
نديم ، لا يعسر^(١) غلام الأمير ، وليس له منه منفعة في أمر ، ولا
يحمل عنه شيئاً من ثقل ، ولا يزيد على أن يلبيه ، ويسهل موارد أموره
ومصادرها عليه .

« وأقل ما في هذا الباب اثني أنه إذا دخل الأمير للسلام يكون

(١) لا يبلغ مشاره

قائماً ، وذلك النديم أو المهدي جالساً ، اوضعه منه ، ومنبسطاً إليه .
ولعل هذا إذا شاهده الأمير أخرجه إلى أكثر مما خرج إليه أخوه
الموفق فيه ، ثم لا يأمن الأمير أن يسأله بعض غلمانه في ضيعة من
ضياعه ، أو عمل فيه أخص غلمان الأمير ، فلا تمكنه مخالفته في كل
ما يستدعي منه ، ثم اعتراضات حاشيته في البلد وأصحابه ، وكذلك في
الأعمال ، وطلبهم ما يشق على الأمير ويعظم ، فلا يتهاى له منهم ، فإن
منع أغضب أمير المؤمنين . ثم الأمير بعد هذا غير آمن من أن تحمله
المحافظة ان يسأله استنزالك عن موضعك ، فيجيبه ليكفئته على حال
قد تقدمت له عنده إلى محبته ، ولا يخالف إرادته .

« وحسبك أيها الأمير ، أن تستدعي رجلاً إلى بلدك وملكك ،
فإذا بلغت الغاية القصوى ، وسوغته كل ما كدحت فيه دهرك ،
رأى أن ذلك كله له ومن حاله ، وأن الذي قد بقي معك مما نتجمل
به بين يديه ، له دونك ، وأن إبقاءه لك تفضل عليك .

« إن من إقبال الأمير ما يلحق المعتمد من أخيه ، لأنه يجد بذلك
الحجة على خلافه ، وترك الائتار له ، وإسقاط اسمه والدعوة له
وتأليب^(١) الأولياء عليه ، وفي هذا ما يتهاى له بلوغه من معونة أمير
المؤمنين ، وما يثني أخاه عليه فيعود له إلى إرادته ويزول عنه ما يكرهه ،
وما أحب أيها الأمير إظهار هذا الاجتهاد العظيم في قهر الموفق ،

(١) التأليب : التحريض والافساد وهم عليه ألب وإلب واحد مجتمعون عليه بالظلم والعداوة

ونصرته لأخيه عليه ، أما يتخوف من مثله لقوة يده وكبر أمره
وتكنته ، والذي أرى ، ولرأي الأمير أيده الله فضله ، ألا يفعل
ما إذا فعله جرى الأمر فيه بينه وبين أمير المؤمنين على ما شرحت له ،
مما يخرج الأمير معه إلى أكثر مما خرج أخوه إليه .»

فقال له أحمد بن طولون : حسبك حسبك ، وأمر برده إلى محبسه .

قال أحمد بن محمد الواسطي لأحمد بن طولون : أيها الأمير أكان جزاء
هذا الرجل على هذا الرأي السديد الصحيح الذي قال فيه الحق ومحض
النصيحة ، أن يُردَّ إلى محبسه ؟ قال : نعم ، إني تأملت أمره ، فوجدته
قد نصحني في دنياي ، وغشني في ديني وآخرتي . ثم تأملت رأيه وجودته
وصحته ، وما حضره منه بغير فكر ولا استعداد ، وهو على هذه الحال
الصعبة القبيحة المنفية للحسن ، فضلاً عن غيره ، فكيف لو رأى
نفسه مطلقة ، وهو نافذ الأمر والنهي ، يأكل طيباً ويلبس ليناً ، ويشم
عطراً ، [إذاً] لاستد رأيه ، ولبعد غوره ، وتمكن من عدوه ، بقوة
جيلته ، وحزم رأيه . إن أجهل الأمراء من أعطى مقادته للكتاب
العقلاء ، لأنهم أسد الناس رأياً وأقلهم ديناً ، بل يقبل رأيهم من غير
أن يظهر لهم فيه استصابه !

قال أحمد بن محمد الواسطي : فعجبت من قوله ، وازددت حذراً
له وخوفاً منه ، وكان ابن عمار البائس قد ظن بإخراجه إياه إليه ،
ومشاورته له وما محضه من النصيحة في مشورته ، أن في ذلك فرجه

شمط ابن طولون
حقوق الكتاب
واحتقارهم

وخلاصه ، وانحلال عقده . فلما رَدَّه إلى الحبس أيس مما كان يتوقعه
من الفرج ، وصدع قلبه الغم فمات .

انصراف ابن
طولون إلى الشام
للقاء الخليفة

قال مؤلف هذا الكتاب : وورد كتاب طيفور خليفة أحمد بن
طولون من الحضرة ، يذكر وصول رسول أحمد بن طولون ، وكتابه
إلى المعتمد ، والمال المسفتج^(١) ، وأنه خارج إليه مع المعتمد ، ويذكر
في كتابه أن يتأهب لموافاته إليه كما استدعاه ، فقد تمَّ عزمه على
المسير إليه ، وأنا بين يديه أخدمه إلى أن يصل إليك إن شاء الله .
فلما قرأ أحمد بن طولون كتابه بذلك ، أحضر شيوخ كتابه
وقواده وشيوخ البلد ، وأحضر ابنه أبا الجيش فاستخلفه على البلد ،
وخلف معه جماعة من شيوخ قواده منهم محمد بن أبا وغيره ، ووصاه
باتباع أمرهم ووصاهم به ، وأكد على الجماعة في مراعاة البلد والرعية ،
والمحافظة على ما يكون منه تمام السياسة واستقامة الحال ، وحسن
الأحدوث ، وحذر ابنه من التشاغل بلهو أو بشيء غير ما قلده إياه ،
وخرج إلى الشام ، وحمل معه ابنه العباس مقيداً في قبة ، وهو يُظهِر
في قوله وفعله أن خروجه لنصرة المعتمد ، والكامن في صدره لولؤ
غلامه ، وهو يود أن الأرض طويت له إليه ، أو قذفته بين يديه ،
وهو على غاية من السكابة والغم بأمره ، وكان قد استقر عنده أن الموفق

(١) السفتجة كقراطة ان تعطي مالا لآخر وللآخر مال في بلد المبطي فيوفيه إياه تم ،
فتستفيد أمن الطريق ، وفله السفتجة بالفنح والمال المسفتج المرسل إلى بلد آخر سفتاج

قد أنفذ إليه الخلع ، وأنها قد وصلت إليه ، ولم يتحقق وصوله هو إليه ، فلما بلغ الرملة صحَّ عنده دخول لؤلؤ العراق ، وذلك في آخر سنة ثمان وستين ومائتين .

وكان محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ من أخطر الناس من أحمد بن طولون ، وأشدهم فزعاً منه ، بمقدمات كان يعرفها منه . منها أن أحمد بن طولون كان يؤدب الكاتب كثيراً على ذنب الصاحب ، ومنها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه يكمنس قصره داخله وخارجه بمكنسة في يده ، فلما انتبه طلبه ليبدأ به ، فلخوف لؤلؤ عليه من حال لعلها تأتيه ولم يعلم بالروايات أخفاه وقال : وجهت به في مهم لي وأنا أوجه أحضره ، وأمره بالخروج إلى الشام يتقدمه ^(١) .

(١) روى القاضي التنوخي في الفرج بعد الشدة بإسناد ذكره قال : خرج يوماً محمد بن سليمان إلى ظاهر القسطنطينية فالتقى به السير إلى قبة كانت لأحمد بن طولون يقال لها قبة الهواء . مطلة على النيل وعلى البر ، فجلس فيها ومعه الحسين بن حمدان وجماعة من القواد . ثم قال : الحمد لله الذي بيده الأمر كله يفعل كما يشاء . فقال له الحسين بن حمدان : لا شك أن تجد يدك الحمد لأمر ، قال : نعم وهو عجيب طريف ، ذكرته الساعة ، وهو أني تزعت إلى مصر وأنا في حال رثمة في زي صغار الأتباع ، فضاقت علي الماش بها ، فالتصقت بلؤلؤ الطولوني ، فأجرى علي دنيارين في كل شهر ، وصيرني مشرفاً في اصطبله على كراعته ، فكنت هناك من حيث لا يعرف وجهي جيداً ، ولا أقدم على الوقوف بين يديه . فلما كان بعض الأيام أحضرني فقال : ويحك من أين يعرفك الأمير ؟ يعني أحمد بن طولون . قلت : والله ما رأي قط ، ولا وقعت عينه علي إلا في الطريق ، ولا محلي محل من يتصدى للقائه . قال : دطاني الساعة وهو في قبة الهواء فقال : منك رجل أشقر أشهل يقال له محمد بن سليمان قلت : ما عرفه ، فقال : بل هو في جنبتك ، فأبعده عنك ، فأني رأيت البارحة وفي يده مكنسة يكمنس داري بها ، فتوق ويحك ، ولا تتعرف إلى أحد من حاشيته ، وأمرني على أسري ، فامثلت أمره . ومضت لهذا الحديث شهور . ثم دطاني ثانية فقال : ويحك ، ماذا بليت به منك ، وبلت انت به من هذا الأمير ؟ دطاني بعدة من اصحاب الرسائل فوافيته ، وأنا في غاية الوجيل ، فقال : اليس أمرتك به عرف محمد بن سليمان الأزرق —

قصة الصنم الذي
اجتبه والعامسة
يستقون فيه

وإنما أراد أحمد بن طولون أن يعمل في أمر محمد بن سليمان ، كما
صنع في أمر صنم كان في عين شمس^(١) ، وذلك أنه كان بعين شمس صنم

— الأشر؟ قلت: قد عرفتك يا سيدي اني ما استخدمت من هذه سيده ، ولا وقعت لي عليه
عين ، فقال لي : كذبت ، وهو منك في اصطبك ، فأخرجه عن البلد الساعة ، فاني رأيته في
النوم ايضاً ، وفي يده مكسة وهو يكس بها سائر دوري وحجري ، ونسأل الله الكفاية . فقلت
للؤلؤ : اي ذنب لي يا سيدي في الأعلام ؟ فقال لي : صدقت ، ناستر إلى ان يتناسى الأمير
ذكرك . وكان يجري علي رزقي في كل شهر ، وانا لا اعمل شيئاً .

فلما تمياً من إعاذ لؤلؤ إلى الشام ما تمياً نهضت معه ، ونحلت عنه كتابه ، لما علموا من تغير حاله
عند صاحبه ، وأدناي وقرّبي واجرى علي عشرة دنانير في كل شهر ، وحاملي على دابة ، فلمت
خدمته ولقيته واستخدمت إليه فزادني من بره . ولم ينتبه احمد بن طولون من استيعاش لؤلؤ ،
فكتب له بالرجوع إلى مصر ، فشاورني فأشرت عليه بالانحدار إلى نواحي ديار مصر ، وأخذ كل
ما استخف قلبه من المال ، ولم أترك غاية إلا أتيتها في تضرّيبته وتأليبه ، حتى أوردته مدينة السلام .
ثم تقلبت بي الأحوال في خدمة السلطان وخدمة الدول ، وتوفي احمد بن طولون وحبس ابنه
وقتل ابو الجيش وتولى بعده هارون بن خمارويه بن احمد ، وضم إلي القواد والرجال ، وكان فيهم
لؤلؤ صاحبي ، وكان اصغرهم حالاً ، فلم اقصر في صلاح حاله والإحسان إليه ، ومعرفة حقه .
فلم ادن من الشام حتى تلقاني بدر الحماي مطيعاً ، وتلام طنج بن جف مسرعاً ، وصرت إلى مصر
فلما شارفتها وتبشيران بن احمد بن طولون ومن معه من جند مصر ، قتلوا هارون ، وتولى شيدان
الأمر اياماً ، واتال إلي القواد في الأمان ، ولحق بهم شيدان ، ونحلت الرجال وقطعة من
الفرسان ، واظهروا الخلاف ، فأوقت بهم وافيتهم قتلاً وأسراً ، ودخلت القسطنطينية وحوت
العم والمهج ، واشخصت الطولونية من البلد إلى الحضرة ، حتى لم يبق فيها منهم احد . وصح بذلك
منام احمد بن طولون ، فسبحان الذي ماشا . فعل ، وإياه نسأل خير ما تجري به اقداره ، وان
يختم لنا بخير رحمته ١٠ هـ

قلنا: وقد كان لمحمد بن سليمان الكاتب هـ. إذا اتر عظيم في القضاء على الدولة الطولونية ذكر
القلشندي انه سار بالعساكر من العراق من قبل المستكفي بالله ودخل إلى مصر في سنة اثنتين
وتسعين ومائتين وقد ولي الطولونية عليهم ربيعة بن احمد بن طولون فتسلم البلد منه وخرّب القطائع
وهدم القصر قصر بني طولون وقلع اساسه ، وخرّب موضعه حتى لم يبق له اثر .

(١) يقول العلامة احمد زكي باشا في قاموس الجغرافية القديمة : المطرية وعين شمس جهتان قريبتان
من مصر القاهرة تعرفان عند الفراعنة باسم اون وعند اليونان باسم هيليوپوليس (Héliopolis) .
قلنا : وهما لهدنا حاسرتان زاهرتان .

على مقدار الرجل المعتدل الخلق ، من كدّان^(١) أبيض حسن الصورة ،
يُخَيَّلُ لِمَنْ اسْتَعْرَضَهُ أَنَّهُ يَنْطِقُ . فحَدَّثَ إِبراهيمُ بنُ كاملِ المصوِّر^(٢) أَنَّهُ
وُصِفَ لِأحمدِ بنِ طولونٍ فأحبَّ رؤيته ، فقال له خادم له نصراني ثقة
عنده في جميع أحواله في داره ، يقال له ندوسة : ما أختار [أن] يراه
الأمير أيده الله ، فقال له : ولم ؟ قال : لأنه ما رآه والقط إلا
عزل . فركب إليه في سنة ثمان وخمسين ومائتين فتأمله ، فلما رآه
أحضر القطاعين ، وأمرهم أن يجتثوه من الأرض ، فوضعوا الفؤوس
عليه ، فلم يتركوها منه عضواً صحيحاً على الأرض ، حتى درس وغفا
خياله ، وذرى ما بقي حياله في الصحراء . ثم دعا بندوسة خادمه
فقال له : يا ندوسة من صرف [منا] صاحبه ؟ فقال : أنت أيها الأمير ،
صرف الله عنك كل محذور . وعاش أحمد بن طولون بعده اثنتي عشرة
سنة [أميراً] ، وإنما حمل محمد بن سليمان الخوف منه والحذر على
أن حسن لصاحبه لؤلؤ الذهب عنه إلى الموفق ، لتسلم منه نفسه ،
ويأمن عليها من مكروهه .

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما بلغ أحمد بن طولون إلى دمشق ، موافقاً ابن طولون
دمشق لا تظاير الخليفة
وشاع الخبر بمركة المعتمد إلى مصر ، أقام أحمد بن طولون بدمشق
مترقباً له ، حتى وافاه خبر المعتمد مع رسوله النافذ كان إليه بالمال ،
ينخره بمركته إليه ، وقد فصل من الحضرة ، وأنه يسلك على طريق

(١) الكدّان : حجارة رخوة كالدر . (٢) في ابن الداية : المصري .

البرية إلى مصر ، بن خفّ معه من ثقاته ، فاضطرب أحمد بن طولون لذلك ، وتندم على مكاتبته بما حرّكه على المسير إليه ، وتبين كل ما ذكره له ابن عمار أنه يكون كله ، فقلق لذلك وتصبّر له ، حتى أتى من إقباله ما لم يكن في حسابه ، وبما جرت به عادة الله جل اسمه عنده .

ورد عليه كتاب طيفور خليفته يقول : قد كنت على المسير إليك

ارجاع المعتمد من
شخصه الى الشام

مع أمير المؤمنين المعتمد حتى جرى ما أوجب تأخره ، فتأخرت بتأخره ، وأرجو أن تكون الخيرة للأمر أيده الله في ذلك إن شاء الله . وذلك أنه لما قرأ كتابك ، ووقف على ما دعوته اليه من المسير إلى ناحيتك ، سره ذلك وشكره لك ، وأظهر الخروج إلى النزهة ، وأخرج معه أخاه أبا عيسى وإبراهيم بن مدبر وأحمد بن خاقان وخطار مش وتينك^(١) ، وسار على كتيبة يريد مصر ، فبلغ أخاه أبا أحمد الموفق خبره ، فكتب إلى إسحاق بن كنداج الخزري يعرفه أن أخاه قد خرج قاصداً إلى أحمد بن طولون ، ومتى تم هذا الأمر استولى أحمد بن طولون على أمره ، فلم يكن لكم ولا لأحد منكم مقدار ، ولم يلتق اثنان في عسكر الموالي ، إن صح ذهابه وتمّ إلى ابن طولون يتجنب عن وجه العدو ويتمكن^(٢) من الدخول إلى السلطان ، فيكون ذلك سبباً لزوال دولة بني العباس . ويناشده الله جل وعزّ في كتابه في تجديد العناية في رده ، ووعدته إن ردّ المعتمد أقطعه إقطاعاً

(١) كذا في الطبري وفي الاصل بلا نقط ، وفي ابن الاثير : نيزك .

(٢) في الاصل : وتمكنته وفي الجملة تشويش

واسعاً ، ووصله بالمال الجزيل ، وزاد في رياسته ومملكته . وذلك في جمادى
الأولى سنة تسع وستين ومائتين .

فلما قرأ إسحاق بن كنداج الكتاب حرّكه على ما استدعاه منه
الموفق الحسد لك أيها الأمير ، والطمع فيما وعده به ، ورحل إليه
راغباً راهباً في خيل جريدة في أربعة آلاف غلام ، من نصيبين^(١) إلى
الموصل ، فسأل عن المعتمد ، فقيل له إنه قد رحل عنها في أمس ذلك
اليوم . ووجد له مراكب وحرّاقات وسفينتين . فيها متاعه وحرمه
بموضع يعرف بالدوايب ، ووكل بهم ومنع من سيرهم ، وأمر الموكلين
ألا يطلقوا لأحد من أسباب المعتمد أن يتجاوز الموصل ، وسار حتى
لحق المعتمد بين الموصل والحديثة ، فضرب مضربه دون مضارب
أصحاب المعتمد ، وسار إليه فلم يلقه أحد من أصحاب المعتمد ، حتى
وقف بباب مضربه ، فخرج إليه نحرير الخادم فسلم عليه ، ودخل فاستأذن
له ، وأمره بإدخاله إليه ، فدخل إليه ومعه محمد ابنه وحبشي ووصيف
ابن أخيه وطيب بن صفوان وجماعة من وجوه قواده ، فسلم على المعتمد ،
ووقف بين يديه . فقال له المعتمد : يا إسحاق ، لم منعت الحشم من دخول
الموصل ؟ - لأن الخبر بلغه ، وكان بين يديه يومئذ أحمد بن خاقان
وخطار مش وتينك - فقال : يا أمير المؤمنين ، وما دخول الحشم الموصل ؟
قال : لأني آثرت دخولها . قال : لا والله أيد الله أمير المؤمنين ما إلى ذلك

(١) قال ياقوت : لها مدينة حارة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى النمام . وهي
اليوم اشبة بقرية كبيرة .

سبيل: أخوك في وجه العدو ، عدوك وعدو دولتك ، يقف على زوالك عن مستقرك ، ومدينة آبائك ، فينصرف عن مقاومته ، ويخلي بينه وبين دار ملكك ، وبهذا جاء في كتابه . فقال له المعتمد : أفغلامي أنت أم غلامه ؟ فقال : كلنا يا أمير المؤمنين ظلماتك ، ما أطعت الله ، فإذا عصيته فلا طاعة لك علينا ، فقال له : وما معصيته ؟ فقال : تخليك عن دار ملكك ودار آبائك ، وتركك أخاك ، وهو مجاهد عنك وعن دولتك ، لعدوك ، فتظعن عن مستقرك . وفي هذا عصيان الله عز وجل ، ثم خرج من المضرب ، وخلف أصحابه معه بين يديه .

ووجه إلى المعتمد يقول : إن رأى مولاي أن يبعث إلى أحمد بن خاقان وخطار مش وئينك لنتشاور فيما نحن فيه فعل ، فوجه بهم إليه ، ومعهم إبراهيم بن مدبر ، وسار معهم إلى مضربه ، فلما حصلوا فيه قال لهم : علمتم أنه ما جنى أحد على الإسلام جنابة أعظم من جنابتكم ، قالوا : وكيف ؟ وما هذه الجنابة ؟ فقال : أولها إخراجكم الخليفة في عدة يسيرة ، وهذا هارون الشاري ^(١) في جمع عظيم ما رآه ، فلو علم به لأسره ، فكان قد حصل الخليفة مأسوراً في يدي الشاري ، فكانت تكون فضيحة ليس أعظم منها ، فلولا تحصنكم الساعة في عسكري لكان هذا ، ولقتلتم وذهب الخليفة . وأحضر القيود وقيد الجماعة ، ووجه فقبض على مضاربهم ، بجميع ما كان لهم فيها .

فلما أمسى الليل بعث ابنه محمداً وبابني أخيه في جماعة ليحفظوا المعتمد . رجوع المعتد إلى
سر من رأى
فلما أصبح دخل على المعتمد فسلم عليه وقال له : يا أمير المؤمنين الأمر
مضطرب بناحية أخيك لانزعاجك عن مستقرك ، وما مقام مولاي
ها هنا معنا ؟ فقال له : احلف لي أنك تنحدر معي ولا تسلمني .
فحلف له وانحدر به إلى سر من رأى ، فقال المعتمد في ذلك :
أصبحتُ بمَلِكُنِي من كنتُ أملكه وصارَ بأمرُني جَهراً وبنهائي
وصرتُ في حجره طفلاً يروني أخشاه حقاً كما قد كان يخشاني
فالحمدُ لله شكراً لا شريك له على الذي خصني منه وأولاني^(١)
فلما بلغوا سر من رأى تلقاه أبو العباس بن الموفق وصاعد بن مخلد ،
فسلمه إسحاق إليهما ، وانصرف إلى دار الخليفة ينتظر عودتهم ، فأنزلا
المعتمد دار أبي أحمد بن الخصب التي في طرف الجسر ، ومنع من
نزول الجوسق والمعشوق^(٢) . ووكلا به قائداً في خمسمائة رجل ،
يمنعون أن يدخل إليه أحد . فقال المعتمد للموكل به : ما أنت ؟
قال : أخدم أمير المؤمنين . قال : هذا توكيل مليح .

(١) قال ابن الأثير في الكامل : وكان (أي المعتمد) في خلافته محكوماً عليه قد تحكم
عليه أخوه أبو أحمد الموفق وضيق عليه حتى إنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلثائة دينار فلم يجدها
ذئب الوقت فقال :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلَّ ممتعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذلك شيء في يديه
إليه تجعل الأموال طراً ويمنع بعض ما يجبي إليه
وكان أول الخلفاء انتقل من سر من رأى مذ بنيت ثم لم يعد إليها أحد منهم

(٢) الجوسق : التصروهي فارسية وهو اسم أحد قصور الخلافة ، والمعشوق : اسم قصر عظيم كان
بالجانب الغربي من دجلة قبالة سامراء . عمره المعتمد على الله وعمر قصره آخر يقال له الأحمدي

وعاد أبو العباس بن الموفق ، وصاعد كاتب الموفق إلى إسحاق بن كنداج ، فخلعها عليه خلعاً حسناً ، وركب من دار الخليفة وعليه تاج ووشاح وسيفان ، ولقب بذي السيفين ، و [كل ذلك غرق بالجوهر^(١) ، وعقد له على مصر مكان أحمد بن طولون ، وأقطع ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد ، ومبلغ مالها عشرة آلاف دينار في السنة ، وسلمت إليه نعمهم .

فلما وقف أحمد بن طولون على هذا كله من كتاب صاحبه إليه وتواترت الأخبار أيضاً به ، والكتب إلى سائر الناس ، أقام بدمشق ووجه فأحضر قضاة أعماله ، وفيهم العمري وأبو حازم وبكار بن قتيبة فاستفتاهم في خلع أبي أحمد الموفق ، فكل أفتاه بخلعه إلا بكار^(٢) بن

خلع الموفق في
مدينة دمشق
ووثيقة خ٤١٠

(١) في الطبري : كل ذلك مفسس بالجوهر ، يقال : غرق اللجام بالفضة وأغرقه : حلاه .
(٢) قال التضاعي في تاريخه : كان المعتمد قد سار في جمادى الآخرة سنة تسع وستين ومائتين يريد مصر ، بكتابة جرت بينه وبين أحمد بن طولون في ذلك ، وكان ابن طولون بدمشق ، فلما بلغ الموفق ذلك ، وهو في قتال صاحب الزنج ، أخذ إسحاق بن كنداج فرد المعتمد وسلمه إلى صالح بن محمد فأنزله دار ابن الحبيب بر من رأى وحجر عليه ، ولقب الموفق إسحاق ذا السيفين ، وولاه أعمال ابن طولون ولقب صاعد بن مخلد ذا الوزيرين ، وكتب ابن طولون من دمشق أن الموفق نسكت بيعة المعتمد ، وأمر بجمع القضاة والفقهاء والأشراف ، وسار إلى دمشق فاجتمعوا وخلع الموفق ، وكان الفقهاء أفتوا بخلعه إلا بكار بن قتيبة فإنه قال : أنت أوردت دلمي كتاباً من المعتمد بأن الموفق ولي عهد ، فأورد علي كتاباً منه بخلعه . فقال : هو الآن مطلوب مقهور ، وأنا أيضاً أسبك حتى يرد كتابه بإطلاقك قيده . وبسه ، واسترجع منه ما كان دفعه إليه من جوائز ، فوجدتها في منزله بنحوائهما ستة عشر كيساً . فيها ستة عشر دينار . وسلم ابن طولون القضاء إلى محمد بن شاذان الجوهري وجعله كالخليفة لبكار ، وكان بكار يحدث في السجن من طائفة ، ولم يزل بكار محبوباً ، وابن طولون يخرجها كلما خرج للمظالم وأمر بأن يقام بين يديه إلى أن مرض ابن طولون فأخرجه إلى دار عند مصلى الجنائز القديم اه . وقال ابن —

قتيبة فإنه تلكاً في ذلك ، فتغافل عنه أحمد بن طولون ، وحقدها له في نفسه ، وكتب كتاب الخلع على نسخ ، وأنفذ إلى كل عمل من أعماله نسخة تقرأ على المنبر في جميع أمصاره وتُخلد ، فمن جوامع ذلك .
بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أجمع عليه القضاة والأولياء ووجوه أهل الأمصار ، حين أحضرهم أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين مجلسه ، بمسكركه في مدينة دمشق سنة تسع وستين ومائتين ، وسألهم عما يوجب ما أقدم عليه الناكث أبو أحمد في أمير المؤمنين المعتمد على الله ، من إيقاع الحيل على فض جيوشه ، وتشريد حماته ، بحملهم على السيف مرة وقتلهم بالسهم أخرى ، ثم تخطى ذلك إلى إخافة سرِّبه ، وحمله على الائتار له في كثير مما يوثره ، مما يضع به من منزلته ، وينقص من محله ، فلما كثُر هذا عليه ، وخافه على نفسه ، أجمع على النفوذ إلى أحمد بن طولون للاعتصام به ، إذ هو ثقته وعمدته ، ومن خلص له على التجربة ، بتوقفه عن مكاره الخلفاء قبله ، وأن أبا أحمد لما رأى ذلك خاف أن يظل مأموراً بعد أن كان آمراً ، وكتب إلى إسحاق بن كنداج في قصده ورده ، فشحخص إليه في جمع كثير ، حتى وافاه بين الموصل والحديثة فردّه ، وأمير المؤمنين بناشده الله ، ويذكره به ، ويخوفه مروقه عن الدين ، ونقضه ما أكدته عليه

— عا كر : قال الطحاوي : وكان الأمير أحمد بن طولون من المعرفة بجمته (بحق بكار بقتيبة والميل إليه والتعظيم لقدره على نهاية ، وكان يأتي إليه بمحضرتنا وهو يلبى على الناس الحديث ، على كثرة من كان يحضر مجلسه ، وأمر حاجبه أن لا يقطع مستمليه عن الاستملاء ، عليه ثم يصعد إليه إلى المجلس الذي كان يحدث فيه فيقدم مع الناس فيه ويستم بكار مجلسه وهو حاضر لا يقطع بحضوره إليه .

البيعة ، وإنما قدم عليه وقد فارق الطاعة ، وبرئ من الذمة ، ووجب جهادُه على الأمة ، فلم يُصغِر إلى ذلك ، ولا اُكثِرَ به ، لما جعل له على ما يأتيه من أمره من الحطام ، فشرهت نفسه إليه ، وإلى ما استباحه من مال من أقام على الطاعة ، ووفى بالعهد والذمة ، حتى أدخله سرٌّ من رأى مأسوراً ، وسلمه إلى صاعد بن مخلد فحبسه ووكل به ، ومنع من جميع أهله وولده وشملته ، فأصبح مقبوض اليد ، بعيد الناصر ، يخاف على نفسه آتاء ليله ونهاره ، عرضة لسوء القول وقبيح الفعل . فالأمة في حرج من القعود عن نصرته ، والأولياء في حنث من نقض بيعته ، والسنن دائرة ، والأحكام ضائعة ، والحق منتبذ ، والعدل شارد ، وغير الله عز وجل تنتظر . فرأى كل من حضر خلعه مما كان أمير المؤمنين بتة له من ولاية عهده ، والتبري منه ، والجهاد له ، إذ كان قد منع حقوقاً ثلاثة : أولها حق الإمامة ، والثاني حق الأخوة ، والثالث حق النعمة عليه . وأوقع من حضر من الحكم شهادته عليه وفتياه به ، فكتب بذلك عشر نسخ نسقاً واحداً لا يغير بعضها بعضاً ، وفيها خطوط القضاة ، بما نسخته :

يقول عبيد الله بن محمد العمري القاضي بجندي قنسرين والعواصم
والثغور الشامية ، وجندي حمص ^(١) [وأطاكية] : قد قرئ عليّ

شهادة القضاة على
كتاب الخلع

(١) في تاريخ ابن عساكر : عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو بكر العمري القاضي من أهل المدينة ولي القضاة بجمص وقنسرين وأطاكية والثغور الشامية وقدم دمشق إمام ابن طولون وكان من خلع أبا أحمد الوفي بدمشق

هذا الكتاب ، وهو قولي ، والحق عندي ، والذي أفتيت به ، أما
صح عندي من غدر الناكث المعروف بأبي أحمد ، وتعديه وخروجه
عن طاعة أمير المؤمنين أيده الله ، وأنه قد استوجب بما كان منه ، مما
سمي ، ووصف في هذا الكتاب إسقاط اسمه وخلعه وترك الدعاء له ،
وأنه غير مستحق لإمامة المسلمين ، ولا مأمون عليهم ، ولا موثوق
به في ذلك ، وأشهدت علي وعلى فتياي من أثبت شهادته في هذا
الكتاب . وكتب عبيد الله بن محمد القاضي بخطه ، في يوم الخميس
لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين .
وكتب عبد الحميد : يقول عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي
بدمشق والأردن وفلسطين : قد قرئ علي هذا الكتاب وهو قولي ،
والحق عندي ، وهو الذي أفتيت به ، وقد صح عندي غدر الناكث
المعروف بأبي أحمد ، وتعديه وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين أيده
الله ، وأنه قد استوجب بما كان منه إسقاط اسمه وخلعه ، وكتب بخطه .
وكتب أحمد بن أبي العلاء قاضي ديار مصر بمثل ما كتب به
صاحبه حرفاً بحرف .

وتوقف بكار بن قتيبة في شهادته ، فغضب أحمد بن طولون لأنه
لم يشرح كما شرحوا ، ولا شهد كما شهدوا ، وتوقفه كان موضعه من
الورع والدين ، فكتب : شهد بكار بن قتيبة القاضي بمصر والإسكندرية
ونواحيها على ما سمي ووصف في الكتب من أولها إلى آخرها من

إحسان أمير المؤمنين أيده الله إلى الناكث أبي أحمد بن جعفر المتوكل
على الله وتفضله عليه ، وبما كان من تعديه على أمير المؤمنين ، وأن
الناكث أبا أحمد قد استحق بما كان منه خلعه وترك الدعاء له .
وكتب بكار بن قتيبة بيده .

وأنفذت النسخ ، فكان الخاطب إذا دعا للمعتمد في أعمال أحمد
ابن طولون قال بعد ذلك : اللهم استنقذه ممن أسره وجار عليه
وقصده ، يريد الموفق ، ثم يدعو للمفوض ثم لأحمد بن طولون .
وكتب إلى ابنه أبي الجيش يأمره أن يبعث إلى مكة قائداً جليداً
في عسكر كثيف ، يمنع من أن يُدعى لأبي أحمد على منابر مكة
أو بالموقف أو عرفات ، فأخرج لذلك المعروف بالغنوي وابن السراج
في جيش ضخم ، وأقبل من العراق مع الحاج قائد يعرف بابن
الناعمودي^(١) ، وكان على مكة يومئذ هارون بن محمد العباسي ، فعاون
أهل مكة أهل العراق ، فكانت الهزيمة على المصريين ، فجرى من
ابن السراج كلام كتب به أصحاب الأخبار إلى أحمد بن طولون
فأنكره ، فلما قدم أمر به إلى المطبق^(٢) .

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما بلغ الموفق ما عمله أحمد بن طولون

(١) كذ في ابن الأثير ، وفي الطبري الباعمردي ، وفي الأصل : ماردى

(٢) يقول المؤرخون إن جعفر بن الناعمودي قتل من أصحاب ابن طولون مائتي رجل وانهمزم
الباقون وسلبوا وأخذت أموالهم ، وأخذ جعفر من قائدي ابن طولون نحو مائتي ألف دينار وأمن
المصريين — والمجزارين والمانامين — وكان المصريون فرقوا في هؤلاء مائة ألفاً ليدانومهم — وقرئ
كتاب في المسجد الجامع ببلد ابن طولون ، وسلم الناس وأموال التجار

تلعن الموفى
وأحمد بن طولون
من المنابر

من إسقاط اسمه وترك الدعاء له ، أمر بلعنه على المنابر وخرجت براءة بلعنه إلى سائر الأمصار جميعاً فكانت نسختها :

« إن الله عز وجل قرن بطاعته طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة أولي الأمر ، انتخبهم لإعزاز دينه ، وإقامة معالمه . فقال جل من قائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) فَإِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الْمُبَايِنَ لِمَجَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، المعروف بأحمد بن طولون ، أظهر ما كان منه من معصية وشقاق ، فيما بين أقاصي المغرب إلى أكناف العراق^(١) ، ومرق من الدين ، وخالف أمير المؤمنين ، وأخرب ثغور المسلمين ، وقاتل فيها المجاهدين ، بأهل الفسق الملحدين ، واستباح حريمهم ، وسفك دماءهم ، فلما تبين أمير المؤمنين أمره ، وعرف كفره ، تبرأ منه إلى الله عز وجل ، ولعنه لعناً ظاهراً وأمر بلعنه ليلحقه ذلك من خواص الأولياء وعوام الرعية ، ألهم فالعنه لعناً يفلح حده ، ويقل جنده ، ويتعس حده ، واجعله مثلاً للغابرين ، إذك لا تصلح عمل المفسدين ، يا رب العالمين . »

وكان أحمد بن طولون لما أسقط اسمه والدعوة له على المنابر ، أمر أن يحوا اسمه عن الطرُز التي قد كتبت قبل ذلك ، ولا تُكتب

(١) روى السيوطي أنه كان لابن طولون ما بين رحبة مالك بن طوق إلى أقصى المغرب . ورحبة مالك بن طوق كانت بين الرقة وبنداد على شاطئ الفرات بينها وبين بنداد مائة فرسخ وبينها وبين دمشق ثمانية أيام ومن حلب خمسة أيام

فيما يستأنف ، فلم يبق بمصر ولا بنواحيها ثوب على طرازه اسم الموفق
الإلتقظ ، فلحق الناس في ذلك مشقة .

شراء الشام
يحمسون لا تقاذ
الخليفة من أخيه
وعمل شعراء الشام في حضرة الخليفة أشعاراً كثيرة ، فمن ذلك
ما قاله إسحق بن طريف المخزومي في شعر له طويل .

كيف برجى للعهد من نقض العهـم ولم يرع حرمة الأجداد
ناكث قد أضلّ قوماً أطاعو هـ على نكث بيعة وفساد
أي صوم لنا وأي صلاة وإمام الهدى أسير الأعداي
أي عذر لكم بخذل إمام لابس ثوب خيفة وأضطهاد

وقال عبد الرحمن بن سلامة الشيباني :

هذا الخليفة في فئا أعدائه متذلل لهم أخو أستسلام
متوقع للقتل كل عشية وصباح يوم غد من الأيام
يبكي على أولاده وعياله كبكاء ذات الثكل والأيتام
غدروا به غدر الجحود لكل ما قد كان أولاهم من الإنعام

وقال منصف بن خليفة الهذلي في شعر طويل له :

أمسى الخليفة بعد العز مأسوراً وأصبح اليوم مقهوراً ومجزوناً
لم يرع ذمته أهل العراق ولا حموه حين غدوا لله عاصيناً
سلوا عليه سيوف القدر [مشرعة] لقتله [وأبانوا ما يسروننا
يكلفون ولي الله داهية والله يكرهه فيها ما نجونا

خليفةُ الله مأسورٌ ومضطهدٌ والناسُ في دارِ لهوٍ ما [يبالونا]
وقال النابلسي الضرير من شعر له طويل يخاطب فيه أحمد
ابن طولون :

يا سميَّ النبيِّ لا نسيَّ اللهُ لك الذَّبَّ عن حريمِ النبيِّ
دولةُ الدينِ والخِلافةِ عزَّتْ بك لا بالطريدِ عنها البغيِّ
يعني أبا أحمد الموفق لما ففاه المهتدي فرداه المعتمد

أبزالُ أسمه على الرغمِ من كمالِ مقامِ أمرئِ كريمِ سنيِّ
رامَ ما لن يناله فلقد خافَ وخاب اعتصامه بالخصيِّ
يعني اعتصامه بيازمان الخادم

ولبعداً له و[سحقاً] لإسحاقَ قَ اليهوديِّ دينه الخزريِّ
يعني إسحاق بن كنداج في معاضدته له على المعتمد

وقال محمد بن بشر العنسي :

يا بني الدينِ من مرادٍ وقحطاً نَ وأكفائهم من الأقوامِ
ضارِبوا عن خليفةِ اللهِ بالبيِّضِ وقوموا به قيامَ الكرامِ
حسبكم سبَّةٌ عليكم وعاراً دائماً عيِّه مدي الأيامِ
ما أصاب الإمامَ يومَ ابنِ كندا ج وقد [جدَّ] أمرَ أهلِ الشَّامِ

قال مؤلف هذا الكتاب وتواترت الأخبار من الحضرة إلى التعاق لؤلؤ غلام
أحمد بن طولون بظهور أبي أحمد الموفق على الناجم البصري وأنه ابن طولون بالموفق

قد شارف القبض عليه في آخر سنة تسع وستين ومائتين ، فخرّله ذلك وأقلقه ، وكان الموفق قد أراد لما كان فيه من الفضل والعقل ، وجودة التحصيل ، أن يستشف أمر لؤلؤ في مولاه أحمد ابن طولون ، فقال له : تخرج إليه لتقاتله ، فأمرع الإجابة إلى ذلك ، فنقصه ذلك عنده ، ووضع من عينه ، لأن جميع ما كان يفعله الموفق بأحمد بن طولون ، إنما كان غيره عليه ألا يكون له كما هو لأخيه . وكان يقف على فضله ومجمله فيتأسف ألا يكون له ومعه .

فتقدم الموفق بأن يكتب جريدة بأسماء من شخّص مع لؤلؤ ، وأن تكون عدتهم مائة ألف رجل فارس ورجال . وتقدم سرّاً إلى الكتاب بأن يدافعوا عن ذلك ، فظن لؤلؤ أن الأمر حقاً ، فجدد آتته ، واستبدل بدوابه ، وزاد منها في عدتها ، وشمر ذيله لمحاربة مولاه ، والموفق يتأمل من حاله في كل وقت ما قد عمي لؤلؤ عنه ، ويقدر أنه لا ينتقد عليه قُبْح ما قد عمل على أن يحمل نفسه عليه .

الرجوع عن اللعن
في بلاد الشرق
وبلاد ابن طولون
حدثنا عبد الله بن الفتح عن ابن الداية ، وكانت له من أبي أحمد الموفق منزلة ، قال : لما تأمل الموفق أمر لؤلؤ ، وما عزم عليه في أمر مولاه ، نغصه بعد سروره كان لمحبيته إليه ، فتوقف عن

إنفاذه ، وأمر كاتبه صاعد بن مخلد وجماعة من خاصته بمكاتبة
أحمد بن طولون ، وتوبيخه على المبادرة بخلعه ، وإسقاط اسمه ،
ويقولون : إنه إنما كان يجب أن تفعل ذلك لو رأيت بالخليفة
حادثاً ، فأما ولم يجر إلا منع أمير المؤمنين من فعل شيء آثره ، لو
بلغه لعاد عليه وعلى مملكته ضرر ، فذلك غير منكر يوجب ما تسرعت
إليه ، لأنه ليس قادحاً في يمين ، ولا مُخْرِجاً عن بيعة ، ولا عادلاً
عن طاعة ، وأنت تعلم أن خواص الملوك يردون أمرهم في كثير
مما يحبونه احتياطاً لهم وعليهم ، ولا يخرجون به عن طاعة ، ولا يحنثون
في بيعة ، وأنه قد كان يجب عليك أن تصون نفسك عن سوء
الظن بنا ، في أننا نستجيز أن نحدث في أمير المؤمنين حادثة ، نبرأ
إلى الله الكريم منها ، ويحلفون أن اللعن الذي خرج عن غير إرادة مني
ولا محبة ولا اختيار ، وأني أكاره لما جرى من ذلك ويشيرون عليه
بأن يكاتبني بما يزيل به ما قد وقع بيننا وبينه .

قال : وكتب بما أمرهم به إليه عن أنفسهم ، وحلفوا له على
كراهية الموفق لما جرى من اللعن وغيره ، ويقولون في كتبهم إليه
إن الأحسن بك والأجمل ، لما خصك الله به من الفضل ، والمحل
الجليل ، والمروءة المقرونة بالدين ، أن تكتب إليه تذكر فيه ما أنت
مؤثر له من طاعته ، وما توجبه من حقه ورعايته ، وما يشاكل ذلك
مما أنت بجميل فعلك ووافر تحصيلك ، أهدى إليه إن شاء الله .

وُضِمت الكتب مالا زيادة عليه من استعطافه ، وما يبعثه على
إجابتهم إلى ما حبوه ، وأنفذت إليه بذلك . فلما وصلت إلى
أحمد بن طولون الكتب علم أنهم لم يكتبوا إلا بما اختاره الموفق
وأمرهم به ، فسرّه ذلك وأجاب جماعتهم بقول : إن الموفق أحد
مواليه ، وأنه إنما انحرف عنه لحصره الخليفة ، وأسرّه إياه ،
وأنه لو خلاه مع اختياره ، وأزال عنه الموانع التي ألزمه إياها ،
ولم يخل بينه وبين أمره ونهيه ، وامثل أمره على رسمه كان ، ولم
ينحرف عن طاعته ، ولا عدل عن محبته وإرادته ، لكان كبعض
خدمه ، وأن جميع ما في يده من مال عمله محفوظ للخليفة ، وإن أقام
على ما هو عليه من حصره إياه في يده وتو كيله به ، حاربت عنه ولو لم
يبق معي أحد ، فإني أرجو أن أرزق الشهادة على حسن الطاعة .

وكانت الكتب قد وردت عليه سرّاً فأنفذ الجواب عنها سرّاً .
فلما وصلت إلى الموفق ، ووقف عليها سرّاً ما تضمنته ، واستحسن
هذا الفعل من أحمد بن طولون ، وأن ذلك منه إنما هو عن إرادة
قوية في طاعتهم ، ونية صحيحة في موالاتهم ، وكان الموفق كامل
العقل ، متمكناً من نفسه ، حسن المعرفة ، ذكيّ الروح ، فسكّن
ذلك منه ما كان في نفسه على أحمد بن طولون ، وأمال قلبه إليه ،
في كليته ، وأيس من أن أحمد بن طولون يتخلى عن القيام بأمر
المعتمد ، ففعل للمعتمد كل ما اختاره ، ونقله إلى قصره ، وبلغ له كل

ما يجبه ، وأزال الموكنين عنه والتشديد عليه ، فأضرب عن كل
ما قد عزم عليه في أمره ، كل ذلك [رعاية] لأحمد بن طولون ،
ولكبره في نفسه وحاله وقوة يده ، وفضله في قلبه ، وامثل كل
ما رسمه في كتبه وزيادة عليه رضاً له ، وراسل الموفق المعتمد يقول له
ما اختار لعنه وإنه لنادم عليه ، وعلى كل ما جرى في أمره ،
وشكر له حسن محافظته عليه ، وحسن طاعته له ، وسأله مكانته
بما يزول به ما بينهما . فسر المعتمد هذا من أخيه الموفق

وكتب إلى أحمد بن طولون كتاباً بخطه يسأله الرجوع عما
هو عليه لأبي أحمد الموفق ، ويعرفه ما جرى في أمره ، وما فعله
ورجع عنه ، ويشكره على ما كان منه ، حتى عاد له الأمر كما أحب .
ويسأله أن يرد الدعوة له على المنابر ، وإعادة اسمه إلى الطرز ،
وبعود إلى ما كان عليه من استقامة الحال ، وأنفذ الكتاب إليه
مع الحسن بن عطف ، وأنفذ معه كتاب الموفق بخطه ، بإسقاط
اللعن عن أحمد بن طولون ، فلما بلغ الحسن بن عطف الرقة بلغته وفاة
أحمد بن طولون فرجع إلى الحضرة .

وكان قد اتصل بلؤلؤ غلامه أن مولاه قد باع نساءه وأولاده
في سوق الرقيق بمصر ، وقبض على جميع ما كان له في داره ، فبلغ ذلك
منه كل مبلغ ، وأقبل إلى الموفق فبكى بين يديه وقبل الأرض ،
وتمصيل الخارجي
والربيع عليه

وَعَرَفَهُ مَا بَلَّغَهُ عَنْ حَرَمِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَسَأَلَهُ إِنْفَازَ الْجِيُوشِ مَعَهُ عَلَى مَا كَانَ عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَضَمَّنَ لَهُ أَنَّهُ الْمَجْهُودُ فِي طَاعَتِهِ ، حَتَّى يَأْخُذَ لَهُ الْبَلَدَ ، وَبَسِطَ أَسَانَهُ فِي مَوْلَاهُ ، وَلَمْ يَدْعُ شَيْئاً يُغَيِّرِي بِهِ الْمَوْفِقَ وَيُوحِشَ بِهِ قَلْبَهُ عَلَى مَوْلَاهُ حَتَّى نَقَلَهُ ، فَوَعَدَهُ الْمَوْفِقُ بِإِنْفَازِ الْجِيُوشِ مَعَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَحَمَلَ عَلَى دَابَّةٍ مِنْ دَوَابِهِ ، وَتَقَدَّمَ ، إِلَى الْكِتَابِ بِتَجْرِيدِ الْجِيُوشِ مَعَهُ . كُلُّ ذَلِكَ سَخْرِيَّةٌ بِهِ وَمَدَافِعَةٌ ، إِلَى أَنْ يَرِدَ الْجَوَابُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ عَطَافٍ ، فَيَقْبِضُ حِينَئِذٍ عَلَى لَوْلُو رِضَاً لِأَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ لَمَّا شَاهَدَهُ مِنَ انْحِرَافِهِ عَنْ مَوْلَاهُ ، وَقَبِيحِ فِعْلِهِ بِمَنْ رَبَاهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ هَذَا الْفِعْلُ مِنَ الْمَوْفِقِ لَمَّا فِيهِ مِنَ الْعَقْلِ وَالرِّيَاسَةِ وَالْمَرْوَةِ ، وَعَمَلَ عَلَى أَنْ يُوَكَّلَ بِهِ وَيُرَدَّ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ عِنْدَ وَرُودِ جَوَابِهِ عَلَيْهِ .

قال مؤلف هذا الكتاب : و [ما] كان فعل لؤلؤ في أمر مولاة كنفعل الخارجي في الحجاج بن يوسف ، على أن رأي الخوارج في الحجاج وغيره من الولاة معروف . حدث مروان بن الحكم الأردني قال : أتني الحجاج بن يوسف بخارجي خرج عليه فقال : اضرَبوا عنق ابن الفاعلة ^(١) ، فقال له الخارجي : بئسما أدبك أهلك يا حجاج ، أبعَد الموت منزلة أصانِعك لها ؟ ما كان يؤمنك أن ألقاك بمثل ما لقيتني به ؟ فقال له الحجاج : صدقت لله درك ، وأطلقه . فرجع الخارجي إلى [أهله] ، فلما كان بعد وقت من الزمان ، عزم الخوارج على قتال

(١) في زهر الآداب : ابن الفاعلة

الحجاج ، فقالوا لذلك الخارجي : ارجع معنا إلى قتال الحجاج ابن
 الفاعلة ، فوالله ما أطلقك هو بل الله عز وجل الذي أطلقك ، فقال
 لهم : هيهات غلّ بدأ مطّلقها ، واسترقّ نفساً معتقها^(١) وأنشأ يقول^(٢) :
 أأقاتل الحجاج عن ملكوته^(٣) بيدٍ نُقِرُ بأنها مولاته
 [إني إذا لأخو الدناءة والذي عفت على عرفانه جهلاته]
 ماذا أقول إذا وقفت حياءه في الصفِّ واحتجت له فعلاته
 وتحدث الأقوام أن صنيعه غرست لديّ فحنظلت نخلاته
 أأقول جارٍ عليّ ؟ إني فيكم لأحقُّ من جارت عليه ولاته
 والله لا خنتُ الأميرَ بالة وجوارحي وسلاحها آلاته
 أجد الخزاية أن أكون مصعراً خديّ أو مكفورة حسناته^(٤)

فهذا على أنه خارجي لا عهد له ولا عقد ، شكر الحجاج على ما
 فعله في أمره ، وما من به عليه ، فمنعه ذلك من الإساءة إليه والعودة
 إلى ما يبكره ، ولؤلؤ كفر أبيادي مولاه ، وإحسانه إليه ،
 وإنعامه عنده ، ولم يشكر شيئاً منها ولا رعاه ، وقد منّ عليه
 بالأموال ، وصير له الجاه العظيم ، بعد أن رباه صغيراً في حجره
 كأحد ولده ، وأوطأ عقبه^(٥) الرجال كثيراً . وأمره على من هو خير

(١) في أمثال البيداني : واسترقّ رقبة معتقها ، قال : وهو منل يضرب لمن يستعبد بالاحسان إليه .
 (٢) صححت هذه الايات على تاريخ ابن عساكر وعلى زهر الآداب للعصري . وفي ابن
 عساكر زيادة بيت غير مفهوم . وقيل إن هذه الايات لعمران بن حطان أحد رؤساء الخوارج البلقاء .
 (٣) في ابن عساكر وزهر الآداب : عن سلطانه
 (٤) ليس هذا البيت في ابن عساكر ولا الزهر وهو في الاصل :
 اح الحراه أن أكون مصعراً حدى او لعداه كأمراً حسابه
 (٥) أي كثر أتباعه

منه أماً وأباً وحالاً ومحلاً ، لثمان بين الرجلين ، والحديث شجون .
قال المنصور للربيع حاجبه ومولاه ، وإنما ملكه كبيراً ، وقدمه
واصطفاه رجلاً : يا ربيع ، سل حاجتك ، فلقد سكت حتى نطقت ،
وخففت حتى ثقلت ، وقللت حتى كثرت . فقال : والله يا أمير
المؤمنين ما أرهب بملك ، ولا أستقصر عمرك ، ولا أغنم مالك ،
وإن يومي بفضلك عليّ لأحسن من أمسي ، وغدي في تأمليك
أحسن من يومي ، فلو جاز أن يشكرك شاكر بعين الخدمة والمناصحة
لما سبقتني إلى ذلك أحد . فقال له : صدقت عليّ بذلك أحلك مني
هذا المحل ، فسل حاجتك ، فإني أقسم عليك لتفعلن ، فسأله أشياء
فوقع له بها وبجائزة حسنة .

وما يشك في أن لؤلؤاً قد وصل إليه من مال صاحبه أكثر
مما وصل إلى الربيع ، لأن المنصور كان رجلاً متقللاً قنوعاً ، فكان
في عطائه على قدر ذلك . ثم ازدادت حال الربيع حتى قلده وزارته
بلزومه مناصحته .

قال : ونزلت حال لؤلؤ عند الموفق بيفيه الوبي ، وأصله الدني ،
وفعله الردي ، حتى قبض عليه ، وأخذ جميع ما كان في يديه ،
فلما صيره ظرفاً فارغاً ، أطلقه كلباً والغا ،^(١) كل ذلك كان

(١) ولغ الكلب في الأنا . وفي الشراب ومنه وبه ، بلغ كيب وبالغ وولغ كورث ووجل
ولغا ويضم وولوغاً وولغاناً محرّكة شرب ما فيه بأطراف لسانه أو أدخل لسانه فيه فحرّكه .

من الموفق غيظاً عليه ، لما شاهده منه في أمر مولاه .
ولعمّدي بلولو في آخر أيام هارون بن أبي الجيش خمارويه ،
وقد دخل إلى الفسطاط فما رأوه إنساناً ، ولا أولوه إحساناً ، ومنعوه
أن يلبس سيفاً ومنطقة ، فكان ير كب بدراعة ، و غلام واحد
بين يديه ، كأنه من بعض وكلاء الريف ، فكان ما نزل به ثمرة
العقل السخيف ، والفعل القبيح



سبب موت احمد بن طولون ولكل أجل كتاب

قال مؤلف هذا الكتاب: أول ذلك أن يازمان الخادم ، لما
 خلا ذرعه بوفاة موسى أخي أحمد بن طولون وإبراهيم بن عبد الوهاب
 اليتيم ، تمكن من طرسوس وخت له ، [فتار به خلف] ^(١) وكان
 قد استمال طائفة من مطوّعيها ، فوثبهم على خليفة طخشي الذي استخلفه
 موسى عليها ، لما حضرته الوفاة فأخرجوه عنها ، واتصل خبره بأحمد
 ابن طولون ، وهو يومئذ بدمشق ، وخاف التدبير عليه ، فسلك
 طريقاً متجانفة ، ووجه إلى المخايض والقناطر بمن يمنع منها أن تقع
 عليه حيلة فيها ، حتى بلغ المصيصة ^(٢) فأقام بها ، وكاتب يازمان وراسله
 بالشيوخ يدعو إلى الطاعة وترك المشاقّة ، والانتقاد إلى أمره ،

ما جرى لابن
 طولون مع يازمان
 ورجوعه منبسطاً
 محقاً

(١) تتجلى هذه الحادثة بما أورده الطبري في حوادث سنة ٢٦٩ قال: وفيها كان وثوب خلف صاحب أحمد
 ابن طولون في شهر ربيع الأول منها بالثغور الشامية وهو عامل عليها يازمان الخادم مولى الفتح (مفلح)
 ابن خاقان فحبسه ، فوثبت جماعة من أهل الثغر بخلف وخلصوا يازمان ، وهرب خاف ، وتركوا
 الدعا لابن طولون واعنوه على المنابر ، فبلغ ذلك ابن طولون فخرج من مصر حتى صار إلى
 الشام ، ثم صار إلى الثغور الشامية فنزل أذنة ، وسد يازمان وأهل طرسوس أبوابها ، خلا باب
 المهاد وباب البحر ، وبقوا الماء فجرى إلى قرب أذنة وما حولها ، ففتحوا بها ، فأقام ابن طولون
 بأذنة ثم انصرف ، فرجع إلى انطاكية ثم مضى إلى حمص ثم إلى دمشق فأقام بها

(٢) المصيصة: من بلاد الثغور تسميها الترك اليوم سيس والافرنج (Mopsueste) ويقول
 البكري في معجم ما استعجم: المصيصة بكسر أوله وتشديد ثانيه بده ياء ثم صاد أخرى مهملة:
 تمر من ثغور الشام معروف . قال أبو حاتم قال الأصمعي: ولا تقل مصيصة بفتح أوله

ويبذل له الأمان ، ويُخيره بين الخروج منها سالماً مسلماً مرفوراً ،
وميت أسباب الشر والمহারبة ، أو يقيم عليها غلاماً من غلامه من قبله ،
فلم يجبه إلى واحد منهما . فدخل إلى أذنة ^(١) ، وكتبه أيضاً منها
فلم يجبه ، فزحف إليه فوجده قد تحصن بها ، ونصب منجنيقاته
وعرّاداته ^(٢) على سورها ، فنزل أحمد بن طولون بمرجها ، وأحاطت
عساكره بجيطنها ، ففجر يازمان عليهم نهر البردان ^(٣) ، وكان ذلك
في كانون الأول ، وأوان شدة البرد والمطر . فكاد أن يغرق أكثر
عسكر أحمد بن طولون ، فرحل عنها ليلاً بعد أن غرق المرج وما
حول مدينة طرسوس ، وغرقت المضارب والحميم ، وكل ما كان في
العسكر ، فلم يتهياً له مقام ساعة واحدة ، ووافى إلى أذنة فكتب
إليه كتاباً يقول فيه :

أما والله أيها الناقص الأندل ^(٤) ، لولا [إرادة] إبقائي على ثغور
المسلمين ، وكراهتي أن أفتح عليها للعدو معرفة تكون سبباً
لهلاكها ، لعلمت أن مثلك لا يقاوم غلاماً من غلامي ولا يعشُرُه ، فلما
انتصرت بما فتحتة فغرقت به ما لا يمكن دفعه إلا بما فيه هلاك الثغر

(١) بوزن حسنة بلد من الثغور قرب المصيصة ويقال لها اليوم أظنه وهي حاضرة كيليكيا
(Cilicie) من الكور الكبرى في آسيا الصغرى

(٢) العرادة بالشديد : شيء أصغر من المنجنيق شبيهه والجمع العرادات والمنجنيق وتكسر الميم :
آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنيق والجمع منجنيقات ومجائق ومجانيق

(٣) اسم هذا النهر اليوم قرصو اي النهر الأسود والفرنجية Cydnus

(٤) التذلل والتذليل الحسيس من الناس والمهتر في جميع أحواله والجمع أنذال ونذول ونذلاء ونذال

انصرفت كافاً يدي ، محافظاً لله عز وجل ولجماعة ساكني الثغر ،
لا محافظة لك ولا عجزاً عن حملتك الضعيفة والسلاح .
وأصبح أحداث طرسوس في حوا (?) إلى ما غرق من الآلات
التي زدعتها أهلها لما غرقت بالماء فنهبوها

وانصرف أحمد بن طولون عن يازمان ، بغيظ عظيم ، قد تمكن
في قلبه منه ، إن شفاه أهلك ثغور المسلمين وبلغ منيته ، فرأى أن
كظمه ، وتحمل غيظه لما كان فيه من الدين والخير ، أعود عليه في آخرته .
وطال مقامه بأذنة ، وكان ذلك في عنفوان اشتداد البرد كما
ذكرنا متقدماً ، فمات من سودانه خلق كثير ، لأنهم بقوا بطول
مقامهم عراة في البرد . وتساقط من الدواب مثل ذلك من كثرة
الثلوج ، فلما زاد الأمر عليه رحل إلى المصيصة ، فاجتمع إليه
وجوه قواده وكبار أصحابه فقالوا له : لا تبرح أو يزول هذا البرد ،
وتعود إلى يازمان ويمكنك الله جل اسمه منه . فقال لهم : والله لا يراني
الله عز وجل وأنا أجهز جيشاً لمحاربة طرسوس إذ كانت سكن الإسلام .

فأقام بالمصيصة ثلاثة أيام ، وقد نالته علة من البرد ، فلم يبلغ
أنطاكية حتى زادت علته ، وكان بدؤها هيضة : أكل لبن جواميس
فاعتراه بعد الهيضة قذف فأعقبه قي كثير ، فكان بدؤه سبباً صغيراً
كما قال ابن الربيعي :

بدءة ابن طولون
ورحيله الى مصر
وما وقع له مع طبيبه

لا تَحْقِرَنَّ سَيِّبًا كَمْ جَرٌّ شَرًّا سَبَبٌ

وتزايدت علة الدَّرَبِ (١) . وكان طبيبه سعيد بن توفيل (٢) ، فوجده قد خرج إلى بعض الديارات هناك ، فاغتاظ لذلك عليه ، وضاق له صدره ، فزاده الغيظ هَيْضًا ، فلما وافاه طبيبه سعيد أغلظ له القول ، ومنعته عزة نفسه أن يشكو إليه أمره وما ناله ، والعلة تزيد قليلاً قليلاً وتستحكم . ثم دخل إليه طبيبه في الليلة الثانية فاشتم منه رائحة نبيذ ، والنبيذ عند النصارى فهو والله دينهم وعادتهم ، وقال له : لي يومان في هذه العلة وأنت لاهِ شارب وتأتيني متنبذاً فقال له : طلبني الأمير أيده الله بالأمس و كنت في بيعة (٣) يتبرك مثلي بالصلاة فيها ، ويسافر إليها من البلدان البعيدة (٤) ، فلما قربت منها استغنمت ذلك ، فلما جئت لم يخبرني سيدي الأمير بما جرى بعدي ، فقال له : أَمَا كان يجب أن تسألني عن حالي ؟ فقال له : خفت سوء ظن سيدي الأمير ، ولم يجوز أن أسأل أحداً من الحاشية عما لا يعلمون صحته ، وشربي النبيذ فإنما آخذ منه الشيء اليسير ،

(١) الدَّرَب : فساد المعدة

(٢) ذكر ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء أن الحسن بن زيرك كان طبيباً بمصر في أيام

أحمد بن طولون يصحبه في الإقامة فإذا سافر صحبه سعيد بن توفيل

(٣) الغالب أن هذه البيعة هي بيعة القسيان في انطاكية وصفها ابن بطران في القرن الخامس

وصفاً دقيقةً ونقل كلامه ياقوت في مادة انطاكية

(٤) في طبقات الأطباء : قال : يا سيدي طلبني أمس وأنا في بيعة علي ماجرت عادي ،

وحضرت فلم تخبرني

لأننا نأخذه في قرباننا ديناً ، لا أشربه كما يشربه الناس ، وأنا مشغول
بخدمة الأمير . فقال له الأمير : فما الحيلة الآن ؟ قال : تمتنع من الغذاء
الليلة ، فلا تذوق شيئاً قلاً ولا جلاً ، بوجه ولا سبب ، ولو قرمت^(١)
إليه بكل نوع من الشهوة له ، وتتحمل ذلك على كل حال . فقال له :
ويحك فأنا والله الساعة جائع شديد الجوع وما أصبر . فقال له :
الله الله أيها الأمير ، فإن هذا جوع كاذب لبرد معدتك تجده .
فلما كان في نصف الليل اشتد به الجوع فلم يصبر ، وعاد ذلك الحزم
فيه نقصاً ، فدعا بشيء فأكله ، وأتى بطبق فيه فراريج [حارة] مشوية
وخروف وجدي بارد ، فأكل من كل ما رآه ، فلما حصل في معدته
انقطع عنه الإسهال .

قال نسيم الخادم : فلما وقفت على ذلك خرجت إلى سعيد بن
توفيل وهو قائم في الدار فقلت له : قد أكل مولاي الساعة من خروف
وجدي وفراريج وبزماورد^(٢) ودجاج ، فخفف عنه القيام وامتسك .

(١) القرم محرقة : شدة شهوة اللحم وكثر حتى قيل في الشوق إلى الحبيب

(٢) الزماورد : طعام من البيض واللحم وقول العامة بزماورد أصوب لأن فارسيته بزماورد
(الألفاظ الفارسية المرعبة لادي شير) وفي كتاب الطبخ لمحمد بن الحسن الكاتب البغدادي أن
صنعت أن يؤخذ الشواء الحار الذي فتر وهجه ويقطع ويجعل عليه ورق التنعن ويسير من خل خر
وليمون ملح ولب جوز ويرش عليه يسير ماء ورد وبدق بالساطور دقاً ناعماً ولا يزال يسقي
خللاً إلى أن يشربه جيداً ويؤخذ الخبز السميد الطافي الملبب فيخرج لبايه ثم يحمى من ذلك الشواء
حشواً جيداً ويقطم ويل بالما . وينشف ويرش فيه ماء ورد ثم يفرش فيه نعنن طري ويبس فيه بعضه
فوق بعض ويغشى أيضاً بشيء من النعنن ويترك ساعة ويستعمل

فقال : الله المستعان ، والله أمر هو بالغه . ثم قال لي : ضعفت القوة المدافعة بقهر الغذاء لها قليلاً ، وستتحرك حركة شديدة قال : فوالله ما جاء السحر حتى قام أكثر من عشرة مجالس . ورحل عن أنطاكية وعلته تزايد ، إلا أن في قوته احتمالاً لها . ووافى إلى دمشق فأقام بها لتسكن علته .

وكان ابن أبي الساج قد كاتبه ، وعزم على أن يوجه إليه ابنه يكون عنده رهينة بالوفاء ، وإظهار الدعاء له في أعماله بالجزيرة ، فظن أحمد بن طولون أن رأيه فيما أظهره صحيح ، فأنفذ إليه عبد الله ابن الفتح وطبارجي ومعهما الخلع والجوائز والخيل ، على أنه إن وفى بما ذكره ، ودخل في طاعته ، سلما إليه المال والخلع وما حمل إليه ، وثبتا اسم أحمد بن طولون على الجزيرة وأعمالها .

ولما قرب طبارجي من ابن أبي الساج خشي أن يكون ذلك حيلة عليه ، وكان أحمد بن طولون قد تقدم إليهما بالقبض عايه ، فولى هارباً ، فرجع طبارجي وابن الفتح إليه فعرفاه بما فعل فعجب من ذلك . وخاف سعيد بن توفيل عليه من تزايد العملة ، فأشار عليه بالرحيل إلى مصر ، فاستخلف على دمشق ابن دغباش ، وقلد عبد الله بن الفتح الرقعة ، وجعل أنعج على السيارة بينهما ، ورحل على عجلة عملت له موطأة ، يجرها الرجال قليلاً قليلاً ، لأنه لم يتهاى له ركوب بغل ولا قبة ، لئلا تتحرك على ذلك [علته] ، فسار بهذه الحال حتى بلغ

الفرما^(١) ، فشكا إزعاج العجلة أيضاً له ، فركب الماء في المركب
يخبُّ قليلاً قليلاً حتى وافى إلى الفسطاط ، وركب من ساحل
الفسطاط قبة إلى الميدان .

فلم يستقر في داره حيناً حتى أحضر بكار بن قتيبة القاضي
فدأ له عن امتناعه من التصريح كما صنع غيره في أمر الموفق ، وقال
له : لم توقفت عن خلعه ، وقد حصر الخليفة وأسره وقهره واستبد
بالأمر دونه ، أمثل هذا لا يخلع ؟ ويؤمر على المسلمين لمخالفته رب
العالمين ، فقال له بكار : أنت أوردت عليّ كتاباً من الخليفة المعتمد
بتوليته العهد ، فلوأوردت عليّ كتاباً من الخليفة المعتمد أنه قد [خلعه]
خلعته ، وأما بخلعك أنت له أخلعه أنا لا يجوز لي غير ما عملته ، إذ لم يجوز
لي أن أقبل الأمر بنصه . فقال له : صدقت ، أتيتك لعمرى بكتاب
منه بتقليده العهد وهو مطاع القول ، وهو اليوم محصور مأسور
مضيق عليه ، قد نكثَ عهده من قلده إياه ، ولم يُجازِه على جميل
فعله به ، واستبد بالأمر دونه ، وحصره وقهره ، فوجب بذلك على المسلمين
خلعه . فقال له بكار : ما أقول في هذا شيئاً إلا بحجة أثبتها . فقال
له أحمد بن طولون : أنت شيخ قد خرفت ، ونقص عقلك ، وأعجبك

تويخه للقاضي
بكار لامتناعه
عن خلع الموفق

(١) الفرما : على ساحل بحر الروم وهي قبة الجفار على فرسخ من البحر عامرة أهلة عليها
حصن ولها أسواق حسنة (قاله المقدسي) وهي اليوم خراب . وفي معجم ما استعجم : الفرما بفتح
اوله وثانيه ممدود على وزن فداء وقد تقصر مدينة معروفة تقاء مصر . والجفار واحدها الجفر
(بفتح الجيم وإسكان الفاء) البثر ليست ببطوية .

قول الناس « بكار وبكار » فدعاك ذلك إلى أن خرجت عن جملة من شهد بأنه مستحق للخلع ، وخرج عن طاعة أمير المؤمنين من فيه الخير والدين ، ثم أقامه للناس في الميدان ، وأمر بتحريق سواده فحرق ، وحبسه في داره . فكان بكار في كل جمعة يلبس ثيابه وطولته^(١) ويخرج إلى باب الدار التي هو معتقل فيها ، يريد الجامع لصلوة الجمعة ، فيقول له الموكلون : ما إلى الخروج ، أيها القاضي ، سبيل ، إلا أن نؤمّر . فيقول لهم : الله شهيد على أني أرجع إليكم ، فيقولون له : ما إلى ذلك سبيل . فيقول : اللهم اشهد ، اللهم اشهد . ويرجع . فرفع ذلك إلى أحمد بن طولون فأرسل إليه يقول : زعمت أن المحجور عليه يأمر وينهي ويكتب ويكتب ، فكيف حال الممنوع ؟ فما تريد أنت أيضاً ؟ أوردت عليّ كتاباً من الخليفة بتقليدك القضاء فأنفذت ذلك لك ، والآن فقد منعتك ، فتورد عليّ كتابه بردك حتى أردك . فأقام في الحبس مذ قدمته الأولى من الشام إلى عودته الثانية منها

وتفرغ [أحمد بن طولون] لأشياء كانت في نفسه ، فمنها هرثمة صاحب عقوبة من استصغر أمره وزهد في تجارة كانوا حسنوها له دار هرثمة ، أوقع به واصطفاه جميع ما ملكه وحبسه ، لأنه كان رُفِعَ إليه أنه قال : توهمنا أننا نخدم إمارة ، ولم ندر أنها خلافة ، إلا إنها خلافة وسخة مخوفة العاقبة .

(١) أي قلنسوته الطويلة كما صرح بذلك الطبري في حوادث أول سنة ٢٦١ - حيث وصف دخول اللويّ عسكر الموفق فقال : وعليه قباء ديباج وقلنسوة طويلة . وقال الجاحظ في البيان : فلون كانت القلانس مكشوفة زادوا وفي طولها وحدّة رؤوسها . وقال في أخلاق الملوك : كان الحجلاج إذا وضع على رأسه طويلة لم يجترئ أحد من خلق الله أن يدخل على رأسه مثلها .

وإنه اجتاز ببيكار بن قتيبة وقد أقيم للناس فقال له : عز علي ، كفانا
الله وإياك ، فما هذا مقامك ، فحبسه في المطبق حتى مات فيه .
وأوقع بزياد المعدني لأنه بلغه عنه أنه سمع حسن بن مهاجر كاتبه^(١) ،
وقد لحن في لفظة ، فضحك منها . وكان أيضاً القواد كلهم يبغضونه
ويسبونهم لفصاحته وعجمتهم ، ولأن أحمد بن طولون تقدم إليه أن
ينتسب إلى ولائه فقال له : أيها الأمير ! قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : ملعون من انتسب إلى غير مواليه . وجماعة من بالمغرب يشهدون
بعقبي أشهب لي ، فأمسك عنه . وبلغه أيضاً أنه كان يعيب ألفاظ
أحمد بن طولون ويقول : كان أشهب مولاي أسد رأياً ، وأحق
بالرياسة منه ، فحبسه حتى مات في حبسه .

وقبض على أبي الضحاك محبوب بن رجا وأخذ جميع ما كان له
وحبسه في المطبق ، وقال له : أنت كنت السبب في خروج ابني العباس
إلى الغرب بالتضريب^(٢) بينه وبين الواسطي ، وإنفاذك كتب الواسطي
إلى ابني العباس بما كان يطالعني به من أمره ، وأغرخته به ، وملأت
صدره عليه ، لتقتل الواسطي وتنفرد بموضعه

وكان معمر الجوهري قد حسن له التجارة ، فحمل إليه مالا على
أن يشغله له في كتان . فرأى فيما يرى النائم كأنه تمشش^(٣)

(١) في الاصل : كتابه

(٢) التضريب بين القوم : الاغراء

(٣) التمشش : من اطراف العظام

عظماً ، فدعا بالعسال المفسر ، وكان حاذقاً بالعبارة ^(١) ، فقص عليه
مارآه فقال له : أسفت نفس الأمير إلى مكسب لا يشبه خطره ومجله ،
فدعا بإبراهيم بن قراطغان ، وكان من أحد ثقاته ، ويتقلد صدقاته ،
فقال له : امض إلى أبي الحسن معمر ، فخذ منه ثمن الكتان وتصدق
بجميعه ، ففعل ذلك ، وكان مالاً واسعاً .

شكوى طيبه من
استبداده وعدم
سماعه نصائحه

حدث إسحاق بن إبراهيم قال : قلت لسعيد بن توفيل طبيب
أحمد بن طولون ، وقد صار إليّ بعد قدومه بيوم يسلم عليّ ، ويشكو
إليّ ما عاناه من علة أحمد بن طولون ، وكان يخدم أبي وعمي قبله :
ويحك ، أنت حاذق في صناعتك فارِه ^(٢) فيها ، وليس لك عيب
إلا أنك مُدِلُّ بها ، غير خاضع لمن تخدمه بها ، والأمير وإن كان
فصيح اللسان ، هو أعجمي الطبع ، وليس يعرف أسباب الطب ، ومقدار
صناعته ، فتدل فيها عليه ^(٣) فيحتمل ذلك لمقدار محل الطبِّ والحاذق
فيه ، وقد أفسده أيضاً عليك إقباله ، فالطف له وارفق به وداره ،
وخاطبه من حيث يشاء ، واخدمه كما يختار ، وواظب على أمره ،
واحتمل شيئاً إن جرى منه ، فإن احتمالك بثنيه عما لعلك تنكره .
فقال لي : والله ما خدمتي له إلا كخدمة انفار للسنور ، والسخلة

(١) تعبير الرؤيا يقال عبر الرؤيا عبراً وعبارة وعبّرها فسرّها وأخبر بآخر ما يؤل إليه أمرها
والعسال هو ابو علي الحسن بن محمد بن أحمد المصري كان في تفسير الرؤيا عجبا من العجائب وسمع الحديث
توفي سنة ٣٠٢ هـ (أنساب السمعاني) (٢) حاذق . (٣) وفي رواية : فدير نفسه بها ويتقاراك

للذئب ، وحذري منه كحذرهن ، وإن قتلي لأحب اليّ من صحبته ، لأنه يُنكر عليّ مسالاً ينكر ، ويخالف من علاجه ما ينفعه ، ويسارع إلى ما أهدره منه ، وأنهاه عنه ، فإذا حدث ما يكرهه نسبني إلى أني قصرت في علاجه ، وجعل الذئب لي . فقلت له : فأنت على هذا مرحوم ، أعانك الله بلطفه .

محاولة قائد بن
الاعتداء على بلاد
تعد من عمل ابن
طولون

فلما اشتدت علة أحمد بن طولون أرجف إسحاق بن كنداج وابن أبي الساج بموته وأذاعا [ذلك] ، وطمعا في الوثوب على أعماله التي تقرب منها . وبلغ ذلك أحمد بن طولون فكتب إلى أنعج يأمره بالمصير إلى عبد الله بن الفتح ليعاضده ، وكتب إلى ابن دعباش يأمره ببعاضتهما ، إن احتاجا إليه ، ووصاهم بأن تكون كلمتهم واحدة ، وقلوبهم متفقة ، وأمر بمضاربه فأخرجت إلى منية الأصبع^(١) ، وأنفذ إلى الشام جيشاً فيه خاقان ويلقى ، وأقام في مضاربه نحواً من شهر ، ونفذت بذلك الأخبار إلى ابن كنداج وابن أبي الساج فكف ذلك منها طمعها ، ومنعها مما كانا قد عزموا عليه .

وكان أحمد بن طولون إذا جرى ذكر إسحاق بن كنداج يقول :
قال اليهودي كذا ، وفعل اليهودي كذا ، لأن الخزر^(٢) كلهم يهود .

(١) في ياقوت أنها شرقي مصر ، نسوبة إلى الأصبع بن عبد العزيز بن مروان أخي عمر بن عبد العزيز بن مروان . ولم يذكر صاحب المخطوط التوفيقية هذه البلدة في حاضرها ببي وتوسع فقط في الكلام على غايرها .

(٢) في قاموس الجغرافية القديمة : أن بحر الخزر تسميه العرب بحر الخزر (بضمة ففتحة) —

وأضرَّ بأحمد بن طولون مقامه في مَضْرِبِهِ لكثرة الهواء ، فدخل إلى داره وعلته تزيد ، فأحضر الحسن بن زيرك الطبيب ، فشكا إليه سعيد ابن توفيل طبيبه . وكان ابن زيرك هذا حاذقاً أيضاً في صناعته مقدِّماً فيها ، وذكر له توانيهِ في علاجه ، فسَهَّلَ عليه عاتمه ، ووعدَه بالسلامة منها عن قرب ، فأنس إلى هذا القول منه وفرح به ، وخفَّ عليه بالراحة في داره والطمانينة ، وبلاطفة النساء له بالغمز مرة ، وبالهدوء أخرى . ورفقُ النساء بالعليل يحدث راحة ، وكذلك محادثة الصديق المحب ، أو الصاحب المخلص ، واستماع الأخبار والأحاديث ، من جدِّ وهزل ، تحدث سلامة وراحة قوية ، ومرحاً في القلب . فهذا أجلُّ ما استعمله العليل .

فلما حصل لأحمد بن طولون هذوؤه في داره ، واجتماع شمله وسكونه ، تبرك [يقول الحسن] بن زيرك ، فجعل يخلط فيما يأكله مع الحرم ثقةً بقول ابن زيرك ، ويسرَّ عن طبيبه وغيره ما يخلط به على نفسه ، ولا يمتنع من شهوة يوشئها ، لقوة قلبه بقول ابن زيرك الطبيب وما أطمعه فيه . وإنما قصد بذلك أن يكسره عن شكواه إليه طبيبه سعيداً ، فكانت راحته التي وجدها لا أصل لها ، فازدادت عاتمه بتخليطه . وكان قد اشتهى على أمِّ أبي العشائر ابنه سمكاً قريضاً^(١) فأحضرته

— باسم بعض العشائر المتوطنة على ساحله وهي تسمى الخرج بزيادة جيم في آخرها كما هو الشأن في الكلمات الفارسية المعربة . مثل ساذج وفالوذج ولوزنج إلى آخره والمشهور أنهم يهملون الجيم في الطق والكتابة (١) السمك القريس : لغة في القريس وهو الذي طبخ وعمل فيه صباغ (كالخل والزيت) وترك حتى جمد

إياه فأكل منه ، فماتمكن في معدته حيناً حتى تدافع الإسهال عليه ،
وزاد أمره ، فأحضر أطباء البلد كلهم ، وجعل الذنب لهم ، وقال لهم :
أخطأتم في علاجي ، وأرهبهم وأخافهم . وقال للحسن بن زيرك
الطبيب ، وكان قد سقاه دواءً ممسكاً : أحسب أن الذي سقيتني
إياه أمس كان غير صواب ، وكذلك ما أسقيتني اليوم أيضاً .
فقال : والله ما أسقي الأمير إلا ما أجتهد في الصواب فيه ، وأتولى
عجبه وعمله بيدي ، وأعلم أنه علاجه وموافق له ، وكل ما تناوله
الأمير أيده الله أمس واليوم فمحمود ، زائد في القوة الممسكة ،
بُنْهَضْها ويقويها في معدتك وكبدك .

وضاق صدر ابن زيرك من خطابه له ، فقال : يحتاج الأمير أيده
الله ، إلى إحصار جماعة أطباء البلد كلهم ، في غداة كل يوم ، حتى
يجمعوا على المشاورة ، ويتفقوا في أمره على ما يسقونه ، فلا يتناول
إلا ما أشارت به الجماعة ، وانفقت فيه آراؤهم . فضيق هذا القول
صدر أحمد بن طولون فقال : والله لئن لم ينجع في دواؤكم وتدابيركم
لأضربن أعناقكم بأسركم ، فما أنتم إلا ممخرقون ، وعلى الأعلاء متجننون ،
لا يحصل العليل منكم على شيء في الحقيقة .

فانصرف الحسن بن زيرك من بين يديه وهو قلق بكلامه ، [قد
فعل] الخوف منه في قلبه ، وعمل فيه الفكر ، وكان شيخاً كبيراً
فحميت كبده عليه من الغم الشديد ، وقوي عليه الفكر فاختلف

عقله ، فبقي يومه وليلته يهذي بعلّة أحمد بن طولون ، ويورد كلامه له ، وما توّعد به الجماعة ، فأت من الغد ، وطلبه أحمد بن طولون فعرف موته فازداد غمه وقلقه ، وأمر بجمع الأطباء فجمع له أطباء البلد الموصوفون في التقدم في الصناعة والحذق ، وكانوا إذ ذاك متوافرين ، فكانوا يحضرون في كل يوم بين يديه ، ويحضر طبيبه سعيد بن توفيل خشية ما جعله ابن زيرك في نفسه ، فيتشاورون في أمره ، فإذا اتفقوا على صفة لا يشكّون فيها جميعاً ، عملت شربة فيها شربتان ، فيشرب أحدهم نصفها بين يديه ، ويسقى النصف الآخر . كل هذا حتى يزول الشك عنده فيهم ، فكان من يشرب منهم ما لا يحتاج إليه جسمه ضره وأعقبه علة ، فكانوا يحتملون من ذلك أمراً عظيماً .
طول علته .

قال : وكان أحمد بن طولون قد قال لسعيد بن توفيل طبيبه قبل
الطبيب التبع الذي
اختبر للحرم
علته : أريد طبيباً يصلح لخدمة الحرم ، ويكون بين أيديهم في
غيّبي وحضوري . وكان له ابنٌ بارع في صناعته ، قد حذق الطب ،
وكان ذكي الروح ، حسن الوجه . فقال له : لعبد الأمير ابن كَيْس ،
قد برع في الطب ، فإن أمرني بإحضاره أحضرته . قال : أحضره ،
فلما أحضره نظر إلى حسنه فقال له : وبلك ! أقول لك طبيب يصلح
للحرم ، تجيئني بمن يفتنن ويفسدهن ، أنظر لي واحداً مقبجاً ،

لا يش إليه أحد . فحملت سعيد بن توفيل النفاسة وانغيرة على موضعه
أن يدخل معه فيه غيره ، على أن [أخذ] هاشماً - وكان شاكرية^(١) -
فألبسه دُرّاعة^(٢) وخفّاً وعمامة ، وقلع ثيابه الوسخة التي كان
يخدم فيها ، وكان مقبّحاً جداً ، فأدخله إليه . فلما رآه قال له :
نعم هذا يصلح لمن ، وقد جودت فيه ، فألزمه خدمتهن ، وكان
لهائم هذا إقبال قد أرف ونجوم قد طلعت ، لم يعلم بها سعيد بن توفيل ،
ولا أن هلاكه يجري على يديه ، فأدخل إلى الحرم فسألوه عن أشياء
تنفق عندهن : من دواء الشحم وعلاج سواد الشعر وعلاج الحيض
وأشباه ذلك . وكان هاشم خباً ملعوناً ، فاجراً ردي الطبع ، فجرى
معهن في ميدانهن كما أردن ، فقال لهنه : أنا أعمل لك كذا وكذا .
وقال لأخرى لما تطلبه منه : أنا أعمل لك في هذا ما لا يعرفه أحد
ولا يحسنه . وعمل لكل واحدة منهن ما أرادت ، فحظي بذلك
عندهن ، حتى ضرب بعضهن ببعض المثل ، وكسب منهن كسباً كثيراً
ما كسب صاحبه مثله مع أحمد بن طولون . ولم يكن يحسن غير دق
العقاقير ، وعجن الأدوية بين يدي سعيد ، ونفخ النار تحت الأدوية
المطبوخة ، ولم يكن يمكنه من عمل شيء من الطب ، لأنه لم يكن
وزنه ذلك ولا يحمله عنده ، وإنما كان يمسك حماره إذا دخل دار
الأمير أو بغله ، وينام في الإصطبل .

(١) الشاكري : الأجير والمستخدم معرب جاكر .

(٢) الدراعة : جبة من صوف مشقوقة المقدم

وكان جماعة الأطباء قالوا لسعيد لما اصطنع هاشمًا وأدخله إلى
الأمير والحرم: يا سعيد نفست^(١) على غيرك أن تدخله دار الأمير،
وفيهم من لا يشك فيه أنه يصلح لذلك، حدقًا بالصناعة وفهياً لها،
ثم مع هذا كنت تكون آمناً منه عليك وعلى حالك، والله ليكوننَّ
لك من هاشم الذي اخترته يومُ يردده إليه طبعه الرديء، وأصله الذي
حدث جرَّيج بن الطباخ المتطبب قال: لقي سعيد بن نوفيل
[عمر] بن صخر الطيب فقال له [عمر]: ما الذي نصبت هاشمًا له؟
فقال: لخدمة الحرم، لأن الأمير طلب مني طبيباً مقبلاً. فقال
له: قد كان في أبناء الأطباء قبيح قد حسنت تربيته، وطاب
مغرسه، يصلح لهذه الحال، ولكنك استرخصت الصنعة، والله
يا أبا عثمان، لئن قويت يد هاشم ليرجعن فيك إلى دناءة منصبه
وخساسة محمده. فتضحك سعيد من قوله، وقد رآن ذلك لا يكون

فلما جمع أحمد بن طولون الأطباء، واتفقوا على ما يعالجه به،
دخلت إليه أم أبي العشائر ابنة فقالت له: قد أدخل مولاي إليه
اليوم جميع الأطباء ووقفوا على علاجه، وعمل كل واحد منهم بما
عنده من الصواب بما سقوك إياه، وأرجو أن يكون فيه الشفاء
بمشيئة الله. ولم يحضر مولاي هاشمًا طبيباً فيمن حضر، والله
يا مولاي ما فيههم مثله، لأننا قد شاهدنا منه في خدمته لنا ما حمدناه

(١) نفس به كفرح: صن وعليه بخبر حسد وعليه النبي نقاسة لم يره اهلاً له

نقاة ابن طولون
برجال وزهد في
إشارة الأطباء

وتبر كنا بصفاته . فقال لها : - طلباً للفرج ، ولما هو عليه من العلة التي
يطمع العليل فيها بكل شيء ، وتعلق نفسه بما توعد به فيها من العافية - :
أحضر يديه سرّاً حتى أخاطبه ، وأسمع ما عنده في مشاهدته حالي .
فأدخلته إليه سرّاً ، بعد أن شجعتَه على كلامه ، وسهلت عليه هيبتَه ،
لأنه جبن من دخوله إليه ، مما لم يقدر أنه يراه أبداً . فلما دخل إليه ،
ومثل بين يديه ، وأخذ مجسسه ، وتأمله قليلاً ، لطم وجهه وقال : أغفل أمر
الأمير أيده الله حتى بلغ إلى هذه الحال ؟ لأحسن الله جزاء من تولى أمره .
فكان لطم هاشم وجهه بين يدي الأمير ، وما تكلم به في أستاذه تصديقاً
لقول من أنكر على [سعيد] تقديمه وإدخاله إياه إلى الحرم ، وتركه
بحيث لا يستحق ، وكان ما خاطبوه فيه حقاً . فقال له أحمد بن طولون : يا مبارك
فما الصواب الآن ؟ قال : يتناول الأمير أيده الله فيحة صفتها كذا
وكذا ، وعدد فيها قريباً من مائة عقار ، ولم يعلم أن سبيل هذه
القماح تمسك [عندما] تتناول ثم تعقب ضرراً كبيراً ، لأنها تتعب
القوى الماسكة ، وكان استعماله ما تنفق عليه الأطباء مع سعيد وسقوه
إياه لو دام عليه أحمد عاقبة وأنفع ، فامتنع من شرب ذلك يومه ،
وتناول القميحة التي أشار بها هاشم ، وعملها له بين يديه ، فلما
تناولها أمسكت وحبست قيامه وقوي قلبه لذلك ، وحسن موقع
هاشم من قلبه ، وظن أن البرء قد تم له ، فقال له : ويحك يا هاشم
إن سعيد بن توفيل قد حماني منذ شهر من لقمة عصيدة ^(١) اشتيتها

(١) العصيدة : دقيق يكت بالسمن ويطبخ

ومنعني منها لعنه الله ، وأنا والله أشتهيها . فقال له : أيها الأمير قد
أخطأ سعيد ، العصيدة مقوية ، ولها أثر حميد . فأمر أحمد بن طولون
بإصلاحها فأصلحت ، وجيء منها إليه بجام^(١) واسع ، فأكل منه أكثره ،
وطابت نفسه ببلوغ شهوته ونام ، وكان يشتهي النوم فيتعدّر عليه ،
فأثقلت معدته ووجد خفأً في انقطاع الإسهال ، وطاب له النوم بعد
الأكل ، وظن أن ذلك صلاحه وعافيته ، وطوى ذلك عن طبيبه
سعيد ، ولم يوقفه على شيء منه .

فتبارك الله الخالق البارئ المتفرد بالكمال والبقاء ، بينما كان له
العقل الصحيح ، والرأي السديد ، والفراسة المضيئة ، والحدس الصادق
الذي ما كان يخطئ في أيام إقباله ، وما كان يلزمه نفسه ويتفقد
منها ومن غيرها ؛ وشدة حذره وتوقيه . . . حتى انقلبت العين في
هذا كله دفعة واحدة ، وصار هو عدو نفسه يطعمها سرّاً من طبيبه
السمك القريض ، مع ما يعلمه الناس كلهم فيه ، والعصيدة الثقيلة المتخمة
المؤذية في حال الصحة فكيف مع العلة ؟ ثم يخادع نفسه ويسخر منها ،
ويكتم طبيبه وغيره حاله في ذلك ، حتى [كأن] له في معدته بسوء فعله
عدوّاً قاتلاً ، ويفضل مثل هاشم على مثل طبيبه سعيد بن توفيل وغيره
من حذاق الأطباء ، إلا أنه إذا أراد الله عز وجل أمراً سلب كل
ذي لبّ لبه ، حتى تتم مشيئته .

(١) الجلام : كلمة فارسية وفي القاموس : إنا ، من فضة وجمعه اجؤم بالهمز وأجوام وجامات وجوم

فلما أكل العصيدة ونام انتبه من نومته ، فأحضر سعيد بن توفيل
فقال له : يا سعيد ما تقول في العصيدة ؟ قال : ثقيلة على الأعضاء ،
وأعضاء الأمير تحتاج إلى التخفيف لا التثقيب . فقال له : دعنا من
مغاريقتك ، قد أكلتها بحمد الله ، ولم أرَ إلا خيراً . فأمسك سعيد حيرة
في أمره . وجاءوه في الوقت بسفرجل من الشام وفاكهة ، فقال لسعيد :
ما تقول في السفرجل ؟ فقال : مصّ منه شيئاً يسيراً على خلوص من
المعدة فإنه صالح . فلما خرج سعيد من عنده أكل سفرجلتين كبيرتين ،
فعصر السفرجل العصيدة فتدافع الإسهال جداً ، فدعا بسعيد بن
توفيل فقال له : يا ابن الفاعلة ، ألم تزعم أن السفرجل صالح ؟
ما صلاحه وقد عاودني الإسهال ؟ فقال سعيد ينظر إلى النجوى^(١)
فرجع إليه فقال : هذه العصيدة التي أحمد الأمير أمرها وذكر
أني ممخوق ، وأني غلطت في منعه منها ، لم تنزل قائمة متحيرة في الأحشاء
لا تطيق عبوراً ، ولا تطيق المعدة هضمها لضعف قوتها حتى عصرها
السفرجل ، ولم أطلق [لك أن تأكل] السفرجل ، إنما قلت تمصّ
منه يسيراً ، وكان سعيد قد أخبره الغلمان أنه أكل سفرجلتين ،
فقال له في خطابه : أكل الأمير السفرجل للشبع ، لم يأكله للعلاج .
فقال له : يا ابن الفاعلة أخذت تهاترني وأنت صحيح سوي ، وأنا
عليل مدنف^(٢) . السوط ! فأحضر ، فضرب بهن يديه مائتي سوط ،

محاورته
مع ابن توفيل
وضربه أيام وقتله

(١) النجوى: ما يخرج من البطن من ريج أو غائط

(٢) دنف الرجل: ثقل من المرض ودنأ من الموت .

وحمل على جمل وطيف به البلد ، ونودي عليه : هذا جزاء من ائتمن
فخان . ونهبت داره فمات بعد يومين .

قال مؤلف هذا الكتاب : وكان أحمد بن طولون يحدّر سعيداً
قديماً من قتله له ، وكان قد وقع له لتتم المشيئة في سعيد أيضاً أنه قد
أغفل علاجه في بدء العلة ، حتى تزايدت عليه وعظم أمرها ، ولم يكن
الأمر كما ظنه أحمد بن طولون به ، ولا كان الخطأ إلا منه على نفسه ،
والذنب له دون غيره . وكان سعيد بن توفيل من يوم أكل السمك
قد أيس منه ، وعرف نسيم الخادم بذلك ، وكان غلاماً قلاقلاً محصلاً .
حدث نسيم الخادم أن مولاه أحمد بن طولون طلب سعيد بن
توفيل يوماً من الأيام فقبل له : مضى يستعرض ضيعة ذكرت له يشترها ،
فأمسك ، فلما حضر قال له : ويلك يا سعيد ، اجعل صحتي ضيعتك
التي اشتريها لتستغلها ، وواصل مراعاة خدمتي ، واحرص على صحتي
ولا تغفل ذلك ، واعلم أنك تسبني إلى الموت ، إن كان موتي على
فراشي ، وأني لا أمكنك من الاستمتاع بالحياة بعدي . فقال بعض
العلماء حين سمع هذا القول : ما سمعت حثاً لمتطبب على مبالغة في نصح
أشد من هذا .

قال مؤلف هذا الكتاب : وفي إفاقته من عاتبه ، أطلق محبوب بن
رجاء من محبسه ، ورد إليه جميع ما كان أخذ منه ، فوجد محبوب
اطلاق ابن رجا
من محبسه ورد
ماله عليه

ماله مختوماً بخاتمه بحاله . . دنانير ، ما عرض له ولا نظر إليه .

طالب ابن طولون
دعاء الرعية له

فلما رأى أحمد بن طولون اشتداد العلة أحضر خواصه من وجوه
قواده وابن مهاجر والواسطي ، وقال لهم : استهدوا لنا الدعاء من الناس كفة ،
وسلوهم الخروج إلى الجبل ، والتضرع إلى الله جل اسمه بالمسألة له في
عافيته لنا ، فشاع هذا القول منه في الناس ، فخرج المسلمون بالمصاحف
إلى سفح الجبل ، وتضرعوا إلى الله في أمره بنيات خالصة لمحبتهم له ،
وشكروهم لجليل أفعاله ، وكثرة معرفته وإحسانه ، وصيانتهم عن كل
حال يكرهونها منه ، أو من أحد من حاشيته ، مع أمنتهم ورخص
أسعارهم ، برعاة ذلك وحرصه عليه ومحبته له .

فلما رأى اليهود والنصارى ذلك من المسلمين خرج الفريقان ، النصارى
معهم الإنجيل ، واليهود معهم التوراة ، وفي أيديهم حزم الآس ، وفي
أيدي شمامستهم البخور ، يبخرون ببخورهم الذي يتبركون به ،
واجتمعت الجماعة كلها في سفح الجبل ، واعتزل كل فريق منهم على
حدة ، يدعون الله عز وجل ، ويتضرعون إليه في أن ين عليه بعافيته .
فكان يوماً عظيماً ، وارتفعت لهم ضجة عظيمة هائلة حتى سمعها في
قصره ، فبكى لذلك ، وتضرع معهم إلى الله جل اسمه ، والمنية قد قربت ،
كما قال بعضهم :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

قال : ومن شيم النصارى أن يتضرعوا بمثل هذا الفعل في الاجتماع والخروج ، إذا قدم البلد وال جديد ، وكذلك رأيانهم قد عملوا في قدوم بولس إلى البلد ، خرج النصارى إليه ، وفي أيدي شمامستهم الزبور وغيره . . ومعهم الحجارم يبخرون من باب المدينة إلى أن دخل إلى داره وخرجت إليه أيضاً اليهود ، وفي أيدي أحبارهم وشيوخهم الآس ، وفي أيدي بعضهم كتبهم يقرءونها بين يديه ، فكان لهم ذلك اليوم ضجيج في البلد .

وحدث نسيم الخادم قال : دعاني مولاي ، وقدمضت قطعة من الليل ، قبل وفاته بشهر واحد ، فقال لي : ادخل إلى بكار بن قتيبة فإن أصبته يصلي ، فانتظر فراغه من ركوعه وسجوده ، فإذا سلم فقل له عني : أنت تعلم ميلي إليك قديماً ، وإكرامي لك مبتدئاً ، وأنه لم يفسد مملك عندني إلا أمر الخلع ، وأن شهادتك فيه كانت مباينة لشهادة غيرك ، مخالفة لها . وقد شاع في عسكري أنك تقمت هذا الخلع علي ، ووالله ما انحرفت عن الناكث للإساءة كانت منه إليّ اعتدتها له ، ولا أردت بخلعه إلا الله عزوجل ، لأنه أمر الخليفة ، ومنعه ما يجري له . والصواب أن تحضر مجلسي في جمع من أوليائي وأولياء أمير المؤمنين ، فتتبرأ من الناكث براءة تدل على صدق نيتك لأمر المؤمنين ، وترجع إلى عمك ، وترجع لك

رسوله إلى اتماضي
بكار وما كان به

إلى ما كنا عليه من الإكرام والموالاته ، والحال التي كانت بيننا ،
وإن امتنعت من هذا فلا لوم علينا فيما أتينا به في أمرك ، مما لم نؤثره
ولا نختاره والله فيك .

قال نسيم الخادم : ففتحت باب الحجرة التي كان فيها بكار
معتقلاً ، ودخلت فوجدته قائماً يصلي ، فقلت من حيث يسمع :
رسول الأمير ، لأنه كان ثقیل السمع ، فوالله ما حركه ذلك
ولا فكر فيه ، ولا أوجز من صلاته ، ولم يزل يقرأ حتى فرغ من
حزبه ، ثم ركع وسجد وجلس قليلاً ، وقام وقرأ طويلاً ، ثم
ركع وسجد وجلس يسيراً ، ثم سلم ، فقلت له : [سول الأمير] ،
فقال : وما يريد الأمير ؟ فقصصت عليه الرسالة فقال : قل
له : يعزُّ عليَّ أن يكون حرصك على ما تفارقه أكثر من ميلك
إلى ما لا بد لك منه ، وقد أعنتني وآذيتني ، لأنك تكلفني الشهادة
بالبلاغات التي لا يعزُّ لها الحكم ، فخفف الله في أمري فأني شيخ
فانٍ ، وأنت عليل مدنف ، ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل
قريب ، وقد والله نصحت لك والسلام . وقام إلى صلاته .

قال نسيم : فخرجت من عنده وقد أبكى قلبي ، وأبكى عيني ،
فدخلت إلى مولاي فأعدت عليه قوله ، فبكى وبقي يقول : شيخ
فانٍ ، وعليل مدنف ، ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل قريب .
وأقبل يسكر ذلك ثم قال لي : انظر أعرف المضمومين إليك ،

فوكله به في دار تكثيرها له ، وأطلق له دخول ابني أخته إليه ومن أحب . فاكترت له داراً في نواحي الموقف ، ووكلت به رشيقاً أخصاً سعد الفرغاني ، لأنه كان شيخاً فيه دين وخير ، فلم يزل معتقلاً فيها إلى أن مات مولاي ، فأطلقه أبو الجيش يوم موته واستحله لأبيه ، فكانت هذه الفعلة من أبي الجيش أحد أفعاله الحسن ، فأقام بعد مولاي عشرين يوماً ومات فلحق به .

جاسور الموقف
على ابن طولون

حدث شعيب بن صالح قال : أرجف الناس بوفاة أحمد بن طولون قبل أن يموت بشهور ، وعلل الخوف أبدأً تطول على أصحابها . فدخل إليه يوماً جماعة من أصحاب أخباره ، ومعهم رجل من أهل المدائن فقالوا له : هذا صاحب خبر الموقف . فقال له أحمد بن طولون ليس [ينجيك] مني ولا يخلصك غير صدقك إياي ، فاصدقني تنج فقال له : نعم أنا صاحب الموقف ، أنفذني إليك قاصداً لأعرف له صحة أمرك في علتك لا غير ، لما أرجف بك عنده . فقال : [لقد سلم] الله روعي وجسمي ، وأنا صحيح العقل والتمييز لم أمت ، بمن الله وطوله ، وأولياي متمسكون بطاعتي ، والدليل على ذلك إتيانهم إياي بك ، ارجع إليه فقد أمّنك الله جل اسمه وعرفه ذلك ، وقل له : إني لم أنحرف عنك وأخالف عليك كرهاً لك ، ولا كان ذلك مني إلا طاعة لأمير المؤمنين وما أكدته عليّ ببعته ،

فإن رجعت عما أتيتَه في أمره كنتُ لك كما أنا له متصرفاً بين
أمركما ونهيكما وطاعتكما . واحذر أن تقيم ، ووكل به حتى أخرج
عن البلد من وقته .

قال مؤلف هذا الكتاب : فورد علينا الخبر أنه لما وصل إلى
الموفق رسوله هذا ، فأدى إليه رسالة أحمد بن طولون ، بكى غماً منه
بعلمته ، وقال : صدق والله في قوله . ونذر الله عزوجل في عافيته
نذراً من صيام وصدقات .

وحدث شعيب بن صالح قال : دخلت يوماً إلى نسيم الخادم أسلم
عليه ، فرأيت عنده شيخاً من أهل الدِّينور^(١) حسن الظاهر ،
وذلك بعد وفاة أحمد بن طولون بمدينة يسيرة ، فرأيت متمكناً من نفسه
حسن الإبانة^(٢) . فقال لي نسيم : تريد أن تقف على أن مولاي قد
ختم له بخير ؟ سل هذا الشيخ يحدثك بخبره معه فأني حضرته ، قال :
فتروح الشيخ على أحمد بن طولون ، فسألته عن ذلك فقال لي : كنت
يوماً جالساً في الموقف ، في دكان بعض أهل سوق الجهاز ، وإلى جانبي
رجل حسن الهيئة ، فذكر أحمد بن طولون في علمته وغلظها ، فقال
رجل من حضر معني في الدكان : قد مات ، فقلت ، وما أعرف لي غلظة
غيرها : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) ،

كم الانواء عن
التكلم في ابن
طولون إلى آخر
أيامه

(١) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين وقرب شهرزور وهمذان

(٢) قرا إبانة وإبانة وكلتاهما لاتصدم النبي

فقام ذلك الرجل من جانبي ، فما بعدَ حتى عاد ومعه خمسة رجاله وقال لهم بيده : خذوه . فطرح ردائي على وجهي [وساقني] سوقاً عنيفاً حتى أدخلت الميدان ، فعرضت على حسن بن مهاجر ، فقال لي : يا كلب بطرت بعيشك بالأمن ، ولو سُغلت بالخوف لتركت الفضول ، فحسست من كلامه قد وثني بي^(١) . ثم كتب رقعة ووجه بها مع خادم إلى الأمير ، فما أبطأ حتى خرج ، فخاطبه بما لا أقف عليه ، فقام وأدخلني معه ، فعججت في سرِّي إلى الله جل اسمه ، وسألته حسن الدفاع عني ، ومثلت بين يدي الأمير ، وقد زاد اضطرابي ، وأنا مستعين بالله على ما أتخوفه منه ، فسلمت فردَّ عليَّ السلام باصبعه ، ورأيت عليه أثر البكاء . فقال لابن مهاجر : ترفق قليلاً قليلاً ، سل هذا الرجل هل سبقت منا إليه إساءة ؟ فردَّ عليَّ ابن مهاجر قوله . فقلت : لا والله أيد الله الأمير . فخاطبني هو وقال لي : فما أخذك ويحك بإطلاق لسانك بما لا يجوز لك في ولائك ؟ فقلت : أعزَّ الله الأمير بما لا يُضبط من التقدير الذي يجري بالمحبوب والمكروه ، وخور يلحق الطباع الضعيفة فيمنعها من حسن التحرز . فقال لابن مهاجر : قد أحسن الاحتجاج لنفسه ، وما يسهل علي إصلاحه في تقويمه بفسادي في معادي ، على شدة حاجتي في هذا الوقت إلى عفوري ، ثم التفت إليَّ فقال لي : حدثني فلان عن فلان عن وهب بن منبه .

(١) في الأصل هكذا : « مد راي بي » بلا نقط

فقال : أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل : مرّ عامه
أمتك ألا تتأسى بالملوك في ارتكاب الكبائر ، فإن للملوك كباير
من الأفعال الجميلة لا يصل إليها عامتهم ، تمحص بها آثامهم ، ويمسّن بها
صدرهم^(١) . ثم قال للنسيم : ادفع إليه خمسين ديناراً واصرفه مصوناً .
قال الدّينوري : [حفظت الحد] بث ونسيت إسناده لفرط ما لحقني من
الخوف والهيبة ، فقد بقي في نفسي منه جرح لا يندمل ، وغم
لا يزول إلا بعد وجوده ، وقد أحفيت^(٢) الطلب له وأنا كذلك
إلى أن أجده بعون الله ، فرحم الله أحمد بن طولون ، فأمر لي وقت
الإلا وأنا أترحم عليه ، وأستغفر الله جل اسمه له .

إطلاقة رزق
سنة لجيشه

قال : وكان أحمد بن طولون كثير الاستقصاء في مال الجيش ،
فلما اشتدت عنته تقدم إلى ابن مهاجر في إطلاق رزق سنة للجيش
في بيعة أبي الجيش بعده ، فظن ابن مهاجر أن ذلك من اختلاط
العلة ، فأهمل العمل به ، فلما كان من غد يومه سأله عما صنع في
ذلك . فقال له : ماخرج الحساب من أيدي الكتاب بعد . فقال
له : أظننت ويحك تخليطاً بي من العلة ؟ ما أنا كذلك والحمد لله
كثيراً ، بل أنا بضده ، وإنما لمثل هذا الوقت جمعت الأموال ، وإنما
أردت أن يعلم الجيش أنه قد حصل لهم مالا يسمح ببعضه من

(١) في الأصل : ومحسوها صدرم

(٢) أخى السؤال : ردّده والإحفاء مثل الإلحاف وهو الإلحاح

يحاربهم ويكاثروهم ، فتكون أيديهم وقلوبهم قوية ، فسكن ابن مهاجر إلى هذا القول ، وأطلق المال للرجال ، فعظمت منته عندهم ، وكثر شكرهم .

غدر الواسطي
بعد وفاة ولي
نعمته

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما اشتدت بأحمد بن طولون علته دعا بأحمد بن محمد الواسطي وقال له : يا بني لمثل هذا اليوم وهذه الحال ربيتك واصطفيتك ، وقد علمت حسن موقعك مني ، وأني فضلتك على الولد وكل أحد ، فلا تخف الظن بك ، واعلم أن الوفاء أحسن لباس ، وأفضل معقل ، والله يشكره عز وجل لمن استعمله . حرمني هن أمهاتك وأخواتك قال : والواسطي يلطم وجهه ويبكي ، وأحمد بن طولون يبكي معه ، وهو يحلف له أنه لو تعرض للقتل لما قصر فيما عاد بمصلحة شمله ويقول : وأرجو أن يهب الله للأمر العافية ، ولا يرينا فيه سوءاً أبداً ، ويقدمنا جميعاً بين يديه ، وكل ذلك [وهو] يعجُّ بالبكاء .

فحدث نسيم الخادم ، [قال : فلما خرج] الواسطي من حضرة مولاي قال لي : يا نسيم والله ما أخاف على حرمني إلا منه ، وعلى جميع مخلفي ، لأنه قوي الحيلة ، فاسد الدين ، ولولا أنه وقت استكانة إلى الله عز وجل وخضوع ، ما كنت آمن على مخلفي منه . قال : فلما كان من غدر الواسطي بأبي الجيش ما كان ، وذهابه

إلى المعتضد ، ومعاونته إياه على أبي الجيش ، ذكرت قول مولاي
رحمه الله ، وفراسته فيه ، فناصر الله عز وجل أبا الجيش بقدره ، وبقي
شريداً طريداً مطرحاً بأنطاكية ، مذموم الأثر والسيره ، فذكر
إحسان مولاي إليه ، ولم يكافئه على جميل فعله به ، وكل أوزار
احتقها فيه ، فتصوره الناس بالقدروقالة الوفاء . ومات بعد مولاي ببسيرة .

قال نسيم : فلما كان من غد خطاب مولاي للواسطي وما وصاه
به ، أحضره وأحضر محمد بن أبا وطبارجي وجماعة من وجوه خاصته
وقواده ووجوه دولته وكتابه فأحضر أبا الجيش فقال له : يا بني
إني لم أدفع الحنث في يمين البيعة إلا بما كنت أحمله إلى أمير المؤمنين
المعتمد خاصة ، وهو مائة ألف دينار في كل سنة . ذكر لي فيما كتبتني
به أنها تكفيه . فكان حملي هذا المسال يقينا الحنث في يمين البيعة
بيعته ، فلا تؤخرها عنه ولا تقطعها ، ولو أعتك الحروب وواصلتك ،
فلا تغفل حملها وما يقاومها ، فإنك تدفع بها حنث هذا الجيش
بأسره في يمين البيعة ، وتشرح بها صدورهم في قتال من قصدك ، ممن
قهر الخليفة ومنعه أمره وتصرفه في إنفاذ حكمه ، وجميع أمره ، والله
بكرمه يكفيه

[قال أبو جعفر] محمد بن عبد كان : إن أبا الجيش لم يزل يحمل هذا
المال إلى المعتمد حتى نقله إسماعيل بن بلبل الوزارة فأوقع الصلح
بينه وبين الموفق .

وصيته
لقواده وغلماؤه

قال : فلما فرغ أحمد بن طولون من وصية ابنه في حمل المال الى المعتمد أقبل على وجوه قواده وغلماؤه فقال لهم : قد وطأت لكم المهاد بهذه الدولة ، وخلفت لكم من عدتها ما يكفيكم ، فاطرحوا الأحقاد بينكم ، وأسقطوا التحاسد ، واتركوا الاستئثار ، ولتكن كلمتكم واحدة ، وجماعتكم كرجل واحد ، ولا تغتروا بمخاريق أهل العراق ، ومواعيد من يطلب سيئاتكم ، فليس برأسكم أبداً مثلي ، ولا أحنى مني ومن ولدي عليكم ، فلا تخفروا ذمتي ، واحفظوا صحبتي وتربيتي لأكثركم ، وإيثاري وإحساني وتفضيلي لجماعتكم ، وهم يحلفون له ويكون بأجمعهم

وصيته
لابي الجيش أيضاً

ثم عطف على أبي الجيش فقال له : يا بني لا تعدلن عن مشورتي عليك ، فلن تجد أبداً أنصح لك مني ، قد خلفت دخل بلدك يزيد على ما ينوبك بجيشك وسائر مؤونتك ، فلا تطلقن فيه يد الجور ، فيختل أمرك بخرابه ، ولا تقبل بنصيحة من يتنصح لك بما يؤول الى خراب بلدك ، والاي جحاف بعامليك فيه ، فإنه عدو مبين من حيث لا تعلم ، فانبذه عنك ، ولا تقرب به منك ، وقد خلفت لك رعيتك لا يطلبون منك إلا لين الجانب ، والأمن من المخاوف ، ولم أكن أمنعهم لين جانبي بخلا به عليهم ، ولكنني آثرتك على نفسي بمنعني لهم لين جانبي ، والأمن من مخافتي ، فاستعمل أنت ذلك معهم فتملك قلوبهم ، ويبادروا الى طاعتك ، ويهشوا الى التصرف بين أمرك ونهيك ، في صغير

أمرك وكبيره ، ولم أترك لك عدواً أخافه عليك ، واعلم يا بني
أن كل سرف بوؤل الى اختلال وتلف ، فاقصد في . . .
مهاتك ، ولا تمد يدك الى المال المخزون عند خير الخادم [واجعله]
ذخيرة لملكك وأقمه مقام جارحة من جوارحك لا تبذلها الا في
شدة تخاف معها فساد سائر جسدك ، أو عند ما تقدّر باخراجها صلاح
سائر جسدك ، وكان خير الخادم هذا خادم المتوكل
ثم قال له : واسلك يا بني سبيلي واقتف آثاري في سائر من خلفت
يأنسوا بناحياتك ، ويمسّنوا طاعتك ، ولا يميلوا الى عدو يخالفك ،
ولا تقبلن مقال السعاة فيما تقوى به سوقهم عندك ، فكل شر وسوء
بوؤل الى اضمحلال وزوال ، ويهلك في ذلك من سلكه .

نروان طولون قال مؤلف هذا الكتاب : وكانت الوديعة التي عند خير الخادم
ألف بدرّة ،^(١) وكانت عند نسيم فنقلها الى خير ، وكان يكنى بأبي
صالح . وكان أحمد بن طولون قد قرن به أبا الجيش يودبه ، وكان
نقة مأموناً ديناً ، كان يعرف بخير الطويل ، ولما فرغ أحمد بن طولون
من وصيته لأبي الجيش قال له : يا بني وفي حاصلي ألف ألف دينار
وسبعمائة ألف دينار ، وهو غير الوديعة ، يكون ذلك لعطاء جيشك ،
وما عسى أن يعرض لك عند مقاومة من يقصدك ، ومادة الخراج بعد
لذلك فغير منقطعة عنك ، هذا يا بني ما تملكه الدولة ، والذي أملكه

(١) البدرّة : عشرة آلاف درهم .

أنا خاصة من دخل أقطاعي وابتياعي ، ما يحصل لي منه في كل سنة في بيت مالي مائتا ألف وخمسون ألف دينار ، فاقسمها في ولدي وانظر إليهم بعيني ، وتعمدهم فواتهم ، وسدّ خلفهم ، وكفهم عن الفاقة إلى غيرك ، وبصرهم رشدهم ، وامنعهم من سرف الإِنفاق ، فإنك أبوهم بعدي ، جبر الله جماعتكم ، [وأحسن الخلافة] عليكم ، وأنا أكرر عليك القول يا بني لثلاث تنسى . ليس المال الذي عند خير الخادم لي [فتشتركو] بقسمته بينكم . فلا تظن أن كل ما قويت يدك على أخذه هو لك ، فصنعه وامنع نفسك منه ، واستشعر فيه ما وصيتك ، فإن انقادت لك الأمور لم يضرك بقاؤه لك ، وإن عارضتك الحوادث كان عدّة لك ، فلا تغرنك وجميع مخاني وحاشيتي السلامة ، فتنسوا ما في نفوس أهل العراق عليكم ، فأنتم شجّافي حلوقهم ، فلا تأمنوهم ، ولا تذاوما^(١) عن الحزم فيهم ، فإن أحسستم بضعف عنهم ، فابذلوا جميع ما تملكونه في السلامة منهم ، ولا تضعوا أيديكم في أيديهم ، فإنني أعرف ذنبي لهم ، والله أسأل رعاية جماعتكم . ثم بكى وبكت الجماعة ، حتى ارتجت الدار لبكائهم . فلما اشتغل بهذه الوصية لهم انقطع عنه الإِسْهال ، فأمل أصحابه عافيته وبرءه ، وذو المعرفة أيس منه

حدث نسيم الخادم قال : لما استحکم إياس مولاي من السلامة عاينته ببورقصر . وهو مريض كان يُحمل كل ليلة في حَمْفَةٍ^(٢) يطوف في الميدان ، فلا يرى فيه ثلثة

(١) في الأصل : دارها ومنومهم فلا ناسد

(٢) الحفّة بالكسر : مركب للنساء كالهودج إلا أنها لا تقب أي لا تحمل لها قبة .

يخاف أن تفتح ، أو تفتح في هيج ، فيقتحم منها قوم يدخلون منها إلى القصر [إلا] ويأمر بسدها ، حتى سدَّ كل ثلثة كانت فيه ، ثم يدعو بثقاته فينعي إليهم نفسه ، ويسألهم حسن المكافأة بعده بالطاعة لولده ، ويقتضيه ذلك بسالفه عندهم .

فلما دخل ذو القعدة من سنة سبعين ومائتين دعا بابنه العباس ، فأطلقه من قيده وخلع عليه ، وقلده جميع الأعمال الخارجة عن أعمال مصر من الشامات والشعور . وقال له : أنا أوصيك يا بني بتقوى الله عز وجل ومكافأة أخيك والإمساك عن الاستطالة عليه ، بزيادة سنك على سنه ، فلا تترك لمن يقصدك من العراق مدخلاً بينكما يتأتى [منه لكما ، ولا] نسمع ممن يطلب صلاح نفسه بفساد ما بينكما ، ولا تضمرن لأخيك غير ما تظهره ، فإن القلوب مجنونة . واعلم أن جوار أخيك لك أصلح من جوار غيره ، ولا تضمرن له خلافاً فتبسّط ما بينكما ، ويجد عدوك بما بذلك سبباً إلى هلاككما ، وقد تقدمت بإزاحة علل رجالك ، فاحرص أن يكون خروجك إلى عملك قبل وفاتي ، فإن الراغب عنك كثير أكثر من المائل إليك ، وأخاف أن تعلم^(١) على الطمع في موضعي وتزيت ، فتذهب نفسك ، بصرك الله رشداً ووقفك ، ووقاك ما أخافه عليك وأحاذره فيك بهنه

وصيته
لابنه العباس

(١) تلوم في الأمر : تمسك وانتظر

اشرافه على
الآخرة وموته

ثم شكاً بعد ذلك ظلمة في بصره ، ثم لم يبصر شيئاً ، وجعل يخفت ^(١)
وتضعف قوته ، وينحلُّ جسمه ، إلا أن عقله ثابت لم يتغير منه
شيء ، والدليل على ذلك وصيته هذه ، ورأيه فيها الرأي التام الذي
لا يكون بأسدَّ منه ولا أقوى ولا أبلغ ، إلا ما حرمه الله جل اسمه إياه
من التوفيق في علقته ، حتى تنفذ مشيئته رتبك وتعالى ، فلم يحم نفسه من
مأكول ، ولا وقاها ضاراً ، كما أراد الله عز وجل فلم يملك دفعاً .

حدثت نعت أم أبي العسائر ابنه قالت :

كنت جالسة بين يديه ، والعصاة في يدي ، وقد أيسر
منه ، وأنا انتظره أن تقبض روحه فأشدَّ لحييه ، ولسانه ضعيف ،
إلا أنه طلق إذا تكلم ، ففتح عينيه ثم غلقها ثم فتحها ، ونظر إليَّ
نظر من رجع بصره إليه ، فحمدت الله على ذلك . ثم قال بصوت
قوي ، ولسان طلق ذرِّب ^(٢) :

يارب ارحم من مهل مقدار نفسه ، فأبصره مملك عند

ثم تشهد أحسن شهادة وأتمها ، وقضى في آخر تشهده ، وإن ذلك بعد
ذهاب [طائفة] من ليلة الأحد لعشر ليال خلون من ذي القعدة سنة
سبعين ومائتين فحولت وجهه إلى القبلة وأخذنا في أمره

قال مؤلف هذا الكتاب : حدثنا شيخ من صالح أهل المعافر ترتيب جازة أحمد

ابن طولون

قال : جاءني بعض إخواني من كبار المتزهدين الأخيار يعرف بالرمامي ،

(١) خفت المريض : انقطع كلامه وسكت (٢) لسان ذرِّب : فصيح

وكان من أحسن الصوفية فقال: لا تتخلف عن جنازة هذا الرجل .
فقلت له : وما في ذلك من الفائدة ؟ فقال لي : كل الفائدة . قلت :
ما هي ؟ قال : ترى انحلال ما عقده الدنيا من الأمور الجسيمة وتبدُّده ،
فيهن عليك ما عاصاك منها ، ويزول عنك التهيُّب لما انساق منها ، ويصغر
في عينك ما اكتنزه المغرور ورحل عنه ، وتعلم أن جميع أحوالها إلى
زوال . فقلت : نعم صدقت .

ومضيت فرأيت جمعاً عظيماً هائلاً ، وحالاً كبيرة تعجز الصفة
عن ذكرها ، حتى ظننت أنه ما بقي في البلد أحد من رجل ولا امرأة ،
وكل فرق شتى ، كل فرقة على حديثها رجالاً ونساءً ، فتأملت فإذا كل
صنف من غلانه أيضاً فرقا ، وقواده فرقا ، وكتابه فرقا ، وسائر أصحابه
ومن يلوز به ويخدمه فرقا فرقا ، ومن كان فضله عليه وجراياته وصدقائه
فرقا فرقا . وقد تميز أيضاً النساء من حاشيته وهن أيضاً فرق فرق :
حرمه منفرد في خلق عظيم ، لا يخالطن أحد من حشمن ، وحشمن
ناحية لا يخالطن غيرهن ، ونساء قواده ، ونساء غلانه ، ونساء كتابه ،
ونساء أصحابه ، كل صنف منهن على حدة لا يخالطن غيرهن ، ونساء
القطائع فرق فرق ، وكل الجماعة عليهم من الكتابة أمر عظيم ، وكل
منهم مسلم لأمر الله عز وجل .

ثم أقبل من النساء السودانيات اللاتي كان فضله عليهن ، وجراياته
القمح والدرهم في كل شهر ، خلق عظيم لا يحصيه [ولا] يقوم بمعرفة

مبلغه إلا الله جل اسمه ، صائحات صارخات ، فارتجت الأرض لمن ،
وعظمت الحال في قلوب من شاهدين ، ثم أقبل بعدهن [من] صالحى
من يسكن المعافر من فيه الدين والورع والخير نساء ورجال قد كان
له على جماعتهم المعروف الواسع ، ولو لم يكن إلا العين الماء التي صارت
حياة لهم ، وصيانة ومرقاً إلى اليوم وإلى القيامة ، إن أراد الله جل اسمه
ذلك ووقاها من الغير ، فأقبلوا مبتلين إلى الله جل اسمه يسألونه
الرحمة له والمغفرة والتجاوز عنه ، بخشوع وتضرع واستكانة وبكاء .
فشاهدت من ذلك ما هالني وذكر جميع من حضر أنه ما رأى
مثله لموت خليفة من الخلفاء ولا غيره ممن عظم قدره . ثم أقبلوا به مفرداً
على سرير ، مدرجاً في ثوب وشي سعدي كפורي ، وأبو الجيش
خلفه وحده راكب ، لموضع خلافته والإمارة ، والعالم من صغير
وكبير ، وشريف وقاض وعدل ، وكل من في البلد يمشون ، وبين يديه
من غلانه ، وخلفه من كل صنف ، ومن قواده وسائر من بقي من
أصحابه مالا يخصصه إلا الله جل وعز ، فأتوا به إلى المصلى الذي كان بناه ،
فتقدم ابنه أبو الجيش فصلى عليه ، وصلى الناس بأجمعهم ، وعدلوا به
إلى قبره وواروه في لحده ، وخلّوه وحيداً فريداً ، أقرب الناس منه
وأحبهم إليه من حثا عليه التراب ، وانصرف عنه كل ذلك الجمع
العظيم ، وذهبوا حتى كأنه لم يكن منهم أحد . فتبارك الله أحسن
الخالقين ، ومالك يوم الدين ، [سبحانه لا يموت ولا يزول و] كل
نفس ذائقة الموت .

ماتم أقامته
الواقعية

قال مؤلف هذا الكتاب : لما انصرفت من جنازته ^(١) اجتزت
بمنزل الواقعية ، وكانت من عقلاء النساء ، حسنة الدين ، كريمة
الطبع ، وكان أحمد بن طولون محسناً إليها دارقاً بحملها ، فاستأذنت عليها
فأذنت لي ، فدخلت فوجدتها قد أقامت له مأتماً سرّاً ، هي وجواريسها
وخواصها ، يندبونه ويضربن بالعيدان على هذا البيت ، ويرقصن على
إيقاعه ، ولا يزدن عليه شيئاً غيره ، وهن يبكين أحرّاً بكاءً وأحزنة
ياعين بكّي خالدا ألفاً ويدعي واحدا

فما سمعت والله أحر منه ، ولا ألم للقلب ، ولا أشجى من أصواتهن به
حتى أبكينني بكاءً عظيماً ، وانصرفت من عندها حزيناً كثيراً . فلما
كان بعد أيام صرت إليها لأعرف خبرها فأصبتها بحال حزن عظيمة ،
فسألته وعزيتها ، فجعلت تحدثني بأحاديث أحمد بن طولون ، وتصف لي
أحواله ، وتشكو وجدها به إلى أن قالت لي :

شعر ابن طولون
بالتركية

إعلم أنه لما جرى على المعتمد من الموفق ماجرى ، من سوء الاعتراض
والقدح في السلطان ، بلغ ذلك منه مبلغاً عظيماً فألف كلاماً بالتركية
وقال لي : أريد أن ألقيه على [إحدى] جواريك ، وتلحنه أنت
لها ، وتغنيه حتى أسمع منه . فأحضرت جوارياً فاخترت منهن ربيعة
فألقاه عليها ، فوالله ما سمعت أرق منه ولا أشجى ، فلحنته لها فكان

(١) وهنا أيضاً نشك في إمام المؤلف بمنزل الواقعية لانه لما وضع كتابه كان قد تم اقتراض
الدولة الطولونية ومضى عليها أكثر من ثلاثين سنة فزائر الواقعية وزائر نت هو فيما نرى
ابن الداية مؤرخ الطولونيين الأول

صوته عليها إلى أن اعتلّ، وتعلمه أيضاً جواريه، فما كان يسمعه أحد إلا أبكاه، وأوجع قلبه. فسألته أن تسعنيه، وكانت فصيحة بالتركية، فقالت لي: ليس تفهمه لأنه كلام بالتركية مؤلف، ولكنني إذا أنت سمعته فسّرته لك بالعربية، ثم أحضرت ربيعة جاريتها فغنته بلحن شجي، وإيقاع حسن، فأبكاني وآلم قلبي، وما سمعت [صوتاً] من المناجات أحرّق منه للقلوب، وفسّرته لي فكان:

غلب الضبابُ على الشمسِ حتى صار النهارُ ليلاً
وضعت الشمسُ وانطلقت السماءُ بما لا يحسنُ منها
فبكا الرأسُ من قهر البدر وصاح: ما خوفي اقطعوني
وأريحوني بالله من الملعونة، ياسيد الملوك طراً،
بالعين تراك تطلع، واسان يخاطبك يقطع. إن سيفي
قد خرج من غمده، وليس يرجع حتى ترجع إلى بيتك،
وقد أوترت قوسي وليس أحطه حتى تكفي أعاديك

ثم قالت لي: قد سمعت حسنه بالتركية، وهو بالعربية فيه كلام - كما رأيت - غير مستحسن، إلا عند من يعرفه بالتركية، فودعتها وانصرفت.

مبلغ سنه

قال مؤلف هذا الكتاب: مات أحمد بن طولون، وعمره يومئذ خمسون سنة، لأنني صرت إلى^(١) نعت أم ولده يوماً للسلام عليها،
(١) ما نخل من اجتمع إلى نعت إلا أحمد بن يوسف الكاتب، والمؤان لم تكن له صلة باليت لطلوني ولا أدركه نعتاً

فأصبت بين يديها رقاعاً ، قد أخرجتها لشيء تطلبه فيها ، فوجدت
رقعتين فقالت لي : هاتان الرقعتان بخط الماضي رحمه الله ، وبكت ،
فسألتها أن تريني إياهما ففعلت ، فقرأت إحداهما فإذا فيها : دخلت
الى مصر متقلداً معونتها يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان سنة
أربع وخمسين ومائتين ، وقد مضى من عمري أربع وثلاثون سنة
ويوم واحد .

وقرأت الرقعة الأخرى فإذا فيها رؤوس أربعة أصوات ، كان
يقترحها على من يغنيه ، لا يختار من الأغاني غيرها .

الأصوات التي
كان ابن طولون
يختارها

أحدها

متى تجتمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حمياً تجتذبك المظالم
والصوت الثاني

رب من أنضجت غيظاً صدره فتمني لي موتاً لم يطع
والصوت الثالث

طلعت عليك طوابع الوخط فريضتهن رضاً على سخط
والصوت الرابع

قد حصت البيضة رأسي فما أطمع غمضاً غير تهجع
أسعى على جل بني مالك كل امرئ في شأنه ساع
فبكيت وبكت ساعة ، وجلست عندها طويلاً ، فلما أردت
الانصراف قالت لي : أنا آس بمحادثتك ، لعلي بغمك على الماضي
رحمه الله ، فأحب ألا تغيبني . فكنت أدير إليها في كل وقت

أولاد
أحمد بن طولون

قال : وخلف من الولد ثلاثة وثلاثين ولداً منهم سبعة عشر ذكراً وست عشرة أنثى . فأما الذكور فأبو الفضل العباس ، وهو الأكبر ولده ، وأبو الجيش خمارويه بعده ، وأبو العشائر مضر ، وأبو المكرم ربيعة ، وأبو المقانب شيبان ، وأبو ناهض عياض ، وأبو معدد عدنان ، وأبو الكراديس خزرج ، وأبو حبشون عدي ، وأبو شجاع كندة ، وأبو منصور أغلب ، وأبو لهجة ميسرة ، وأبو البقاء هدى ، وأبو المفوض غسان ، وأبو الفرج مبارك ، وأبو عبد الله محمد ، وأبو الفتح مظفر .

والبنات : فاطمة ، ولبس ، وعلب (؟) ، وصفية . وخديجة ، وميمونة ، ومريم ، وعائشة ، وأم الهدى ، وموئنة ، وعزيزة ، وزينب ، وسمانة ، وسارة ، وغريرة

تركة
أحمد بن طولون

وخلف من المال العين ما قد ذكرناه متقدماً ، ومن الغلمان أربعة وعشرين ألف غلام ، وأطبقت جريدة مواليه على سبعة آلاف رجل ، وخلف من الخيل الميدانية سبعة آلاف رأس ، ومن الجمال ثلاثة آلاف جمل ، ومن البغال ألف بغل ، ومن الخيل لر كابه ثلاثمائة وخمسين فرساً . وخلف من المراكب الحربية مائتي مراكب حربي كبار بآلتها . وكان خراج البلد يومئذ مع ما ينضاف إليه من مال الضياع التي

كانت للأمرء بالحضرة أربعة آلاف ألف وثلاثمائة ألف دينار.^(١)
وخلف من الأمتعة والفرش والآلة والأواني وآلات السفر
مالا يحصى كثرة، ولا يعد ولا يحده، ولا يدرك كثرة واتساعاً.
فأما نفقاته المشهورة المعروفة فما رأينا ولا رأى أحد قبلها مثلها
لأحد قبله، ولا يرى بعده، كل ذلك كان منه طلباً للشواب
والجزاء من الله جل اسمه .

نقله على مصانفه
وصدقاته.

منها ما أنفق على الجامع^(٢) وهو مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار،
وعلى البيمارستان^(٣) ومستغلة ستون ألف دينار، وعلى العين التي بالمعافر

(١) نقل ابن إياس عن ابن وصيف شاء أن أحمد بن طولون لما تولى على مصر أخذ في أسباب عمارة قراها وعمارة جسورها وقناطرها وحفر خلجانها وسد زرعها . فاستقامت أحوال الديار المصرية في أيامه بعد ما كانت قد تلاثت أمرها إلى الخراب وانحطت خراجها في أيام من تقدمه من المال . فلما حصلت العمارة والعدل عم الرضاء سائر أعمال الديار المصرية حتى بيع في أيامه كل عشرة أرا د بدينار وعلى هذا قس في جميع البضائع ووصل خراج مصر في أيامه مع وجود هذا الرضاء أربعة آلاف الف دينار وثلاثمائة الف دينار غير المكوس . ونقل القرظي في المخطط أن ابن طولون لما تسلّم مصر من ابن مديبر كانت قد خربت أرضها حتى بقي خراجها ثمانمائة ألف دينار فاستقصى أحمد بن طولون في العمارة وبالغ فيها فارتفع خراجها إلى أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار .
(٢) في تاريخ سعيد بن بطريق أن أحمد بن طولون لما فتح أنطاكية رجع إلى مصر وبني فيها المسجد الجامع المطل على البركة وبني البيمارستان وبني مصنعاً يجري فيه الماء من البركة المعروفة بالمش إلى المعافر .
(٣) في مجموعة الحكم النسوية لياقوت المستعصي أن أحمد بن طولون أراد أن يكتب وثائق أحبابه التي حبسها على المسجد العتيق والبيمارستان فتولى كتابة ذلك أبو حازم قاضي دمشق فلما جاءت الوثائق أحضر علماء الشروط لينظروا هل فيها شيء يفسدها فنظروا فقالوا ليس فيها شيء فنظر أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي التقي وهو يومئذ شاب فقال: فيها غلط فطلبوا منه إتيانه فأبى، فأحضره أحمد بن طولون وقال له: إن كنت لم تذكر الغلط لرسلي فاذا كرمت لي فقال: ما أفعل قال: ولم؟ قال لأن أبا حازم رجل عالم، وعسى أن يكون الصواب معه وقد خفي علي فأعجب ذلك ابن طولون وأجازمه . وقال له: تخرج إلى أبي حازم وتواقه على ما ينبغي فخرج إليه فاعترف أبو حازم بالغلط، فلما رجع الطحاوي إلى مصر وحضر مجلس ابن طولون سأله فقال: كان الصواب مع أبي حازم وقد رجعت إلى قوله وستر ما كان بينهما فزاد في نفس ابن طولون وقربه وشرفه .

مائة ألف وأربعون ألف دينار . وأنفق على حصن الجزيرة مائتي ألف دينار ، وأنفق في بناء الميدان مائة وخمسين ألف دينار ، وأنفق على مرمات الثغور وعلى حصن يافا مائتي ألف دينار ، وكانت قائمة صدقاته في كل شهر ألف دينار ، وكان ما يجريه على جماعة من أهل المسجد وأبناء الستر والمتجملين وأولاد النعم ، سوى ما [يجري من مال] السلطان عليهم من الرزق الراتب في كل شهر ، خمسمائة دينار . وما كان يحمله للصدقات في الثغور في كل شهر خمسمائة دينار . وكان راتب مطبخه وعلوفة دوابه في كل يوم ألف دينار ، وما كان يقيمه من الأنزال والوظائف في كل يوم خمسمائة دينار . وكانت له وظائف خبز ولحم على قوم مستورين نساء ورجال في كل شهر ألفا دينار .

وكانت لذته وشهوته كلها فيما يصنع في كل جمعة من الأطعمة الواسعة العظيمة لكل صنف من الحلواء ، وتنصب الموائد ، ويحضر الناس من كل نوع من فقير ومستور ومتجمل ومحتاج ، ومن يتقرب إليه بأن يراه وقد أكل طعامه ، فيقر به ذلك من قلبه ، وهو جالس في مستشرف له ينظر إليهم ، ويفرح بما يراه منهم ، فساعة يسجد شكر الله ، وساعة يقف فيصلّي ركعتين ، وساعة يدعو الله ، وساعة يبكي ، ويطلب الناس بأن يزلوا ، ولا يخرج أحد إلا ومعه الزلّة الكبيرة العظيمة ، فإذا انصرفوا حمد الله وشكروه .

ووجه بابن قراطغان ، وهو كان صاحب صدقاته إلى المعاف ، ومعه حاملو الخبز والقدر اللحم المطبوخة والفالودج والخبيص ، وخبزه المعروف

في كل رغيـف رطلان يسمـى أبو الوفا والدرهم^(١) حتى يفرق ذلك بالمعافر على المستورات ، ومن لم يكن في طاقته الحضور لطعامه .

قال : حدثنا محمد بن الحسن اليافي ، وكان من الصالحين ، شديد التقشف ، وقد جرى ذكر أحمد بن طولون بعد وفاته قال : رأيت أحمد بن طولون في منامي ، وكأنه في روضة خضراء وعليه لبسة حسنة رائعة ، وقد حسنت صورته وهو جالس يده تحت خده ، وعليه [حلة] عظيمة . فقلت [ما فعل الله] بك ؟ فقال : غفر لي وأمرني إلى الجنة . فقلت له : بماذا ؟ فقال لي : إنه لما فارقت روحي جسدي ساقني سائق عنيف في موضع لا أعرفه فاجتزت بهمهم ، وقد فغرت فاها وخرج لسانها ، فعدلت عن الطريق التي يسوقني السائق فيها ، خوفاً أن تحرقني ، فابتدرت إلى امرأة حسنة الوجه ، عظيمة الخلق فقالت : لا بأس عليك يا أحمد ، قد وهبك ربك لي ، ثم مشت بيني وبين النار ، فكنت أخاف من عظيم النار أن تسليني وإياها فتحرقنا جميعاً ، إلا أنني قد أمنت على نفسي بها ، ثم بدرت إلى امرأة أخرى مثلها في حسنها وعظم خلقها ، فقالت لي : أبشر يا أحمد برضا ربك عنك ، وصاحت هي وصاحبتهما على النار فحمدت وانقطع لسانها وبعدت عنا ، فقلت للمرأة الأولى : من أنت ؟ فقالت لي : أنا أم الجهاد بطرسوس ، الشاكرة لمبرتك لنا في الشدائد ، وعفوك عن أهل

منامات رؤيت لابن طولون تبشر بنجاته

(١) كذا ، وكتب « يسمي » بالألف ، ولعل العبارة هكذا : سيما ألوف الدراهم .

الثغور في الجرائم ، فقلت للأخرى : من أنت ؟ فقالت : أنا الصدقات التي كنت تبذلها يميناً وشمالاً وصباحاً ومساءً ، وانصرفتا عني ، وهما تقولان لي : لا تنس شهادة أن لا إله إلا الله بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم نوذي بالسائق : أدخله من باب المغفرة فأدخلت إلى هذا الموضع . فقلت له : فما هذه الكتابة التي أراها بك ، فقال : استحياء من الله ربي عز وجل لما اقترفته من الآثام ، وارتكبته من الأمور العظام . . . فانتبهت من نومي وأنا أترحم عليه ، ولكأنه بين يدي يخاطبني ، لما شاهدته منه وما تداخل قلبي من خطابه .

قال مؤلف هذا الكتاب : وحدثنا الحسن بن علي العباداني ^(١) ، وكان من أهل عبادان ، وهو من أهل التعبد والزهد والورع ، دخل إلى مصر وسكن المعافر ، وله هناك مسجد معروف ، قال : رأيت في منامي كأنني في الرحبة التي فيها العين التي بناها أحمد بن طولون بالمعافر ، وكانت قائلاً يقول لي : الأمير في المسجد - وأوماً بيده إلى مسجد الأقدام - فسلمت عليه ، فقلت له : نعم . فدخلت المسجد فإذا أنا بأحمد بن طولون ، فسلمت عليه فرد علي السلام ، فبينما أنا كذلك إذا بنار من وراء المسجد عظيمة . فقال لي : ألا ترى هذه النار ؟ فقلت : نعم . فقال لي - وأوماً بيده إلى العين التي بناها - : لولا هذه لا كنتني هذه النار . فانتبهت وقد سررت بهذه الرؤيا له .

وحدث محبوب بن رجاء قال : رأيت أحمد بن طولون في منامي بجبال حسنة . فسألته عما لقي ، فقال لي : غفر لي . فقلت له : مع عظيم

(١) في الاصل : العباد

ما ارتكبت؟ فقال: خفف ذلك عني أن أكثر من أسأت إليه
كان مستحقاً من ربه ما نزل به مني، فكنت عقوبة بعثها الله عز وجل
مني عليه. ثم قال: إنما البلاء ظلم من لا ذنب له ولا ناصر. فقلت له:
فمستترك في الجنة؟ فقال: ما استقر بعد أحد في جنة ولا نار، ولكنه
تلوح لنا دلالات المغفرة من طيب النفس، وأمن السرِّب.

قال: ومن الدليل على أنه خفف عنه كما ذكر، ما تحدث به كامل
ابن سعيد متطبب سعيد الصغير، وكان سعيد هذا من أجلاء قواد
الموفق، قال: قال لي سعيد يوماً، وقد دخلت إليه فرأيتُه مغموماً،
فسألته عن حاله فقال لي: شربت أمس نبيذاً فسكرت وعربدت
على غلام لي فضربته بالمقارع حتى مات تحت الضرب، فلما كان في
السحر من يومي هذا، رأيت في نومي كأن آتياً أتاني فقال لي: أنا
رسول رب العالمين يقول لك: غضبت على عبد من عبيدي ملكك
رقه، فضربته بغير حجة حتى مات، وعزتي وجلالي [لا أعجلن لك]
العقوبة في الدنيا. قال: فقلت له: يوقيك الله ويصونك، هذه أضغاث
أحلام، فأظهر ندماً عظيماً، وغماً شديداً، وتصدق في يومه بعشرة
الاف درهم دية الغلام وانصرفت. فلما كان من غدٍ صرت إليه،
فقال لي: ويحك رأيت البارحة أشد مما رأيت قبلها، فقلت له وما هو؟
قال: جاءني ذلك الشخص بعينه البارحة في منامي فقال لي: يقول لك
رب العزة: تقتل عبيدي وتصانعي عنه، هيهات! وانتبهت من قوله
مرعوباً وجلاً خائفاً. فقال كامل بن سعيد المتطبب: فما مضى لقوله

إلا أيام يسيره حتى أنفذه الموفق رسولا إلى أحمد بن طولون في حمل
مال ، وكتب إليه طيفور خليفته بالحضرة يعرفه أن الموفق حمّله
رسائل إلى وجوه قوادك في تضريبهم عليك ، وإفساد قلوبهم لك ،
فأخذره ، ووصل كتاب طيفور إليه قبل وصول سعيد ، فحين وصل
إليه ووقعت عينه عليه لم ينهنه^(١) حتى قال له : يا ابن كذا وكذا !
فرغت من تضريبك الرجال بسرّ من رأى - وكان أحمد بن طولون
يعرفه بذلك - وصرت إلى بلدي حتى تضرب عليّ رجالي ، وتفسد
نيّاتهم بالقشور والمحال ، العمد ، فأحضرت فقال : دماغه ، فلم تنزل العمدة
تأخذ دماغه حتى مات ، فجرّ برجله بين يديه ، فصحت رؤياه التي رآها .
قال مؤلف هذا الكتاب : وبهذا الخبر صحت رويا محبوب بن
رجاء في قوله إنه لما رآه في منامه قال له : خفف عني أن أكثر من
أسأت إليه كان مستحق ذلك من ربه ، فجعلني عقوبة له ، بعثها الله عز
وجل عليه مني . قال : وكان بين قتله سعيداً الغلام وبين مسيره [إلى ابن
طولون والـ] اقتصاص منه . فكان الوقت الذي بلغ الكتاب
فيه أجله .

وحدث عبد الله بن الفتح - وكان من أصحاب سيما الطويل - قال :
رأيت في منامي كأن سيما الطويل متعلق بأحمد بن طولون على باب المسجد
الجامع الذي بناه بصر ، وهو يصيح بأعلى صوته : يا رسول الله ! أعني
على أحمد بن طولون فإنه قتلني ، واصطني مالي ، واستباح أهلي وولدي .

(١) تنهه عن الأمر فتنهه : كفه وزجره فكف وأصلها تنهه

فتأملت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل إلى المسجد فصاح به :
يا سيما ! كذبت ، ما قتلتك أحمد بن طولون ، قتلك عبيج سهل التاجر الذي
قدرت أن عنده مالاً وجدة ، فضربته حتى كاد أن يموت ، ثم دَخَنْت
عليه حتى مات من التدخين ، وأنت وأحمد خاطئان أقل أحدكما وزراً
أحسنكما سيرة ، وأكثركما معروفاً أقربكما من الله ومغفرته .

وحدث أحمد بن دعيم ، وكان من قواد أحمد بن طولون . وترك
الديوان وحسنت طريقته في الخير قال : رأيت أحمد بن طولون فيما
يرى النائم ، وهو بحال حسنة فسألته عما فعل الله به ، فقال لي : يا دعيم
ما ينبغي لمن سكن الدنيا أن يحتقر حسنة يعملها ، ولا سيئة يأتها ،
عدل بي إلى الجنة بثبتي على رجل متظلم إلي ، وكان عي اللسان ، بعيد
البيان ، منقطع الحجّة ، ضعيف الجسم ، وقد ارتاع مني مع ذلك
واضطرب ، فوقفت عليه وسكنته حتى سكن روعه ، وصبرت عليه
في خطابه ، حتى قامت حجته بثبتي ، فتقدمت بإبصاره ، فانصرف
وقد أثر فيه السرور .

للسا واقتصاده = وحدث أحمد بن عبدالعزيز الحريري — وكان في خزانة أحمد بن
طولون ، ومعه قدم من العراق — قال : فرّق أبو الجيش كسوة أبيه
على حاشيته ، فلحقني منها نصيب ، فما خلا شيء مما صار إلي من رفء^(١)
ووجدت في بعضها رقاعاً .

(١) في الأصل : من ادما

قال مؤلف هذا الكتاب : [كان أحمد بن طولون] يقول كثيراً :
ينبغي للرئيس أن يجعل اقتصاده على نفسه ، وتسمجه على شمله
وقاصديه ، فإنه يملكهم بذلك ملكاً لا يزول به عن قلوبهم ،
ولا تفسد معه سرائرهم في نصحه ومولاته وحسن طاعته ، وهذه
كانت صورته رحمه الله .

قال : وحدثنا عبد الله بن الفتح أن نحريراً الخادم غلام المعتمد
حدثه أنه لما ورد الخبر بوفاة أحمد بن طولون على المعتمد بكى حتى
خيف على عينيه ، وعج حتى رحمه جماعة خاصته وشمله ، وحرم شرب
النيذ . وكان ليله إلى أحمد بن طولون ومحبته ، إذا قعد للشرب جعلت
بين يديه صينية فيها خردادي^(١) وقدح وكوز ومغسل ، كل ذلك بلور
على اسم أحمد بن طولون ، فإذا شرب ندماءه ملاً الغلام من الخردادي
الذي في تلك الصينية قدحاً ومضى به ، ولا يزال يفعل ذلك إلى أن
ينصرف الندماء ، وكلما فرغ الخردادي ملئ إلى أن يسكر المعتمد .

فلما مات وحزن عليه وامتنع من الشرب وأقام كذلك مدة
طويلة لم يزل ندماءه يتلطفون له ويخاطبونه بما يسليه ، ويسهل أمره
عليه ، ويعاونهم على ذلك أقرب الناس منه ، وعياله وولده وخاصته
حتى نصب مجلسه . فلما فقد صينية أحمد بن طولون من مجلسه ، كانت

(١) انظر هامش المس ١٢٠ من هذا الكتاب

على رسمها فيه، عاود البكاء عليه والنحيب، وخرج إلى أكثر مما كان
خرج إليه في الابتداء، ورفع المجلس والنبيد من بين يديه، ولم يزل
على ذلك أيضاً مدة طويلة، ورثاه فقال:

إلى الله أشكو أسيَّ عراني كوقع الأسلِّ
على رجلٍ أروعٍ ترى فيه فضلَ الرجلِ
شهابُ خبا وقدُّه وعارضُ غيِّثِ أفلِّ
شكَّتْ دولتي فقدَّه وقد كان زينَ الدولِ
إذا أمَّهُ القاصدو ن حباهم جميعَ الأملِ

[قلت لعبد الله] بن الفتح: ما توهمت أن المعتمد يقيم شعراً لأبي
أنشدت أشعاراً لم أرضها فقال: كان يمزح بأشعار^(١) فأذا شاء جود.

وحدث علي بن يحيى بن أبي منصور، وكان نخاصاً بالموفق ومقدماً
عنده قال: رأيت الموفق في الساعة التي ورد عليه فيها وفاة أحمد
ابن طولون، وقد استرجع ووجم، وظهر منه عليه كآبة، لم أرها
ظهرت منه قط لموت قريب، ولا ولي حميم مخلص. فقلت له: ما توهمت
أنه يرد عليك شيء أسرُّ من نعي أحمد بن طولون، فما هذا الغم
العظيم الذي قد جرى، وجرى في غير موقعه؟ فقال لي: دعنا من
هذا وافهم نبي ما أقوله لك: كان هذا الرجل مخالفي، والخلاف

وقع نعي ابن طولون
في الموفق وتقديره
لصفاته الفر

(١) في الاصل: ناسا. عاره «بلاقط»

يزهد وينقص ، وأعظمه خلاف استباح فيه مخالفتي ما اندرسته (؟)
وغلبني عليه ، وأسبله خلاف أحسن فيه مخالفتي بتدبير ما احتازه منه
فأدى إلى عمارته ، وكان خلاف أحمد بن طولون لي أحب من
طاعة من يطيعني ويستبيح أموالي ، ويخرّب بلداني ، فخلاف من
يحسن تدبير مافي يديه ، أحب إليّ من موالاته من يحتوي علي من
وكلته إليه ، وتذمّ العاقبة فيه بسوء تدبيره ، وقبح أفعاله . وكان
هذا الرجل رحمه الله يدبر ما قلده ، كما يدبر المالك ملكه ، ويحوظه
حياطته لنفسه ، ثم لم يخرج عن طاعة ، ولا أجرى عن حال مذمومة :
رعيته شاكرين ، ومعاملوه حامدون ، وبه متبركون ، وأعماله عامرة ،
وأموالها على يديه راحية ، وأصحابه مغتبطون به ، حسن السياسة ،
جميل الفعل ، كثير المعروف ، فلما قلده أخي نواحيه ، خراجها
ومعاونها ، ضبط جميع ذلك ضبط جزل محتاط ، فتزايدت أفعاله
الجميلة فيها ، على ما كان منه متقدماً ، ثم أقدمني أخي من مكة على
كره مني لذلك ، وكان مقامي بها أحبّ إليّ وأروح لنفسي
هذا لما عاينته وما كابדתه فلما قدمت إليه
رأيت أمو [ر الدولة] مضطربة على غاية من الاضطراب والانحلال ،
حتى إنه كاد الأمر أن يخرج عن أيدينا بقله ضبطه لأمر دولته ،
وسلوكه مالا يجب فيها . فاجتهدت في جمع شتات هذه الدولة ،
ورأيت أمير المؤمنين أخي المؤمن كد لي البيعة رجلاً لاهياً ، مقبلاً

على لذاته ، مشتغلاً بأفراحه ، لا يشغله عن ذلك شيء من أمر دولته ، ولا يفكر فيه ، قد ألقى أموره إلى من استبد بها دونه ، واجترأ عليها واشتغل بمصالح نفسه وما عاد لمحبيه ، ولا يفكر في عاقبة ، ولا يتخوف من حادثة .

فتعطرت^(١) لبقاء هذه الدولة بما ضبطتها به ، وصنعتها عما كانت قد أشرفت عليه من الزوال . وتأملت أمر غلامه كلهم ، فما أجدت أمر أحد منهم ، وتأملت أمر أحمد بن طولون رحمه الله ، فوجدته قد حمل إلى إمامه المنفرد باصطناعه ، مذ تقلد هذا البلد ، ما كنت أرضى أن يحمل إليّ بعضه لإصلاح ما أنا بسبيله ، ولضيق الأمر وتعذر الأموال عليّ ، فيما أعانته ودفعت إليه ، وناظرني بما إذا تأمله المتأمل المنصف علم أن عذره في خلعي ، أوجب من عذري في لعنه ، وما خرج إليه في أمري من انحرافه عني ، أوجب مما خرجت إليه في أمره وفي انحرافي عنه ، وإن كنت أظهر ذلك بلساني وقلبي بنكره ، ويعلم خطائي فيه ، وعذره فيما يأتيه ، وأئمتنا هؤلاء فهم فساد فيما بيننا وبين الناس . هذا المهتدي أشرت عليه أن يدبح (?) في سيرة أبيه ، وأعلمته أن الزمان الذي فسد بها أوجب ما أجرى إليه من سوء التدبير بما يكون فيه المشقة المحقة غششته

(١) تعطرس : تفتب

أني إنما أردت وقصدت الطعن على تدبيره
ورأيه ، وقد علم الله جل اسمه أني قد نصحته فضرَبَ بيدي
وبين الناس ، وعمل في أمري ما شاهدوه ، ونفاني عن حضرته ،
وركب خطأه وسوء تدبيره ، فلم يزل يركض فيه حتى قتل أقبح
قتلة ، فشمته به عدوه ، واغتم به وليه ، وغم نفسه لاستبداده
برأيه ، وإن كان كل ما يجري من الله جل اسمه ، وقضاؤه ينفذ
كما يشاء بسلب كل ذي لب له حتى تتم مشيئته ، إلا أن مخالفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك المشاورة خطأ ، فأقت ، طول
ما أقت ، هادئ القلب ، آمن السرب ، طيب النفس ، غير مفكر
إلا فيما عاد بأجري ، وحمدته في عاقبتني ، إلى أن ردَّني أخي .
ولأحمد بن طولون رحمه الله أولاد عداد ، وموالٍ وعدد جيم ،
لم يروا غير رياستهم ، ولم يكن في جماعتهم من قلبه ممتلي من هيبتنا
غيره ، لأنه ربي في خدمتنا ، وشاهد قوة أمرنا وأحوالنا ، فامتلاً
من ذلك قلبه ، وكبرت سطوتنا في عينه ، وخاف الآن أموالاً
جمعة عظيمة ، لا يحوط جميعها من قليل وكثير إحصاء محص ، ولا
ضبط محتاط مكفي ، وإذا اجتمع لمن يقوم مقامه من ولده قلة التيب
لنا ، إذ لم يشاهد من أحوالنا ما قدمنا ذكره من مشاهدة أبيه من أمرنا ،
مع كثرة المال والأعراض والعدة الجليلة العظيمة والعدة الكثيرة
الوافرة القوية ، بالخال الجليلة والجمال والمال والشجاعة والإقدام ،

حسب ما اختصهم أبوهم ، وانتخبهم واختارهم ، وملاً أعينهم بما
لا نتسمح نحن بمثله لكثير من أصحابنا فكيف غيره ، فهم على ولده بذلك
يحتاطون وفي

بجالين أحدهما المحافظة لما أتاه أبوهم فيهم من الجميل و .
عليه من عظم الأحوال ، وثانيه لأنهم تيقنوا أنهم لا يجدون مثله ولا مثل
ولده أبداً ، فلهذه الأحوال تعظم علينا نكايتهم معها ، ويبعد
علينا في ذلك مرامهم ، ويظراً علينا منهم ما لعلنا أن نقصر عنه ، وعن
بلوغ المراد به ، لأن الأنصار مع المال حيث كان ، ولا سيما أنصار
من أنصار ، فإن بأيدينا من يقوم منهم كان خليقاً بالغلبة ، وإذا كان
النصر لهم قدحت فينا عليه لنا قدحاً عظيماً وهدت منا ركناً كبيراً ،
وكنامع ذلك قد اضطررناه إلى إتلاف الأموال التي تحتاج إليها المملكة
المجاهدة عدواً إن تحرك ، فإن كان النصر لنا عليه لم نجد بداً من أن
نستخلف على بلدنا ونواحيه من هم كانوا لنا وللأعمال أصلح وأجود
وأوثق وأحسن تدبيراً وأجمل حالاً وسياسة فيما تقلده .

وكان بغية المتقلد بعد أحمد بن طولون رحمه الله وبعد تركته
تحصيل الأموال وجمعها لنفسه واستئثاره بها وبجميع ما تنبسط يده
إليه دوننا ، ثم بعد ذلك تخريبه بلداننا ، وإطلاقه نهبا ، وإخافة
سرب أهلها ، ودون فائدة للسلطان ، ولا عائدة علينا ، إلا ما تنبسط
به الألسن بالدعاء علينا والوزن لملد . أعناقنا ، وهو غير مفكر في

ذلك وليس وكده إلا ما عاد لمحبية . ثم أقبل يترحم على أحمد بن طولون
وبيكى على فقده .

فقال علي بن يحيى بن أبي منصور : فقلت للموفق : ثبت الله
عزم سيدي وسدد رأيه ، وعوضه منه وحرس له ما منحه به ،
فهذا والله الرأي السديد ، والفهم الرشيد ، ولولا ما خصه .
.....
سيدى أیده الله عندما تبينته مما بينه لي الأمير أیده الله وشرحه
من حال هذا الرجل رحمه الله ، وكشف منه ما كان عني مغطى
وعن سائر الناس الذين لا يعلمون مقدار ما علمه الأمير مد الله في
عمره ، وبلغه أفضل آماله في دنياه وآخرته ، والله بكرمه بينيه
ما خوله ، ومن به من رياسته ، ويجعله عماداً لها بمنه وقدرته .

قال مؤلف هذا الكتاب : وجدت ثبتاً^(١) لابن مهاجر بما جمعه أحمد
ابن طولون إلى المعتمد وفرّق في جماعة من حاشيته لأربع سنين ،
أولاهن سنة إحدى وستين ومائتين وأخراهن سنة خمس وستين ومائتين ،
مما كانت به السفائح تنفذ إليه سرّاً مع من يثق به ، ويأمنه على سره
وماله ، ولا يعلم بذلك أحد من يكره علمه به من أصحابهم وغيرهم
مما بلغه ألفاً ألفاً ومائتا ألف دينار .

قال : وكانت نفقات أحمد بن طولون رحمه الله جداً لا هزلاً كلها
فيما قربه من الله عز وجل [و] من صالحى كل بلد تقلده يرغب في دعائهم

الرخاء العام في
بلاد ابن طولون

(١) التبت محرّكة : الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشياخه كأنه أخذ من الحجّة

ويستجلبه بكل نوع ، ويخنو على رعيته ويستجلب به دعاءهم .
وكان وكده وشغله واهتمامه بإسعاد بلده ، وسائر ما بعد من
بلدانه ، يسعى فيما يرخص الله جل اسمه به أسعاهم ، وجميع ما يباع في
بلده وسائر بلدانه ، فكان الرخص به عاماً ، في كل بلد من سائر
الأطعمة . وكان السبيل به آمناً ، والأرزاق يبركته دارة ، والنعمة من
الله جل وعلا منه ارادته (؟) جل اسمه على سائر الناس مترادفة متكافئة .

تمت سيرة أحمد بن طولون



رقم ١١٩
١٨٠١

استمراك

كتب إلينا من بمبي العلامة ايفانوف Yvanouf يقول إن البلوي قد يكون من الاثني عشرية أو أنه كان من إحدى فرق الإسماعيلية التي نظر إليها فيما بعد أنها لا تعد في أهل السنة ومثل البلوي كثيرون ممن أدخلوا في جملة الإسماعيلية .

وكتب إلينا العلامة أبو عبد الله الزنجاني في طهران يقول : إن كل ما ورد في كتب رجال الشيعة بشأن البلوي ينتهي إلى نصين : أحدهما ما ورد في فهرست ابن النديم في بحثه عن الإسماعيلية والدعاة إلى مذهبهم وذكر مصنفهم ، وأظن أنه وقع اضطراب في عبارة كتاب الفهرست فإنه بعد أن ذكر الحلاج وأخباره وأسماء كتبه تعرض لذكر رجال لا نسبة بينهم وبين الباطنية . فقد ذكر عبد الله ابن بكير وهو من الفطحية وأجمعت الشيعة على تصحيح حديثه للوثوق به . وذكر الحصين بن مخارق وهو واقفي . وذكر أبا القاسم علي بن أحمد الكوفي وهو مرمي بالغلو والتخليط وذكر داود بن كورة القمي وهو إمامي . ثم ذكر البلوي ولم يشر إلى دعوته للباطنية . وذكر بعده محمد بن أحمد القمي وهو من معاريق الشيعة الإمامية . فلولا قرائن أخرى لما أمكن عدده من رجال الباطنية لأن صاحب الفهرست خلط رجال الفرق المختلفة بعضهم ببعض . والنص الآخر هو نص ابن الغضائري وقد نقله ابن المطهر الحلي الشير

بالعلامة تلميذ نصير الدين الطوسي الحكيم الفلكي وزير هلاكو .
وفيه أن البلوي مصري كذاب وضاع للحديث لا يلتفت إلى حديثه
ولا يعبأ به . اه

هذا ما قاله السيد الزنجاني ، وبه يثبت ما أشرنا إليه في مدخل
الكتاب من أن أهل السنة والشيعة متفقون على رمي البلوي بالوضع
واتهامه بالكذب ، والله أعلم بما دعا إلى إلصاق هذه التهمة به وببلغ
هذه الروايات من الصحة .
أما إسماعيلية البلوي فما برحت موضع الشك بعد الذي أورده
صديقنا الزنجاني .

فائمة المطاف

ومن الواجب ، ونحن نودّع البلوي الذي أطربنا بنغمته وفنه في
تأليف هذه السيرة ، أن نشكر لأصدقائنا الأساتذة عبد القادر
المبارك ، و خليل مردم بك ، ويوسف العشي ، على معاونتهم لنا في حل
بعض مشكلات تجلت في الكتاب بجهل الناسخ . ونخص بالشناء
حضرات أصحاب المكتبة العربية لتفضلهم بنشر الكتاب على هذه
الصورة الأنيقة . وأكبر الفضل لأحدهم صديقنا الأستاذ أحمد عبيد ،
فإنه أعاد النظر في الكتاب من أوله إلى آخره ، ودقق فيه تدقيقاً بليغاً ،
فرد بذلك معظم نصوص المخطوط إلى نصابها من الصواب . جزاهم الله
عن الآداب أفضل الجزاء .

فهرس

سيرة أحمد بن طولون

- ١ - فهرس مراجع التصحيح والتعليق
- ٢ - أسماء الرجال والنساء والأمم والجماعات
- ٣ - البلدان والبحار والأنهار والأماكن
- ٤ - الموضوعات

فهرس مراجع المصحيح والنعلين

٢٨	زهر الآداب للحصري	١	احسن التقاسيم للمقدسي البشاري
٢٩	صبح الأعشى للقفشندي	٢	أخبار الحكماء للقفطي
٣٠	طبقات الأطباء لابن أبي أصيدعة	٣	الأذكياء لابن الجوزي
٣١	طبقات الخنايلة لابن أبي عملي الفراء	٤	أسرار الحكماء لياقوت المستعصي
٣٢	الطبيب محمد بن الحسن الكاتب البندادي	٥	الانفاط الفارسية المربة لادي شير
٣٣	المقد الفريد لابن طلحة الوزير	٦	الانساب للسماعي
٣٤	المقد الفريد لابن عبد ربه	٧	اليان والاعراب عما بأرض مصر من
٣٥	الفرج بعد الشدة للتوحي		الاعراب للمقرزي
٣٦	الفهرست لابن التميم	٨	اليان والثنين للجاحظ
٣٧	للطوسي	٩	التاج في أخلاق الملوك المنسوب للجاحظ
٣٨	قاموس الجغرافية القديمة لآحمد زكي	١٠	تاج العروس للزبيدي
٣٩	القاموس المحيط للفيروزآبادي	١١	تاريخ الامة القبطية للجنة التاريخ القبطي
٤٠	الكامل لابن الاثير	١٢	تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري
٤١	الكامل للمبرد	١٣	تاريخ سعيد بن بطريق
٤٢	كنوز الفاطميين لزكي محمد حسن	١٤	تاريخ القضاء
٤٣	لسان العرب لابن منظور	١٥	التاريخ الكبير لابن عساکر
٤٤	لسان الميزان لابن حجر	١٦	تاريخ مصر لابن إياس
٤٥	المختص لابن سيده	١٧	تاريخ الوزراء للصايي
٤٦	مروج الذهب للمسعودي	١٨	اليقوي
٤٧	مسالك الابصار لابن فضل الله العمري	١٩	تقويم البلدان لأبي الفداء
٤٨	المشبه للذهبي	٢٠	تنقيح المقال للامامقاني
٤٩	معجم البلدان لياقوت	٢١	ثمار القلوب للشمالي
٥٠	معجم ما استعجم للبكري	٢٢	الجمهر في الجواهر للبيروني
٥١	المنزب في حلى المنزب لآحمد بن يوسف	٢٣	جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري
	الكاتب المعروف بابن الداية قطعة منه	٢٤	حسن المحاضرة للسيوطي
	في سيرة آحمد بن طولون	٢٥	الحراج لآبي يوسف
٥٢	المكافأة لآحمد بن يوسف الكاتب	٢٦	خطط المقرزي
٥٣	منتهى المقال او رجال آبي عملي	٢٧	روضة المحبين لابن قيم الجوزية

٥٨ : الوافي بالوفيات لاسفندي	٥٦ : مورد الطاعة لابن تفرج بردي
٥٩ : وفيات الاعيان لابن خلكان	٥٥ : ميزان الاعتدال للذهبي
٦٠ : الولاة والقضاة لاسكندر	٥٦ : النجوم الزاهرة لابن تفرج بردي
	٥٧ : التقود الاسلامية للمقرزي

وغير ذلك من الدواوين الشعرية كديوان البحري وديوان ابن الرومي

Encyclopédie de l'Islam.

معلمة الاسلام (مادة الطولونية وأحمد بن طولون ، والتقاطع ، والقاهرة)

Dozy : Supplément aux dictionnaires arabes.

ملحق بالمعجم العربية لدوزي

Dozy: Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes.

المعجم المفصل في أسماء الثياب عند العرب لدوزي

Zaky Mohamed Hassan: Les Tulunides.

الطولونيون لزكي محمد حسن

فهرس أسماء الرجال والنساء
والأسمم والجماعات (*)

الأتراك (الترك) ٤٣٢، ٤٢٧، ٤١٨	- ١ -
١٥٢، ١١٨، ٤٤٠، ٣٩، ٣٥	
ابن الأثير ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩	آدم ٣٢
٢٩٨، ٢٩٣	الاباضية ٢٥٤، ٢٥٣
احمد بن ابراهيم الأطروش ١٦١	ابراهيم بن احمد بن الأغلب ٢٥٣
٢٧١، ١٧٨، ١٦٢	٢٥٦، ٢٥٤
احمد بن اسماعيل بن عمار (المعروف	ابراهيم الخليل (عليه السلام) ٢٦٠
بسبع شعرات) ١٧٨، ١٧٩، ٢٤٣	ابراهيم بن عبد الوهاب اليتيم ٣١٠، ٢٩١
احمد بن أعين ٧	ابراهيم بن قواطغان ١٩٨، ١٨١
احمد بن ابي أوفى ٧	٣٥١، ٢٥٦
احمد بن أمين ٢١٧، ٢١٥، ١١٥	ابراهيم بن كامل المصور (المصري)
ابو احمد بن جعفر المتوكل = الموفق	٢٨٩، ٤٧
احمد بن جيفويه ١٠١، ٦٩، ٦٨	ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله
٢٤٤، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣	ابن علي بن محمد بن عمر بن علي بن ابي
احمد بن خاقان ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠، ٤٧	طالب المعروف بابن الصوفي ٦٣، ٦٢
ابو احمد بن الخصيب ٢٩٣	ابراهيم بن مدبر ٢٩٢، ٢٩٠
احمد بن دعباش (أودع باج) ٩٣، ٩٢	أتامش ٣٣
٣٢٠، ٣١٥	

(*) رتبنا هذا الفهرس على حروف الهجاء باعتبار الحرف الاول والثاني وما يليهما (بعد اسقاط اداة التعريف ولفظ اب وابن واخت وما إليها) والرقم الكبير للصفحات فإذا كان بأعلى رقم أصغر فذلك إشارة إلى أن الاسم مكرر في هذه الصفحة بعده ، وإذا كان بجانب الاسم هذه الإشارة = فنها نظر .

- احمد بن دميم ٢٣٠٤٧ ٢٣٥٦
احمد زكي باشا ٢٨٨
احمد بن شجاع (ابو تراب) ٦٠
احمد بن صالح الرشيدى ٢٤٥
احمد بن عبد العزيز الحريري ٣٥٦
احمد بن عبدالله بن ابراهيم ٦٣
احمد عبيد ٣٦٦
احمد بن ابي العلاء (قاضي مصر) ٢٩٧
احمد بن عيسى بن شيخ الشيباني ٤٥٠
٤٥١ ٥٦
احمد بن عيسى الصغددي ٨١٤٤٦
احمد بن القاسم ٧
احمد بن القاسم بن اسلم ٢٤٥
احمد بن المؤول (المعروف بأبي معشر) ٢٦٩ ٢٤٦
احمد بن محمد بن خاقان ٣٥
احمد بن محمد بن سلامة (الطحاوي) ٣٥٠ ٢٩٥ ٢١٧ ٢١٦
احمد بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم
ابن طباطبا (ببغا الكبير) ٦٣
احمد بن محمد الكاتب ٢٢٦
احمد بن محمد الكوفي (ابو العباس) ٣٣
احمد بن محمد بن مدبر ٤٤٤ ٤٣
٤٥٩ ٥٨ ٥٦ ٥٥ ٤٦ ٤٥
٤١٤٩ ١٤٨ ١١٨ ٦٠
٣٥٠ ١٧٢ ١٧٦ ١٧٥
- احمد بن محمد الواسطي (ابو عبدالله)
٤٨٤٤٢ ٤١ ٣٩ ٢٣ ٤٧
٤١٠٦٤ ١٠١٤٩٣ ٤٩١ ٥٧
٤١٦٦ ٤١٦٥ ٤١١٤ ٤١١٣
٤٢٤٦ ٤٢١٩ ٤١٧٧ ٤١٦٧
٤٢٦٤ ٤٢٥٥ ٤٢٤٨ ٤٢٤٧
٣١٨ ٢٨٥ ٢٨١ ٢٧١ ٢٦٥
٣٣٨ ٣٣٧ ٣٣٠
احمد (أوجعفر) المدائني (صاحب مومى
بن بغا) ٨٨
احمد بن وصيف ٩٣
احمد بن يحيى السراج ٥١
احمد بن يعقوب ٢٧٠
احمد بن يوسف الكاتب (ابن الداية)
٤٧٤٦ ٤٨ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢
٤٤٦ ٤٣٥ ٤٣٣ ٤٣١ ٤١٣
٤٨٨ ٤٨٤ ٤٨٢ ٤٧٥ ٤٦٠ ٤٤٧
١٧٧ ٤١٧٦ ٤١١٠ ٤١٠٦ ٤٨٩
٤١٩٤ ٤١٩٣ ٤١٩٠ ٤١٨٧
٢١٣ ٤٢١١ ٤٢١٠ ٤٢٠٩ ٤١٩٥
٢٤٥ ٢٣٩ ٢٣٧ ٢٣٠ ٢١٨
٢٨٩ ٢٨١ ٢٧٠ ٢٦٨ ٢٤٦
٣٤٧ ٣٤٦
الأحنف بن قيس ٧١
الاحوص ١٤٦
ادي شير ٣١٤

الأصبغ بن عبدالعزيز بن مسوان ٣٢٠
الاصمعي ٣١٠٤٣٧
ابن أبي أصدبة ٣١٣
الاطروش = احمد بن ابراهيم
الاعراب ٣٧٤٣٨٤٣٧٤١٠٥٤١٠٥٤
ابو الأغر ١٠٦٤١٠٥٤١٠٥٤
ابن الاغلب = ابراهيم بن احمد
أغلب بن احمد بن طولون ابو منصور
٣٤٩
الافشين ٢٦٥
الياس بن منصور الزناتي النفومي ٢٥٣
٢٧٠٤٢٦٤٢٥٦٤٢٥٥٤٢٥٤
اماجور التركي (ماجور الافرنجي) ٥٢
الامامية ٣٦٥٤٥٤٤
أندونة الراهب ١١٨
اندونة السكاك ٨٩
انمج ٣٢٠٤٢٦٨٤٢٦٧٤٢٦٦
انوشروان ١٦٧
الاموس ٣٢
ابن ايباس ٣٥٠
ابتاخ ٣٣
ايفانوف : ٣٦٥
امين الامود ٢٥٥٤٢٤٨٤١٠١
ابو ايوب (ابو ذؤيب) ١٦١٤٧٢
٢٤٩٤١٩٠

أرخوز بن يولغ بن طرخان ٢٩٠
ابن الأرقط ٢٣٩
أسامة بن حباب ٢٧٣
اسحق بن ابراهيم ٣١٩٤٧
اسحق بن دينار ٤٨٤٤٦
اسحق بن طريف الخزومي ٣٠٠
اسحق كاتب جرجان النصراني ١٦١
١٦٣٤١٦٣
اسحق بن كنداج الخزري (ذوالسيفين)
٢٩٠٤٢٩١٤٢٩٤٤٢٩٥٤
٢٣٠١٤٢٣٢٠
بنو اسرائيل ٣٣٦
اسرائيل بن فروخ ٧٠
الاسلام ٣١٢٤٢٩٢٤٢٣١٤٢٦٣٤٤
اسماء زوجة احمد بن طولون ٢١٢
اسماعيل بن بلبل ٣٣٨
اسماعيل بن جعفر الصادق ٥
اسماعيل بن عبدالله المروزي (ابو نصر)
٥١٤٢٥٠
الاسماعيلية (السبعية) ٢٦٤٥٤٤
٢٣٦٥
الاسود = أمين الاسود
ابو الأسود = الغطريف
ابن الاشعث ٢٦٧
اشناس ٣٣
أشهب ٣١٨٤٢٤٩

٣١٠٤٢٧٣

بلاغ (خادم ابن الأظلب) ٢٥٥٤٢٥٤

البلوي = عبد الله بن محمد بن عمر

بلي ٣

بهم بن الحسين ٦٣

بولس ٣٣١

البيروني ٢٣٠٤١٩٦٤٦٠

- ت -

ابو تراب = أحمد بن شجاع

الترك = الاتراك

تركان بن عبد الله بن الامام ١٢٦

١٢٨٤١٢٧

التركان ٣٧

ابن تغري بردي ١١٢٤٩٣٤٧٤

تعال (?) بنت احمد بن طولون ٣٤٩

تسكين بن منصور الخزري مولى المعتضد

١٠٣٤١٠٢

تنوخ ٩٦

التنوخني (القاضي) ٢٨٧٤١٥

تبنك (نيزك) ٢٩٢٤٢٩١٤٢٩٠

- ث -

ثابت بن سليمان ٢٤٢

الثعالي ٥٠

ثمود ٢٠٣

- ب -

بابك الخرمي ٢٦٥

الباطنية ٣٦٥

باكبك ٤٤٢٤٣٣٤٢٧٤١٩

٤٦٤٤٥٤٤٣

البيجة ٦٦٤٦٤

البحثري ٢٦٥٤٢٤

بدر الحميري (?) ٨١

بدر الحميري ٢٨٨

البرابية ١٩٦

براقه الحاسب ٧

البرنطية (البربطية) ١٩٦

بشر بن غياث المريسي ٦٥

بصير ٢٦٨٤٢٦٧٤٢٦٦

ابن بطلان ٣١٣

بغا (أبو موسى) ٩٣٤٣٣

بكار بن فتيبة (أبو بكر) ٥١٤٩

٤٢٤٩٤٢١٦٤١٧٩٤١٦٧

٢٩٧٤٢٩٥٤٢٩٤٤٢٥٢

٤٣١٨٤٣١٧٤٣١٦٤٢٩٨

٣٣٣٤٣٣١ (ابن اخته) ٣٣٣

أبو بكر البناء المقدمي ١٨٤

ابن أبي بكر ١٨٦

البكوري ٤١٠٢٤٦٣٤٣٧٤٣٦

ابن حباب الجوهري ٦٠
حباسة بن يوسف ١٠٢
حبسية اخت احمد بن طولون ٣٣
حبشي (ابن اخي اسحاق بن كنداج)
٢٩٣٤٢٩١
الحجاج بن يوسف الثقفي ٣٠٠
٤٠ ٤١٨٦ ٤١٨٥ ٤٠٦
٣١٧ ٣٠٧
ابن حجر ٥
ابن حدار = جعفر بن حدار
حدرى الجوهري ٦٠
بنو حزم ٢١٧
الحسن بن زيرك (الطبيب) ٣١٣
٣٢٣ ٣٢٢ ٣٢١
حسن بن شعرة ١٤٨ ١٤٩
الحسن بن سليمان بن ثابت ١٧٩
الحسن بن عطف ٣٠٥ ٣٠٦
الحسن بن علي العباداني ٣٥٣
الحسن بن قاسم الانباري ١٨٥
الحسن بن محمد بن احمد المصري العسال
(أبو علي) ٣١٩
الحسن بن مخلد بن الجراح ٥٧٤٤٣
١٧٧ ١٧٥ ١٧٤ ١٧٣
حسن بن مهاجر ١٤٢ ١٤٥
٣١٨ ٢٧١ ٢٠٩ ١٤٦
٣٦٣ ٣٣٧ ٣٣٦ ٣٣٥ ٣٣٠

- ج -

الجاحظ ٣١٧
جباب الجوهري ٦٠
ابن الجراح = الحسن بن مخلد
= علي بن عيسى
جريح بن الطباخ المتطيب ٣٢٥
ابن جرير = الطبري
جعفر بن حدار (أوجرار) الكاتب
١٧٧ ٢٤٥ ٢٥٠ ٢٥٢
٢٦٩ ٢٥٦
جعفر الصادق ٥
جعفر بن عبد الغفار ١٠٦
جعفر بن عبدالله ٢٤٦
جعفر بن المعتد (المفوض الى الله) ٢٧٧
٢٩٨ ٤٨٥ ٤٨٣ ٤٨١ ٤٧٨
جعفر بن يارجوخ ٢٦٩ ١٥٤ ١٥٣
الجل الشاعر ٦٩
ابن جمهور ١٦١
الجزاوي ١٨٩
ابو الجيش = خمارويه
ابن جيفويه = احمد بن جيفويه
- ح -
ابو حاتم ٣١٠ ٤٣٧
ابو حازم (قاضي دمشق) ٣٥٠

خلف (صاحب احمد بن طولون) ٣١٠	الحسن بن واقع ٤٢٤٧
ابن خلكان ١٥١	الحسين بن احمد الماذراني المعروف بابن
ابن الخليج ١٠٤	زنبور (ابو علي) ١٨٠
الخليج = ابو طالب	الحسين بن حمدان ٢٨٧
خليل مردم بك ٣٦٦	حسين الخادم (المعروف بعرق الموت)
نهارويه بن احمد بن طولون (ابو الجيش)	١٤٤٤ ١٤٣٤ ١٤٢٤ ١٤١٤ ١٤٠٤
٤١١٨ ٤٦٠٤ ٤٤٧٤ ٣٢٤ ٢٦٤ ١٣	الحصري ٣٠٧٤ ١٢٨
٤٣٠٩ ٤٢٩٨ ٤٢٨٦ ٤٢١٨ ٤١٨٤	الحسين بن مخارق الواقفي ٣٦٥
٤٣٣٨ ٤٣٣٧ ٤٣٣٦ ٤٣٣٣	ابو حفص بن ابي ثابت ٢٤٩
٣٥٦ ٣٤٩٤ ٣٤٥٤ ٣٤٠٤ ٣٣٣٩	الحلاج ٣٦٥ ٤٦
الخوارج ٤٢٩٢ ٤٢٥٣ ٤١٩٤ ٤٠٤٥	حماد بن علي الأزدي ١٣١٤ ١٣٠
٣٠٧٤ ٣٠٦	حمدان (أو احمد) بن خاقان ١٠٦
خير الخادم (ابو صالح الطويل) ٣٤٠	الحنابلة ٧٣
٣٤١	حميد الأرقط ١٨٦

- د -

الدارقطني ٢٥
داود بن كورة القمي الأمامي ٣٦٥
ابن الدابة = احمد بن يوسف الكاتب
ابن دشومة = عبد الله بن دشومة
دعباش ٧٠
ابن دعباش = أحمد بن دعباش
دعل بن علي الخزاعي ٩٥
دعناج الحاجب ٥٥
دوزي ٢٦٨ ٤٢٣٠ ٤٢١٣ ٤١١٩

- خ -

خاقان الطرسوسي ٣٢٠ ٤١٥٢
خديجة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
خديجة أخت محمد بن القمح ١٧٣
الخزر ٢٣٠
الخزرج ٣٢١ ٤٣٢
خزرج بن احمد بن طولون ابو الكراديس
٣٤٩
ابن الخصيب = ابو احمد بن الخصيب
خطاروش ٢٩٢ ٤٢٩١ ٤٢٩٠

ابو زرعة البصري ٩٣
زكي محمد حسن ٢١٠٠٤١٢٠
الزنادقة المانوية ٦٣
ابن زنبور = الحسين بن أحمد
الزنج ٢٩٤٤٨٤٤١٩
الزنجاني (ابو عبدالله) ٣٦٥ ٣٦٦
ابن اخت بن الزنقي ٢٤٠
زياد المعدني (مولى اشهب) ٢٤٩
٣١٨٤٢٥١٤٢٥١٤٢٥٢
ابن زيرك = الحسن بن زيرك
زنبب بنت احمد بن طولون ٣٤٩
- - -
ابن ابي الساج ٣١٥ ٣٢٠
سارة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
سبع شعرات = احمد بن اسماعيل
ابن السراج ٢٩٨
سعد الفرزاني ١٧٥٤١٨٩
٣٣٣٤٢٢٤
سعيد بن بطريق ٣٥٠
سعيد (الحاجب) ٤١
سعيد بن توفيل (ابو عثمان الطبيب) ٣١٣
٣٢١ ٣١٩ ٣١٥ ٣١٤
٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦
٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩

- ز -

الذهبي ٥
ابو الذؤب الساعي ٢١٨٤٢١٧
- - -
الراغب (الأصفهاني) ١٢٧
الرافعي ١٩٥ ١٩٦
ابن الربيعي ٣١٢
الربيع (حاجب المنصور) ٣٠٨
الربيع بن سليمان (صاحب الشافعي) ٢١٦
ربيعة بن احمد بن طولون (ابو المكرم)
٣٤٩٤٢٨٨٤٢٤٨
رجاء بن يارجوخ ١٥٣
الرشيد = هارون
رشيق اخو سعد الفرزاني ٣٣٣
الرماعي ٣٤٣
أبوروح = سكن
الروم ٣٦٤٢٨ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩
٢٤٨٤١٥١٤١٣٤٤١٠٩٤٢٩٨
ابن الرومي ٢٧٧٤٢٧٢
روبة ٣٤٧٤٣٤٦
ابو ريشة = سليمان بن ثابت
- - -
زبيدة ٧٨
الزيددي ١١٨

شجاع بن اسلم الحاجب (ابو كامل)	٢٠٨	٣٥٤	سعيد الصغير (من قواد الموفق)	٣٥٥
الشراة = الخوارج		٣٥٥	سعيد الغلام	
شعبة ابن خر كام الباكي	٦٦٤ ٦٧٤	١٨١	سعيد بن كاتب الفرغاني القبطي	
٧٢٤٧٠٤٦٩٤٦٨		٦٩٤٦٨٤٦٧	سكن (ابو روح)	
ابن شعرة = حسن بن شعرة		٢١٧	سلامة (جد الطحاوي)	
شعيب بن صالح	١٣٠٤١٢٩٤٧	٢٨٠	سليم (بعض اليهود)	
٣٣٤٤٣٣٣٤١٤٢٤١٣٣		٤٢٤٢	سليمان (كاتب شقير الخادم)	
شقير الخادم (صاحب البريد)	٤٤٣	٢٤٣		
٢٤٣٤٢٤٢٤٨٨٤٥٨٢٥٦٤٤٥		٧٣	سليمان بن ثابت (المعروف بأبي ريشة)	
شمس الدين سامي	٥٢	٣٣	سمانة اخت احمد بن طولون	
شيبان بن احمد بن طولون (ابو القناب)		٣٤٩	سمانة بنت احمد بن طولون	
٣٤٩٤٢٨٨		٣١٩	السمعاني	
الشيعة	٣٦٦ ٣٦٥٤٦٣٤٥	٣٦٦٤٣٦٥٤٥	السنة	
- ص -		١٩٦	السندي بن شاهك	
الصابئة (الصابئون)	٢٧٣	٣٥٦	سهل التاجر	
الصابوني القاضي	٢٤٩	١٤٢٤١٤١٤١٣٧	سوار الخادم	
الصابي	١٨٠	١٥٩		
صاعد بن مخلد (ذو الوزارتين)	٢٩٣	١٩٤	ابن سيده	
٣٠٣٤٢٩٦٤٢٩٤		٩٥٤٥٩٤٤٩٠٤٨٩	سيما الطويل	
صالح بن احمد بن حنبل	٧٣	٣٥٦٤٣٥٥٤٩٧٤٩٦		
صالح بن علي	١٤٥	٢٩٩٤٢٠١٤١٩٥٤٦٩	السيوطي	
صالح بن محمد	٢٩٤			
صالح بن يار جوخ	١٥٣			
ابو صحبة (ضحية)	٤٤٤٤٣			
٣٢ - ٢ ابن طولون				

الطرسموسي (ابوالعباس) ١٠٠٤٩٨	الصفدي ٧٣
١٢٣، ١٢٢	صفية بنت احمد بن طولون ٣٤٩
طفح بن جف ٢٨٨	الصقالبة ٩٠
طفرغر ٣٣	الصليبيون ٣٧
ابن طلحة الوزير ٨٠، ١٨٤، ٢١٦	سندل المزاحمي ١٢٨
الطومسي (نصير الدين) ٣٦٦، ٤	صم عين شمس ٢٨٨
طولون ٣٣، ٣٤	الصوفي (أو ابن الصوفي) = ابراهيم
آل طولون ٦، ١٦، ٢٥٤	ابن محمد
ابن طولون الصالحى = محمد بن علي	الصولي ١٥
الطويل = خير الخادم	- ط -
الطويل = سببا	ابو طالب الخليج (صاحب شرطي ابن
طيب بن صفوان ٢٩١	طولون) ٢٣٦، ٢٣٥
طيفور التبركي (خليفة ابن طولون بالحضرة)	الطالبيون ٦٣، ٦٢
٦٠، ٦١، ١٠٩، ١٣٩، ٤	الطالقاني = القطان
١٥١، ١٦٧، ٢٨٦، ٢٩٠، ٣٥٥	طاهر بن الحسين ٣٣
- ع -	طاهر الكبير الخادم ١٩٤، ٤٧
عاد ٣٠٣	طبارجي ١٢٧، ١٢٨، ٢٢٥، ٢٦٤، ٤
عائشة بنت أحمد بن طولون ٣٤٩	٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢، ٤
العباس بن أحمد بن طولون (أبو الفضل)	٣٣٨، ٣١٥
٢٣، ٢٥، ٣٥، ٥١، ٤٩١، ١٠١	ابن طباطبا = احمد بن محمد بن عبد الله
١٠٦، ١٥٤، ٢١٢، ٢١٣، ٢	الطبري ٣١٧، ٣١٠، ٢٩٨، ٢٩٤، ٤٥٠
٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢	الطحاوي = احمد بن محمد بن سلامة
٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢	طخشي بن بلبرده ١٣٣، ١٠٩، ٩١
٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢	٣١٠
٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢	

١٩١٤٢١٩٠٤٢٧٧٤٧٦	٤٢٣٧٢٤٢٧٦٤٢٨٦٤٢٣١٨٤
عبدالله بن رشيد بن كاوس ١٠٩	٣٤٩٤٣٤٢
عبدالله بن الزبير ١٤٦	أبو العباس بن خاقان ٣٣
عبدالله بن طعيا ٢٤٥	العباس بن علي ٦٣
عبدالله بن عبد الكريم ١٨٤	أبو العباس بن الموفق ٢٩٤٤٢٩٣
عبدالله بن الفتح ٣٢٠٤٢٣١٥	العباسيون (بنو العباس) ٢١٤١٩
٣٥٨٤٣٥٥	٢٩٠٤١٠١٤٣٦٤٢٧٤٢٦٤٢٢
عبدالله بن محمد بن عمير بن محفوظ	العباسة بنت احمد بن طولون ١٥١
البلوي (ابو محمد) ٤٥٤٢٤٤٣	٣٤٩
٤١١٤٤١٠٤٤٨٤٧٤٦	عبد الحميد بن عبدالعزيز القاضي ٢٩٧
٤٢٠٤٢١٨٤٢١٥٤١٣٤١٢	عبد الحميد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن
٤٣٦٦٤٢٣٦٥٤٢٣٠٤٣٣	عبيدالله بن عمر بن الخطاب (ابو
عبد الملك بن صالح ٣٣	عبد الرحمن العمري) ٤٦٥٤٦٤
عبد الملك بن مروان ٢٦٧	٢٣٣٤٢٣٠٤٦٧٤٦٦
بنو عبيد ٧	ابن عبد ربه ١٧٧
ابن عبيد ٣٧٠	عبد الرحمن بن سلامة الشيباني ٣٠٠
عبيدالله بن خاقان ٩١	عبد الرحمن صاحب الغرب ١٠٣٤١٠٢
عبيدالله بن سليمان ٢٨٠	عبد الرحمن العمري (صوابه ابو
عبيدالله بن سليمان بن وهب ٨٧٤٧٩	عبد الرحمن = عبد الحميد بن عبد الله)
عبيدالله بن محمد العمري القاضي (بن	عبد العزيز (بن مروان) ٢٦٧
عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن	عبد القادر المبارك ٣٦٦
الخطاب = ابو بكر) ٢٩٤	ابن عبد كان = محمد بن عبد كان
٢٩٧٤٢٩٦	عبدالله بن اباض ٢٥٣
عبيدالله بن يحيى (الوزير) ٣٦٤٢٣٥	عبدالله بن بكير ٣٦٥
عتاب الجوهرى ٦٠	عبدالله بن دشومة ٤٢٧٣٤٢٧٤٤٢٥

علي بهجت ١٩٣	العثمانية (الدولة) ٣٧
علي ابن الحزور ٢٤٥	المعجم ٣٥٤٣٤
علي بن الحسن بن شعيب المدائني ١٧٨	العجيفي ٢١٨
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ٤٥	عدنان بن احمد بن طولون (ابو معد) ٣٤٩
٢٥٨٤٢٥٣	عدي بن احمد بن طولون (ابو حبشون) ٣٤٩
علي بن طباطبا ١٩٩	العرب ١٨٤٤٣٦٤٣٥٤٣٢٤٢٠
علي بن عيسى بن الجراح (الوزير) ٤٣٤٧	عرق الموت = حسين الخادم
علي بن ماجور ٩٢ ٤٩٥ ٢٢٢ ٢٤٥	عزيزة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
علي بن محمد العلوي البصري الناجم	ابن عساكر ١٧٧٤ ١٧٦٤ ١٠٣ ٤
٣١٧٤٣٠١٤٢٨٢٤٨١٤٣٢	٤٣٠٢٤٢٩٦٤٢٩٤٤٢٥٤
علي بن مهاجر ٧	العدال المنسر = الحسن بن محمد بن احمد
علي بن يحيى بن ابي منصور ٣٦٣٤٣٥٨	ام ابي العشار = نعت
ابن عمار = احمد ومحمد بن اسماعيل	عقبة ٢٠٨
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٤٥٤٣	ام عقبة الأعرابية ٢٠٩٤٢٠٨
٣٠١٤٢٠٠٤١٤٧٤١٤٦٤٧١	ابن العقبني ٢٣٩
٢٩٦	ام عقيل الأعرابية ٢٠٩
عمر بن صخر الطيب ٣٢٥	العلاء الطائي ٢٠٠
عمر بن عبد العزيز ٣٢٠٤١٤٦	العلوي البصري او علوي البصرة = علي
عمرو بن العاص ٢٠١٤٢٠٠	ابن محمد
عمران بن حطان ٣٠٧	علي بن احمد (ابو الجيش) ١٦١
عمران بن عصام العرني ٢٦٧	١٦٤٤ ١٦٣
العمرى = عبد الحميد بن عبد الله	علي بن احمد الكوفي (ابو القاسم)
العمرى = عبيد الله بن محمد	٣٦٥
= ابن فضل الله	علي بن اسحق ٩٥
ابو عوانة ٥	علي بن اعور ٢٤٥

ابن الفراء ٧٣	عياض بن احمد بن طولون (أبو ناهض)
الفراغة ٢٨٨	٣٤٩
فرعون ٢٠٣٤٥٦	ابو عيسى (أخو المتمد) ٢٩٠
ابن فضل الله العمري ٢٥٥٤١١٨	عيسى بن ابراهيم بن نوح (ابو نوح) ٤٣
القطحية ٣٦٥	عيسى بن شيخ ٥٤
قيت ١٩٦٤١٩٠	عيسى بن شيخ الخشاشي ١٧٥
- ق -	عيسى الكرخي ٩٣
قاسم ١٧٤	عيسى بن بارجوخ ١٥٤٤١٥٣
قاسم (ام احمد بن طولون) ١٧٤٤٣٣	- غ -
قاسم (ام محبوب بن رجاء) ١٧٤	غريرة بنت أحمد بن طولون ٣٤٩
القاسم بن شعبة (ابو محمد التائب)	غسان بن أحمد بن طولون (ابو المفوض)
٢٤٢٤٣٤١٤٢٤٠	٣٤٩
القبط (الأقباط ، الأمة القبطية)	ابن الغضائري ٣٦٥٤٤
٢٠٦٤١٨١	الغطريف (ابو الاسود) ٧١٤٧٠
قبيحة (ام المعتز) ٤٤٤٤٠	النتوي ٢٩٨
ابو قبيل (وقيل) للملاحمي ٤٢	- ف -
قحطان ٣٠١٤٣	الفارسي ١١٨٤٧
ابن قراطغان = ابراهيم بن قراطغان	فاطمة بنت احمد بن طولون ٣٥
قريش ٤٠	٣٤٩٤١٥٤
القصبص ٩٦	الفاطميون ١٢٠٤٥٧٤٧
(القصبصيون) ٩٦	الفتح (أو فلاح) بن خاتان ٣١٠
قضاء ٣	الفتح بن بارجوخ ١٥٣
القضاعي ٢٩٤٤٨٦٤٨١	فخلة بنت أحمد بن المدبر ٦٠
القطان الطالقاني (ابو جعفر) ٤١٣٤	ابو الفداء ٢٧٣

— م —

ماجور (الافرنجبي) ٥٨ ٥٥٢

٩٣ ٩٢ ٩١ ٨٦ ٨٥

الماذرائي = الحسين بن احمد

الماذرائيون ١٨٠ ٤٧٠

بنو مالك ٣٤٨

مؤمنة بنت احمد بن طولون ٣٤٩

المأمون ٢٠٠ ٤٧٨ ٣٣

مؤنس الخادم ١٠٣ ٤١٠٣

المانوية = الزنادقة

مبارك بن احمد بن طولون (ابو الفرج)

٣٤٩

المتوكل على الله ٨٠ ٤٤٥ ٤٤٠ ٤٣٣

٣٤٠ ٤١٤٨

المجنون (ابو نصر) ٣٠٤

محبوب بن رجاء (أبو الضحاك) ٤٩٢

١١٢ ١١٣ ١١٣ ١٣١ ١٣٢

١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨

١٧٤ ٢٤٧ ٣١٨ ٣٢٩

٣٥٥ ٣٥٣

محمد (رسول الله) صلى الله عليه وسلم

٣٩٩ ٤٢٥ ٨٤٣ ١٥١ ٨٤٣ ١٥٥

٣٦١ ٣٥٦ ٣٥٥ ٣٥٤ ٣١٨

محمد بن آبا (القائد) ٣٣٨ ٢٨٦ ٢٤٨

محمد بن أتماش ١٠٣

١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨

١٣٩ ١٤٠

قطر الندى ابنة خاروية ١٥١

القفطي ٤٢

القلقشندي ٢٨٨ ٢٦٣ ٢٦٠

قميش ٤٠

ابن قيم الجوزية ١٩٣

— ك —

الكاظم = موسى الكاظم

كامل بن سعيد المتطيب ٣٥٤

كرنكو ١٩٦ ١٢٠ ٦٦٣ ٤١٦

الكريزي = محمد بن عبيد الله

كنجور ٢٦٨ ٢٦٧ ٢٦٦

كندة بن احمد بن طولون (ابو شجاع)

٣٤٩

الكندي ٢٤٦ ٤٩٢ ٤٨٦ ٤٦٣

كُنَيْز المغني ٢١٧

— ل —

لميس بنت احمد بن طولون ٣٤٩

لؤلؤ غلام بن طولون (ابو محمد) ٤٢٥

٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ١٠١ ٢٤٤

٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦

٢٧٧ ٢٧٨ ٢٨١ ٢٨٦

٢٨٧ ٢٨٨ ٣٠٢ ٣٠٦

٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩

- محمد بن احمد بن طولون (ابو عبدالله) ٣٤٩
 محمد بن احمد القمي الامامي ٣٦٥
 محمد بن احمد بن مودود (ابو جعفر) ١١٢
 محمد بن ازهر (وقيل ابن سهل) المعروف
 بالمتوفى ٢٦٩، ٢٤٦
 محمد بن اسحاق بن كنداج ٢٩٣، ٢٩١
 محمد بن اسماعيل بن عمار ٢٨١، ٢٩٠، ٢٨٥
 محمد بن بشر العنسي ٣٠١
 محمد بن الحسن الكاتب البغدادي ٢١٣، ٣١٤
 محمد بن الحسن الجاني ٣٥٢
 محمد بن داود ٨٦، ٢٤
 محمد بن زبيدة (الامين) ٧٨
 محمد بن سايجان (كاتب لؤلؤ) ٥٣، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٨٨
 محمد بن شاذان الجوهري ٢٩٤
 محمد بن عبد الغفار ١٧٧
 محمد بن عبد كان (ابو جعفر) ١٠٩، ٧، ١١٠، ١١٢، ١٤٥، ١٤٧
 ٣٨٣، ٢٦٠، ١٤٨
 محمد بن عبدالله (أوعبيدالله) الخراساني
 الدهان ١٥٤، ٧
 محمد بن عبدالله بن عبد الحكم ٢٣٨
 محمد بن عبيدالله الكريزي ٥١، ٥٠
- محمد بن علي بن احمد بن طولون الصالح
 الدمشقي ١٣
 محمد بن علي بن محم (?) الارمني ٨٩
 محمد بن علي الماذرائي (ابو بكر) ١٨٠
 محمد بن الفتح (ابو الفتح) ١٧٣
 محمد بن فروخ (أوفر ج) الفرغاني ٧٠
 محمد بن قرَّهَب (عامل طرابلس) ٢٥٤
 محمد كرد علي ٣٠
 محمد بن محمد الجذوعي ٧٣
 محمد بن موسى بن طولون (ابو جعفر)
 ٢٢٣، ٤٧
 محمد بن هارون الثغلي ٨٩
 محمد بن هلال ٥٩، ٤٣
 ابن مدبر = ابراهيم بن مدبر
 ابن مدبر = احمد بن محمد
 مراد (قبيلة) ٣٠١
 مروان بن الحكم الأردني ٣٠٦
 المروزي = اسماعيل بن عبدالله
 المروزي (ابو جعفر) ١٨٤، ٧، ١٨٥، ١٨٧
 مريم ٤٩٣
 مريم بنت احمد بن طولون ٣٤٩
 مساور الشاري ٨٩
 المستعين بالله ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩
 ٤٠، ٤١، ٤٨، ٩٣

معمر الجوهري (ابو محمد أو أبو الحسن)

٤١٦١٤٢١٦٠٢١٥٩٤٦١٤٦٠

٣١٩٤٣١٨٠٢٤٩٤١٩٨٤١٦٨

ابن أبي المغيث (أو الغيث) ٦٤

ابن مفضل (وكيل أحمد بن طولون) ١٤٠

٤١٤١٤٢٤٢١٤٥٤١٤٥٤١٨٥٤

٢١٩٤٢١٨

المفوض إلى الله = جعفر بن المعتمد

ابو مقاتل بن أبي ثابت ٢٤٩

المقتدر بالله ١٠٣٤٢١٠٢٤٢٧

المقدسي ٣١٦٤١٣٤

المقريزي ٧٥٤٦٤٤٥٧٤٥١٤١٢

٤١٨٠٤١٦١٤١٥٩٤٨٣٤٧٦

٣٥٠٤٢٥٤٤١٩٦٤١٩٥٤١٩٠

المكتبة العربية (أصحابها) ٣٦٦

المكتفي ٥٠

المكفوف الملاحمي = أبو قبيل

ملك الروم ١٠٩٤٣٧٤٣٦

الماليك التركمان ٣٧

المنتوف = محمد بن ازهر

منصف بن خليفة الهذلي ٣٠٠

منصور بن شيخ ٥٢

ابن مهاجر = حسن بن مهاجر

المستكفي بالله ٢٨٨

المسعودي ١٨١

مسلمة بن عبد الملك ٧١

المصريون ٢٩٨٤١٩٦٤١٩٥٤٢١

ابو مصلح = موسى بن مصلح

مضر بن أحمد بن طولون (أبو العشائر) ٣٤٩

ابن المطهر الحلي (العلامة) ٣٦٥

مظفر بن أحمد بن طولون (أبو الفتح) ٣٤٩

معاوية بن أبي سفيان ٢٥٣

معقب بن مالك (من أجداد الحجاج) ٢٦٧

المعتز ٤٥٤٤٤٤٤٠٤٣٩

المعتصم بالله ٢٦٥٤١٩٦٤٣٣٤٣٢

المعتضد بالله ٣٣٨٤١٠٣٤٥٠

المعتد على الله ٥١٤٢٧٤٢٦٤٧

٧٦٤٢٧٤٤٧٣٤٧٣٤٦٣٤٥٩

٤٢٨١٤٢٨٠٤٢٧٩٤٢٧٨٤٢٧٧

٤٢٨٠٤١٤٠٤١٠٩٤٩١٤٨٩

٢٢٨٦٤٢٨٤٤٢٨٣٤٢٨٢٤٢٨١

٤٢٩٣٤٢٩١٤٢٩٠٤٢٨٩

٤٢٩٨٤٢٩٥٤٢٩٤٤٢٩٣

٤٢٣١٦٤٢٣٠٥٤٢٣٠٤٤٢٣٠١

٤٢٣٥٧٤٢٣٤٦٤٢٣٣٩٤٢٣٣٨

٣٦٣٤٣٥٨

ابو معشر = أحمد بن المؤمل

٢٩٧ ٢٩٦ ٢٩٥ ٢٩٤

٣٠٣ ٣٠١ ٣٠٠ ٢٩٨

٣٠٨ ٣٠٦ ٣٠٥ ٣٠٤

٣٣٣ ٣٣١ ٣١٧ ٣١٦

٣٥٥ ٣٤٦ ٣٣٨ ٣٣٤

٣٦٣ ٣٥٨

مياس (أم أبي الجيش ولد احمد بن

طولون) ٣٩

الميداني ٣٠٧

ميسرة بن احمد بن طولون (ابوطهجة)

٣٤٩

ميمونة بنت احمد بن طولون ٣٤٩

- ن -

النايعة الندياني ١٣١

النايبي الضيرير ٣٠١

الناجم البصري = علي بن محمد

ابن الناعمودي (جعفر القائد) ٢٩٨

التجاشي (صاحب كتاب الرجال) ٤

نحرير الخادم ٨٠ ٣٥٧ ٢٩١

ندوسة ٢٨٩

نسيم الخادم ١٢٥ ١١٧ ١١١ ١٠٧

٢٠١ ١٩٦ ١٩٤ ١٩٣ ١٦٨

٢١١ ٢١٠ ٢٠٩ ٢٠٥ ٢٠٣

٢٣٧ ٢٣٤ ٢٢٤ ٢٢٣ ٢٢٢

٣١٤ ٢٨٠ ٢٤٣ ٢٤٢

٢٥ - ابن طولون

المهتدي بالله ٣٣ ٤٥ ٧٧ ٥١ ٤٤٥

٣٦٠ ٣٠١

المهدي الفاطمي ١٠٢

موسى بن أتماش ١٠٣ ١٠٤

١٠٦ ١٠٥

موسى بن بعا ٧٩ ٧٧ ٨٥ ٨٦

٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩١ ١٥٣

٢٢٢ ٢٢١

موسى بن صالح ٢٣٤ ٢٣٧

موسى بن طولون (ابو عمران) ٣٣٤٧

٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٦٣

٣١٠ ٤٩١

موسى بن طونيق ١٢٥

موسى الكاظم ٥

موسى بن مصلح (المعروف بابي مصلح)

٢٣٤

الموفق (ابو احمد بن جعفر المتوكل) (الناكث)

٢٦٤ ٢٧٢ ٣٤٤ ٣٨٤ ٣٧٧

٧٩ ٧٨ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٤

٨٩ ٩٠ ٩١ ١٠٨ ١٠٩

١٢٠ ١٢٣ ١٢٥ ١٢٨

١٣٤ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠

١٥١ ١٥٣ ١٦٧ ٢٧٦

٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٤

٢٨٦ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٣

هدى بن احمد بن طولون (ابو البقاء) ٣٤٩
ام الهدى بنت احمد بن طولون ٣٤٩
هرثمة ٣١٧
هشام بن عبد الملك ٧١
هلاكو ٢٦٦

- و -

الواثق ٣٣
الواثقة ٣٤٦
الواسطي = احمد بن محمد الواسطي
وصيف ٩٣٤٣٣
وصيف بن اخي اسحاق بن كنداج
٢٩٣٤٢٩١
ابن وصيف شاه ٣٥٠
وصيف اللاني (مولى القصبين) ٩٦
الوليد بن عبد الملك ٢٦٧
وهب بن منبه ٣٣٥

- ي -

يارجوخ ٢٧، ٣٥، ٤٥، ٤٦
١٥٣٤٥٩٤٥٨٤٥٧٤٤٧
يازمان الخادم ٣٠١، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢
ياقوت (الرومي) ٣٢٠، ٤١٨٠
ياقوت المستعصي ٣٥٠
يحيى بن براءة الحاسب (أبو زكريا)
١٦٥، ١٦٤

٣٣٤، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٣٢٩
٣٤١، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٦
ابن النديم ٣٦٥، ٤٤
ابونصر خادم العباس بن احمد بن طولون
٢٧٠
النصرانية ٤

نعت ام ابي العشائر ولد احمد بن طولون
١١٠٤٧، ٣٤٣، ٣٢٥، ٢١٣، ٣٤٣
٣٤٧، ٣٤٦
نعيم (المعروف بأبي الذؤب أوالذهب)
١٣٢، ٤١٣٠، ٤٧٣
النفوسي = الياس بن منصور الزناتي
نفس الطباخ ١٤١
نوح بن اسد (عامل بخاري) ٣٣

- ه -

هارون بن أبي الجيش خماروبه بن احمد
٣٠٩، ٢٨٨، ٤٥٣
هارون الرشيد ٣٣، ٣٦٤، ٤٤٤، ٧٧
٧٩، ٧٨
هارون الشاري ٢٩٢
هارون بن محمد العباسي (والي مكة) ٢٩٨
هارون بن مأل ٢١٦، ٢١٤، ٤٧
بنو هاشم ٤١
هاشم (طبيب الحرم) ٣٢٤، ٣٢٥
٣٢٦

٣٢٠٤٦٨	بابق الطرسومي (القائد)	يزبك الفرغاني ٧٠
٤٤	ابو يوسف (الامام)	ابن يزداد (القائد) ٦٣
٦٢٣٩٤٢٣٨٤٢٣٧٤٢٣٢٤٢٣٢١	يوسف بن ابراهيم (والد ابن الدايق)	يشكر ١٨٢
	يوسف بن ابراهيم التنوخي (المعروف	يعقوب بن اسحق (ابو يوسف الكاتب)
	بالقصيد) ٩٦	٤٤٢ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٤٤
٣٦٦	يوسف العش	١٦٧ ١٦٥ ١٦٤
أبو يوسف الكاتب = يعقوب بن اسحق		يعقوب بن صالح (صاحب العجيفي
اليونانية ١٩٦		أوغلا ٤٠) ٢٢٠ ٢١٨ ٤٧
		اليعقوبي ٤٣ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩
		يلبخ ٣٤

فهرس أسماء البلدان والبحار والانهار والامان

أنطاكية ٣٦٤٨٩٤٤٩٥٤

٩٦٤٣٤٤١٣٤٤٢٠٠٤٢٩٦٤٣١٠٤

٣١٢٤٣١٣٤٣١٥٤٣٠٠٤

الأهرام ١٠٢٤١٩٥٤١٩٦٤

اون ٢٨٨

- ب -

باب البحر ٣١٠

باب الجبل ٥٤

باب الجهاد ٣١٠

باب الخاصة ٥٤٤٥٣

باب الدرmon ٥٤٤٥٤

باب الساج ٥٥

باب السباع ٥٦٤٥٥

باب الشرطة ٥٣

باب الصلاة ٥٥

باب الصوالة ٥٦٤٥٤

باب فارس ٩٦٤٩٥

باب الميدان ٥٤

باضع ٦٤

البحر الاحمر = بحر القلزم

بحر الخزر ٣٢٠

بحر الروم ٣١٦

- ١ -

آسيا الصغرى ٣١١

الاحمدى (قصر) ٢٩٣

انجيم ٦٣

أذنة ٣٦٤٣٧٤٢٢٣٤٣١٠٤

٣١١٤٣١٢

الأردن ٥٠٤٦٠٤٢٩٧

إرمينية ٥١٤٥٢

الاساكفة ١٨٠

أسفل الأرض = الوجه البحري

الاسكندرونة ٣٦

الاسكندرية ٤٢٤٤٦٤٤٧٤٤٨

٥٠٤٦٢٤٦٧٤١٠٢٤١٦٤

٢٤٨٤٢٥٦٤٢٦٠٤٢٦٢

٢٦٤٤٢٧١٤٢٩٧

إسنى (اسنا) ٦٣

أسوان ٦٣٤٦٥

اصيوط ٥٧٤٦٤٤١١٨

أطنه ٣١١

الأشمونين (اشمون) ٦٤

إفريقية ٤٧٤٢٥٣

أنشاص ١٠٢

بولاق ١٩٣
بياس ٣٦
بيعة القسيان ٣١٣
البيارستان (المارستان) ١٨٠، ٣٥٠

- ت -

تكريت ٣٦
تنور فرعون ٥٦
تنبس ١٣٤، ٥٧
تونس ٢٥٣

- ث -

الثغور (الثغر) ١٩، ٢١، ٢٨، ٣٥
٣٦، ٣٧، ٤٧، ٧٣، ٧٤
٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٧
٩٩، ١٨٣، ١٩٥، ٢٤٤، ٢٤٥
٢٦٣، ٢٩٦، ٣١٠، ٣١١
٣٤٢، ٣٥١، ٣٥٣

- ج -

الجامع (جامع ابن طولون) ١٨٠
٣٥٠، ٣٥٥
جامع اولاد عنان ١٩٣
الجب ٢٨٠
الجبيل (في بلاد فارس) ٣٣٤
جبل نفوسة ٢٥٥
جبل يشكر ١٨٢، ٢٠٠

بحر القلزم ٢٠١، ٦٥
البحر المالح ٦٤
البحر المحيط ٢٣٠
بحيرة الاسكندرية ٦٧
بخارى ١٥٥، ٣٣

المدريس (?) ٦٢
بند ٢٦٥
البردان (نهر) ٣١١

برقة ٢١، ٢٣، ٢٥، ٤٦، ٦٢
٧٠، ١٠٢، ١٥٤، ٢٤٨

٢٥٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٢

بركة الحبش ٣٥٠
بستان عرق ٢٠٠

البصرة ٢٧، ٨٤، ١٨٠

بغداد (دار السلام) ١٨، ٢١، ٢٢
٢٥، ٢٦، ٣٣، ٣٦، ٥١
٥٥٩، ٦٠، ١٣٤، ١٨٠، ١٨٤

٢٣٩، ٢٨٨، ٢٩٩

بغراس ٣٦

بلاد البجة ٦٤

بليس ١٠٢، ٥١

بلخ ١٥٥

البلاد المصرية = مصر

ببي ٣٦٥

١٥١٤١٤٣٤١٤٢٤١٠٨٤١٠٧
٣٠١٤٢٨٩٤٢٨٨٤١٥٤١٥٢
٣٥٠٤٣٠٥
حلب ٢٩٩
حلقا ٦٥
حلوان ١١٨
حمامان للبارستان ١٨٠
حمص ٣١٠٤٢٩٦٤٢٩٣
حوض ابي قديرة (حارة) ٥٣

- خ -

خايج امير المؤمنين ٢٠٠

- د -

دار ابي احمد بن الخصيب ٢٩٤٤٢٩٣
دار الديوان ١٨٠
دار السلام = بغداد
دار الكتب الظاهرية ١٣
دار هرثة ٣١٧
ديبج ٥٧
ديبج ٥٧
دجلة ٢٩٣٤٢٧٣٤٨٩٤٣٦
الدر ٦٥
دمشق ٦٠٤٢٥٢٤٣٠٤٢٨٤٢١٣
١٧٥٤١١٣٤١٠٣٤٩٣٤٩٢
٤٢٩٦٤٢٩٥٤٢٩٤٢٨٩

جرجا ٦٣

الجزيرة (جزيرة ابن عمر) ٣٦٤٢٦٤٢١
٣١٥٤٢٩١٤٢٧٣٤٢٦٣٤١٠١
الجزيرة (جزيرة مصر) ٣٥١٨٧٤٨٦
الجفار ٣١٦
الجوسق ٢٩٣
الجزيرة ١٠٣٤١٠٢٤٨٦٤٧٢
٤١٩١٤١٩٠٤١٨٩٤١٣٣
٢٦٧٤١٩٥

- ح -

الحبش ٦٤

الحبشة ٦٤

الحجاز ٢٦٣٤٤٤٣

الحدبثة ٢٩٥٤٢٩١

حوران ٢٧٣٤١٠٣٤١٠١

الحرممان ١٨٤٤٢١

الحزبة (الخربة) ٦٤

حصن أنطاكية ٢٠٠

حصن بركة ٧٠

حصن الجزيرة ٣٥١٨٧٤٨٦

حصن الفرما ٣١٦

حصن منصور ٢٧٣

حصن يافا ٣٥١٤١٨٤

الحضرة ٨٦٤٦٠٤٥٩٤٥٧٤٢٣٣

رحبة مالك بن طوق ٢٩٩	٣٥٠٤٣١٥٤٣١٠٢٩٩٤٢٩٧
الرقعة ١٠١٤٨٧ ٢٧٣ ١٧٣ ٢٧٣	دمياط ١٣٤٤٥٧
٣١٥٤٣٠٥٢٩٩	دهلك ٦٤
الرققان ٨٦	الدواليب ٢٩١
الرملة ٢٨٧٤٩٢	دور الماذرائين ٧٠
الرُّها ٢٧٣	ديار بكر ٢٧٣
- ز -	ديار ربيعة ٢٧٣
الزقازيق ١٠٢	الديار المصرية = مصر
زنجبار ٢٥٣	ديار مصر ٢٧٣ ١٧٣ ٢٨١٤
- س -	الدمارس (?) ١٠٢
سر من رأى (سامرة) ٣٦٤٣٣	دي حبي (?) ٢٦٦
٤١ ٤٢٤ ٤٦٠ ١٥٠ ١٦٧	دير القصير ١١٨
٣٥٥٢٩٦ ٢٩٣ ٢١٧	دينار (منزل) ٢٦٦
سروج ٢٧٣	ام دينار ١٩٠
السقاية ١٨٠	الديبَنور ٣٣٤
ابو سفيل (قرية) ٦٥	ديوان الانشاء ١١٢
السنبلالوين ٥٧	ديوان التصفح ١١٣
سواكن ٦٤	- ذ -
سوق الجهاز ٣٣٤	ذات الساحل ١٩٠
سوق الدواب ٥٥٤٥٣	- ر -
سوق الرقيق ١٨٠	رأس ابو فاطمة ٦٥
سوق الطبّاخين ٥٤	الرافدان ١٩ = دجلة والفرات
سوق العيارين ٥٣	الرافقة ٢٧٣

الصحريج ١٨٠

صور ١٨٤

- ط -

طبرستان ١١٩

طبرية ١١٩

طرا ١١٨

طرابلس (أطرابلس) ٢٥٣، ٢٢٣

٢٦٢، ٢٥٥، ٢٥٤

طرسوس ٣٧، ٣٦، ٣٥، ١٩

٣٨، ٤٧، ٤٩، ٦٣، ٧٥

٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٨، ٩٧

٩٩، ١٢٢، ١٤١، ١٥٤، ١٨٣

١٨٤، ٢٢٣، ٣١٠، ٣١١

٣٥٢، ٣١٢

طهران ٣٦٥

- ع -

عبادان ٣٥٣

العباسة ٥١، ١٥١

عدن ٦٥

العراق ٣٨، ٧٣، ٧٦، ٨٤، ١٠١

١٠٦، ١٠٧، ٢٧٨، ٢٨٧، ٢٨٨

٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٤١

٣٤٢، ٣٥٦

سوق الفاميين ٥٤

سبراماط (?) ١٣٠

سيس (Mopsueste) ٣١٠

- ش -

شارع الحمراء ١٣٤، ١٣٣

الشام (الشام) ٣، ١٥، ٢٠، ٢١

٢٦، ٤٣، ٧٤، ٩٢، ١٠٣، ١١٩

١٥١، ١٧٨، ٢٣٠، ٢٤٦، ٢٦٣

٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٠٠

٣٠١، ٣١٧

الشامات ٤٣، ٥٠، ٥٢، ٤٥

٢٦٣، ٣٤٢

الشرق ١٠٢

الشرقية (مديريّة) ١٠٢، ٥١

شمشاط ٢٧٣

شهران (قرية) ١١٨

شهرزور ٣٣٤

- ص -

الصاحية ٥١

صاحية دمشق ١٣

الصعيد (اعلى الارض) ٤٦، ٦٢

٦٣، ٦٥، ٦٧، ٨٧، ٢١٧

الصعيد الاوسط ٢٣٠

صهاريج الاميد ١٣٤

٢٧٣ ٢٦٢ ٢٤٤ ٢١٩

٣١٦ ٣٠٩ ٢٨٨ ٢٨٧

٢٩٧ ٢٦٠ ٢٥٠ فلسطين

١٠٣ ١٠٢ الفيوم

- ق -

٢٨٨ ١٩٣ ٥١ القاهرة

٢٨٧ ٢٠١ قبة الهواء

٣٣٤ قريسين

قردصو = Cydnus = البردان

٣٤٢ ٢٨٨ القصر (قصر بني طولون)

١٧٥ قصر عيسى بن شيخ الخشاشي

٢٨٨ ٥٦ ٥٥ ٥٣ ٢٠ القطائع

٣٤٤

قنا (مديرية) ٦٣

٢٩٦ ٢٦٣ ٩٦ ٣٦ قنسين

قوص ٦٤

القيروان ٢٥٤

القيسارية ١٨٠

قيسارية بدر (القيسارية الوفائية) ٥٣

٨١

- ك -

الكبش ٢٠٠

كنيسة مريم ٩٣

٣١١ ٣٧ (Cilicie) كيليكيا

٢٩٨ صرفات

١٩٤ ٨١ العريش (عريش مصر)

٢٢٥ ٢١٨

١٨٤ عكة

٢٥٣ عمان

٢٩٦ ٢٦٣ ٣٦ ٢١ العواصم

٦٥ عيداب

٣٥٠ ٣٤٥ ١٨٠ ٥٦ العين

٣٥٣

عين أبي ابن خايد ٥٦

٢٨٨ ١١٧ ١١٦ عين شمس

- غ -

١٠١ ٨١ ٦٣ الغرب (المغرب)

٣١٨ ٢٩٩ ٢٤٤ ١٠٢

٤٤ غزنة

٢٤٤ الغور

٤٤ الغور

٩٣ الغوطة

- ف -

٢٩٩ ٢٧٣ ١٠١ الفرات

٣١٦ الفرما (الفرما)

٨٦ ٧٢ ٦٣ ٤٢ الفسطاط

١٦٤ ١٣٠ ١١٨ ١٠٢

٢٠٦ ٢٠١ ١٩١ ١٩٠

١٠٣ ١٠١ ١٠١ ١٠١ ١٠١ ١٠١ ١٠١ ١٠١ ١٠١ ١٠١
 ١٣٤ ١٣٨ ١٣٨ ١٣٨ ١٣٨ ١٣٨ ١٣٨ ١٣٨ ١٣٨ ١٣٨
 ١٥١ ١٤٨ ١٤٣ ١٤٣ ١٤٣ ١٤٣ ١٤٣ ١٤٣ ١٤٣ ١٤٣
 ١٧٥ ١٧٣ ١٧١ ١٧١ ١٧١ ١٧١ ١٧١ ١٧١ ١٧١ ١٧١
 ١٩٠ ١٨٩ ١٨٤ ١٨٤ ١٨٤ ١٨٤ ١٨٤ ١٨٤ ١٨٤ ١٨٤
 ١٩٩ ١٩٦ ١٩٥ ١٩٥ ١٩٥ ١٩٥ ١٩٥ ١٩٥ ١٩٥ ١٩٥
 ٢٣٥ ٢٣٠ ٢١٧ ٢١٧ ٢١٧ ٢١٧ ٢١٧ ٢١٧ ٢١٧ ٢١٧
 ٢٤٩ ٢٤٧ ٢٤٦ ٢٤٦ ٢٤٦ ٢٤٦ ٢٤٦ ٢٤٦ ٢٤٦ ٢٤٦
 ٢٧١ ٢٦٧ ٢٦٣ ٢٦٣ ٢٦٣ ٢٦٣ ٢٦٣ ٢٦٣ ٢٦٣ ٢٦٣
 ٢٨٩ ٢٨٨ ٢٨٧ ٢٨٧ ٢٨٧ ٢٨٧ ٢٨٧ ٢٨٧ ٢٨٧ ٢٨٧
 ٣٠٥ ٣٠٠ ٢٩٧ ٢٩٧ ٢٩٧ ٢٩٧ ٢٩٧ ٢٩٧ ٢٩٧ ٢٩٧
 ٣١٦ ٣١٥ ٣١٣ ٣١٣ ٣١٣ ٣١٣ ٣١٣ ٣١٣ ٣١٣ ٣١٣
 ٣٥٥ ٣٥٣ ٣٥٠ ٣٥٠ ٣٥٠ ٣٥٠ ٣٥٠ ٣٥٠ ٣٥٠ ٣٥٠
 المصيصة ٣١٢ ٣١١ ٣١٠ ٣١٠ ٣١٠ ٣١٠ ٣١٠ ٣١٠ ٣١٠ ٣١٠
 المطرية ٢٨٨
 المعافر ٣٤٣ ٣٢٠ ٣١٨ ٣١٨ ٣١٨ ٣١٨ ٣١٨ ٣١٨ ٣١٨ ٣١٨
 ٣٥٣ ٣٥٢ ٣٥١ ٣٥١ ٣٥١ ٣٥١ ٣٥١ ٣٥١ ٣٥١ ٣٥١
 المعشوق (قصر) ٢٩٣
 المعرة (معرة النعمان) ٩٦
 المعصرة ١١٨
 المغرب = الغرب
 المقس ١٩٣
 المقطم (جبل) ٢٠٠ ٢٥٤
 مكة (المكرمة) ١٥٤ ١٦٥
 ٣٥٩ ٢٩٨ ٢٦٣

- ل -

لؤلؤة ٢٩٠

لبدة ٢٥٥ ٢٥٣

- م -

ماذرايا ١٨٠

المارستان = البيارستان

المدرسة العصرية ١٣

المدينة (النورة) ٢٩٦ ٢٦٣ ٢٦٣

مدينة السلام = بغداد

مرسين ٣٧

مرعش ٣٦

مريس (مريسة) ٦٥

مسجد الأقدام ٣٥٣

مسجد عبد الله ١٤٩

مشتول ١٠٢

مشتول السوق ١٠٢

مشتول الطواحين ١٠٢

مشتول القاضي ١٠٢

مصر ٢٠ ١٩ ١٥ ١٥ ١٥ ١٥ ١٥ ١٥ ١٥ ١٥

٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٢ ٢٢ ٢١

٤٦ ٤٣ ٤٢ ٣٧ ٣٣ ٢٩

٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٨ ٤٧

٧٣ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨

٨١ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٦٥

النيل ٤٩٢٢٦٥٦٣٤٨٦٤٠٢

١١٨ ٤١٣٤ ٤١٩٣ ٤٢٠٠

٢٠١ ٤٢٣٠ ٤٢٨٧

- ه -

هـرارة ٤٤

همدان ٣٣٤

هيليوپوليس ٢٨٨

- و -

الواحات ٦٣

وادي النيل ٢٧

واسط (القصبة) ٢٤ ٤٢٩ ٤٣٩ ٤٤٠

الوجه (في الحجاز) ٣

الوجه البحري ٨٧

- ي -

يافا ١٨٤ ٤٣٥١

المنامة (المناحة) ١٨٧

المنزلة ١٣٤

منية الأصبح ٣٢٠

منية مال الله ١٥١ ٤٢٧٣

الموصل ٨٩ ٤٢٧٠ ٤٢٩١ ٤٢٩٥

الموقف (بمصر) ٣٣٤

الموقف (بمكة) ٢٩٨

الميدان ٢٠ ٤٥٤ ٤٥٨ ٤٦٤ ٤٦٨

١٥١ ٤١٦١ ٤٢٠٦ ٤٢٢١

٢٢٥ ٤٢٦٨ ٤٢٦٩ ٤٣١٦

٣١٧ ٤٣٣٥ ٤٣٤١ ٤٣٥١

- ن -

النهر الأسود = البردان

نصيبين ٢٩١

النوبة ٥٣ ٤٦٥

فهرس الموضوعات

٥٤	قصر ابن طولون	٣	مدخل الكتاب - المؤلف وتأليفه
٥٦	الوشايات بابن طولون الى بغداد	١٣	اصل المخطوط
٥٧	ارساله الهدايا الى ارباب المسكينة في الحضرة	١٦	راموز طرة الاصل المخطوط
٥٨	اهلاك ابن طولون لاحد اعدائه بالحر والجر	١٧	راموز الصفحة الاخيرة
٥٨	حسن حيلته في ارضاء حكومة بغداد	١٨	احمد بن طولون بتصوير البلوي
٦٠	حسن حيلة وكيله في دار السلام	٣١	فاتحة الكتاب
٦٢	خارج على ابن طولون بين برقة والاسكندرية	∕	سبب التأليف
∕	خارج آخر في الصعيد	٣٢	طريقة المؤلف في تأليفه
٦٤	ثائر آخر في بلاد البجة	∕	تفة العباسيين بالازراك
٦٧	خارجي في الصعيد	٣٣	مصر على عهد العباسيين
٧٠	هياج اهل برقة	∕	أصل طولون والد احمد
٧٢	تقليد ابن طولون الخراج والمعونة بحصر والتغور	٣٤	أولية أحمد بن طولون
٧٣	مدح وفد مصر لابن طولون	٣٦	غرام الخليفة بالطرائف الرومية
∕	تدبيره الخراج واسقاطه المااون	٣٧	ظهور احمد بن طولون بالشجاعة والتجدة
٧٦	عشور ابن طولون على كثر	٣٨	محبة الخليفة ل احمد بن طولون
٧٧	مصير ابن دشومة	٣٩	خلم المستعين وتسليمه لابن طولون
∕	انقسام الدولة العباسية شطرين	٤٠	امتناع ابن طولون من قتل المستعين
٧٨	ضعف الخليفة وتشاغله بازماته	٤١	كيف قتل المستعين
∕	استطراد في فضل المأمون على الأمين	٤٢	مبدأ سعادة ابن طولون بتوليته مصر
٧٩	ارتباك الموفق وإضناقه	٤٣	عمال مصر عند دخول ابن طولون
٨٠	رسول الموفق الى ابن طولون وتحذير المعتدله	∕	دهاء ابن طولون وما عمله لظهوره بمظهر العظمة
∕	كتاب احمد بن طولون الى الموفق يهدده	٤٦	تثبيت ابن طولون في اماره مصر
٨١	وبتوعده	∕	طلب موسى بن طولون ولاية الاسكندرية
∕	ارسال الموفق العمال للضرب على ايدي	٤٨	اغتيال ابن طولون بولاية مصر
٨٥	ابن طولون واستعداد هذا وتحصنه	∕	مطالبة موسى بن طولون بوعد اخيه وضربه
٨٨	قضاء ابن طولون على اعدائه	٤٨	مقارع بيد احمد
٨٩	اخفاق من عيبتهم بغداد لحفظ الثغور الشامية	٥٠	توثب ابن شيخ على فلسطين والأردن
٩١	تقليد الثغور لابن طولون	٥١	مبدأ قوة ابن طولون بالاكتار من الجند
٩١	هلاك اعداء ابن طولون	٥٢	بناء القنطرة والتصور والاسواق وامتداد العمران

- | | | | |
|-----|---|-----|--|
| ١٢٥ | صفات بعض عمال ابن طولون | ٩٢ | استبعاه امرأه الشام |
| ١٢٧ | فصاحة محبوب بن رجا | ٩٤ | مفاوضته سيما الطويل وطبيعة ابن طولون |
| ١٢٨ | انتقام ابن طولون من كان ينال منه | ٩٥ | مقتل سيما الطويل |
| ١٥٠ | صديق لابن طولون يقلب عليه ويريد قتله | | دخول ابن طولون طرسوس ورجوعه عنها |
| ١٥٣ | معاملته لاولاد حميه | ٩٧ | لاسباب سياسية |
| ١٥٤ | مقتل خراساني بيد من هتك الخراساني عرضه | ٩٨ | احسانه لاهل طرسوس واجتماعه ببعض النساك |
| ١٥٦ | قتيل التنيذ وذكاه ابن طولون | ١٠٠ | طريقته في ضبط المجالس وقتل الكلام |
| ١٥٩ | الخطيب الموعود بالعقوبة ومكافأته | ١٠١ | مثال من حزمه والتظهير بينه وبين غيره |
| ∥ | كشفت ظلامة امرأة | ١٠٣ | القبض على موسى بن تامش وهو في صميم جيشه |
| ١٦١ | نصيحة نصراني لابن طولون | ١٠٦ | تفضيله المصريين في الاستخدام على العراقيين |
| ١٦٤ | سجين ابن طولون يتم ثقافته في الحبس | | و كيل ابن طولون في بغداد وحيلته في |
| ١٦٨ | امرأة تبكي زوجها لستره عليها | ١٠٧ | الانتفاع بالعدو |
| ١٧٣ | وزير لجأ الى ابن طولون ثم شط عليه | ١٠٩ | ملك الروم يطلب الهدنة |
| ١٧٥ | القضاء على ابن مدير | ١١٠ | عزوف ابن طولون عن النساء |
| ١٧٨ | مثال من تشدد ابن طولون مع الرعية | ١١١ | بعض اخلاق ابن طولون وعاداته في ادارته |
| ١٨٠ | بعض صدقات ابن طولون ومصانعه وآثاره | ١١٢ | تدقيقه في الرسائل الصادرة عنه |
| ١٨١ | مهندس نصراني يفي لابن طولون عيناً وجامعاً | ١١٣ | شدة ابن طولون على اقرب الناس اليه |
| ١٨٣ | بعض افعال ابن طولون الجميلة | ١١٤ | توفر ابن طولون على كشف اسرار صحابته |
| ١٨٦ | عطف ابن طولون على حفظة الكتاب العزيز | ١١٥ | غرام ابن طولون بالتجسس على الناس |
| ١٨٩ | حمار الجيزاوي المتظلم | ١١٨ | ابن طولون ورهبان القبط |
| ١٩٣ | الصيد قتل الذهب | ∥ | تجسس ابن طولون على احد اصحابه |
| ١٩٤ | الحمام الهدادي وشكر ابن طولون للنعمة | ١٢٢ | اهتداء ابن طولون للجواسيس عليه |
| | البحث عن الكنوز وتشدد ابن طولون | ١٢٤ | معرفة الجواسيس بالنظر في لباسهم |
| ١٩٤ | في عيار الذهب | ١٢٥ | جاسوسان على ابن طولون |
| ١٩٧ | اطعام ابن طولون وعطفه على شيخ فقير | ١٢٨ | النساء الصائمات والجاوسان |
| ١٩٨ | ابن طولون يعطي الصدقات لطالبها | ١٢٩ | المتلاعب من رجال ابن طولون |
| ١٩٩ | ∥ وابناء البيوتات | ١٣٠ | كشفت ابن طولون للقتيلة |
| ∥ | شفقته على اهل مصر وبعده عن اذام | ∥ | اهتداؤه لمن يفر منه |
| ٢٠١ | سكران اتذمه فصاحته من بطش ابن طولون | ١٣٣ | الجاوسوس الصادق الشريف |
| ٢٠٣ | المجنون العاقل مع ابن طولون | ١٤٠ | خيانة وكيل ابن طولون ومصيره |
| ٢٠٥ | امرء لصاحب شرطته بالشدة واللين | ١٤٢ | استخدامه الصادقين |

- ٢٥٥ تألم ابن طولون من الحالة التي اداها اليها ابنه
 ٢٥٦ كتاب العباس لايه
 ٢٦٠ كتاب احمد بن طولون لابنه العباس
 ٢٦٤ فشل عصيان العباس
 ٢٦٦ أسر العباس وحمله الى آبيه مقيداً
 عودة الحملة الى مصر وقتل العباس رجاله
 ٢٦٨ بيده وعفو الأمير عن اثنين
 ٢٧٠ قريع ابن طولون لابنه وضربه بيده
 مائة مفرقة
 ٢٧١ انتقال طبايع ابن طولون من البذل الى البخل
 ٢٧٢ تنكر غلام ابن طولون لمولاه
 ٢٧٣ كيس الذهب وطمع صاحبه
 استئذان لؤلؤ للموقف وضغط ابن طولون
 على كاتب لؤلؤ
 ٢٧٦ كتاب ابن طولون للؤلؤ مده ويذكره
 ٢٨٠ كشفه الاسرار من تمام الزاجل
 سمي ابن طولون لاقناع الخليفة ان
 يقصد مصر وكتابه اليه
 ٢٨٠ استنصاح ابن طولون رجلاً عظيماً كان
 في حبسه
 ٢٨١ نخط ابن طولون حقوق الكتاب واحتقارهم
 ٢٨٥ انصراف ابن طولون الى الشام للقاء الخليفة
 ٢٨٦ قصة الصم الذي اجتته والعامية يعتقدون فيه
 ٢٨٨ موافقة ابن طولون دمشق لانتظار الخليفة
 ٢٨٩ ارجاع المعتمد من شخوصه الى الشام
 ٢٩٠ رجوع المعتمد الى سر من رأى
 ٢٩٣ خلم الموفق في مدينة دمشق ووثيقة خلمه
 ٢٩٤ شهادة القضاة على كتاب الخلم
 ٢٩٦ تلاعن الموفق وحمدين طولون من المناير
 ٢٩٨ شعراء الشام يحسمون لاقاذا الخليفة
 من اخيه
 ٣٠٠
 ٢٠٦ عقاب قائم اعتدى على راهب قبطي
 ٢٠٨ عناية ابن طولون بأسطوله
 ٢١٠ أعراية ابنته ان يكون ابنها جاسوساً
 ٢١٠ تجسس ابن طولون على رجال قصره
 قصة الغراب سارق الذهب
 ٢١٢ عروف ابن طولون عن احدى زوجاته
 ٢١٤ تأديب ابن طولون لابنه العباس
 ٢١٤ عقوبة منتحل التصوف على قحته
 ٢١٧ المتبسط مع ابن طولون وذهاب نعمته
 ٢١٨ تاجر آثر أن يموت في السجن مع معامليه
 ٢١٨ هارة يوسف بن ابراهيم في التخلص من
 ابن طولون
 ٢٢١ الخدم الثلاثة الأذكياء
 ٢٢٢ قول ابن طولون: الجاسوسية صناعة رديئة
 ٢٢٤ كشف ابن طولون جاسوساً من تكته
 ٢٢٦ افراط ابن طولون في اهلاك من نالوا منه
 ٢٣٠ أعراي اراد ان يقدي صاحبه بماله ودمه
 ٢٣٢ صدق سجين نجا باخلاصه
 ٢٣٧ شفاعة جماعة في منعم عليهم
 ٢٤٠ تناضي رجل عن مقابلة المعروف وما عمله عمه
 ٢٤٢ رجل سعى بأبيه قتلته ابن طولون
 (اخبار العباس بن احمد بن طولون)
 ٢٤٤ خروج العباس على آبيه
 ٢٤٥ جماعة العباس بن احمد بن طولون
 منزلة الواسطي من ابن طولون وما عمل
 العباس لاهلاكه
 ٢٤٦ خروج العباس على آبيه الى برقة
 ٢٤٨ ماأخذ العباس من مال مصر ورجالها
 ٢٤٨ استرضاء ابن طولون ابنة وارسال وفد اليه
 ٢٤٩ فشل العباس وهزيمته في إفريقية وبرقة
 وافتخاره بنفسه
 ٢٥٣

- ٣٣٧ غدر الواسطي بعد وفاة ولي نعمته
 ٣٣٨ وصية ابن طولون لابنه ابي الجيش
 ٣٣٩ وصيته لقواده وغلماة
 ٣٣٩ وصيته لابي الجيش أيضاً
 ٣٤٠ ثروة ابن طولون
 ٣٤١ عنايةه بسور قصره وهو مريض
 ٣٤٢ وصيته لابنه العباس
 ٣٤٣ إشرافه على الآخرة وموته
 // ترتيب جنازة احمد بن طولون
 ٣٤٦ مآتم اقامته الواتقية
 // شعر ابن طولون بالتركية
 ٣٤٧ مبلغ سنة
 ٣٤٨ الأصوات التي كان ابن طولون يختارها
 ٣٤٩ اولاد احمد بن طولون
 // تركه //
 ٣٥٠ نفاقه على مصانعه وصدقائه
 ٣٥٢ منامات رؤيت لابن طولون تبشر بنجاته
 ٣٥٦ لباسه واقتصاده
 ٣٥٧ وقع نعي ابن طولون في المتمدوحز نه عليه
 // // // في الموفق وتقديره
 ٣٥٨ لصفاته النفر
 ٣٦٣ ما حمله ابن طولون الى المتمد
 // الرخاء العام في بلاد ابن طولون
 ٣٦٥ استدراك
 ٣٦٦ خاتمة المطاف
 ٣٦٧ فهارس سيرة احمد بن طولون
 ٣٦٨ فهرس مراجع التصحيح والتعليق
 // أسماء الرجال والنساء والأهم والجماعات
 // // البلدان والبحار والانهار والاماكن
 ٣٨٨ // // الموضوعات
 ٣٩٦
- ٣٠١ التحاق لؤلؤ غلام ابن طولون بالموفق
 الرجوع عن اللعن في بلاد الشرق وبلاد
 ٣٠٢ ابن طولون
 ٣٠٥ خيانة لؤلؤ وتفضيل الخارجي والربيع عليه
 ٣٠٨ مصير لؤلؤ
 (سبب موت احمد بن طولون)
 ما جرى لابن طولون مع يازمان
 ورجوعه مفيظاً محقاً
 ٣١٠ بدء علة ابن طولون ورحيله الى مصر
 وما وقع له مع طيبة
 ٣١٢ توبيخه للقاضي بكار لامتناعه عن خلع الموفق
 عقوبة من استصفر امره وزهد في تجارة
 كانوا حسنوها له
 ٣١٧ شكوى طيبة من استبداده وعدم
 سماعه نضاجه
 ٣١٩ محاولة قائدين الاعتداء على بلاد تمد
 من عمل ابن طولون
 ٣٢٠ محاورق ابن طولون مع اطباة واهلاكه
 طيبة الخاس
 ٣٢١ الطيب المقيح الذي اختبر للحرم
 ٣٢٣ ثقة ابن طولون بدجال وزهد في
 اشارة الاطباة
 ٣٢٥ محاورته مع ابن توفيل وضربه اياه وقتله
 ٣٢٨ اطلاق ابن رجاء من محبسه ورد ماله عليه
 ٣٢٩ طلب ابن طولون دواء الرعية له
 ٣٣٠ رسوله الى القاضي بكار وما كان منه
 ٣٣١ جاسوس الموفق على ابن طولون
 ٣٣٣ كم الافواه عن التكلم في ابن طولون
 الى آخر أيامه
 ٣٣٤ اطلاقه رزق سنة لحيته
 ٣٣٦

تصحیحات

وقع في طبع هذا الكتاب بعض هنات طفيفة تدرك ببداهة النظر، وأكثرها من أحرف أو نقط كسرت أثناء الطبع، فهي ظاهرة في بعض النسخ خافية في بعض، وفيما يلي تصحيح المهم منها .

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤٠	٣	(هامش) خاله	٤	٧	١٢	سعيد	سعد
٢٤١	٣	أبو محمد	أبي محمد	٣١	٤	لَوْ	لَوَّ
٢٤١	١٨	علي والده	علي ولده	٣٥	١	العُرْف	الغزو
٢٨٨	١٢	تصريته	تصريه	٦٣	١٤	الشيرابي	البرابي
٣١٧	١٨	سنة ٢٦١	سنة ٢٦٩	١٠٤	١٤	فليغظه	فليغظه
٣١٧	٢٠	وفي طولها	في طولها	١٢٨	١١	الذين	اللائي
٣٣٩	٢	المعتمد	المعتمد	١٢٨	١٩	ناحية أحمد	ناحية أبي أحمد
٣٤٣	٥	رتباك	تبارك	١٥٨	١٨	شرب	يشرب
٣٥٥	١٣	اقتله سعيداً	قتله سعيد	١٧٨	١١	(هامش) تساهل	تشدد
٣٦٥		Yvanouy	Ivanow	١٨١	١٣	الذي	قبطي
				٢١٣	٢١	البغداداي	البغداداي
				٢٣٠	١١	تركنا	ترك

هذا وقد ورد في الصفحة ال ٢٨١ هذه العبارة « ولا أسيء إليه وأناثره » وهي كذلك في الاصل إلا أنها من غير نقط، وقد رجح عندنا أن تكون هكذا : « ولا أسيء إليه وأن أبرّه » .



DATE DUE

JUN 4 1958

201-6503

Printed
in USA



DT
95.5
.B34



MAY 1 1975

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU52876730

DT95.5 .B34

Sirat Ahmad ibn Tulu

P